دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

العام الثقافي المصري الصيني 2016
中埃文化年

شرح التائية الكبرى لابن الفارض

تأليف

عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني
(٦١٠ - ٦٩٠هـ/١٢١٣ - ١٢٩١م)

تقديم وتحقيق

أ. د. جوزيبي سكاتولين
أستاذ التصوف الإسلامي بالمعهد البابوي للدراسات العربية والإسلامية بروما

مصطفى عبد السميع سلامة
باحث تحقيق التراث بدار الكتب المصرية

تصدير

أ. د. أيمن فؤاد سيد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية ومدير مركز تحقيق النصوص جامعة الأزهر

شرح التائية الكبرى لابن الفارض

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. شريف كامل شاهين

ابن الفارض، عمر بن على بن مرشد بن على الحموى، ١١٨١ - ١٢٣٥.
شرح التائية الكبرى لابن الفارض/ تأليف صح [شرح] عفيف الدين سليمان بن على التلمسانى: تقديم وتحقيق جوزيبى سكاتولين، مصطفى عبدالسميع سلامة: تصدير أيمن فؤاد سيد. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية للمراكز العلمية، مركز تحقيق التراث، ٢٠١٦.
٤٠٤ ص ؛ ٢٩ سم.
تدمك 3 - 1220 - 18 - 977 - 978
١ - الشعر العربى - تاريخ ونقد. ٢ - الشعر الصوفى.
أ - العفيف التلمساني، سليمان بن على بن عبدالله بن على
ب - سكاتولين، جوزيبى (مقدم ومحقق وشارح).
جـ - سلامة، مصطفى عبدالسميع (مقدم ومحقق مشارك)
د - سيد، أيمن فؤاد (مصدر) هـ - العنوان.
٨١١,٠٠٩

إخراج وطباعة:
مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٥٠ / ٢٠١٦

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1220 - 3

دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تحقيق التراث

مؤسسة الشيخ الأكبر للدراسات العرفانية والصوفية
www.Al-Sufia.com

شرح التائية الكبرى لابن الفارض

تأليف

عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني
(٦١٠ - ٦٩٠هـ / ١٢١٣ - ١٢٩١م)

تقديم وتحقيق

أ. د. جوزيبي سكاتولين
أستاذ التصوف الإسلامي بالمعهد البابوي
للدراسات العربية والإسلامية بروما

مصطفى عبد السميع سلامة
باحث تحقيق التراث
بدار الكتب المصرية

تصدير

أ. د. أيمن فؤاد سيد
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية
ومدير مركز تحقيق النصوص - جامعة الأزهر

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م)

إهداء

مَنْ عَمِلَ لِلْحَقّ

تَحَقَّقَ فِيهِ الحَقّ

وَفِيهِ تَحَقَّقَ عَمَلُهُ حقًّا

امتنان وشكر

جزيل الشكر والامتنان للأخ العزيز الأستاذ/ أحمد فتحي سيد لما بذل من الجَهد والعمل في هذا التحقيق؛ فقد كان لنا خيرَ عونٍ في إخراج الكتاب على هذا النحو الذي نسأل الله أن يكون مُرْضِيًا؛ فله مِنَّا كل امتنان وتقدير وشكر.

د. جوزيبي سكاتولين

مصطفى عبد السميع

تصدير

ترجع صلتي بالمستشرق الإيطالي الصديق الدكتور جوزيبي سكاتولين (Giuseppe Scattolin) إلى نحو عشرين عامًا، عندما كان يتردد عليَّ في دار الكتب المصرية وهو يُعِد تحقيقه المتميِّز لـ«*ديوان ابن الفارض*» الذي نشره له المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

وكان وقتها قد اكتشف أقدم رواية لديوان الشاعر الصوفي المصري، وهي مخطوطة موجودة بمكتبة يوسف أغا، قونية (تركيا). تشتمل هذه الرِّواية على خمس عشرة قصيدة فقط، وهي تختلف عن الرِّوايات الشائعة للديوان التي ترجع جميعها إلى ما نشر عنه عليّ سبط ابن الفارض، (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م تقريبًا). ويتراوح تأريخ كتابة نسخة قونية هذه- كما قَدَّرَه د. سكاتولين- فيما بين سنتي ٦٤٠- ٦٧٣هـ/ ١٢٤٢- ١٢٧٤م. إذن، فهي قريبة من وفاة الشاعر الصوفي المصري وسابقة على رواية عليّ سبط ابن الفارض بما يقارب قرنًا من الزمان. وكُنَّا في ذلك الوقت نتبادل الرأي حول بعض القراءات غير الواضحة بهذه النسخة.

وقد أثبت المستشرق جوزيبي سكاتولين أن نسخة قونية تتفق مع نسخة أخرى لديوان ابن الفارض الموجودة بمكتبة تشستر بيتي بدبلن (إيرلندا) وهذه المخطوطة أيضًا سابقة لرواية عليّ سبط ابن الفارض. وبعد ذلك اكتشف الباحث الإيطالي

مخطوطتين أخريين غير منشورتين بنفس المضمون النصي المتفق مع رواية قونية، إحداهما في المكتبة الشرقية بليدن (هولندا)، والأخرى بالمكتبة القومية، برلين (ألمانيا)

لقد وجد تحقيق «*ديوان ابن الفارض*» الذي نشره الدكتور سكاتولين على أساس هذه الاكتشافات النصية الجديدة استقبالاً حافلاً من طرف المهتمين بتُراث ابن الفارض خاصة، والتراث الصوفي عامة.

ولا ترجع صلة الدكتور سكاتولين بابن الفارض فقط إلى نشره الرواية المحققة للديوان، فله العديد من الدراسات التي تناولت خبرة ابن الفارض الصوفية. لقد كان موضوع رسالته للدكتوراه (سنة ١٩٨٧) تحليلاً دلاليًّا للغة ديوان ابن الفارض في قصيدته المعروفة بـ«*التائية الكبرى*» لإبراز مفاهيمها الحقيقية التي قصدها الشاعر عبر ألفاظه وعباراته. وكذلك وسَّع دراساته في الشاعر الصوفي المصري في العديد من المقالات، نذكر منها: «**التجربة الصوفية لعمر بن الفارض أو تحقيق الذات**»، في مجلة (*The Muslim World*, (July-October, 1992) 274-286)، و«**إضافات في ترجمة ابن الفارض**»، في مجلة (*MIDEO* 22 (1995) 197-242)، و«**تحقيق الأنا في التصوف الإسلامي: الخبرة الصوفية عند عمر بن الفارض**»، في مجلة (*Mélanges de l'Université de St. Joseph*, Beyrouth, 1999, 119-148). وله العديد من الدراسات الأخرى في التصوف الإسلامي عامة منها كتاب: «***التجليات الروحية في الإسلام- نصوص صوفية عبر التاريخ***» (٢٠٠٨)، وكتاب: «***تأملات في التصوف والحوار الديني- من أجل ثورة روحية متجددة***» (٢٠١٣)، وغيرها.

ويضيف اليوم هذا الباحث الإيطالي إلى إسهاماته السابقة عن ابن الفارض إسهامًا آخر مهمًّا، وهو نَشْر **«شرح عفيف الدين التلمساني على قصيدة *التائية الكبرى* لابن الفارض»** اعتمادًا على نسخة خطيَّة له محفوظة في مجموعة طلعت الملحقة بدار الكتب المصرية بالقاهرة، والتي تبدو حتى الآن أنها الوحيدة لهذا الشرح. وقد قام بمقارنة نص القصيدة- كما ورد في رواية العفيف التلمساني- بنص الديوان الذي قام بتحقيقه سابقًا. وهكذا تعتبر رواية التلمساني قراءة أخرى لقصيدة *التائية الكبرى* لابن الفارض.

وقدم الدكتور سكاتولين للنص المحقق بمقدمة مهمة تناول فيها حقيقة التصوف في الإسلام عامة حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، وترجمة موجزة لصاحب التائية الكبرى وهو الشاعر الصوفي المصري عمر بن الفارض (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م)، وأعقبها بترجمة صاحب شرح التائية، عفيف الدين التلمساني (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، مع عَرْضٍ لمذهبه الصوفي الذي تأثر على ما يبدو بالفلسفة الصوفية للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م). وأضاف إلى ذلك ذكر موقف معارضيه من هذه الفلسفة الصوفية، وعلى الأخص العالِم المشهور تقي الدين بن تيمية، (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م).

والجدير بالذكر أن شرح التلمساني *للتائية الكبرى* ليس الوحيد لها، فهناك العديد من شُروح التائية، التي ذكرها الباحث الإيطالي في مقدمة تحقيقه. نذكر من أهمها: شرح سعيد الدين الفرغاني (ت٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م)، الذي كان صاحب التلمساني

في مدرسة صدر الدين القونوي (ت٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م) بقونية، وكان القونوي التلميذ المفضَّل للشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي. فقد أثبت التلمساني ذاته أنه اعتمد على شرح صاحبه في الكثير من المواضيع، والحق أنه لا يُفْهم العديد من نصوص التلمساني بغير الرجوع إلى نص الفرغاني.

إن هذا التحقيق الجديد «*شرح التائية الكبرى لابن الفارض*» الذي ألَّفه عفيف الدين التلمساني يُعتبر إضافةً مهمة في مجال نشر التراث الصوفي بالمنهج المدقق الذي يتبناه الدكتور جوزيبي سكاتولين في أعماله، فيستحق عليه أطيب تهنئة من جانبنا، ونحن في انتظار إسهامات أخرى مهمة له في مجال دراسة التصوف الإسلامي.

ولا ننسى أن نشير إلى المساهمة المفيدة والمهمة التي قدَّمها الأستاذ/ مصطفى عبد السميع في تحقيق هذا الشرح بكل ما عنده من مهارة وخبرة في تحقيق النصوص التراثية، فله مني جزيل الشكر والثناء، مع تمنياتي بأعمال مفيدة أخرى في مجال التراث الإسلامي.

أيمن فؤاد سيد

١٨ صفر سنة ١٤٣٧هـ

٣٠ نوفمبر سنة ٢٠١٥م

تمهيد

نقدم هنا نص الشرح الذي كتبه الصوفي المغربي عفيف الدين التلمساني (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م) على القصيدة الشهيرة للشاعر المصري الصوفي عمر بن الفارض (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م). لقد اشتهر ابن الفارض في فن الشعر الصوفي فأصبح من أبرز الشعراء في مجال وصف الحب الصوفي حتى لُقِّبَ بـ«سلطان العاشقين»، وهو يستحق هذا اللقب؛ لأسلوبه الفريد في التعبير عن كل خلجات مشاعر الحب بلغة متميزة، وعبارات فصيحة، وإشارات رمزية رفيعة، لا يضاهيه في ذلك أحد في الأدب العربي[1].

وكذلك اشتهرت الشروح التي كُتِبت على ديوانه، خاصة التي صُنِّفت في مدرسة محيي الدين بن العربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) الصوفية. ويُعتبر شرح التلمساني من أوائل تلك الشروح، وله أهمية خاصة. لقد صنفه التلمساني بعد ستين سنة تقريبًا من وفاة الشاعر المصري الصوفي، وقبل نشر الديوان على يد عليّ سبط ابن الفارض (ت٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م تقريبًا)، الذي زيَّن ديوان جده بديباجته الشهيرة التي وصف فيها حياة جده بصورة أصبحت بعده الصورة التقليدية والمتداولة في الأدب العربي الصوفي حتى عصرنا هذا. إذن، يمثل شرح التلمساني بعد شرح معاصره سعيد

---

(١) لمزيد من المعرفة عن ابن الفارض ومذهبه الصوفي، انظر تحقيقي لديوان ابن الفارض: عمر بن الفارض، *ديوان ابن الفارض- قراءات لنصه عبر التاريخ*، تحقيق: جوزيبي سكاتولين، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٤.

الدين الفرغاني (ت٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) الصورة الأولى للشاعر المصري الصوفي فكرًا وخبرًا، وهي الصورة التي كانت معروفة في البيئات الصوفية في النصف الثاني من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي.

وعلى هذا الأساس ولكي نُدخِل القارئ الكريم في إدراك أوفر لخبرة ابن الفارض الصوفية ولنظريات التلمساني في التصوف التي على أساسها شرح شعر ابن الفارض الصوفي- قدَّم الدكتور جوزيبي سكاتولين نص الشرح المحقق ببعض المقدمات التي قد تساعد القارئ في فهم أعمق وأوسع لنص التلمساني، وهي:

أولاً: مقدمة عامة وموجَزة لحقيقة التصوف في الإسلام حتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، نشير فيها إلى حقيقة التصوف حسب الآراء الأكثر إجماعًا وثقة.

ثانيًا: مقدمة أخرى تُعَرَض فيها الأخبار الأساسية عن الشاعر المصري الصوفي عمر بن الفارض مع الخطوط العامة لخبرته الصوفية التي توصَّلنا إليها من خلال دراسة تحليلية دلالية لنص قصيدته الشهيرة، *التائية الكبرى*. هكذا يستطيع القارئ أن يقارِن بين شرح التلمساني المتأثر بفلسفة ابن العربي الصوفية وقراءة نص نفس القصيدة من خلال دراسة لغوية تحليلية دلالية له، ويُقَدِّر الفرق بينهما.

ثالثًا: مقدمة تُعْرَض فيها أهم الأخبار التي ترد في المصادر التاريخية عن حياة التلمساني ومذهبه الصوفي، كما نذكر فيها بعض الآراء حوله التي أصدرها

معارضوه، وعلى رأسهم تقي الدين بن تيمية (ت ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م)، وأخيرًا ثَبت مؤلفاته.

رابعًا: نذكر تلخيص المقدمة التي كتبها التلمساني قبل شرحه القصيدة الفارضية حيث يَعرض الأفكار المحورية لنظريته الصوفية، وهي بمثابة المفاتيح المنهجية التي على أساسها شَرَح قصيدة ابن الفارض وعلى ضوئها يجب فهم شرحه.

خامسًا: نقدم وصف المخطوطة التي نقلنا منها نص شرح التلمساني، مع بعض الملاحظات لإبراز أهم مميزاته في كتابة الألفاظ، وكذلك نعرض وصف منهجنا في تحقيق المخطوطة الذي سيساعد القارئ على قراءة نص التلمساني المحقَّق. ولقد أجرينا مقارنة بين نص قصيدة ابن الفارض، التائية الكبرى، كما ورد في شرح التلمساني ونصها كما يرد في تحقيق الدكتور جوزيبي سكاتولين للديوان (القاهرة، ٢٠٠٤)، الذي يعد أفضل تحقيق لديوان ابن الفارض حتى الآن حيث أُجري على أساس عدة نصوص ما بين مخطوط ومطبوع. وعلى هذا الأساس نَعتبر نص التلمساني قراءة أخرى إلى جانب العديد من القراءات الأخرى للنص الفارضي.

وأخيرًا، نقدم بعض النماذج من صفحات المخطوطة لتقريب القارئ من واقع نصها. ونرجو أن تكون هذه المقدمات مفيدة للقراء لفهم القصيدة الفارضية وشرح التلمساني لها، تعمقًا في المذهب الصوفي والمنهج العلمي.

مقدمة في التصوف الإسلامي

١ - التصوف الإسلامي

ما التصوف؟ وما مكانته في الإسلام؟ وهل هو إسلامي الطابع أم هو أجنبي ودخيل على الفكر الإسلامي؟ وما أهم مراحله التاريخية؟ وهل له أهمية للإنسان المعاصر؟ أو قد صار من بقايا موروث قديم لا محل له في عصرنا العلمي التكنولوجي؟.

هذه بعض التساؤلات التي تطرأ في حديثنا عندما يُجرى فيه ذكر عن «التصوف الإسلامي» أو «التصوف في الإسلام»، وقد تختلف الأجوبة عنها أشد الاختلاف؛ فهناك من يؤيد ويدافع عن فكرة التصوف حتى جعله الدين كلَّه. وهناك من يعارض ويُدين فكرة التصوف حتى التكفير؛ بحجة أنه خارج عن دين الإسلام، بل مُفسد له من أساسه. إذن، إزاء تلك الآراء المختلفة المتضاربة، فلا بد للمرء العاقل من اتخاذ موقفٍ حكيم بعيدًا عن الأحكام المسبقة والأهواء الفردية المتحيزة؛ لذلك نرى أن أصوب وأعقل طريق إزاء هذه الإشكاليات هو اللجوء إلى الواقع التاريخي الأكثر موضوعية وثقة مع إعادة قراءة مصادره الأصلية في ضوء المناهج العلمية المقبولة عامة في المراكز العلمية المعاصرة. لذلك نقدم هنا بعض الخطوط العامة للتصوف من ناحية تاريخه ومضمونه كما نقرؤها في مصادره التاريخية لكي نضع شرح التلمساني في إطار تاريخي مناسب.

من النَّاحية التَّاريخية، يمكننا وصف التصوف الإسلامي بأنه ظاهرة تاريخية عامة ومهمة في التاريخ الإسلامي كله، بل هو من أهم وأبرز تجلياته، بلا شك. والواقع أن التصوف الإسلامي يمثل حركة تاريخية واسعة ممتدة عبر القرون أنتجت إنتاجًا دينيًا وثقافيًا وفنيًا متميزًا في جملة الحضارة الإسلامية، فهذا واقع لا أحد يمكنه إنكاره. فقد بدأت هذه الحركة الرُّوحية في القرن الأول الهجري مع حركة العُبَّاد والزُّهَّاد الأوائل من أمثال الحسن البصري (ت١١٠هـ/ ٧٢٨م) وغيره، ثم نمت وتطورت تلك الحركة الروحية في القرنين الثاني والثالث الهجريين مع التعمق في خبرة الحب الإلهي في متصوفة من أمثال إبراهيم بن أدهم (ت١٦١هـ/ ٧٧-٧٧٨م) وما ينسب إلى رابعة العدوية البصرية (ت١٨٥هـ/ ٨٠١م)، ومع فكرة الفناء عند أبي يزيد البسطامي (ت٢٦١هـ/ ٨٧٤م أو ٢٦٤هـ/ ٧٧- ٨٧٨م) وفكرة الفناء والبقاء عند الجنيد البغدادي (ت٢٩٨هـ/ ٩١٠م)، وغيرها من التبصرات الروحية؛ فأدَّت هذه الحركة- آخر الأمر- إلى مأساة الحسين بن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ/ ٩٢٢م) التي تُمثل في التاريخ الإسلامي مظهرًا من مظاهر التوتر بل التصادم بين حركة الفقراء (المتصوفة) وعالم الفقهاء (المتكلمين). بعد ذلك اتجهت هذه الحركة الروحية اتجاهين: فهناك اتجاه عُرف بالتصوف السُّني في القرنين الرابع والخامس الهجريين وفيما بعد، حيث اجتهد أصحابه- من أمثال الإمام أبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ/ ١١١١م) وغيره- في إيجاد صيغة توافق مُقنع بين الخبرة الصوفية الباطنة وظاهر الشريعة الإسلامية؛ فقد أنتج هذا الاتجاه الصوفي المصنَّفات الصوفية العظيمة المعروفة في التراث الصوفي، من أمثال: «الرسالة

القشيرية» للإمام أبي القاسم القشيري (ت٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م) وغيرها، وكتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، الذي يمثل قمة التصوف السُّني. وإلى جانب هذا الاتجاه السني نجد هناك اتجاهًا آخر توغل في مجالات أكثر نظرية وفلسفية في القرنين السادس والسابع الهجريين وفيما بعد، من أمثال: الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، وأصحاب المدرسة المسمَّاة بـ«وحدة الوجود»، من أمثال محيي الدين بن العربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م) وغيرهما. فقد اجتهد أصحاب هذه المدرسة في إيجاد صيغة توافقية بين التصوف وبين ما يسمونه «باطن الشريعة» أي: معناها العميق ومقصدها الأعلى. فهذا الاتجاه الصوفي أيضًا أنتج مصنَّفات صوفية عظيمة متشبعة بنظريات فلسفية فريدة عميقة مبدعة، صارت من أهم التجليات للفكر الإسلامي عبر القرون. وبعد ذلك، أي منذ القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي فصاعدًا، تطورت حركة التصوف وتوسعت فيما يُعرَف بظاهرة الطرق الصوفية، التي ازدهرت وانتشرت في العالم الإسلامي كله حتى أيامنا الراهنة. ومن المعروف أن الطرق الصوفية قامت بدور كبير ومُهمّ جدًّا في نشر الدين الإسلامي عبر القارات وخاصة في مجال التربية الأخلاقية لعامة الشعوب الإسلامية.

وأما من ناحية المضمون، فمن الصعب أن نقوم بتلخيص الأفكار والتجارب والتبصُّرات الكثيرة المتنوعة، التي أتت بها هذه الحركة الروحية عبر التاريخ في سطور معدودة. فلنذكر هنا فقط ما يقوله أحد أبرز الدارسين المعاصرين في التصوف الإسلامي، وهو أبو الوفا التفتازاني (ت١٩٩٥م)، معرِّفًا إيَّاه بقوله:

«التصوف فلسفة حياة تهدف إلى الترقي بالنفس الإنسانية أخلاقيًا، وتتحقق بواسطة رياضات عملية معيَّنة تؤدي إلى الشعور ـ في بعض الأحيان ـ بالفناء في الحقيقة الأسمى، والعرفان بها ذوقًا لا عقلاً، وثمرتُها السعادة الروحية، ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية»(٢).

وهناك عدد كبير من التعريفات الأخرى للتصوف تَرِد في مختلف المصنفات الصوفية، وهي تُوضح وتُبين مفهوم التصوف ومضمونه عند أصحابه. وخلاصة القول: إننا نرى من أقوال المتصوفة أن التصوف يحتوي على عدد من العناصر، يمكننا تلخيصها فيما يلي:

١-١: إن التصوف خبرة عملية ذاتية في المقام الأول، وليس ضربًا من العلوم النظرية مثل الفقه وعلم الكلام والفلسفة ...إلخ. فإن المعرفة الصوفية لا تأتي من دروس نظرية في الأمور بقدر ما تُحصَّل من مجاهدات ورياضات ذاتية؛ لذلك فإن الصوفية يتكلمون عن المعرفة كذوق أو تذوُّق للحقيقة الأسمى، لا كعلم نظري مجرد. فطالما تجادل المتصوفة مع «العقلانيين» الذين يعتمدون على العقل باعتباره الوسيلة الرئيسية للوصول إلى الحقيقة العليا.

١ - ٢: ويتدرج السلوك الصوفي عبر عدد من المراحل الروحية التي تُسمَّى عندهم المقامات (التي تأتي في الغالب من المجاهدات الذاتية)، والأحوال (التي تأتي في الغالب من المواهب الإلهية). ويختلف عدد وترتيب هذه المراحل الروحية من

(٢) أبو الوفا التفتازاني، *مدخل إلى التصوف الإسلامي*، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٩٧٩، ص٨.

صوفي لآخر. ومجموع هذه المراحل الروحية يشكل ما يسمَّى بـ«الطريق الصوفي»، الذي لا بدَّ من سلوكه لكل مَنْ أراد الوصول إلى غايته؛ فلذلك يُسمَّى أيضًا بـ«السلوك الصوفي». ونظرًا لصعوبة هذا الطريق فهناك مبدأ عام عند المتصوفة يُثبت أن هذا السلوك الروحي يجب أن يتم تحت إرشاد شيخ محقِّق يساعد المريد في تقدمه الروحي مع تجنب مخاطره.

١ - ٣: وأخيرًا، يصل الصوفي إلى نهاية الطريق أو إلى مقصده الأسمى في المراحل العليا من أمثال المعرفة والمحبة، حتى الفناء التام في الحقيقة العليا، أي الفناء في الله. وهناك يصير الصوفي في حضرة «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»[٣] من الأسرار الإلهية. وقد عبَّر بعض الصوفية عن تلك التجربة العميقة الفريدة بعبارات غريبة عُرفت بالشطحات الصوفية، التي أثارت الاستنكار بل الشك والرفض من طرف بعض الناس بسبب صياغتها اللفظية المذهلة المُغربة؛ فدارت المناقشات والمجادلات واختلفت الآراء حول تلك العبارات عبر القرون.

٢ - مكانة التصوف في الإسلام

إن قضية مصدر التصوف الإسلامي صارت في الماضي موضوع مناقشات طويلة عنيفة. فقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن التصوف الإسلامي أتى من مصادر أجنبية؛ إذ إنهم رأوا فيه بعضَ الآراء التي تناقض العقيدة الإسلامية، من مثل: فكرة

---

(٣) حديث: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر..." سنن الترمذي، الرقم ٣٢٩٢، حسن صحيح. ولهذا الحديث ما يقابله في الكتاب المقدس من آيات، انظر: *رسالة القديس بولس الأولى الى اهل كورنتوس* ٢/ ٩، وسفر *أشعيا النبي* ٦٤/ ٣، وسفر *إرميا النبي* ٣/ ١٦.

الحلول التي قال بها الحسين بن منصور الحلاج، وفكرة وحدة الوجود التي قال بها الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي. وكذلك عارض التصوف بعض المفكرين الإسلاميين الذين رأوا فيه ضربًا من الخروج عن العقيدة الإسلامية الصحيحة، وكان أشهرهم المفكر تقي الدين بن تيمية. إلا أننا نجد الآن إجماعًا شبه كامل عند الدارسين للتصوف الإسلامي على أن مصدر التصوف إسلامي في الأساس مع بعض التأثرات من الثقافات الأجنبية؛ فالتصوف شأنه في ذلك شأنُ سائر العلوم الإسلامية الأخرى مثل علم الكلام والفلسفة والعلوم الطبيعية ...إلخ. ونحن نعلم مدى تأثر الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى التي تعاملت معها، وخاصة الحضارة اليونانية من خلال فلسفتها وعلومها التي أصبحت متداولة بين المفكرين المسلمين.

أما بالنسبة لمكانة التصوف داخل الدين الإسلامي، فتأتي الإجابة عن هذه المسألة في العديد من المؤلفات والدراسات لأهم الباحثين في هذا المجال. فهناك إجماع شبه كلي بين الدارسين للتصوف الإسلامي على اعتباره البُعد الروحي من الدين الإسلامي؛ فقد عَنْوَن الدارس المصري الشهير، محمد مصطفى حلمي (ت١٩٦٩م)، كتابه في التصوف بعنوان واضح الإشارة «*الحياة الروحية في الإسلام*»(٤). وهناك دارس مصري جليل آخر، هو أبو العلا عفيفي (ت١٩٦٤م) الذي عنون كتابه في التصوف بـ«*التصوف: الثورة الروحية في الإسلام*»(٥). والمقصود عندهما وأمثالهما من الدارسين أن التصوف

(٤) محمد مصطفى حلمي، *الحياة الروحية في الإسلام*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤.

(٥) أبو العلا عفيفي، *التصوف: الثورة الروحية في الإسلام*، القاهرة، ١٩٦٣.

الإسلامي يمثل البُعد الروحي للدين الإسلامي ومعناه العميق. فيقول أبو الوفا التفتازاني، في هذا الصدد: «ومن هذا يتبين لك أن التصوف في الإسلام، كعلم ديني، يختص بجانب الأخلاق والسلوك، وهو روح الإسلام»(٦). إذن، فالتصوف يمثل في رأيه «روح الدين الإسلامي»، وهذا موقف صارم وجريء جدًّا. وكذلك عنونت الباحثة الألمانية الشهيرة، آنا ماري شيمل (Annemarie Schimmel) (ت٢٠٠٣م) كتابها القيِّم في التصوف الإسلامي والذي يعتبر من أبرز الدراسات فيه: «*الأبعاد الصوفية في الإسلام*»(٧).

ونحن نرى أن هذا الرأي الأعم والأصح حول مكانة التصوف في الإسلام، يؤيده الكثير من أبرز الدارسين من العلماء المسلمين والباحثين المستشرقين، رغم أن هذا المجال لا يخلو من الذين يعارضونه: فكل واحد يشرب من مشربه، فالروحاني يشرب من الروح، والحرّفي يقف عند الحرف.

وينبغي هنا أن نذكر ملحوظة مهمة للباحث العراقي الأب اليسوعي بولس نويا (Paul Nwyia) (ت١٩٨٠م) بخصوص مكانة الصوفية في الإسلام. فإنه يعترف للمتصوفة بأفضال عظيمة، منها أنهم أنشأوا بخبراتهم الذاتية والممارسات الحياتية

---

(٦) التفتازاني، *مدخل*، ص ٧.

(٧) Annemarie Schimmel, *Mystical Dimensions of Islam*, The University of North Carolina Press, Chapel Hill, 1975.

تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية: آنا ماري شيمل، *الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف*، ترجمة: محمد إسماعيل السيد- رضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٦.

لغةً خاصة بهم، وهي لغة حية مليئة بمعانٍ عميقة ذات صبغة ذاتية ملموسة، بعيدة عن البلاغة الشكلية السائدة لدىٰ الكثير من الأدباء العرب. فختم الأب نويا قوله مُثبتًا أنه: «بفضل المتصوفة وُلدت لغة جديدة في لسان العرب، ألا وهي لغة الخبرة الروحية الذاتية»[٨].

وأخيرًا، فمهما اختلفت الآراء وتضاربت المواقف إزاء هذه الظاهرة التاريخية المهمة، أي التصوف الإسلامي، فلا أحد يمكنه إنكارها أو تجاهلها، وإلا فقد أهمل تُراثًا حضاريًّا عظيمًا من الحياة والفكر والفن أثرىٰ التاريخ الإسلامي ثراءً عظيمًا متميزًا. إذن، فالتصوف الإسلامي يجب اعتباره جزءًا أساسيًّا لا يتجزأ من تاريخ الإسلام وحضارته، وله فيه مكانة عالية جلية علىٰ شتىٰ المستويات من الدين والفكر، والفن والعمل[٩].

٣- التصوف الإسلامي في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي

يُعتبر القرن السابع الهجري القرن الذهبي للتصوف الإسلامي؛ إذ إن التصوف وصل فيه إلىٰ قمة التعبير عن نفسه في مختلف مجالات نشاطه عملاً وفكرًا وفنًّا. والواقع أن هذه الحقبة من الزمن ظهر فيها أعظم شخصيات التصوف الإسلامي علىٰ الإطلاق التي أثَّرت فيمن أتىٰ بعدها من الصوفية تأثيرًا واسعًا عميقًا؛ ففي هذه الحقبة ظهر المؤسسون الأوائل للطرق الصوفية. نذكر من بينهم: عبد القادر الجيلاني

---

(٨) Paul Nwyia, *Exégèse coranique et langage mystique*, Dar al-Machreq, Beirut, 1970, p. 4.

(٩) لمزيد من المعلومات، انظر: جوزيبي سكاتولين- أحمد حسن أنور. *التجليات الروحية في الإسلام*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨، المقدمة: ص ١٣ - ٣٥.

(ت٥٦١هـ/ ١١٦٦م)، مؤسس الطريقة القادرية، وأحمد الرفاعي (ت٥٧٨هـ/ ١١٨٢م)، مؤسس الطريقة الرفاعية، وأبا حفص السُّهْرَوَرْدِي (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٤م)، مؤسس الطريقة السُّهْرَوَرْدِيَّة، وجلال الدين الرومي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، مؤسس الطريقة المَوْلَوِيَّة (وتسمى أيضًا باللغة التركية mevleviyya)، وبعدهم كثيرون.

وكذلك ظهر في هذا القرن أعظم شعراء الصوفية من أمثال عمر بن الفارض (ت٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م) بالعربية، وجلال الدين الرومي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) بالفارسية، ويونس إمري (ت٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م تقريبًا) بالتركية.

ويلاحظ أيضًا أن التصوف اتخذ في ذلك الوقت بُعْدًا نظريًا أوضح وأعمق مما كان عليه من قبل. والسبب في هذا التطور الملحوظ يرجع إلى تأثره بالكثير من التيارات الفكرية والدينية المنتشرة وقتها في العالم الإسلامي، والمشرق العربي منه على وجه الخصوص. نذكر من أهم تلك التيارات الفكرية الفلسفية: الأفلاطونية المحدثة، التي كان قد تبنَّاها الفكر الفلسفي الإسلامي منذ قرون؛ ثُم التيارات الفكرية ذات الطابع الغُنوصي- الهِرْمِسي (Gnosticism Hermetism)، وأيضًا التيارات الدينية الإيرانية، وخاصة التي عُرفت بـ«حكمة الإشراق»، وغيرها. فلقد أثَرتْ تلك التياراتُ الدينية والفكرية المختلفة الفكر الإسلامي بالكثير من التبصرات الروحية والأنماط المعرفية التي أكسبته عمقًا وشمولية وسَعَةً لم يعرفها من قبل.

ومن أعظم المفكرين في التصوف في ذلك الوقت نذكر: شِهَاب الدين يحيى السُّهْرَوَرْدِي (ت٥٨٧هـ/ ١١٩١م)، وفريد الدين العَطَّار (ت٥٨٦هـ/ ١١٩٠م)، وخاصة الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م). ونجد أن مدرسة ابن العربي المعروفة بـ«مدرسة وحدة الوجود» لها مكانة خاصة لنفوذها في التصوف الإسلامي شرقًا وغربًا، وكأن مركز نظريتها أن الوجود واحد، فليس هناك فرق بين الله الخالق والكون المخلوق. إلا أن هناك دراسات عديدة برَّأت ابن العربي من هذا الاتهام المُعمَّم والسطْحي. فقد أنتجت مدرسة ابن العربي عددًا ملحوظًا من المفكرين الصوفيين البارزين من أمثال: صدر الدين القونوي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) الذي كان التلميذ المفضَّل لمحيي الدين بن العربي، وعبد الرزاق الكاشاني (ت٧٣٦هـ/ ١٣٣٦م)، وداود القيصري (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)...إلخ. وإلى تلك المدرسة ينتمي أيضًا عفيف الدين التلمساني (ت٦٩٠هـ/ ١٢٩١م)، صاحب شرح قصيدة ابن الفارض المعروفة بـ*التائية الكبرى*، الذي نقوم هنا بعرض تحقيقه.

وإلى جانب هذا البعد النظري يجب أن نذكر أيضًا أن التصوف الإسلامي أصبح أكثر فعالية في ميدان الإنتاج الفني في مجالات غير الشعر، مثل: فن الموسيقى والفن المعماري خصة؛ ففي ذلك الزمان بُنِيَت أروع المساجد التي عرفها التاريخ الفني الإسلامي، فقد تنوعت الأساليب المعمارية عبر المكان والزمان تنوعًا عجيبًا من الطرازين الأيوبي والمملوكي في مصر، إلى الطراز العثماني في البلاد التي وقعت تحت حكم الأتراك، إلى الطراز الفارسي في إيران، والمغولي في الهند، وهلمَّ جرًّا. وتبقى

تلك المساجد حتىٰ يومنا الحاضر من روائع الفن المعماري العالمي علىٰ الإطلاق. فكل هذا النشاط المتنوع للتصوف الإسلامي في القرن السابع الهجري من طرقي وفلسفي وشعري وفني يثبت أن هذا القرن يمثل قمة الازدهار للتصوف الإسلامي في الحضارة الإسلامية عامة، فلم نجد قبل أو بعد ذلك قرنًا غنيًا بانتاج صوفيٍّ علىٰ تنوعه وتعمقه مثل ذلك القرن.

ويمثل كل ما قلنا عن التصوف الإسلامي في القرن السابع الهجري الخلفية الفكرية الثقافية التي أحاطت بالمفكر الصوفي العظيم عفيف الدين التلمساني صاحب شرح قصيدة ابن الفارض الشهيرة المعروفة بـ *التائية الكبرى*.

عمر بن الفارض

(٥٧٦ هـ/ ١١٨١م- ٦٣٢ هـ/ ١٢٣٥م)

١- عُمَر بن الفارِض ورحلته الصوفية[١٠]

١-١: سيرة حياته:

ليس عمر بن الفارض مجهولاً في الأوساط الصوفية وغير الصوفية، عربية كانت أم غير عربية، فهو عَلَم من أعلام التصوف الإسلامي ومن أشهر شعراء الحب الإلهي،

---

(١٠) لمزيد من المعلومات عن عمر بن الفارض، انظر: *ديوان ابن الفارض*، تحقيق: جوزيبي سكاتولين، مقدمة ص١ - ١١٤؛ جوزيبي سكاتولين، *"عمر بن الفارض وحياته الصوفية من خلال قصيدته التائية الكبرى"*، ضمن كتاب: *محمود قاسم الإنسان والفيلسوف*، كتاب تذكاري، إشراف د. حامد طاهر، مطبعة العمرانية، ١٩٩٢، ص٤٠٥ - ٤٣٧؛ محمد مصطفى حلمي، *ابن الفارض والحب الإلهي*، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٥ (ط١، ١٩٧١)؛ عاطف جودة نصر، *عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي*، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢؛ عبد الخالق محمود عبد الخالق، *ديوان ابن الفارض* (تحقيق)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤؛ *شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤؛ عباس يوسف الحداد، *الأنا في الشعر الصوفي- ابن الفارض أنموذجًا*، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ط١، ٢٠٠٥.

Thomas Emil Homerin, *From Arab poet to Muslim saint: Ibn al- Fāriḍ, His Verse and His Shrine*, University of South Carolina Press, Columbia (South Carolina USA) 1994, (2nd ed. The American University in Cairo Press, Cairo - New York, 2001); Giuseppe Scattolin, "More on Ibn al-Fāriḍ's Biography", in *MIDEO* 22 (1995) 197-242; Giuseppe Scattolin, *L'esperienza mistica di Ibn al- Fāriḍ attraverso il suo poema al-Tā'iyyat al-kubrā - Un'analisi semantica del poema*, PISAI, Roma, 1987, 3 vols., 730 pp.(not published yet). For a summary of it see: Id., "The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ or the Realization of Self (*Anā*, I), in *The Muslim World*, LXXXII/3-4 (July-October, 1992) 274-286; Id., "More on Ibn al-Fāriḍ's Biography", in *MIDEO* 22 (1995) 197-242; Id., "Realization of 'Self' (*Anā*) in Islamic Mysticism: The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ", in *Mélanges de l'Université de St. Joseph*, Beyrouth, Dar El-Machreq , Tome LIV (1995-1996) 1999, 119-148; Id., *The Dīwān of Ibn al- Fāriḍ*, a critical edition by Giuseppe Scattolin, Le Caire, IFAO, 2004.

فقد لُقِّب فيه بـ«سلطان العاشقين»؛ إذ إن الحب يحتل مقامًا مركزيًا في أشعاره الصوفية.

لا نعرف الكثير من حياة عمر بن الفارض لأن المصادر التاريخية لم تحمل إلينا أخبارًا مفصَّلة عن سيرة حياته. ولد أبو القاسم عمر بن الفارض- الحموي الأصل المصري النشأة والمقام والوفاة- بالقاهرة في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـ/ ١١٨١م. ويتفق الجميع على أن اسمه «عُمَر»، وكنيته «أبو القاسم» أو «أبو حفص»، ولقبه «شرف الدين»، وأنه ابن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، من أسرة شامية كانت تفتخر بنسب متصل ببني سعد، قبيلة حليمة السعدية مرضعة محمد، رسول الإسلام.

عاصر ابن الفارض الأحداث المجيدة التي حققها السلاطين الأيوبيون؛ فقد ترعرع في أيام صعود القائد البطل الناصر صلاح الدين (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) إلى ذروة مجده، وعاش في ظل الملك الكامل (ت٦٣٥هـ/ ١٢٣٨م) في مصر، وتُوُفِّيَ قبل سقوط الدولة الأيوبية على أيدي المماليك بعدة سنين.

كان أبوه، أبو الحسن علي، يعمل بالفقه في بَلاط الحُكم حتى أصبح فقيهًا شهيرًا خاصة في إثبات ما فُرِض للنساء على الرجال من حقوق في المواريث. فتولَّى نيابة الحُكم وغَلَبَ عليه لقب «الفارض»، ومن ثم لُقِّب ابنه عمر بـ«ابن الفارض». ثم سُئِل أبوه أن يتولى منصب قاضي القضاة في ديار مصر، لكنه فضل الانقطاع لله تعالى في قاعة الخطابة في الجامع الأزهر وظلَّ كذلك حتى وافته منيَّته.

وإن دلَّت هذه الأخبار على شيء فإنها تدل على أن الحياة العلمية والصوفية لم تكن غريبة على أسرة ابن الفارض. فقد كان أبوه من أهل العلم والوَرَع، حتى فضَّل الزهد والاعتكاف على الانغماس في الشهرة والجاه. وكان جده يحمل لقب «المرشد» وهو لقب معروف في البيئات الصوفية. فليس غريبًا، إذن، أن يكون أبوه أول من اعتنى بتربية ابنه عمر عِلمًا وتقوًى. فقد بدأ عمر سياحته الصوفية مبكرًا، وكان يذهب إلى وادي المستضعَفين بالمقطَّم، وهو جبل معروف يقع شرقي القاهرة، حيث كان يقضي بعض أوقاته في الخلوة والعزلة. ثم يعود من سياحته إلى أبيه الذي كان يُلزِم ابنه بالجلوس معه في مجالس الحكم ومدارس العلم.

وكذلك نعرف أنَّ ابن الفارض تعلَّم الحديث على يد واحد من كبار المُحَدِّثين في عصره، وهو العلاَّمة الشافعي أبو محمد القاسم بن علي بن عساكر الدمشقي (ت٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م). وهكذا انتمى ابن الفارض للمذهب الشافعي فلُقِّب بالشافعي.

ونعرف أيضًا من المصادر التاريخية أن ابن الفارض جاوَر مكة المكرمة فترة من حياته وَفْقًا لعادة معروفة عند الصوفية، طالبًا في رحابها الفيض الإلهي الذي لم يَفِضْ عليه ولم يُفتح به في ديار مصر. فقد عاش هناك بين أودية مكة قُرابة خمس عشرة سنة. فمن المحتمل أنه ذهب إلى مكة حوالي سنة ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، وهو في العقد الرابع من عمره، وأنه رجع من هناك سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣١م، وهو في العقد السادس من عمره، أي في قمة نضجه عمرًا وروحًا. ومن آثار مجاورته مكة ما أنشد

في ديوانه من أمثال الأبيات التالية (الدالية: خفِّفِ السَّيْرِ...: ٣٠- ٣٢):

٣٠- يَا سَجيرِي رَوِّحْ بِمَكَّةَ رُوحِي شَادِيًا إِنْ رَغِبْتَ فِي إِسْعَادِي

٣٢- كَانَ فِيهَا أُنْسِي وَمِعْرَاجُ قُدْسِي وَمُقَامِي المَقَامُ وَالفَتْحُ بَادِ

وبعد رجوعه إلى مصر لم يُعَمِّر طويلاً؛ حيث تُوُفِّي بعد ذلك بأربع سنوات تقريبًا، في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الأولى سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م. ودُفِنَ في اليوم التالي بالقرافة، بسفح المقطم عند مجرى السيل تحت مكان من الجبل معروف بـ«العارض»، حيث يقع ضريحه الذي صار مزارًا شهيرًا طوال التاريخ حتى اليوم.

وأقام ابن الفارض في الحِقبة الأخيرة من حياته بقاعة الخطابة في المسجد الأزهر- كما فعل والده من قبل- متعبدًا معتكفًا ومنعزلاً عن الناس. وفي تلك الحِقبة أكمل ديوانه تدوينًا وإملاءً. ومن أبرز قصائده تلك التي سمَّاها بـ«**نَظْم السُّلُوك**»، والتي عُرِفت أيضًا بـ«*التائية الكبرى*»؛ وهي أطولها حيث تحتوي على ٧٦١ بيتًا، عبَّر فيها الشاعر عن تجربته الصوفية على أكمل وجه.

والجدير بالذكر أن ابن الفارض لم يترك لنا شيئًا آخر سوى ديوانه المعروف، فلم يُعثَر له على أي نوع من رسالة أو كتاب نستعين به لتوضيح مذهبه الصوفي. وهو يخالف في ذلك معاصره الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الذي ترك لنا بحرًا زاخرًا من المؤلفات على شتى أنواعها. وهذا مما يجعل فهم ديوان ابن الفارض مشكلة مضنية لقرائه وباحثيه. وكأن الشاعر لم يجد صيغة أخرى يعبر بها عما ملأ قلبه من أسرارٍ وفتوحات صوفية إلا هذا النظم المعقد أشد التعقيد.

ومن أصدق ما قيل عن عمر بن الفارض تلك الأبيات التي كتبها سِبْطُه عليٌّ (ت ٧٣٥هـ/ ١٣٣٥م) على ضريحه:

جُزْ بالقَرافَةِ تحتَ ذَيْلِ العَارِضِ وَقُلِ: السَّلامُ عَلَيْكَ، يَا ابْنَ الفَارِضِ
أَبْرَزْتَ فِي نَظْمِ السُّلُوكِ عَجَائِبًا وَكَشَفْتَ عَنْ سِرٍّ مَصُونٍ غَامِضِ
وَشَرِبْتَ مِنْ كَأْسِ المَحَبَّةِ وَالوَلاَ فَرَوِيتَ مِنْ بَحْرٍ مُحِيطٍ فَائِضِ

هذا وقد ظل شعر ابن الفارض موضع الإعجاب والاهتمام عند الكثير من الباحثين قديمًا وحديثًا، شرقًا وغربًا. وهكذا يجد الباحث نفسه أمام «مكتبة فارضية» واسعة من الشروح والدراسات تراكمت عبر القرون حتى يومنا هذا حول أشعار ابن الفارض؛ مما يدل على أهمية هذا الشاعر المصري عند الصوفية والأدباء طوال القرون.

١-٢: المراحل الأساسية لتجربة ابن الفارض الصوفية

إن الصعوبة التي يلقاها القارئ في فهم التجربة الصوفية التي عَبَّر عنها ابن الفارض في شعره، وخاصة في تائيته الكبرى، ترجع في الغالب إلى غموض مدلولات ألفاظها وعباراتها؛ لذلك رأينا أن الخطوة الأولى التي لا بد منها في دراسة نص أدبي مثل *التائية الكبرى* هي توضيح مدلولات ألفاظ نصها كما ترد في سياقها النصِّي، أو قل: «شرح النص بالنص عينه»، قبل اللجوء إلى عبارات ومفاهيم غريبة عنه أو أجنبية عليه قد تشوش على القارئ مفاهيم النص الأصلية. وهذا مما يعاب على الكثير من الشروح والدراسات في ديوان ابن الفارض قديمها أو حديثها. لذلك

رأينا أن المنهج الدلالي هو أنسب وسيلة إلى هدفنا هذا. ونظن أننا من خلال تطبيقه المتواصل على نص القصيدة قد توصلنا إلى نتائج ذا أهمية بالغة في توضيح المدلولات والمفاهيم لألفاظ قصيدته التائية الكبرى؛ مما يساعد في فهم التجربة الصوفية عند ابن الفارض.

وأول ما كشفته لنا هذه الدراسة الدلالية أن التجربة الصوفية عند ابن الفارض تنقسم إلى ثلاث مراحل أساسية، حسب ما أسماها هو نفسه في القصيدة:

١- **الفرق**: في هذه المرحلة يصف الشاعر الصوفي حالة التفرقة والتميز عن حبيبته التي يخاطبها هو بلغة غزلية عميقة وواسعة.

٢- **الاتحاد**: وفي هذه المرحلة يصف الشاعر حالة الوحدة بينه وبين حبيبته.

٣- **الجمع**: أما في هذه المرحلة فالشاعر يصف حالة الوحدة والاندماج بين ذاته هو وكل الموجودات حيث يجد ذاته في الكل والكل في ذاته.

وكذلك لاحظنا أن تسلسل هذه المراحل في القصيدة من الفرق والاتحاد والجمع ليس تسلسلاً جامدًا استاتيكيًّا، إنما هو تسلسل حركي ديناميكي يتحول إلى حركة صعودية متسعة أكثر فأكثر إلى آفق أعلى وأوسع. وهكذا فإن معاناة الشاعر الصوفية تتخذ صورة سَفَر. وهذه صورة معروفة عند أصحاب التصوف. ويبدأ هذا السفر من مرحلة الفرق وهي مرحلة الحب حتى ينتهي في آخر طريقه إلى «بحار الجمع»، فيقول الشاعر فيه (*التائية الكبرى*: ٧٢٥):

وَغُضتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى انـ ـفِرَادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ

ومن قمة معاناته الصوفية هذه تتضح خطة سفره الروحي على اختلاف مراحله ووحدة هدفه، ما لم يكن واضحًا منذ البداية.

أ- لغة الحب في *التائية الكبرى*

لا شك أن لغة الحب لها مركزية مرموقة في شعر ابن الفارض الصوفي. فقد عُرف ابن الفارض في الأدب العربي الصوفي وغير الصوفي بـ«سلطان العاشقين». فقد رأى الكثير من الباحثين أن ابن الفارض هو شاعر الحب أو العشق الإلهي على الإطلاق. إلا أن دراستنا الدلالية في لغة الحب في *التائية الكبرى* كشفت لنا أن لغة الحب، برغم أهميتها الكبيرة في القصيدة، لها دور محدود في التجربة الصوفية الفارضية. وقد أعلن ذلك هو بنفسه بكل وضوح حيث قال (*التائية الكبرى*: ٢٩٤- ٢٩٥):

فَنِي الحُبُّ! هَا قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِحُكْمِ مَنْ يَـرَاهُ حِجَابًـا فَـالهَوَى دُونَ رُتْبَتِـي
وجاوَزْتُ حَدَّ العِشْقِ، فالحُبُّ كَالقِلَى وعَنْ شَأْوِ مِعْرَاجِ اتِّحَادِيَ رِحْلَتِـي

فيتضح من هذه الأبيات أن الحب مع مرادفَيه العشق والهوى، وغيرهما في متن القصيدة، لا يزال حجابًا للشاعر الصوفي وإن وصل بها إلى مرحلة الاتحاد. إنما الشاعر يقصد أُفقًا أعلى وأوسع فوق ذلك، فإن رحلته الروحية تقوده وراء كل حجابٍ حتى تغوص به فيما يسميه هو «بحار الجمع».

ب- «الأنا الجمعي» قمة التجربة الصوفية لابن الفارض

وفي آخر مشوارنا الدلالي في *التائية الكبرى*، بدا لنا أن اللفظ «أنا» هو اللفظ المركزي المطلق فيها بغير منافس. وقد اتضح لنا- على ضوء هذا العمل الدلالي- أن الاكتشاف، بل التحقيق لـ«ذاته» أو للـ«أنا» في أبعد أبعاده أو أعمق أعماقه هو الهدف الأسمى في رحلة ابن الفارض الصوفية. فاللفظ «أنا» هو اللفظ المركزي للقصيدة كلها على الإطلاق، وهو كذلك اللفظ المركزي لكل المراحل الصوفية الثلاث من الفرق والاتحاد والجمع.

لقد أثبتنا- من خلال عملنا الدلالي هذا- أن رحلة الشاعر الصوفية لا تنتهي عند مرحلة الاتحاد، إنما تترقى به إلى آفاق الجمع حتى تغوص به في عمق «بحار الجمع». فهنا يكتشف الشاعر أبعد أبعاد ذاته. وذلك لأن الشاعر وصل إلى الكشف الجلي لحقيقة «ذاته» أو الـ«أنا»، فتتخذ «ذاته»، أو الـ«أنا» في خبرة الشاعر أبعادًا جديدة جعلتنا نسميه «الأنا الجَمْعِيّ» (the all-comprehensive self) لأن الشاعر يجد فيه ذاته في الكل، والكل في ذاته.

وما هذا «الأنا الجَمْعِيّ» (the all-comprehensive self) الذي يتكلم عنه الشاعر؟ هذا السؤال الجوهري الذي طاردنا طوال بحثنا في قصيدة ابن الفارض.

والواقع أننا لا نجد في كل القصيدة إلا تسميتين لحقيقة ذلك الـ«أنا الجمعي»، وعليهما أيضًا يُخيِّم الكثير من الغموض. فالشاعر ينسب لذاته تسمية «القطب» في البيتين التاليين (*التائية الكبرى*: ٥٠٠- ٥٠١):

فَبِي دَارَتِ الأَفْلاَكُ فَاعْجَبْ لِقُطْبِهَا الـ ـمُحِيطِ بِهَا وَالقُطْبُ مَرْكَزُ نُقطَةِ
وَلاَ قُطْبَ قَبْلِي عَنْ ثَلاَثٍ خَلَفْتُهُ وَقُطْبِيَّةُ الأَوْتَادِ عَنْ بَدَلِيَّتِي

وهذه إشارة واضحة إلى نظرية القطب المعروفة في الأوساط الصوفية منذ عهد الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ/ ٩٣٢م)، صاحب كتاب «*ختم الأولياء*». إلا أن ابن الفارض يدَّعي هنا لنفسه قطبيةً مُطلقةً لا صلة لها بتواتر الطرق الصوفية المعروفة. ولا يتسع المجال هنا لشرح موضوع القطبية الواسع المعقَّد.

أما التسمية الأُخرى فقد تُلقِي بعض الضوء على عمق التجربة الصوفية عند ابن الفارض بأكملها. فيقول الشاعر في آخر القصيدة (*التائية الكبرى*: ٧٥١-٧٥٣):

وَلِي مِنْ مُفِيضِ الجَمْعِ عِنْدَ سَلاَمِهِ عَلَيَّ بِـ«أَوْ أَدْنَى» إِشَارَةُ نِسْبَةِ
وَمِنْ نُورِهِ مِشْكَاةُ ذاتِيَ أَشْرَقَتْ عَلَيَّ فَنَارَتْ بِي عِشَائِي كَضَحْوَتِي
فَأُشْهِدْتُنِي كَوْنِي هُنَاكَ فَكُنْتُهُ فَشَاهَدْتُهُ إِيَّايَ والنورُ بَهْجَتِي

وفي هذه الأبيات، إشارة جلية إلى مقام «أو أدنى» الذي يُنسَب عند الصوفية إلى الحقيقة المحمدية. ويقول الشاعر الصوفي إن تلك الحقيقة النورية هي «مفيض الجمع» لذاته ومنبعه الأول، وقد كوشف بذلك في مكاشفة غيبية (فَأُشْهِدْتُنِي كَوْنِي هُنَاكَ فَكُنْتُهُ). وكذلك يقول إنه اندمج مع هذا النور الأصلي الأول اندماجًا تمًّا (وَشَاهَدْتُهُ إِيَّايَ)، فأصبح هو الشاعر بذاته ذلك النور الأزلي (النورُ بَهْجَتِي). ولا شك أن الشاعر كشف في هذه الأبيات بعض الشيء عن السر الغامض الذي كان

يخيم على أشعاره ومعاناته الصوفية طوال رحلته الروحية. إنه يشير إلى أن الدائرة الجمعي» الذي توصل إليه مصدره الأول ومرجعه الأخير هو ذلك النور الأول الأصلي الذي يُعرف عند الصوفية «بالنور المحمدي»، والذي ينعكس في صورة «الإنسان الكامل». فقد أضفى الشاعر على نفسه في مرحلة الجمع الصفات المعروفة لـ«الإنسان الكامل» عند بعض الصوفية[11]. ونلاحظ أن الشاعر الصوفي لم يقف على شرح نظرية تلك الحقيقة العليا ولا شغل نفسه بالتفلسف حولها كما فعل من بعده شراحه ودارسوه.

وأخيرًا، ينبغي أن نشير هنا في آخر هذا المطاف الدلالي إلى أن المعاني الصوفية لا تتأتى من خلال مجرد بحث علمي، حتى وإن كان له دور لا غنى عنه في فهمها. وذلك لأن المعاناة الصوفية يعيشها الصوفي في عمق لا يمكن التعبير عنه بالكلمة الملفوظة. وقد أشار ابن الفارض بوضوح إلى ذلك الإشكال حيث يقول (*التائية الكبرى*: ١٩١):

فَأَلْسُنُ مَنْ يُدْعَى بِأَلْسَنِ عَارِفٍ وَإِنْ عَبَرَتْ كُلَّ العِبَارَاتِ كَلَّتِ

والواقع أن الدراسات الصوفية تتطلب ممن يهتم بها الكثير من الصفاء الروحي والنقاء النفسي حتى يتجانس الباحث مع الشاعر الصوفي فيُدرك مقاصده البعيدة

(١١) فكرة الإنسان الكامل منتشرة في التصوف الإسلامي، ومن الصعب تلخيصها في بعض السطور نظرًا لعمقه، ولمزيد من المعلومات عن هذه الفكرة، انظر: عبد الرحمن بدوي، ***الإنسان الكامل في الإسلام***، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٦.

بذوق مُرهَف لطيف. وقد قال ابن الفارض في هذا الصدد مُحذرًا قُراءَهُ (*التائية الكبرىٰ*: ٣٩٧):

وَعَنِّـــيَ بِـــالتَّلْوِيحِ يَفْهَـــمُ ذَائِـــقٌ غَنِـــيٌّ عَـــنِ التَّـــصْرِيحِ لِلْمُتَعَنِّـــتِ

وهنا يحسن أن يَتوقفَ القارئ مُحاذرًا كي لا يكونَ من المتعنتين.

٢ - أهم شُرَّاح تائية ابن الفارض

لقد اهتم بديوان ابن الفارض الكثير من العلماء والباحثين قديمًا وحديثًا، فقام بشرحه العديد منهم، ولا سيما بشرح *التائية الكبرى*، وهي من أطول القصائد في التراث العربي الصوفي كله؛ حيث تحتوي علىٰ سبعمِئةٍ وواحدٍ وستينَ بيتًا. وتُعدُّ *التائية الكبرىٰ* أشهر قصائد ابن الفارض وأكبرها علىٰ الإطلاق، لأنها تعبِّر عن تجربته الصوفية بأكمل صورة. فنجد هناك العديد من الشروح لديوان عمر بن الفارض أغلبها لا تزال أغلبها مخطوطة حتىٰ الآن، والقليل منها تمَّ تحقيقها وطبعها، نذكر من أهمها[١٢]:

١ - شرح سعيد الدين الفرغاني (ت٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م)، وعنوانه: *مُنتَهى المَدَارِك ومُنتَهى لُبِّ كُلِّ كَامِلٍ وَعَارِفٍ وَسَالِك*، مكتبة الصنائع، اسطنبول،

(١٢) لمزيد من التفصيل، انظر: محمد مصطفىٰ حلمي، ***ابن الفارض والحب الإلهي***، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص٩٠ - ١١٠؛ عمر بن الفارض، ***تائية ابن الفارض الكبرى وشرحها في العربية***. تحقيق: عبد الخالق محمود، عين للدراسات والبحوث. القاهرة، ط١، ٢٠٠٩، ص٨٩ - ٩٩؛ ***ديوان ابن الفارض***، تحقيق: جوزيبي سكتولين، ص م١٧ - م١٩.

١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م في مجلدين، وطُبع حديثًا بعنوان: *منتهى المدارك في شرح تائية ابن الفارض*، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، في مجلدين، ٢٠٠٧؛ وهناك طبعة أخرى بعنوان: *منتهى المدارك ومنتهى لب كل كامل وعارف وسالك- شرح تائية ابن الفارض*، تحقيق وسام الخطاوي، جـ١، كتابسراي إشراق، قم، إيران، ١٣٨٦ فرسي/ ٢٠٠٨ ميلادي؛ جـ٢، ١٣٨٩ فارسي/ ٢٠١١ ميلادي.

٢- شرح عبد الرزاق الكاشاني (ت٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م)، وعنوانه: *كشف الوجوه الغُرّ لمعاني نَظْم الدُّر*، وهو شرح *التائية الكبرى* ويقع في مجلدين، في هامش شرح رشيد الدحداح، المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م؛ وهناك طبعة أخرى بعنوان: *كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر- شرح تائية ابن الفارض*، تأليف الشيخ عبد الرزاق بن أحمد القاشاني، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥.

٣- شرح داود بن محمود القيصري (ت٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، وعنوانه: *شرح تائية ابن الفارض*، لايزال مخطوطًا.

٤- شرح علي بن عطية الحموي الشهير بعلوان الهَيْتي (ت٩٣٦هـ/ ١٥٣٠م)، وعنوانه: *المدد الفائض والكشف العارض*، لا يزال مخطوطًا.

٥- شرح عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (ت١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)، وعنوانه: *كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحلبي، القاهرة، القسم الأول، ١٩٧٢.

٦- شرح *ديوان ابن الفارض* الذي نشره الشيخ رشيد الدحداح اللبناني وجمع فيه شرح بدر الدين حسن البوريني (ت١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م) برمته، مضيفًا إلى آخر شرح كل بيت نبذة من شرح عبد الغني النابلسي، مطبعة أرنود وشركاه، مرسيليا، فرنسا، ١٨٥٣م؛ وطبع هذا الشرح طبعات أخرى كثيرة: واحدة منها بمطبعة بولاق في سنة ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م، وأخرى بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٨م؛ وثالثة على هامشها شرح *التائية الكبرى* المسمى «*كشف الوجوه الغر لمعاني نظم الدر*» لعبد الرزاق الكاشاني المذكور أعلاه في المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ورابعة كهذه بالمطبعة الأزهرية، مصر، سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م.

٧- شرح الدارس اللبناني أمين خوري، وعنوانه: *جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض*، مكتبة الآداب، بيروت، ١٩١٠م.

عفيف الدين التلمساني

(٦١٠- ٦٩٠هـ/ ١٢١٣- ١٢٩١م)

١ - سيرة حياته(١٣)

هو أبو الربيع عفيف الدين، سليمان بن علي بن عبد الله بن علي بن يس العابدي الكومي، المشهور بعفيف الدين التِلِمساني والمعروف عند سكان تِلِمسان (مدينة في المغرب) «بسيدي حفيف». أما عن نسبته إلى العابدي فقد تكون هذه نسبة لِعَبَّاد،

(١٣) لمزيد من التفاصيل عن حياته وأعماله، انظر: ابن العطار، *تحفة الطالبين*، ص١٤٤؛ جمال الدين المزي، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، المجلد الأول، ص١٨- ١٩؛ ابن شاكر الكتبي، *فوات الوفيات*، دار صادر، جـ٢، ص٧٢؛ نفس المرجع، دار الكتب العلمية، ص٤٥٦- ٤٥٧؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، جـ١٥، ص٤٢٩؛ اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان*، ص١٦٢- ١٦٣؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، دار إحياء التراث العربي، جـ١٣، ص٣٨٥؛ نفس المرجع، دار ابن كثير، جـ١٥، ص٥٥٧- ٥٥٨؛ ابن حجر العسقلاني، *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، السفر الثالث، ص٤١٠؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، جـ٦، ص٣٨- ٤٣؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، جـ٨، ص٢٩- ٣١؛ عبد الرؤوف المناوي، *الكواكب الدرية*، المجلد الثاني، ص٨٩- ٩٦؛ المقري التلمساني، *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، المجلد الثاني، ص٥٥١؛ حاجي خليفة، *كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون*، المجلد الأول، ص٢٦٥- ٢٦٧؛ ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، المجلد السابع، ص٧١٩- ٧٢١؛ إسماعيل باشا البغدادي، *إيضاح المكنون*، المجلد الثاني، ص٢٣٢؛ إسماعيل باشا البغدادي، *هدية العارفين*، المجلد الأول، ص٤٠٠؛ كارل بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٥- ٥٦.

ومن الدراسات الحديثة: التفتازاني، *ابن سبعين وفلسفته الصوفية*، ص٨٠- ٨١؛ بسام الجابي، *معجم الأعلام*، ص٥٠٠؛ عفيف الدين التلمساني، *شرح مواقف النفري*، تحقيق: جمال المرزوقي، ص٢٢- ٣٣؛ عفيف الدين التلمساني، *ديوان عفيف الدين التلمساني*، تحقيق: يوسف زيدان، جـ١، ص١١- ٢٢.

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Brill, Leiden, 1986-2004, vol X. p. 500 a.; Carl Brockelmann: *Geschichte der Arabischen Literatur*, Leiden, 1938, I^2, p. 300, S I, p. 458.

مكان مولده حيث يوجد حاليا ضريح الولي الصالح أبي مدين الشُّعيب (ت٥٩٤هـ/ ١١٩٨م)، أو نسبة لبني عابد وهم قبيلة بربرية متفرعة عن الأصل «كومية»، وهي قبيلة تقطن نواحي ندرومة بتلمسان في الجزائر. وأما نسبته الثانية الكومي فقد ذكرتها بعض المصادر القديمة بـ«الكوفي» وهي نسبة خاطئة تناقلتها المصادر على أنه كوفي الأصل (نسبة لمدينة الكوفة في العراق). ومنشأ هذا الخطأ راجع إلى الذين طبعوا كتاب «*فوات الوفيات*» لابن شاكر في طبعاته القديمة فقد وضعوا الكوفي بدلا من الكومي. أما الصحيح فهو الكومي وهي نسبة إلى قبيلة كومة أو كومية وهي قبيلة بربرية كبيرة، منازلها من هضاب الجزائر العليا بين الساحل الغربي وأجواز تلمسان. وأما عن نسبته الثالثة التلمساني فهي نسبة إلى مدينة تِلِمسان وأصلها موضع مكان حضاري قديم في المغرب الأوسط، يعرف قديمًا باسم بوماريا، ولفظ تلمساني بربري الأصل.

ولد عفيف الدين في تلمسان عام ٦١٠هـ/ ١٢١٣م حسب ما تذكر العديد من المصادر[١٤]، ونشأ وترعرع في تلمسان. وبدأ عفيف الدين بالدخول في طريق الصوفية في مدينته، ثم رحل من تلمسان إلى قونية[١٥]، حيث التقى بصدر الدين القونوي (ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م) فأصبح القونوي شيخًا للتلمساني. وكان القونوي

(١٤) يذكر ابن تغري بردي أن تاريخ ميلاده هو ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م، انظر: ***المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي***، جـ٦، ص٣٨- ٤٣؛ أما بروكلمان فيذكر أن تاريخ ميلاده هو ٦١٣هـ/ ١٢١٦م، انظر: ***تاريخ الأدب العربي***، جـ٥، ص٥٥. ويبدو أن هذا غير صحيح لأن معاصريه ذكروا أنه بلغ من العمر ثمانين سنة.

(١٥) ولعل رحلته إلى المشرق كانت بسبب الظروف السياسية وهي الحروب المتتالية بين الإسبان والمسلمين في الأندلس. ونعرف من المصادر التاريخية أن عددًا كبيرًا من العلماء المسلمين تركوا المغرب في ذلك الوقت وهاجروا إلى المشرق وخاصة إلى مصر.

التلميذ المفضل عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي (ت٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م)، وكان القونوي قد أسس مدرسة صوفية في مدينة قونية (في تركيا حاليًا). وكان للقاء التلمساني بصدر الدين القونوي تأثير كبير في مسار التلمساني الرُّوحي؛ فقد تعرَّف من خلال شيخه القونوي على عَالَم واسع، وهو عالم مدرسة ابن العربي، وهذا من خلال تلميذه المفضل. وصارت الصلة بين التلمساني وصدر الدين القونوي قويةً؛ فقد تعلم التلمساني منه الكثير، وصحبه في رحلاته، وكانت أهمها رحلتهما إلى مصر. ففي أوائل العقد الثالث من عمره نزل التلمساني وشيخه القونوي بالخانقاه المسماة بـ«سعيد السعداء» بالقاهرة، وهي أول خانقاه أُنشئت في مصر، وكانت هذه الخانقاه في الأصل دارًا سكنها عدة أشخاص في العصر الفاطمي، ثم أمر صلاح الدين الأيوبي بتحويلها إلى دار للصوفية وذلك سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، فعرفت بالخانقاه الصلاحية نسبة إلى صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ/ ١١٩٣م). وفي مصر التقى التلمساني بصوفي آخر مشهور، وهو المفرك الصوفي الأندلسي عبد الحق بن سبعين (ت٦٦٩هـ/ ١٢٧٠م). ويَذْكُر ابن العماد موقف ابن سبعين من التلمساني، قائلاً: «قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي [ت١٠٣١هـ/ ١٦٢٣م]: أثنى عليه ابن سبعين، وفضله على شيخه القونوي، فإنه لَمَّا قَدِمَ شيخه القونوي رسولاً إلى مصر اجتمع به ابن سبعين، لما قَدِمَ من المغرب، وكان التلمساني مع شيخه القونوي. قلوا لابن سبعين: كيف وجدتَه؟- يعني في علم التوحيد- فقال: إنه من المُحَقِّقين، لكن معه

شابٌّ أحذق منه، وهو العفيف التلمساني. والعفيف هذا من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة»(١٦).

ويعلّق التفتازاني على لقاء ابن سبعين بالتلمساني قائلاً: «لعل إعجاب ابن سبعين بالعفيف التلمساني راجع إلى أنه كان مثله قائلاً بمذهب الوحدة المطلقة... ولعل التلمساني تأثر بابن سبعين في هذا الشأن، وقد قرنهما ابن تيمية معًا في إحدى رسائله مشيرًا إلى التشابه بين مذهبَيهما... ومن ثم كان التلمساني أقرب إلى ابن سبعين منه إلى ابن العربي في مذهب الوحدة»(١٧).

وفي مصر رزق عفيف الدين التلمساني بابنه شمس الدين محمد، المعروف بالشاب الظريف عام ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م. وكان عفيف الدين التلمساني آنذاك مقيمًا في خانقاه «سعيد السعداء» عند صاحبه وشيخها شمس الدين الأيكي (ت٦٩٧هـ/ ١٢٩٨م). ثم رحل التلمساني بأسرته إلى دمشق ليتولى منصب الإشراف على تحصيل رسوم الخزانة في عهد السلطان المملوكي الناصر قلاوون (ت٧٤١هـ/ ١٣٤١م). وفي دمشق نال التلمساني شهرة واسعة كواحد من أهل الطريق الصوفي، واعتقد الناس في علمه وفضله وزهده. وفي نفس المدينة نشأ ابنه الشاب الظريف وأنشد أشعاره التي اشتهرت في البلاد ونال من محبة الناس شيئًا كثيرًا. وفي سنة

---

(١٦) ابن العماد، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: محمود الأرناؤوط وآخر، دار ابن كثير للنشر، دمشق - بيروت، ط١، ١٩٩١، جـ٧، ص٧٢٠؛ وبالنسبة لقول المناوي، انظر: عبد الرؤوف المناوي، *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، تحقيق: عبد الحميد صالح، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٤، جـ٢، ص٨٩- ٩٠.

(١٧) أبو الوفا التفتازاني، *ابن سبعين وفلسفته الصوفية*، هامش ص٨١.

٦٨٨هـ/ ١٢٨٩م تُوفي ولده الشاب الظريف الذي ملأ حياة مَنْ حوله بهجة وسرورًا، وقد كان عمره آنذاك حوالي سبعة وعشرين عامًا. وعند وفاته كان والده عفيف الدين قد بلغ من العمر ما يقرب من ثمانية وسبعين عامًا، وبعدها بعامين توفي التلمساني أيضًا في دمشق عام ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م[١٨].

٢- التلمساني في رأي معارضيه:

كما ذكرنا في المقدمة كان هناك بين الصوفية وبعض الفقهاء معارضات مستمرة وخاصة بالنسبة للمتصوفة المنتمين لمدرسة وحدة الوجود. فلا عجب أن التلمساني أيضًا قد وقع تحت هجوم بعض الفقهاء وكان من أشدهم عنفًا ابن تيمية. فقد هاجم ابن تيمية وأتباعه التلمسانيَ وأفكاره بلهجة شديدة قد تصل إلى درجة السباب.

٢-١: رأي تقي الدين بن تيمية في التلمساني[١٩]

يقول ابن تيمية في رسائله عن التلمساني: «وأما الفاجر التلمساني فهو أخبث القوم وأعمقهم في الكفر، فإنه لا يفرق بين الوجود والثبوت كما يفرق ابن عربي، ولا يفرق بين المطلق والمعيَّن كما يفرق الرومي، ولكن عنده ما ثم «غير» ولا «سِوَىٰ»

(١٨) نجد إجماع في كل الكتب والمصادر على أن تاريخ وفاته الصحيح هو ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م؛ بينما نجد عبد الرؤوف المناوي يذكر أن تاريخ وفاته هو ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م، انظر: *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، المجلد الثاني، ص٨٩.

(١٩) هو تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ولد سنة ٦٦١هـ/ ١٢٦٣م وتوفي سنة ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م. وأصبح من أشهر علماء الحنابلة، ولُقِّبَ بشيخ الإسلام، وهو معروف بهجومه على الصوفية، وله مؤلفات عديدة في الفقه والتفسير والعقيدة، انظر: المقريزي، *السلوك*، دار الكتب، القاهرة، ٢٠٠٧، ط٣، جـ٢ ق١، ص٣٠٤؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، جـ١، ص٣٥٨، ترجمة رقم ١٩٥؛ الشوكاني، *البدر الطالع*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، جـ١، بدون تاريخ نشر، ص٦٣، ترجمة رقم ٤٠.

بوجه من الوجوه. وإن العبد إنما يشهد السّوى ما دام محجوبًا، فإذا انكشف حجابه رأى أنه ما ثم غير يبين له الأمر. ولهذا كان يستحل جميع المحرمات حتى حكى عنه الثقات أنه كان يقول: البنت والأم والأجنبية شيء واحد ليس في ذلك حرام علينا، وإنما هؤلاء المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا: حرام عليكم.

وكان يقول: القرآن كله شرك ليس فيه توحيد وإنما التوحيد في كلامنا. وكان يقول: أنا ما أمسك شريعة واحدة، وإذا أحسن القول يقول: القرآن يوصل إلى الجنة، وكلامنا يوصل إلى الله تعالى. وشَرَح الأسماء الحسنى على هذا الأصل الذي له. وله ديوان شعر قد صنع فيه أشياء وشعره في صناعة الشعر جيد ولكنه كما قيل: لحم خنزير في طبق صيني. وصنَّف للنصيرية عقيدة. وحقيقة أمرهم أن الحق بمنزلة البحر وأجزاء الموجودات بمنزلة أمواجه»[٢٠].

٢-٢: رأي ابن العماد في التلمساني[٢١]

ويزيد على ذلك تلميذ لابن تيمية، وهو ابن العماد قائلاً: «والعفيف من عظماء الطائفة القائلين بالوحدة المطلقة.... هو لحم خنزير في طبق صيني، وأنه يدرج السم القاتل في كلامه لمن لا فطنة له بأساس قواعده»[٢٢].

---

(٢٠) تقي الدين بن تيمية، *مجموعة الرسائل والمسائل*، علق عليه: حياة مأمون شيحا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦، ط١، المجلد الأول ١-٣، جـ١، ص ١٧٠.

(٢١) هو أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي المعروف بابن العماد ولد في عام ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٣م، وتوفي عام ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م، مؤرخ وفقيه وعالم بالأدب، ومن أشهر مؤلفاته كتاب *شذرات الذهب*. انظر: المحبي، *خلاصة الأثر*، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر، جـ٢، ص ٣٤٠؛ الغزي، *ديوان الإسلام*، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠، ط١، جـ٣، ص ٣٢٠، ترجمة رقم ١٤٨٨.

(٢٢) ابن العماد، *شذرات الذهب*، جـ٧، ص ٧٢٠.

أما نحن فنرى في هذه العبارات الشديدة اللهجة والمطلقة الحكم هجومًا مبالغًا فيه على مدرسة ابن العربي وأتباعه، ولا يتسع هنا المجال لمناقشة شافية لهذا الموضوع، إلا أننا نرى من واجبنا أن نذكر أن هناك دراسات عديدة وقيمة قديمة وحديثة برَّأت ابن العربي ومدرسته من هذه الاتهامات المُعَمَّمة وغير العادلة. فمن بين القدماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر العلامة جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[٢٣]، والقاضي زكريا الأنصاري (ت٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)[٢٤]، وغيرهما من الذين دافعوا عن صحة آراء ابن العربي ومدرسته، وأرجعوا سبب تلك الأحكام الخاطئة عليهم إلى عدم فهم المصطلحات الخاصة بأهل التصوف. فيقول السيوطي في هذا الصدد: «وذلك أن الصوفية تواطئوا على ألفاظ اصطلحوا عليها، وأرادوا بها معانٍ غير المعاني المتعارفة منها»[٢٥]. وكما سنشير فيما بعد لم نجد في قراءة نص التلمساني ما يؤيد آراء ابن تيمية وأتباعه.

---

(٢٣) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الشافعي السيوطي، وهو من أكابر المدافعين عن التصوف، وله مؤلفات كثيرة في ذلك من بينها: *قمع المعارض في نصرة ابن الفارض*؛ *تنبيه الغبي بتبرئة ابن عربي*، انظر: العيدروس، *النور السافر*، تحقيق أحمد حالو وآخرين، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١، ط١، ص٩٠؛ الغزي، *الكواكب السائرة*، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ نشر، جـ١، ص٢٢٧، ترجمة رقم ٤٦١.

لمزيد من التفصيل، انظر: عبد الخالق محمود- أحمد جمعة، *الأعمال الكاملة للسيوطي في التصوف الإسلامي* (١)، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ٢٠١١.

(٢٤) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، قاضٍ ومحدث وفقيه، ومفسر شافعي، وهو أيضًا من أبرز المدافعين عن التصوف، وله عدة مؤلفات في التفسير والفقه والحديث، انظر: العيدروس، *النور السافر*، ص١٧٢؛ الغزي، *الكواكب السائرة*، جـ١، ص١٩٨، ترجمة رقم ٤٢١.

(٢٥) عبد الخالق محمود- أحمد جمعة، *الأعمال الكاملة للسيوطي*، ص٢٦٢.

٣- مؤلفاته:

ترك لنا عفيف الدين التلمساني عددًا من المصنفات لا يزال الكثير منها مخطوطًا حتى الآن، والبعض القليل منها مطبوع، وتتناول معظمها موضوع التصوف حيث يمثل عدد منها شروحًا على نصوص صوفية سابقة عليه، ويمكن حصر مصنفات التلمساني في التالي:

١ - ديوان شعر[٢٦].

٢- رسالة في علم العروض[٢٧].

٣- شرح عينية ابن سينا المشهورة بـ«الكشف والبيان في معرفة علم الإنسان»[٢٨].

٤ - شرح أسماء الله الحسنى[٢٩].

---

(٢٦) راجع: الصفدي، *الوافي بالوفيات*، جـ١٥، ص٢٤٩؛ اليافعي، *مرآة الجنان*، جـ٤، ص١٦٢؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٣، ص٣٨٥؛ ابن تغري بردي، *النجوم الزاهرة*، جـ٨، ص٢٩؛ نفس المؤلف، *المنهل الصافي*، جـ٦، ص٣٨؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، جـ٧، ص٧١٩؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٥؛ عفيف الدين التلمساني، *شرح مواقف النفري*، تحقيق: جمال المرزوقي، ص٢٥؛ وتوجد طبعة حديثة للجزء الأول من الديوان بتحقيق: د. يوسف زيدان، راجع: عفيف الدين التلمساني، *ديوان عفيف الدين التلمساني*، دراسة وتحقيق: يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، جـ١، ط١، ٢٠٠٨.

(٢٧) بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦.

(٢٨) البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ نفس المؤلف، *إيضاح المكنون*، المجلد الثاني، ص٢٣٢؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦.

(٢٩) الكتبي، *فوات الوفيات*، جـ٢، ص٧٢؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، جـ١٥، ص٢٤٩؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٣، ص٣٨٥؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، جـ٦، ص٣٨؛ المناوي، *الكواكب الدرية*، جـ٢، ص٨٩؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، جـ٧، ص٧١٩؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦.

٥- شرح فصوص الحكم لابن العربي[٣٠].

٦- شرح منازل السائرين للأنصاري الهروي[٣١].

٧- شرح مواقف النفري[٣٢].

٨- مقامات[٣٣].

٩- شرح تائية ابن الفارض[٣٤]، وهو موضوع تحقيقنا. ولقد رجعنا إلى النص المدوَّن في المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية، تحت رقم (١٣٢٨) تصوف طلعت. كما نود أن نشير إلى أننا وجدنا مخطوطة بالمكتبة السليمانية في اسطنبول بتركيا، تحمل على الغلاف عنوان *شرح التائية الكبرى* لعفيف الدين التلمساني، ولكننا عندما اطلعنا على ميكروفيلم لها تبين لنا أن الغلاف فقط يذكر عنوان

---

(٣٠) المناوي، *الكواكب الدرية*، جـ٢، ص٨٩؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، جـ٧، ص٧١٩؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦.

(٣١) الكتبي، *فوات الوفيات*، جـ٢، ص٧٢؛ المناوي، *الكواكب الدرية*، جـ٢، ص٨٩؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦.

(٣٢) الكتبي، *فوات الوفيات*، جـ٢، ص٧٢؛ الصفدي، *الوافي بالوفيات*، جـ١٥، ص٢٤٩؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٣، ص٣٨٥؛ ابن تغري بردي، *المنهل الصافي*، جـ٦، ص٣٨؛ المناوي، *الكواكب الدرية*، جـ٢، ص٨٩؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، جـ٧، ص٧١٩؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠؛ بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص٥٦. وتوجد طبعة حديثة تحقيق د. جمال المرزوقي، راجع: عفيف الدين التلمساني: *شرح مواقف النفري*، تحقيق: جمال المرزوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

(٣٣) بروكلمان، *تاريخ الأدب العربي*، جـ٥، ص ٥٦. أما يوسف زيدان فيرى أن هذا المؤلَّف قد يكون شرح التلمساني على مواقف النفري، انظر: *ديوان عفيف الدين التلمساني*، تحقيق يوسف زيدان، ص٣٣.

(٣٤) راجع: حاجي خليفة، *كشف الظنون*، المجلد الأول، ص٢٦٦؛ البغدادي، *هدية العارفين*، جـ١، ص٤٠٠.

شرح *التائية الكبرى* للتلمساني، بينما يحتوي متن المخطوطة في داخلها على نصوص أُخرى غير شرح التلمساني.

منهج التلمساني في شرحه لقصيدة ابن الفارض *التائية الكبرى*

لخص التلمساني كما ذكرنا آنفًا في مقدمة قصيرة الأفكار الرئيسة التي بنى عليها شرحه لقصيدة ابن الفارض الشهيرة *التائية الكبرى*. فهذه المقدمة تمثل المفتاح لكي نفهم الكثير من مصطلحاته وعباراته التي نجدها في نص الشرح. وعلاوة على ذلك فإن هذه المقدمة تمثل عرضًا مختصرًا لرؤيته الصوفية. إذن، فهي مهمة جدًّا لكي ندخل في العالم الروحي الخاص بالتلمساني؛ لذلك رأينا من المفيد أن نُوجِزَها للقارئ لكي يسهل له فهم نص الشرح ومقارنته بغيره من الشروح. وكذلك يستطيع القارئ أن يقارن دراسة شعر ابن الفارض الصوفي للدكتور جوزيبي سكاتولين وما جاء به التلمساني في شرحه، فيتم له فهم مضمونه وإشكاليته.

في بداية مقدمته يذكر التلمساني الأسباب التي دفعته لشرح هذه القصيدة. أولاً، يذكر أن اسم ابن الفارض له صيت واسع في العالم الصوفي لأن الحب يحتل مكانًا متميزًا في شعره، فهو تغنى به بأرفع صوره. ثم يذكر أن هناك عددًا من العلماء الذين كفَّروا ابن الفارض واتَّهموه بالقول بالحلول. وكذلك يذكر أن هناك بعض الإشكاليات حول نص القصيدة وألفاظها. إذن، يقول التلمساني إنه يتخذ موقفًا دفاعيًّا عن الشاعر المصري الصوفي. وكذلك يذكر أن هناك من سبقه في هذا العمل، وهو زميله في مدرسة صدر الدين القونوي الصوفية، سعيد الدين الفرغاني (ت٦٩٩هـ/ ١٣٠٠م) الذي قَدَّمَ ما يمكن اعتباره أحسن شرح لقصيدة ابن الفارض *التائية الكبرى*. والحق أننا لاحظنا في شرح التلمساني اقتباسات عديدة من

شرح الفرغاني، فهو يدين له بالكثير مما قدم في شرحه، بل هناك عبارات عديدة للتلمساني لا تُفْهَم لولا شرح الفرغاني. وأخيرًا يذكر التلمساني أنه قدَّم: «... في هذه الخلاصة تفهيمًا لا بد منه في معرفة العبودية وتنزيه الربوبية، إذْ بهذا العرفان يزول ما اشتبه من هذا القصيد على كثير من الأذهان» [١ظ].

أما بالنسبة للأفكار الرئيسة المعروضة فيها فنقدم هنا أهمها، ونحيل القارئ إلى النص ذاته لمزيد من الفهم. وفي هذا الصدد نلاحظ أن التلمساني يعرض أفكاره بعبارات موجزَة وغامضة يصعب أحيانًا كثيرة فهمها الكامل بوضوح.

١ - هناك فرق أساسي بين العِلم والمعلوم

يُثبت التلمساني هذه الفكرة بقوله: «فالمعلوم منفصل عن العلم، والعِلْمُ صفة العالِم، فعِلمُ الله بالموجودات غير الموجودات؛ ولم يزل ولم تكن، فذلك عين القِدَم وتلك عين الحَدَث» [٢و]. فهناك فرق بين علمك البحر والبحر في ذات وجوده. لذلك يقول: «علمك بالله فهو أشد الحُجب» [٢و]، فالأنبياء دعوا لا للعلم بالله بل للإيمان لأن الإيمان «نور على نور» أي فوق العقل: [الطويل]

أَرَى العِلْمَ تَحْتَ العَقْلِ وَاللهُ فَوْقَهُ ... لِذَلِكَ عِلْمُ العَقْلِ فِي رَبِّه جَهْلُ [٢و]

ولا يُطيل التلمساني الشرح في هذا الموضوع المهم والأساسي في فكره.

٢ - الله فوق الوجود ولوازم ومتعلقات الوجود

العقل لا يدرك الله لأن الله فوق كل شيء حتى الوجود بذاته، والحق أن الله: «لا يقال له شيء، لأن الشيء به صار شيئًا، ولا يقال هو الوجود، إذ به ظهر الوجود»

[٢و]. فالله يتجلى في كل شيء: [الوافر]

بِـهِ ظَهَـرَ الوُجُـودُ فَكـلُّ شَيْءٍ يُرِيْنِـي مَـا بِـهِ كَـانَ الظُّهُـورُ
تجـلَّى لِلْقُلُـوبِ وَجَـلَّ عَنْهَـا وَمِـنْ دُونِ العُيُـونِ لَـهُ سُـتُورُ
فَـلاَ قَلْـبٌ يَـرَى إِلاَّ يَـرَاهُ وَلاَ عَـيْنٌ تَـرَاهُ وَهْـوَ نُـورُ [٢و]

إن الله نور بلا شك، إلا أنه لا يدرَك بالعيون البشرية. وهذه فكرة ثابتة عند التلمساني لأنه يرى أن هناك فرقًا شاسعًا بين الله والخلق، القِدَم والحَدَث، فيقول: «اعلم أنه لا يُنسب إلى ما به ظهر الوجود شيء من لوازم الوجود» [٢و]. ومن لوازم الوجود يذكر التلمساني: القَبْلية والبعْدِية، أي الجهات المختلفة، بل وحتى العَدَم في رأي التلمساني من لوازم الوجود.

فكما أن الله فوق لوازم الوجود، فهو كذلك فوق متعلقات الوجود، فيقول التلمساني: «فإذا أردنا الوصول إلى ما به ظهر الوجود وجب نفْي متعلقات الوجود والوجود»[٢و]. لذلك لم يبق لنا من صلة مع الله سوى أمره وقدرته المطلقة، التي ظهر تنوعها في إيجاد الموجودات، فليس الوجود إلا مظاهر لقدرته.

٣- القِدَم والحَدَث

لذلك ينسب لله الوجود الحقيقي، أي القدم، وينسب للخلق المصنوع الوجود المُقاس، هو الحدث. فيقول التلمساني بعبارة مدهشة: «فليس الوجود واحدًا بل واحِدان (!) لثبوت المغايرة ولأن القدم في الحدث عدم، كما أن الحدث في القدم عدم... فلم يبق بين الحق والخلق اشتراك بوجه، لئلا يكون ذلك الوجه جِنسًا يعُمُّ فيحتاج إلى

فصل، فذاك مُحال» [٢ظ]. إذن، ليس هناك وجود مشترك بين القدم والحدث بمثابة الجنس والفصل المميِّز. ويواصل بقوله: «وكذلك لا يقال هو علة ما بعده إذ لو كان علة لارتبط، ولو ارتبط لم يصح له الكمال بذاته، فهو لا علة ولا معلول، فتعالى الله وحده» [٢ظ] فمُحالٌ أن يكون هناك أي نوع من الاشتراك بين الحق والخلق، بين القدم والحدث، فيقول التلمساني: «وكذلك القديم والمُحْدَث والوجود بالذات والوجود بالغير، لِكُلٍّ حقيقةٌ تخصُّه، فإذا زال عنها لم يكن هو» [٢ظ]. ويؤكد التلمساني أيضًا: «قد تحقق أن الذات القديمة منزهة عن أن تتحد بالذات المحدَثة، وأما الاتحاد المنسوب إلى الصفة فيصح مشروطًا بنفي الإضافة إلى قديم» [٢ظ]. ويبدو أننا مع التلمساني إزاء ثنائية أنطولوجية واضحة، حيث إنه ليس هناك مجال مشترك بين الحق والخلق، القديم والمحدث إلا من خلال أمر الله وقدرته المطلقة التي لا تُقاس.

٤ - الأنبياء والأولياء

وهنا يناقش التلمساني رسالة الأنبياء والأولياء، فيرى أن النبي متعلق بأمر الله، فهو المُخْبَر من طرف الله (إذ إنه يتلقى الأمر من الله) والمُخْبِر نسبة للناس (إذ إنه يُنبئ الناس به). أما الولي فهو يخوض في الأمر، لكنه لا يُخْبِر به. والإنسان يتصف بأنه خليفة الله إذا كانت إرادته خاضعة لإرادة مولاه.

٥ - الإرادة القديمة والإرادة المُحدَثة

إن الذات القديمة لها إرادة تريد بها ما شاءت، وكذلك الذات المُحْدَثة لها إرادة تريد بها ما شاءت. فيشرح التلمساني هذه الفكرة قائلاً: «ولما كانت القديمة غنية

والمحدثة فقيرة، صدر الأمر من القديمة إلى المحدثة هاديًا إلى مراد الغنية من الفقيرة؛ فإذا أرادت الفقيرة ما أرادته الغنية لها منها عادت الفقيرة غنية، وكان غناؤها بما منها بالفعل، وإن كان الأمر بالفعل صدر إليها من جهة الغنية» [٣و]. وإن لم تُرد ذلك ظلت الفقيرة فقيرة. إن الإرادة القديمة تريد الخير فقط، فظهرت بالأمر وفيها الهدى والكمال؛ أما الإرادة المُحدثة فقد تنظر إلى القديمة وتريد الخير، وقد تنظر إلى نفسها وتريد الشر. إذن، فمن أراد ما أرادت الإرادة القديمة كان مريدًا حقًّا، وهو كالميت لنفسه، وهكذا يصل إلى الكمال من جهة القديمة. وبما أن كل إنسان مُعرَّض إلى الشر، جاء التلمساني بذكر التوبة، فيُطول في مدحها؛ لأنها، في رأيه، ضمان كل خير.

٦- الإنسان جامع الضدين

الإنسان هو الكائن الموضوع بين الضدين: الوجود والعدم. فإذا صار أقرب إلى الوجود، كان عُلُوِيًّا، وإذا صار أقرب إلى العدم، كان سُفْلِيًّا. فالإنسان إذن، هو الكائن الجامع بين الوجهين من الوجود، العُلوِي والسُّفْلي. لذلك استخلفه الله على الأرض، فهو خليفة الله عليها.

٧- كلام في الحب

يقول التلمساني: «الحب طلب كمال: فهو من العبد دليل نقص، وإذا نُسِب إلى المولى سبحانه كان طلبَ كمال أيضًا ولكن للعبد، إذ العبد محلُّ النقص فلا يكمل إلا ناقص؛ ولهذا لا يكون الحب للعبد من الله تعالى إلا جزاء، فلما قام العبد في مقام من يستحق أن يحب نُسِبت المحبة من الرب هذا العبد من جهة استحقاق العبد لا من

جهة انفعال الرب» [٤و]. ففي هذه الكلمات تبدو فكرة التلمساني للحب واضحة. إن الحب، في رأيه طلب الكمال. أما من جهة العبد فلأنه ناقص يحتاج إلى كمال لا يمكن أن يعطيه لنفسه. وأما من جهة الله فلأنه يعطي الكمال للعبد الناقص، وهذا يتم بمجازاة العبد على ما يستحق من أعماله. فينفي التلمساني أي فكرة من انفعال الرب بعاطفة الحب نحو العبد، وكذلك ينفي أن يكون الله محبوبًا في قلب عبده بمحبة تشبه محبة شيء من مخلوقاته. فالله هو الفاعل في كل شيء وليس المفعول من جانب أي شيء، فيقول: «لما جل الله أن يكون محبوبًا في قلب عبده بمحبة تشبه محبة شيء من مخلوقاته، وأراد الناظم أن يترجم عن تلك المحبة التي فطر الله الناس عليها وجبلها في جبلة كل قلب سرًّا وجعل امتثال أوامره من عباده سبيلاً موصلاً إلى ظهور ما في فطرهم لهم جهرًا» [٤و].

إذن، ليس هناك بين الرب والعبد محبة متبادلة حقيقية. فالحب من طرف الله، في رأي التلمساني، أشبه ما يكون بعمل العدل؛ إذ إنه يجازي العبد بما يستحق. فلا يكون الحب إلا مظهر قدرته وعلمه نحو عبده. ولا يخفى علينا أن موقف التلمساني هذا قد يبدو بعيد جدًّا عن لغة ابن الفارض إذ إن الشاعر المصري الصوفي وصف حبه المتبادَل مع حبيبته المتعالية بكل الألوان والأشكال من المشاعر والعواطف.

ويختتم التلمساني بقوله: «حد العبودية أن يخرج عن قيد التمييز ولو بذرة، وحينئذ تنطوي صفات سائر الخلق في عبودية هذا العبد، فهو كل شيء بكل صورة في كل آنٍ، بمعنى أن كل شيء بكل صورة في كل آنٍ لم يكن إلا من أجل ظهور القديم

سبحانه، وقد ظهر، وظهوره لم يكن إلا من أجل كمال المُحدَث الذي لا يكون كماله إلا بكمال عبوديته، وقد كمل» [٤و].

والجدير بالذكر أن التلمساني سمّىٰ هذا الشرح «خلاصة»، أي اختصار فكره، كما يقول في بداية مقدمته: «... أول ما يجب أن نقدم في هذه الخلاصة تفهيمًا لا بد منه في معرفة العبودية وتنزيه الربوبية» [١ظ].

٨- ملاحظات ختامية

وبعد هذا العرض الموجز لرؤية التلمساني في بعض القضايا النظرية التي عالجها في مقدمته لشرحه *التائية الكبرىٰ* لابن الفارض، وهي بلا شك مفيدة جدًّا لفهم خلفيته الفكرية في شرحه شعر ابن الفارض الصوفي، يخوض التلمساني في شرح مفصَّل لأبيات القصيدة. وقد لاحظنا أن شرحه يتبع في الأساس شرح الفرغاني، بل يدين له بالكثير حيث إنَّ شرحَ التلمساني لا يُفْهَم في أحيان كثيرة دون الرجوع إلىٰ شرح الفرغاني. ونلاحظ كذلك أن شرح التلمساني ليس علىٰ نفس المستوىٰ من الدقة والإتقان والسعة التي نجدها في شرح الفرغاني. فيقول التلمساني نفسه: «إنما أترك شرح كثير من الأبيات خوف التطويل، ولأني أثبت في الخلاصة أولاً ما استغنيت به عن إعادة الشرح في مواضعه، ولأني إذا أهملت شرحًا ذكرته بعد ذلك في مكان أَلْيَقَ به إن لم يكن قدمت ذلك من قبلُ» [١٤ظ]. والواقع أنه يهمل شرح الكثير من الأبيات، أو يأتي بشرح جدِّ قصير لبعضها، وأحيانًا بكلمة واحدة. وعلاوة علىٰ ذلك فإن شرح التلمساني ليس بالعمق الذي نجده في شرح الفرغاني. فهذا الأخير يأتي

أولاً بمقدمة جِدّ طويلة يشرح فيها بالتفصيل فلسفة ابن العربي الصوفية. ثم يشرح ألفاظ الأبيات بانتظام متَّصل من ناحية اللغة أولاً، ثم يهتم بالمعاني الصوفية المتضمنة فيها، ومناقشة بعض القضايا النظرية للمذاهب الصوفية. لذلك يُعتبر شرح الفرغاني موسوعة صوفية حقًّا. أما شرح التلمساني فيمكن اعتباره مختصرًا أحيانًا كثيرة لشرح الفرغاني، ولكن من منظور مغاير مختلف، يمثل ويعبر عن رؤية التلمساني الصوفية. والحق أننا نجهل المُلابسات التاريخية التي جعلت التلمساني يُنتج شرحًا كهذا ناقصًا من نواحٍ عديدة. فربما كان هذا الشرح مسودة بمثابة خلاصة - كما يسميه - فقط لمشروع أوسع وأكبر أراد إتمامه في وقت لاحق، إلا أنه لم يستطع إكماله لسبب لا نعرفه.

أما بالنسبة إلى مضمون الشرح، فلا شك أن هناك حاجة ملِحَّة إلى دراسة شاملة وشافية لرؤية التلمساني الصوفية لكي يُفهم في ضوئها مضمون شرحه هذا فهمًا صحيحًا ومستفيضًا. فنتمنى أن يقوم أحد الدارسين له بهذا العمل المهم.

حول تحقيق المخطوطة

١ - وصف المخطوطة

لقد أجرينا تحقيقنا لشرح التلمساني على نسخة مُصوَّرة من النسخة الخطيَّة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم: (١٣٢٨) تصوف طلعت، وعدد أوراقها (٣٥) ورقة، ومسطرتها ما بين (٢٥) إلى (٣٠) سطرًا تقريبًا، دوِّن بخط نسخ عادي، ومقاس الصفحة ١٥.٥ x ٢١.٥ سم.

عنوان المخطوطة هو: «شرح التائية للشيخ الإمام العالم العارف شرف الدين أبو حفص عمر بن عمر بن الفارض[٣٥]- قدَّس الله سره- وهي التائية، المسماة بنَظْم السلوك، للشيخ العلامة العارف عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني- قدَّس الله سره وطيَّب ذكره- رضي الله عنهم أجمعين... »[٣٦].

وأوَّلها: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا... ».

وآخر المخطوطة هو: «وقد نُجِزَ الكتاب بعون الملك الوهاب عنه في مُنية بني خصيب الأُشْمُونَيْن في يوم الاثنين سابع شهر رمضان، سنة أحد وسبعمائة، عَلَّقَهُ لنفسه الفقير أحمد بن علي بن عبد الرحمن المدني الشافعي».

---

(٣٥) كذا في المخطوطة، والصحيح: شرف الدين أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي، المعروف بابن الفارض.

(٣٦) وفي أدنى الورقة يوجد كلام زائد بخط مختلف عن النص المنصوص أعلاه، يبدو أنه وصف لعلاج السواد أو البلغم. ومعروف أن كلامٌ من هذا القبيل يظهر أحيانًا في الكثير من المخطوطات القديمة، كما يوجد رقم المخطوطة في نفس هذه الورقة.

وبعده من منتصف الصفحة [٣٤ظ] يبدأ نص كتاب لابن سينا في النفس.

٢- منهج تحقيق المخطوطة

٢- ١: قمنا بمقارنة القصيدة- كما رواها التلمساني- بتحقيق الدكتور جوزيبي سكاتولين (القاهرة، ٢٠٠٤)، لإبراز الاختلافات الموجودة بينهما، ورمزنا في الهامش المرتبط بالبيت إلى تحقيق الدكتور سكاتولين بحرف (جـ) نسبة لاسمه جوزيبي، كما رمزنا لنص النسخة الخطية من الشرح بحرف (ت) نسبة لاسم التلمساني صاحب الشرح.

أ- وجدنا أثناء تحقيق القصيدة في نص التلمساني بعض الأخطاء اللغوية في كتابة بعض الألفاظ، إما نسبة للقواعد أو لوزن البحر، فتم تصحيحها في النص حسب ما ورد في الديوان المحقق، ووضعنا الكلمة الخطأ الموجودة بالمخطوطة وتصحيحها في الهامش وفصلنا بينهما بمعقوف]. على سبيل المثال: ب ٦- جَلْوَةِ: جـ (هذا التصحيح من الديوان المحقق)] جَلْوَتِ: ت (هذه الكلمة في المخطوطة وفيها خطأ إملائي)؛ وكذلك ب٧- وَالفَقْدُ مُثْبِتِي: جـ (تصحيح)؛ والحب لفقد مثبتي: ت (خطأ عروضي في المخطوطة).

ب- وإذا استقام نص أبيات النسخة مع القواعد اللغوية والعروضية واختلف مع ما ورد بتحقيق الدكتور جوزيبي سكاتولين نسبة للمعنى اعتبرنا ذلك قراءة أخرى لنص الديوان ونذكر في الهامش المرتبط بالبيت الاختلاف بين القراءتين. على سبيل المثال: ب ٥- خشْيَتي: ت؛ خَشْيَةِ: جـ.

جـ- ولاحظنا أن كتابة نص القصيدة تُهمل أحيانًا جزءًا من البيت أو البيت كله أو أكثر؛ لذلك عوَّضنا هذا النقص من الديوان المحقَّق (جـ) لكي يستقيم للقارئ معنى البيت ووضعنا تكملتها بين معقوفتين هكذا [ ]. على سبيل المثال: البيت رقم ١٢ من القصيدة:

هَوًى عَبْرَةٌ نَمَّتْ بِهِ [وَجَوًى نَمَتْ *** بِهِ] حُرَقٌ أَدْوَاؤُهَا بِيَ أَوْدَتِ

فالكلمات [وَجَوًى نَمَتْ *** بِهِ] ليست في المخطوطة لذلك عوضناها من الديوان المحقَّق (جـ).

د- ونشير إلى أن ترقيم الأبيات من عملنا في التحقيق وليس من نص التلمساني.

٢- ٢: كذلك وجدنا في المخطوطة بعض الخصوصيات الإملائية في كتابة بعض الألفاظ، التي كانت متداولة في الفترة التي نُسِخَت فيها المخطوطة والتي أصبحت مهجورة في الإملاء العربي الحديث، ومن أمثال ذلك:

أ- هناك أَلِفٌ زائدة في بعض الكلمات مثل: ذوا: بدلاً من ذو- يبدوا: بدلاً من يبدو- أبدوا: بدلاً من أبدو- وبالله: بدلاً من وبالله.

ب- هناك إهمال للهمزة في بعض الكلمات مثل: الراي والمري بدلاً من الرائي والمرئي. وهناك تسهيل للهمزة؛ حيث استبدلت الياء والواو بالهمزة، من مثل: كلمة شيت بدلاً من شئت، والكلمة جزء تكتب دائمًا جزو، وهلمَّ جرًّا.

جـ- تستعمل كلمة الأزل في محل الصفة على عكس الكلمة المتداولة وهي الأزلي: مثلاً، العلم الأزل بدلاً من العلم الأزلي.

د- تشكيل الكلمات قليل في نص الشرح، لذلك قمنا بزيادة بعض التشكيل فيها لتوضيح المعنى، ولاحظنا أن هناك أخطاء في تشكيل بعض كلمات الشرح أو أخطاء لغوية أخرى، لذلك قمنا بتصحيحها في متن المخطوطة حسب قراءتنا لها مع ذكر الخطأ في الهامش مقرونًا بالحرف: ت رمزًا لنص التلمساني كما ذكرنا.

٢ - ٣: كما لاحظنا أيضًا:

أ- استشهاد شرح التلمساني بأبيات أخرى لابن الفارض خارجًا عن تائيته الكبرى، فأثبتناها بمرجعها من الديوان المحقق وأشرنا إلى أرقامها بين معقوفتين [].
وهناك أشعار أخرى لشعراء غير ابن الفارض حاولنا إثباتها في مصادرها، إلا التي لم نجد لها مصدرًا فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

ب- هناك سقط لبعض الكلمات في متن شرح القصيدة، وحاولنا أن نُكمل المعنى بوضع كلمات مناسبة للسياق من عندنا، وتمت كتابتها بين معقوفتين هكذا [.../ الكلمة الموضوعة] وذلك لكي يستقيم المعنى. وهناك سقط لم نستطع وضع كلمات مناسبة في مكانه فتركنا النص كما هو، وكتبناه هكذا [...]. وهناك بعض الإضافات من عندنا على النص لاستقامة معناه فكتبناها أيضًا بين معقوفتين هكذا [].

جـ- تشير الأرقام بين المعقوفتين إلى أرقام صفحات المخطوطة [و= وجه، ظ= ظهر].

- ونعرض هنا بعض الصفحات من المخطوطة كنماذج قد تفيد القراء.

شرح التائية للشيخ الامام العالم العارف شرف الدين ابو حفص
عمر بن عمر بن الفارض قدس الله سره وهي التائية المسمى بنظم السلوك
للشيخ العلامة العارف عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني قدس الله سره ونفعنا ببركاته
ذكره رضي الله عنهم اجمعين قال ابو عبدالله القشيري رحمه الله من طلب الغايات
في البدايات فقد اخطا الطريق وقال الزم الادب وحدك من العبوديه
ولا تسعى في شي فان ارادك لشي اوصلك اليه وقال يسير العمل مع الرعايه ينجح

صفة مسهل للسودا والبلغم سنا مكي ورق هندي درهم ٥ شعيري هندي تمر هندي
مكسر درهم ١٠ درهم ١٠
تضاف الاجزا وتوضع في ثمانية اواق من الماء ويغلي في قاروره
حتي [illegible] ويصفي ويشرب على الريق انتهى

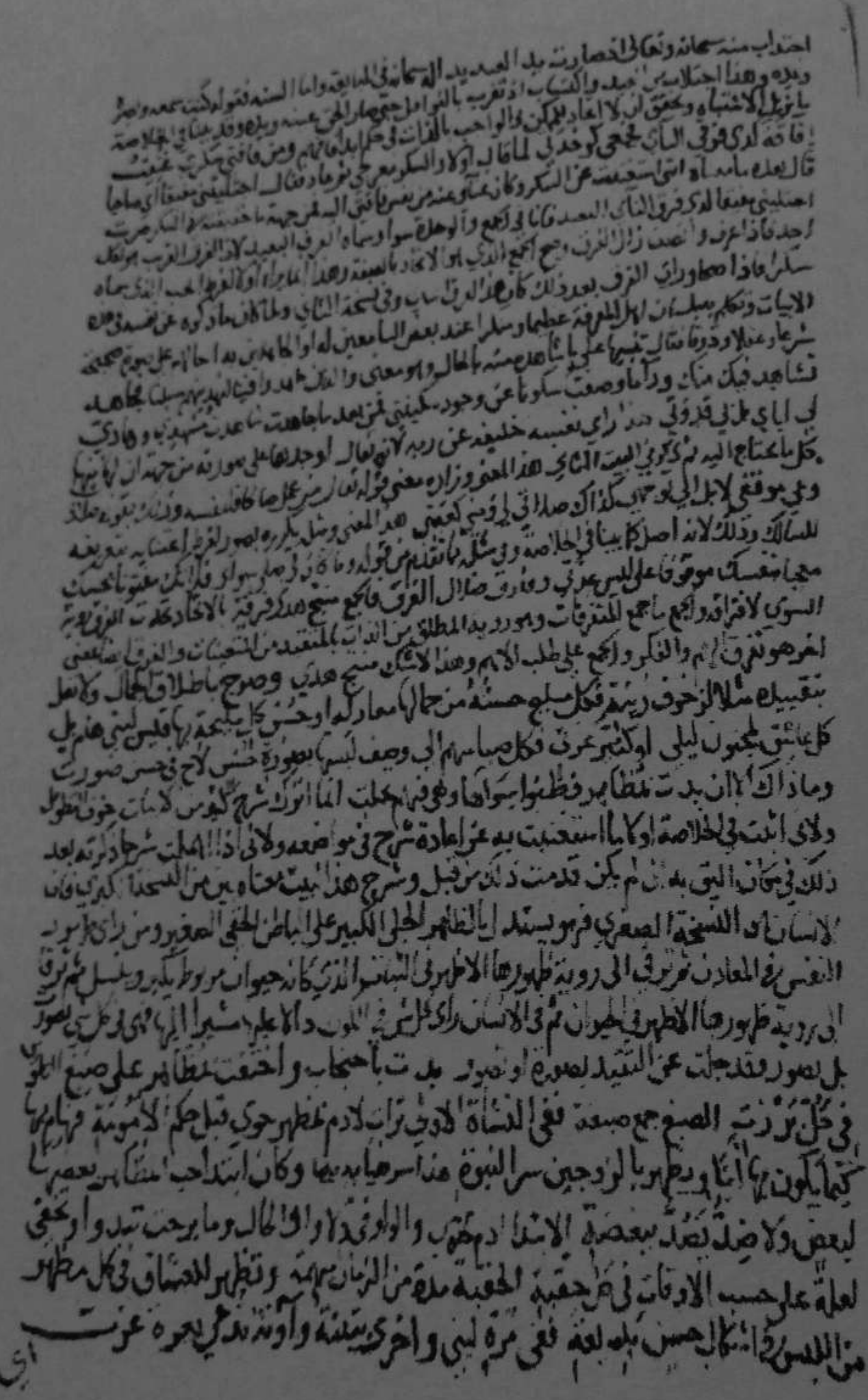
[illegible]
٢٢٨

٧٨

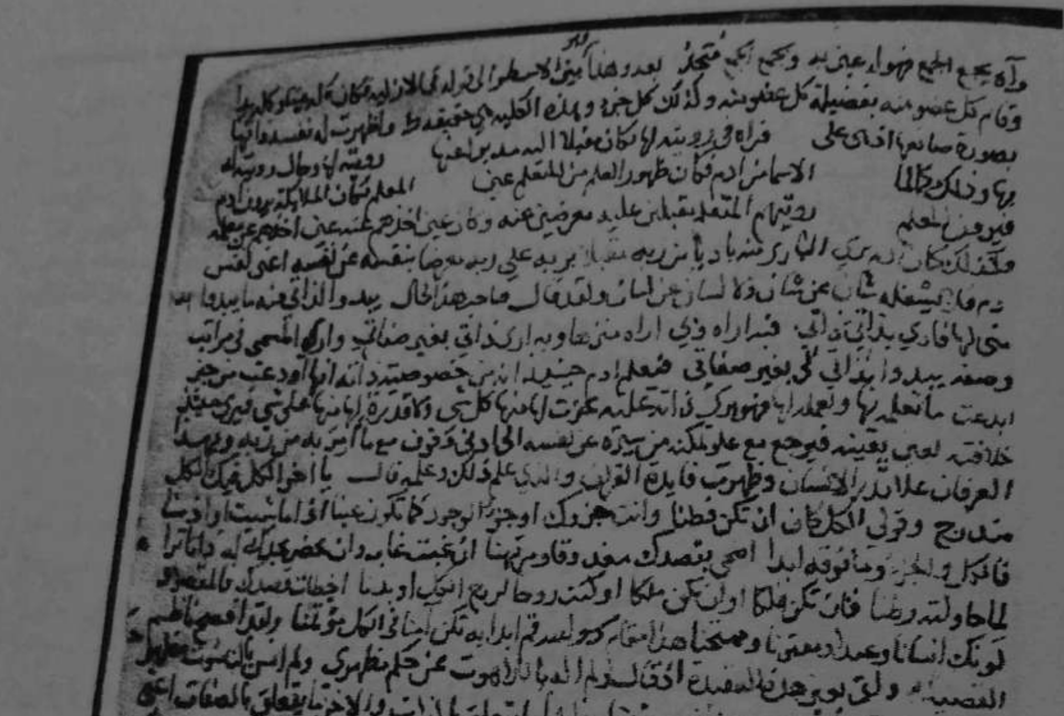
اللوحة رقم ١ وجه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أقول وبالله التوفيق إنه لما كانت المحبة
كالقطب للكون وكانت القصيدة للمعروف بابن الفارض المصري رحمه الله وهو الشيخ شرف الدين
عمر بن علي السعدي المنسوب لبني سعد قبيلة حليمة السعدية ظئر النبي صلى الله عليه وسلم قد
اشتهرت بين الصوفية وغيرهم وقد تضمنت من الألفاظ الدالة على كثير من المحبة
ما أوجب لمن سمعها أن يلهج بشيء منها وكان يشير إلى محبوبه ومقامه في محبته ورأيت بعض
الناس يكفرون الناظم لها ومنهم من ينسبه إلى القول بالحلول وغير ذلك بحسب ما رأوه
بنظرهم في أبيات من القصيدة وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم أردت
أن أنفع من شاء الله نفعه بما أبينه من شرح هذه القصيدة من النفع منها تصحيح ألفاظ القصيدة
لأن الاختلاف في روايتها كثير ومنها إيضاح المعاني ليتم غرض الناظم لها ومن أجله سماها
نظم السلوك ومنها إصلاح دين من نسب إليه ما أخرجه عن التقيد بالشريعة لسوء الفهم
عنه كما قدمنا فكان هذا وأمثاله نيتي وعملي وتعلق لي في شرحها فبقيت زماناً [illegible]
واستصغر همتي عنه وأنتظر مدداً ووقتاً خالياً حتى سألني في ذلك من رأيت صدقه
عوناً لي على إجابته ثم انضاف إلى ذلك ما كنت طالعته في شرح هذه القصيدة مما فتح به على
قلب الشيخ الصالح سعيد الفرغاني واستفهمته منه جزاه الله خيراً وكان شرحه في مجلدين
فأردت تيسير ما أبهمه وتفهيم ما رمزه بأحسن ما قدرت عليه مما قل ودل لئلا يهمل
أو يمل وقد قدمت أمام الشرح فصولاً وجعلتها أصولاً يفهم منها مع فهم القصيدة ما يضطر
إلى فهمه كثير من العبيد ويستنفع وينتفع الشيخ والمريد وقد سميت ذلك خلاصة لأني استخلصته
فيها مما يقتضي أبلغ ما يفيد وقربت المعنى البعيد وجعلت بيانه القرآن لأولي الإيمان
وما العقل المجرد عن الهوى لأولي العرفان فقلت وبالله نستعين أول ما يحتاج إلى تقديمه
في هذه الخلاصة تفهيم لا بد منه في معرفة الجوهرية وتنزيه الربوبية إذ هذا العرفاني [illegible]
ما اشتبه من هذه القصيدة على كثير من الأذهان ثم بعد ذلك نذكر المعاني الحسية [illegible]
[illegible] ... المنظوم إن شاء الله تعالى لتفهيم المعلوم غير [illegible]

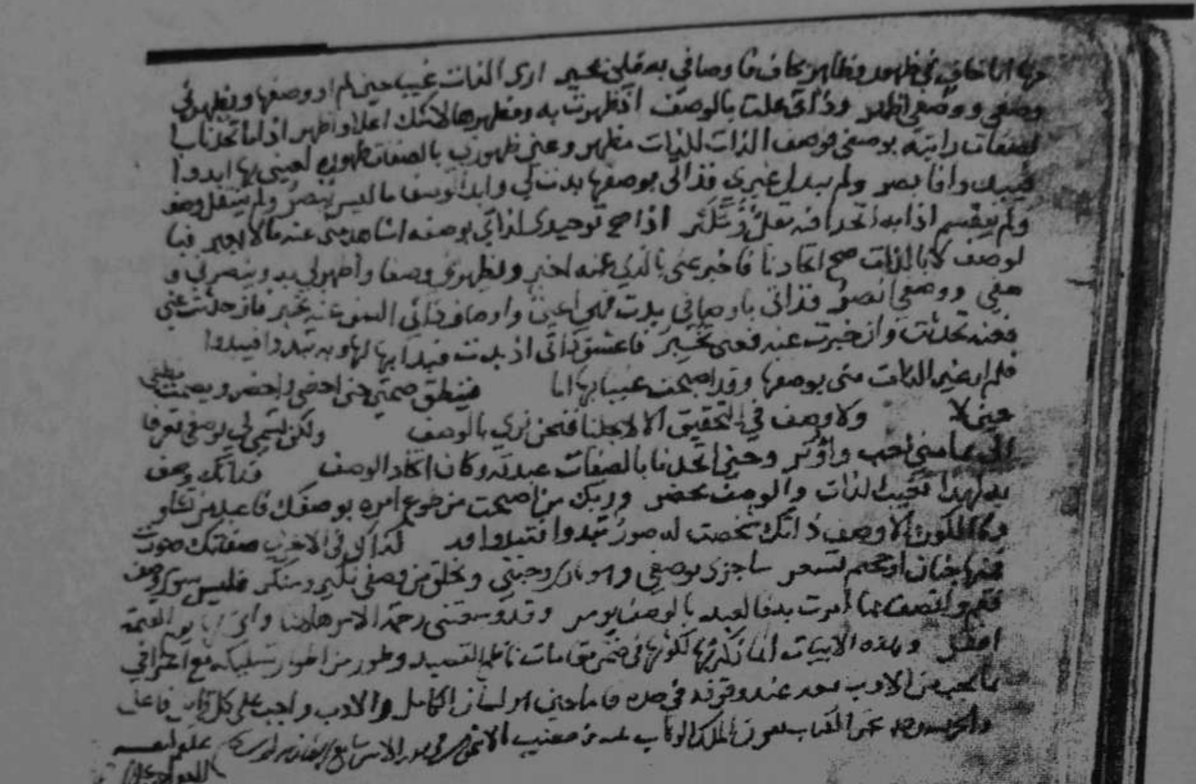
اللوحة رقم ١ ظ



اللوحة رقم ١٤ ظ



اللوحة رقم ٣٤ وجه


كلام ابن سينا في النفس هبطت اليك من المحل الارفع ورقاء ذات تعزز وتمنع

اللوحة رقم ٣٤ ظ

النص المحقق

شرح تائية ابن الفارض لعفيف الدين التلمساني

[١و] شرح التائية للشيخ الإمام العالم العارف شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن علي، المعروف بابن الفارض[٣٧] قدَّس الله سِرَّه وهي التائية، المسماة[٣٨] بنَظْم السلوك، للشيخ العلامة العارف عفيف الدين سليمان بن علي التلمساني- قدَّس الله سِرَّه وطَيَّبَ ذكره، رضي الله عنهم أجمعين-.

قال له عبد الله القُشَيْرِيّ- رضي الله عنه-: «من طلب الغايات في المبادئ فقد أخطأ الطريق». وقال: «الزم الأَدَبَ وحَدَّكَ من العبودية ولا تتعرض لشيء فإن أرادك بشيء أوصلك إليه». وقال: «يسير العملِ مع الرعاية مُنْجِحٌ».

(٣٧) شرف الدين أبو حفص عمر بن عمر بن الفارض: ت.

(٣٨) المسمى: ت.

[١ظ] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللهُ﴾[٣٩]، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أقول وبالله التوفيق:

إنه لما كانت المحبة كالقطب للكون، وكان القصيد المعروف لابن[٤٠] الفارض المصري- رحمه الله- وهو الشيخ شرف الدين عمر بن علي السعدي المنسوب لبني سعد، قبيلة حليمة السعدية[٤١] ظِئر النبي- صلى الله عليه وسلم- قد اشتهرت به الصوفية وغيرهم، وقد تضمنت من الألفاظ الدالة على [.../ معانٍ] كثيرة من المحبة؛ ما أوجب لمن سمعها أن يَلهج بشيء منها، وكلٌّ يشير إلى محبوبه ومقامه في محبته.

ورأيت بعض الناس يُكَفِّرون الناظم بها، ومنهم من ينسبه إلى القول بالحلول، وغير ذلك، بحسب ما رأوه بنظرهم في أبيات من القصيد: [الوافر]

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحًا ... وَآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ[٤٢]

(٣٩) سورة الأعراف، الآية ٤٣.

(٤٠) بابن: ت.

(٤١) هي حليمة السعدية، من بني سعد بن بكر من قبيلة هوزان، وهي مرضعة النبي محمد (ص)، توفيت بعد العام الثامن من الهجرة بالمدينة المنورة، ودفنت بالبقيع. انظر: ابن عبد البر، *الاستيعاب*، جـ٢، ص٥٠٢، ترجمة رقم ٣٣١٢؛ النووي، *تهذيب الأسماء واللغات*، جـ٢، ص٣٣٩، ترجمة رقم ٧٢٩؛ ابن حجر العسقلاني، *الإصابة*، جـ١٣، ص٢٨٩، ترجمة ١١١٨٣.

(٤٢) هذا بيت من قصيدة لأبي الطيب المتنبي مطلعها:

إذا غامرت في شرف مروم *** فلا تقنع بما دون النجوم

انظر: عبد الرحمن البرقوقي، *شرح ديوان المتنبي*، دار الكتاب العربي، بيروت، المجلد الثاني، ١٩٧٩، ص٢٤٦.

أردت به أن أنفع من شاء الله نفعه بما أبيِّنه من شرح هذه القصيدة. من النفع منه تصحيح لفظ القصيدة؛ لأن الاختلاف في روايتها كثير، ومنه إيضاح المعاني ليتم غرض الناظم لها، ومن أجله سماها «نظم السلوك»، ومنه[٤٣] إصلاح [.../ بينه] وبين مَنْ نسب إليه ما أخرجه عن التقيد بالشريعة لسوء الفهم عنه كما قدمنا. فكان هذا وأمثاله [.../ من] نيةٍ وعملٍ يتعلق بي في شرحها؛ فبقيت زمانًا [.../ غير مستجيب] إلى ذلك وأستصغر همتي عنه وأنتظر إمدادًا ووقتًا خاليًا حتى سألني في ذلك من رأيت صدقه عونًا لي على إجابته، ثم انضاف إلى ذلك ما كنت طالعته في شرح هذه القصيدة مما فُتِحَ به على قلب الشيخ الصالح سعيد [الدين] الفرغاني[٤٤] واستفهمته منه- جزاه الله خيرًا- وكان شرحه في مجلدين، فأردتُ تيسير ما فهمتُه وتفهيم ما ذُوِّقَهُ بأحسن ما قدرت عليه مما قلَّ ودلَّ لئلا يُهمَل أو يُمَلّ.

وقد قدَّمت أمام الشرح فصولاً وجعلتها أصولا يُفهم منها مع فهم القصيد ما يضطر إلى فهمه كثيرٌ من العبيد، وينتفع وينفع الشيخ والمريد وقد سمَّيت ذلك: خلاصة؛ لأني استخلصت فيها مما عندي أبلغ ما يفيد، وقربت المعنى البعيد، وجعلت البيان بالقرآن لأولي الإيمان، وبالعقل المجرد عن الهوى لأولي العرفان.

فقلت- وبِالله[٤٥] المستعان-.

---

(٤٣) منها...ومنها...ومنها: ت.

(٤٤) هو: سعيد الدين محمد بن أحمد الفرغاني، وهو الشارح الأول لتائية ابن الفارض ومن أشهر مؤلفاته: *منتهى المدارك*، وهناك مؤلفات أخرى له، توفي سنة ٦٩٩هـ. انظر: الذهبي، *تاريخ الإسلام*، جـ١٥، ص٩٠٩، ترجمة رقم ٦٢٨؛ الصفدي، *أعيان العصر وأعوان النصر*، جـ٤، ص٢٣٥، ترجمة رقم ١٤٤٥؛ *الوافي بالوفيات*، جـ٢، ص٩٩، ترجمة رقم ٤٩١.

(٤٥) وبالله: ت.

أول ما يجب أن نقدم في هذه الخلاصة تفهيم لا بد منه في معرفة العبودية وتنزيه الربوبية؛ إذْ بِهَذا(٤٦) العرفان يزول ما اشتبه من هذه القصيدة(٤٧) على كثير من الأذهان.

ثم بعد ذلك نذكر كلامًا في الحب يتضمن مقصد الناظم ليكون ذلك مفتاحًا يسهُل به المنظوم، إن شاء الله تعالى.

تفهيم: المعلوم غير عِلمك بـه، كما [٢و] أن المَرْئِـي(٤٨) غـير رؤيتـك لـه، فـالمعلوم منفصل عن العلم والعِلّمُ صفة العالِم، فعِلمُ الله بالموجودات غير الموجودات ولم يزل ولم تكن؛ فذلك عين القدم وتلك عين الحدث وأما عِلّمُك بالله(٤٩) فهو أشد الحجب، ولهذا لم تدعُ الأنبياء إلى العلم به بل إلى الإيمان فاليهود علمـوا أن محمـدًا رسـول الله وما نفعهم، وآل فرعون كذلك ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾(٥٠)؛ فالعلم يطرد الجهل ولا يجلب السعادة، فأما إن صَحَبَه(٥١) الإيمان فهو نور على نور.

وأما لِمَ كان العلم منك أشدَّ الحجب؟ فذلك لأن العقل يطلُب لـيرى المعلـوم على حد علمه، وما كُلُّ معلوم يُتصور هذا الطلب عليه وهنا وقف إبليس فلـم يـسجد، ولو آمن لَذَلَّ وافتقر وسجد.

(٤٦) بهذ: ت.

(٤٧) القصيد: ت، ويلاحظ أن التلمساني يستعمل في شرحه كلا اللفظين: القصيد والقصيدة.

(٤٨) المرئي: ت.

(٤٩) وبالله: ت.

(٥٠) سورة النمل، الآية ١٤.

(٥١) صحبة: ت.

واعلم أن من جمع العلوم من أجل نفسه فغايته نفسه، ومن جمعها من أجلها فهو كمن جمع فأوعى، ومن جمعها من أجل الله فهو طريق يُترك كلُّه عند الوصول:

[الطويل]

أَرَى العِلْـمَ تَحْـتَ العَقْـلِ واللهُ فَوْقَـهُ ... لِـذَلِكَ عِلْـمُ العَقْـلِ فِي رَبِّـه جَهْـلُ
وَمَـا ذَاكَ إِلاَّ أَنْ رَأَى(٥٢) الفَـوْقَ تَحْتَـهُ ... فَقَـدْ جَـاءَهُ(٥٣) بِـالكِبْرِ مَـنْ شَـأْنُهُ الـذُّلُّ
فَمَـنْ جَـاءَهُ بِـالْعِلْمِ يَتْبَـعُ عَقْلَـهُ ... وَمَـنْ جَـاءَ بِـالإِيمَانِ يَتْبَعُـه العَقْـلُ(٥٤)

تدريج: لا يقال له شيء؛ لأن الشيء به صار شيئًا، ولا يقال هو الوجود؛ إذ به ظهر الوجود، والوجود ما نَحْنُ(٥٥) فيه، نظم:

[الوافر]

بِـهِ ظَهَـرَ الوُجُـودُ فَكُـلُّ شَيْءٍ ... يُرِينِـي مَـا بِـهِ كَـانَ الظُّهُـورُ
تَجَـلَّى لِلْقُلُـوبِ وَجَـلَّ عَنْهَـا ... وَمِـنْ دُونِ العُيُـونِ لَـهُ سُـتُورُ
فَـلاَ قَلْـبٌ يَـرَى إِلاَّ يَـرَاهُ ... وَلاَ عَـيْنٌ تَـرَاهُ وَهْـوَ نُـورُ

اعلم أنه لا يُنسب إلى ما به ظهر الوجود شيء من لوازم الوجود، والعلم كله من لوازم الوجود، ولولا الوجود لَمَا وُجدت لوازمه؛ فإذ لا وجود فلا لوازم. فأما حينَ الوجود فقد لزمت لوازمه، كالقَبْلية والبَعْدية والعدَم؛ فأما إذ لا وجود فلا عدم؛ لأن العدم من لوازم الوجود. وقد تقدم أن بعدمه عَدَمَ لوازمه، فكل علم وعالم ومعلوم معدومٌ مع فرض عدم الوجود، وموجود مع الوجود.

---

(٥٢) راي: ت.

(٥٣) جاه: ت.

(٥٤) هذه الأبيات لم نجدها فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

(٥٥) حن: ت.

فإذا أردنا الوصول إلى ما به ظهر الوجود وجب نفْي متعلقات الوجود والوجود، وذلك مُحال؛ لأن النافي الذي هو أنا هو من الوجود، فإن نفيت الوجود انتفى الشاهد والمشهود، وإذا كان الأمر كذلك فقد تعالى الله عن متعلقات الوجود وعن الوجود، وإذ لا بد لنا منه لم يبق سوى أمره الذي وصل إلينا بالرسول واتصلنا إليه بالعقول، فلما حكَّمناها حَكَمت عليها الأمر، فمتى مالت عنه انفصلت، ومتى مالت إليه اتصلت.

زيادة: لما كانت القدرة المطلقة تستلزم سائر الصفات، وقد ظهر تنوع القدرة في الموجودات، كان الوجود مظاهر قدرته. ومن قال: إنَّ الكون مظاهره، أو هو عين المكوِّن، فهو عين غلط؛ أدَّاه إليه مَذْهَبُ مَنْ يقول: إن الصفة عين الذات، هربًا من أن يكون كماله بالزائد عليه. وهذا الغلط إنما نشأ من كونهم سَمُّوهُ وعبَّروا عنه بعبارات لا تليق به، كمن عبَّر عن الأصفر من الألوان بالحامض من الطعوم. وكيف يكون [٢ظ] عين الكون، وقد كان ولا كونَ. فالثاني من العدد ينعدم بعدم الأحد، فلا يكون ثانيًا ولا أولاً، وأما الأول فعلى حاله ليس بالثاني ولو عدم الثاني.

وأما المعيَّة بقوله ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾(٥٦) فهي معية الصفات المعلومة لنا كالعلم والقدرة تمثيلاً يعود علينا لا تحقيقًا ينحصر فيه. وإذا تصورنا البحر لا يكون البحر ما تصورناه؛ فلم يخرج عن حقيقتنا وهي خارجة عن حقيقته. فحقيقته تعالى خارجة عن حقيقة كل مصنوع وإن استلزم كل مصنوع صانعًا، فهو الموجود بوجود المصنوع

(٥٦) سورة الحديد، الآية ٤.

وجودًا مُقاسًا على وجود المصنوع متعاليًا عنه، بل هو عدمٌ فيه، وله الوجود الحقيقي بذاته، كما أن الموجود عنه موجود بوجود الصانع وجودًا مقاسًا على وجود الصانع متسافلاً عنه، بل هو عدم فيه وله الوجود الحقيقي بغيره.

فليس الوجود واحدًا بل واحدان لثبوت المغايرة؛ ولأن القدم في الحدث عدم، كما أن الحدث في القدم عدم، فامتاز وجود الواجب كما امتاز وجود الممكن، لكن امتياز الممكن محقَّق بأنه هو هذا، وأما وجود الواجب فامتاز بأنه ليس كهذا. أعني: كالممكن. وهذا الاسم أعني: الوجود والواجب [أم: الوجود الواجب؟]، إنما أوقعناه عَلَيْهِ[٥٧] من جهتنا؛ فهو موصوف به من حيثنا، وأما بالحقيقة فلا اسم له، وأنَّى للممكن أن يجتمع مع الواجب بالذات في حكم، أبدًا! فلم يبق بين الحق والخلق اشتراك بوجه لئلا يكون ذلك الوجه جِنسًا يعُمُّ فيحتاج إلى فصل، فذاك مُحال أن يكون الحق الواحد من كل الجهات مركَّبًا من جنس وفصل.

وكذلك لا يقال هو علة ما بعده؛ إذ لو كان علة لارتبط، ولو ارتبط لم يصح له الكمال بذاته، فهو لا علة ولا معلول، فتعالى الله وحده. وأما علة الأشياء فهي أثر منه، وله الكمال الذي يلزم عنه الاختيار والقدرة المطلقة على منع الإيجاد والإيجاد، وإعدام الموجود وإعادته وإبقائه سرمدًا، وهذا عين الشريعة.

(٥٧) عليهم: ت.

زيادة: الغيب لا يكون شهادة كما أن الشهادة لا تكون غيبًا. وكذلك القديم والمحدث، والوجود بالذات والوجود بالغير، لِكُلٍّ حقيقة تخصه، فإذا زال عنها لم يكن هو.

فأما بالنِّسَب والإضافات فقلَّ ما تجد.

إيضاح: قد تحقق أن الذات القديمة منزهة عن أن تتحد بالذات المُحْدَثَة، وأما الاتحاد المنسوب إلى الصفة فيصح مشروطًا بنفي الإضافة إلى قديم مُحْدَثٍ، كما يصح مع الإضافة إلى مُحْدَثَيْنِ، وذلك كالصدق الذي كله لهذا وكله لهذا. فأما في قديم ومُحْدَثٍ فالصفة تابعة للموصوف. وكذلك كل صفة حين تنتهي إلى الوجود فيكون الوصف واحدًا بالتسمية وله موصوفان: أحدهما: مجهول قديم نمثله من أجل الضرورة بالمعلوم المُحْدَثِ، وحينئذ تكون الذات العلية باطنة عن الصفات من حيثها ظاهرة بالصفات من حيثنا، فنحن نشهدها بالصفات ونشهد تعاليها عن الصفات لتغاير الموصوفَين من حيثهما ذاتًا واتحادهما من حيثنا صفةً، فيعود الاتحاد تسميةً لا حقيقةً، ونحن فلا نعرف شيئًا إلا بنا، فإذا كان المعرَّف حجابًا لم يبق إلا الإيمان بالغيب، وبه جاء [٣و] الرسل، وهذا الغيب لازم عن الشهادة وبها أقرت العقول.

فالغيب واحد له اعتباران: أحدهما: من جهة الحق، وهو كُنْه الذات الغائب على الإطلاق علمُه عن كل مُتَعَيِّنٍ ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾(٥٨). والآخر: من جهة الخلق

(٥٨) سورة طه، الآية ١١٠.

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾(٥٩) تحقق وجوده جزمًا، وإنما سمَّينا هذا- أيضًا- غيبًا؛ لأنه لا يُشهد منه سوى ثبوت وجوده مُعطيًا كل شَيْءٍ خلقه. فهو من جهته لا يُشْهَدُ فهو غيب، وهو من جهة كل شيء لا يُجحد، فهو عينُ تَعَيَّنَ وجودُها بوجود كل مُتَعَيِّن، على اختلاف شؤون المتعينات بكل صورة جسمانية وروحانية محسوسة ومعقولة.

فقد بان لك كيف تَنطلِق عليه الأسماء الإضافية، وبان لك كيف هو ظاهر بها ومنزه عنها ظهورًا لا شك فيه وتنزيها لا شك فيه، وكيف يضاف إليه الغضب والحب والبعد والقرب، وليس شيء من ذلك منسوبًا إلى وحدته، مع أنه سبحانه أنزل ذلك وأمثاله في كُتُبِهِ(٦٠) إلى خليقته وإذا فهمتَ سائر الأسماء كذلك نزَّهت عما هاهنا ما هنالك وصل عبودية.

ولما جَلَّ عن المِثْلِ وتعالى عن المَثَل وضرب لنفسه الأمثال جاز أن يقال: هو كالبحر المحيط وساحله الأمر(٦١)؛ إذ الأمر أول صادر صدر عنه، والأنبياء وقفوا عند الأمر؛ لأنهم لم يأتوا إلا به وعنه ومن أجله. فالنبيء فَعِيل(٦٢) وهذا الوزن يصلح للفاعل والمفعول، ومعناه: مُخبِرٌ ومُخبَرٌ، فهو من جهتنا فاعل مخبِر بالأمر لا غير، فلو فرضنا أنه أخبَر بالأمر ولم يفعل به لم يكن غير نبي، بل غير فاعل، والفاعل هو الخائض؛ فالولي

(٥٩) سورة الحديد، الآية ٤.

(٦٠) كنه: ت.

(٦١) إشارة إلى فعل الخلق: كُنْ.

(٦٢) وزن فعيل من أوزان الصفة المشبهة بأسم الفاعل.

شارك النبي في الفعل لا في النبَأ، ولولا النبأ لم يكن له أن يفعل فالنبيء نبَّأ وفعَل؛ فهو خاض البحر ووقف في الساحل للبَلاغ، إذ هذا حكم المُنبِئ، والولي خائض فقط، ولا يصح أن يكون وليًّا إلا بالأمر، وهذا معنى قول أبي يزيد(٦٣): «خُضتُ بحرًا وقف الأنبياء في ساحله»(٦٤). فهو على صورة الإخبار عن نفسه والتعظيم لهم، لا تحقير للعبوديةِ(٦٥).

العمل بموجب الإرادة المُخبَر عنها بالأمر علوًّا وسفلا، يُعْطَى الإنسانُ تحققَ الخلافة من نفسه له، وهي التي من أجلها كان الظهور كله، فالظهور كله لِما [كان] من الإنسان وظهور الإنسان وظهور ما منه إنما هو لنفسه إنسان، الإنسان ذُو(٦٦) إرادة

(٦٣) اختلف مؤرخو التصوف حول اسمه، فذهب البعض إلى أن اسمه طيفور بن آدم بن سروشان، في حين ذهب السلمي إلى أنه طيفور بن عيسى بن سروشان، والبسطامي نسبة إلى بِسْطام أو بَسْطام، بلدة بخراسان، حيث توفي عام ٢٦١هـ/ ٨٧٤م أو ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م، ولم يترك البسطامي مؤلفات مكتوبة عن خبرته الصوفية، وكل ما نعرفه من أفكاره ما نجده في أقوال مأثورة في كتب الطبقات والتراجم، منها: ابن الجوزي، *صفة الصفوة*، تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢، ص٧٥٤، ترجمة رقم ٦٧٩؛ شمس الدين محمد الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣، ص٨٦، ترجمة رقم ٤٩؛ ابن الملقن، *طبقات الأولياء*، تحقيق: نور الدين شريبه، الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣، ص٣٩٨، ترجمة رقم ١٠٨؛ الشعراني، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وآخر، الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، جـ١، ص١٤٠، ترجمة رقم ١٤٨.

(٦٤) انظر: *أبو يزيد البسطامي "المجموعة الصوفية الكاملة"*، تحقيق وتقديم: قاسم محمد عباس، دار المدى، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص٤٩. وهناك ما يقابله في تائية ابن الفارض:

٢٨٨- وَدُونَكَ بَحْرًا خُضْتُهُ وَقَفَ الأُلَى *** بِسَاحِلِهِ صَوْنًا لِمَوْضِعِ حُرْمَتِي

٧٢٥- وَغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى انْـ *** ـفِرَادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ

(٦٥) لا التحقير عبودية: ت.

(٦٦) ذوا: ت.

تصلح للشيء وضده، هو بها خليفة الله من فعل الله، والمراد منه أن يكون خليفة الله من فعل نفسه الذي به أمره مستخلِفُه، وصحة وقوع هذا الاسم عليه له برهان، هو أن يجعل إرادته تبعًا لإرادة مولاه منه، فكما أن أول صادر صدر عن الذات القديمة إرادة لها أن تريد بها ما شاءت، كذلك أول صادر يصدر عن الذات المحدثة إرادة لها أن تريد بها ما شاءت؛ ولما كانت القديمة غنية والمحدثة فقيرة، صدر الأمر من القديمة إلى المحدثة هاديًا إلى مراد الغنية من الفقيرة؛ فإذا أرادت الفقيرة ما أرادته الغنية لها منها عادت الفقيرة غنية، وكان غِناؤها بما منها بالفعل، وإن كان الأمر بالفعل صدر إليها من جهة الغنية وإن لم تُرد ذلك عادت فقيرة، وكان فقرها بما منها، فالغنية معطية أولاً وهادية لا غير: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٦٧).

والفقيرة فاعلة فهي معطية ثانيًا لذاتها إما الغنى وإما الفقر، فإن استغنت كانت من جهتها كالمعدومة ولها عين الوجود اللائق بها من جهة القديمة؛ وإن افتقرت كانت من جهتها موجودة لها عين العدم من جهة القديمة، ولما كان ما لها من بعد إيجادها سواءٌ كان عدمًا أو وجودًا على ما قررناه، لا يكون إلا من جهة نفسها، كان لها على القديمة أن تهدي بالأمر؛ [٣ظ] فجاءت الرسل به، وكان للقديمة عليها إرادةُ الأمر وفعله، فتجلت القديمة للمحدثة بالخلق والأمر، وتجلت المحدثة لنفسها بالإرادة والفعل؛ فالأمر من القديمة مَظْهَرُ إرادتها، والإرادة من المحدثة مَظْهَرُ ذاتها، والفعل مَظْهَرُ ما لها فالإرادة القديمة لها معنوية الخير فقط وظهرت بالأمر، والإرادة المحدثة لها معنويتان: إحداهما: باعتبار نظرها إلى القديمة خير. والأخرى: باعتبار نظرها إلى

(٦٧) سورة طه، الآية ٥٠.

تصلح للشيء وضده، هو بها خليفة الله من فعل الله، والمراد منه أن يكون خليفة الله من فعل نفسه الذي به أمره مستخلِفُه، وصحة وقوع هذا الاسم عليه له برهان، هو أن يجعل إرادته تبعًا لإرادة مولاه منه، فكما أن أول صادر صدر عن الذات القديمة إرادة لها أن تريد بها ما شاءت، كذلك أول صادر يصدر عن الذات المحدثة إرادة لها أن تريد بها ما شاءت؛ ولما كانت القديمة غنية والمحدثة فقيرة، صدر الأمر من القديمة إلى المحدثة هاديًا إلى مراد الغنية من الفقيرة؛ فإذا أرادت الفقيرة ما أرادته الغنية لها منها عادت الفقيرة غنية، وكان غِناؤها بما منها بالفعل، وإن كان الأمر بالفعل صدر إليها من جهة الغنية وإن لم تُرد ذلك عادت فقيرة، وكان فقرها بما منها، فالغنية معطية أولاً وهادية لا غير: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾(٦٧).

والفقيرة فاعلة فهي معطية ثانيًا لذاتها إما الغنى وإما الفقر، فإن استغنت كانت من جهتها كالمعدومة ولها عين الوجود اللائق بها من جهة القديمة؛ وإن افتقرت كانت من جهتها موجودة لها عين العدم من جهة القديمة، ولما كان ما لها من بعد إيجادها سواءٌ كان عدمًا أو وجودًا على ما قررناه، لا يكون إلا من جهة نفسها، كان لها على القديمة أن تهدي بالأمر؛ [٣ظ] فجاءت الرسل به، وكان للقديمة عليها إرادةُ الأمر وفعله، فتجلت القديمة للمحدثة بالخلق والأمر، وتجلت المحدثة لنفسها بالإرادة والفعل؛ فالأمر من القديمة مَظْهَرُ إرادتها، والإرادة من المحدثة مَظْهَرُ ذاتها، والفعل مَظْهَرُ ما لها فالإرادة القديمة لها معنوية الخير فقط وظهرت بالأمر، والإرادة المحدثة لها معنويتان: إحداهما: باعتبار نظرها إلى القديمة خير. والأخرى: باعتبار نظرها إلى

---

(٦٧) سورة طه، الآية ٥٠.

نفسها شر، وظهرت بالفعل؛ فهي إذا تحققت بالقديمة على ما بيَّنَّاه خلعت جميع الصفات، وكان لها كل صفة، وكانت كالمعدومة من جهة عدم نظرها إليها، ولها عين الحياة والوجود من جهة نظرها إلى القديمة، وهذا كله لها منها بالإِرَادَة[٦٨] المقيَّدة بإرادة القديمة لها منه، والسلام[٦٩] نظَم في ذلك:

[السريع]

خَلَعْتُ فِي الحُبِّ جَمِيعَ الصِّفَاتِ ... إِذَا تَحَقَّقْتُ بِذَاتِ الذَّوَاتِ
إِذَا أَرَادَتْ فَأَرَدْتُ الَّذِي ... تُرِيدُهُ لِي مِنْ جَمِيعِ الجِهَاتِ
كُنْتُ وَإِنْ كُنْتُ مُرِيدًا كَمَنْ ... مَاتَ وَلِي بِالذَّاتِ وَصْفُ الحَيَاةِ[٧٠]
بَلْ كُنْتُ مَعْدُومًا وَإِنْ كَانَ لِي ... كُلُّ اسْمِ مَوْجُودٍ بِمَاضٍ وَآتِ

إفصاح: لما كان الكمال المطلق للغني بذاته يعطي التمكين المخصص للفقير بذاته ليصل به من جهة ذاته إلى كماله بغيره، كان التمكين موصِّلاً إلى طرفين[٧١]: أحدهما: يُسَمَّى المُتَّصِفُ به خَيْرَ البرية؛ ولما كان ظهور الشر منه ممكنا وهبه الله تعالى توبة، إن أراد أن يتوب، وأمره بها وفي ضدها معصية دائمة، إن أراد أن يعصي، ونهاه عنها، والتوبة هي الرجعة إلى جوهر ذاته التي لأجلها خُلق ليكوِّن إنسانيته كاملة من جهة ذاته بفعله ليصح له اسم الخلافة؛ إذ لا يصح له هذا الاسم وله فِعْلٌ من جهة غيره بوجه، فإن كان فهو غير خليفة في ذلك الوجه، بل آلة مستعمَلة فيه.

---

(٦٨) بالإرادت: ت.

(٦٩) لا نعرف إلى من يشير بهذا الاسم، ولم نجده فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

(٧٠) الحيات: ت.

(٧١) ذكر التلمساني الطرف الأول ولم يذكر الطرف الثاني.

فلما بيّن الله هذا جميعه بالكتاب المنزل والنبي المرسل في سائر الكُتُب(٧٢) على فعل هذا الخليفة ونبّه على أمر كل خير بذكر التوبة؛ فهي مبدأ ما لا تستوعِب مدحه الألسن، وما لا تعلمه نفس مما أُخفي لهم من قرة أعين(٧٣)، فالجنان والرؤية من ثمراتها، وكفى لها شرفًا بذاتها عَوْدُهَا إلى مُبدئها وتلذُّذها برؤية بارئها فيها؛ إذ في ماهية جوهر نفس الإنسان كامن من حين الإبداع ما عنه يظهر كل مطلوب؛ فهي بما فيها من مولاها غنيةٌ عن سواها، خليفةُ مَنْ سوَّاها، ولهذا أمرها ونهاها؛ فَتَأَمَّلْ الإنباء والأنبياء تَجِدِ الإنباء كله عنك والأنبياء وأممهم ومن كفر بهم أنت، فعائد كل ذلك عليك، والأمر في كله إليك، ومنه قوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾(٧٤). نُظِمَ في ذلك: [الوافر]

كَأَنِّيْ أَنْتَ فِي قَوْلِيْ وَفِعْلِيْ ... إِذَا مَا كَانَ فِي حَدِّ التَّمَامِ
بِذَاكَ أَنَا الخَلِيْفَةُ عَنْكَ لَمَّا ... جَعَلْتُكَ بِي ظَهَرْتَ إِلَى الأَنَامِ
فَبِي لَكَ فِي ظُهُورِكَ بِيْ وُجُودٌ ... وُجُودِيَ فِيْهِ أَضْحَى كَانْعِدَامِي(٧٥)

زيادة في ضده:

كل ممكن كانت نسبته إلى الوُجُود(٧٦) أَقْرَبَ كان عُلويًّا، وكل ممكن كانت نسبته إلى العدم أقرب كان سُفْليًّا، والذي جمع بينهما هو الإنسان: فإن غلب عُلْوِيُّه كان أشرف

---

(٧٢) الكتاب: ت.

(٧٣) إشارة إلى الآية القرآنية: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾، سورة السجدة، الآية ١٧.

(٧٤) سورة فصلت، الآية ٤٠.

(٧٥) هذه الأبيات لم نجدها فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

(٧٦) الوجوب: ت.

من المَلَك وإن غلب سُفْلِيُّه كان أخسَّ من الحيوان والجان، ولما كانت الأرض قبالة السماء وكان المُخلِدُ إلى الأرض مذمومًا، فكيف من مُخْلِدٍ إلى ما تحت الأرض وهم الجن المستَجِنُّونَ بها، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾(٧٧) عبدوا [٤و] حقائقهم لأنها كانت جنًّا في أرض أبدانهم المقيَّدة بالشهوات، وهم عملوها جنًّا إذ لم يتَّبعوا الآيات، فانسلخوا منها كانسلاخ الشاة، والجِن من النار فما لهم إليها؛ فالمُخلِدون جنُّ أرض الجحيم والخالدون ملائك سماء النعيم.

كلام في الحبِّ

الحب طلب كمال؛ فهو من العبد دليل نقص، وإذا نسب إلى المولى سبحانه كان طلب كمال أيضًا ولكن للعبد؛ إذِ العبد محل النقص، فلا يَكْمُل إلا ناقصٌ؛ ولهذا لا يكون الحبُّ للعبد من الله تعالى إلا جزاءً، فلما قام العبد في مقام من يستحق أن يُحَبَّ نسبت المحبة من الرب لهذا العبد من جهة استحقاق العبد لا من جهة انفعال الرب.

ولهذا قيل: الارتباط الحاصل بين أمرين، لكمال مُتَيَقَّنٍ أو مظنونٍ متعلقٍ بذلك الظهور ومُدَرَّجٍ فيه، هو حقيقة الحب وأصله؛ وأما قوله: فـ«أَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ»(٧٨) أي: أحببت للعباد الذين لم تزل قدرتي على إيجادهم متمكنةً وعلمي بما في قدرتي موجودًا من استحقاقهم الكمال الذي لو فُرض علمهم به قبل الاتحاد لاقترحوه،

(٧٧) سورة سبأ، الآية ٤١.

(٧٨) قول متداول بين الصوفية من أمثال ابن عربي، الذي يذكره كحديث قدسي بهذه الصيغة: "كنت كنزًا مخفيًّا فأحببتُ أن أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ فَبِهِ عَرَفُوني" إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

فسبقهم كرمي عليهم من قَبْلِ أن يكون ذلك إليهم ولما كان استحقاقهم واجبًا لهم، ولكن لا عليَّ كان إيجادهم إلى تفهم هذا الفصل، وَافَقَه منه المراد فإنه أصل في صحة الاعتقاد.

ولهذا ميَّزتُه بالحمرة بدايةَ الشرح لما جل الله أن يكون محبوبًا في قلب عبده بمحبة تشبه محبة شيء من مخلوقاته، وأراد الناظم أن يترجم عن تلك المحبة التي فطر الله الناسَ عليها وَجَبَلها في جِبِلَّةِ كُلِّ قلب سرًّا وجعل امتثال أوامره من عباده سبيلاً موصلاً إلى ظهور ما في فطرهم لهم جهرًا، وكان الناظم قد سلك من هذا السبيل حسب طاقته تكلم عن لسان سالكه بلسان سالكه، كان السالك يقول بلسان الناظم فقال الناظم بلسان السالك الواصل، وجعل النفس الواصلة محبوبته إجلالاً لُمبدعها ومُودعها بالقوة ما هي أظهرته لها منها بالفعل الذي كان منها بسبب قيامها بأمره. فهذا الناظم أقام هذه النفس مقام الأرض التي تُقَبَّلُ لكونها مَوَاطِئَ أقدام المَلِك:

[الوافر]

أَمُرُّ عَلَى الدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَى[٧٩] أُقَبِّلُ ذَا الجِدَارَ وَذَا الجِدَارَا

وَمَا حُبُّ الدِّيَارِ شَغَفْنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيَارَا[٨٠]

زيادة تفهيم

حد العبودية أن يخرج عن قيد التمييز ولو بذرة[٨١]، وحينئذ تَنْطَوِي[٨٢] صفاتُ سائر

(٧٩) هي ليلى بنت مهدي بن سعد من هوزان، المسماة العامرية، من قبيلة بني عامر، وهي حبيبة قيس بن الملوح.

(٨٠) هذان البيتان منسوبان لقيس بن الملوح من بطون هوازن. *ديوان مجنون ليلى*، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٩، ص١٣١.

(٨١) بدرة: ت.

(٨٢) ينطوي: ت.

الخلق في عبودية هذا العبد، فهو كل شيء بكل صورة في كل آنٍ بمعنىٰ أن كـل شيء بكل صورة في كل آنٍ، لم يكن إلا من أجل ظهور القديم سبحانه، وقد ظهر وظهوره لم يكن إلا من أجل كمال المُحدَث الذي لا يكون كمالُهُ إلا بكمال عبوديته وقد كَمُلَ.

فلهذا بنىٰ ناظم القصيد أمره علىٰ أربع مراتب: المحبة، ثم الإيجاد الذي هو غايتها، ثم المعرفة التي هي من لوازم الإيجاد، ثم الخلافة التي تكـون بهـا يـد المُحْـدَثِ يدًا للقديم في الأفعال التي لا تكون عن العبد إلا بالأمر.

تفهيم في ضمن المحبة وما فيك من آدم وإبليس

اعلم أن المحبةَ ميلٌ إلىٰ شيءٍ، وكمالهَا ميلٌ عن كـل شيء سـوىٰ الـشيء المحبـوب، وحكمَها من المُحِب أثرٌ في المحبوب، فميل إلىٰ المحِب بقدر ميل المحِبِّ إلىٰ المحبوبِ وَزْنًا بِوَزْنٍ ما لم يعرض حاجز، فتعود كلية العبد للحق بكـل وجـه، ويـصح الحكـم علىٰ الحق كذلك، ولكن من جهة كلية العبد لا من جهة كلية الحق، إذ ليس فيـه كـلٌّ وبعضٌ، بل المعنىٰ هو أن يكون نصيب العبد من الحق كذلك، ومعنىٰ إعراض الحق عن سوىٰ هذا العبد هو أن ليس لسواه عنده كما لهذا عنـده، فـالإعراض عـن مثليّـه جزاء؛ إذ ليس يستحق غير هذا العبد ما يستحقه هذا.

واعلم أنه فرّق بين مَن أحب الأشياء من أجل الله وبـين مـن أحـب الله مـن أجْـل الأشياء؛ فالأول قَطَعَ الأشياءَ مع محبته لها فغايته اللهُ، والثاني قَطَـعَ الله مـع محبتـه لـه فغايته [٤ظ] الأشياءُ؛ لأن الحب سبيل والأجَل مقيل، ومن وصَل إلىٰ مقيل لا شك قد قطع السبيل.

ويجب أن تعلم أنه لا جائز أن تُحب الأشياء من أجله إلا بأمره لتكون عبدًا لمراده منك لا لمرادِك منه، ولو كان مرادُك هو لا تُرِدْه إلا إن أراد؛ لتكون عنده لا عندك، فتكون عبده لا عبدك.

فَافْقَهْ هذا البيان لتحُلَّ به مُشكلات من القرآن، وتحِلّ به محَلّ الإيمان بما حُبِّب إليك من موفِّقات الجِنان، وبُغِّض إليك من مُوبِقات النيران، ويعود منك الحب والبغض لسواه محبة خالصة لله، نظم في ذلك: [البسيط]

أُحِبُّ مِنْ أَجْلِهِ نَارَ الْبِعَادِ إِذَا ... أَحَبَّهَا لِي فَنَادَى فِيهِ جَنَّاتِي
وَإِنْ سَجَدْتُ لِذَاتِي قَدْ سَجَدْتُ لَهُ ... بِالأَمْرِ لا لِي وَلِي بِالأَمْرِ سَجْدَاتِ
فَلِي وَبِي ضَرَبَ الأَمْثَالَ مُفْتَرِضًا ... عِبَادَتِي لِي بِأَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ
إِنْ لَمْ أَكُنْ سَاجِدًا لِي مَا سَجَدْتُ لَهُ ... لَمْ يَأْبَ إِبْلِيسُ، لَكِنْ [قد] أَبَتْ ذَاتِي
وَلَمْ أُطِعْ غَيْرَهُ، فَمَا أَتَيْتُ بِهِ ... مِنْ طَاعَتِي لِي وَلِي نُسْكِي وَطَاعَاتِي
وَهُوَ الْغَنِيُّ بِهِ عَمَّا أَرَادَ لَهُ ... مِنِّي فَلِي مَا لَهُ بِي مِنْ إِرَادَاتِي
فَهَأَنَا الْعَبْدُ وَالْمَعْبُودُ مُعْتَرِفٌ ... وَهُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ أَقْصَى إِشَادَاتِي
إِذَا أَشَرْتُ إِلَيْهِ قَدْ أَشَرْتُ إِلَى ... عِلْمِي وَعِلْمِي مُحَاطٌ بِالْعِبَادَاتِ
وَهُوَ الْبَعِيدُ عَلَى الإِطْلاقِ مَنْزِلَةً ... بِي وَهُوَ أَقْرَبُ مِنْ ذَاتِي إِلَى ذَاتِي(٨٣)

اعلم أنه لولا تقدم كلامي توطئةً في النثر الذي قبل هذا النظم وشرحي له لَصَعُبَ على كثير من السامعين قولي: فهأنا العبد والمعبود، وهذا وأمثاله، إنما أذكره توطئةً لفهم مراد ناظم هذا القصيد ممن لا أُنسَ له بمراد القوم ولا معرفة بلسانهم وأما العارف بذلك فإنه لا يحتاج إلى كلامي بل ربما وجده كلامَ الضعيف، وكان له في

(٨٣) هذه الأبيات لم نجدها فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

نظم الناظم غِنًى، وعَلِم صحته بأَوَّل مرور عليه، ومن هاهنا نقرِّب إلى الأفهام مراد هذا الرجل مُجمَلاً، ثم نأتي به بعد ذلك عند شرح الأبيات مفصَّلاً، إن شاء الله تعالى.

فصل في تقسيم صور المحبة المذكورة في هذه القصيدة

وترقّي الناظم في سلوكه المُحب متقلب في أطوار الحب، وفيه كَوَىٰ من لا يُعرف بها فينتهي الحب به إلى آخره ثم يرجع به إلى أوله، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(٨٤)، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٨٥)، ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾(٨٦)، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾(٨٧).

ويجب أن تفهم أن التفضيل منه غير الفضيلة منهم، فتفضيل الأنبياء مثل قَسْمِ الأرزاق لبقية العباد، فهو قسّم الرزق الباطن والرزق الظاهر ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾(٨٨)، فكل ما هو آتاه فهو ابتلاء وإن قد فهمتَ ذلك وفهمتَ أن الفضيلة من العبد بما أظهره من فعله لا بما هو فضل وتفضيل من ربه، فقد بان لك أن الله ساوىٰ بين العباد في اكتساب الرحمة الباقية بما آتاهم في الدار الفانية، فكما إذا أخرج مَالِكُ أَلْفٍ عُشْرَ ماله لله، كذلك إذا أخرج مَالِكُ عَشَرَةٍ عُشْرَ ماله لله، والرزق الباطن كالرزق الظاهر، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾(٨٩).فقد أمكن مساواة ذي القليل

---

(٨٤) سورة الأعراف، الآية ١٠.

(٨٥) سورة الجاثية، الآية ١٣.

(٨٦) سورة الزخرف، الآية ٣٢.

(٨٧) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٨٨) سورة المائدة، الآية ٤٨.

(٨٩) سورة الطلاق، الآية ٧.

لذي الكثير في كسب الرحمة على الكمال، فهذا كامل فيما مُكِّن منه إن فعل، والكل مأمورون بقوله: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾(٩٠).

وبهذا تفهم قوله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾(٩١). وإذا كان الكامل من كَمَّلَ نفسه بحسب ما أوتيه من رزق الله الظاهر والباطن فقد علمت كيف يكون ذو القليل من فضل الله وذُو(٩٢) الكثير [٥و] في درجة واحدة، ويكون كل واحد منهما خير البرية بعمل؛ لأنهما في العمل واحدٌ، عاملٌ وسعَه قائمٌ في درجة كماله الذي لم يكلفه الله إلا بحسب ما آتاه، فقد عاد الكامل واحدًا، وهو كثير، ومختلفًا فيما أوتيه من فضل ربه وهو واحد.

وهذه النكتة هي التي من أجلها تجد كل أحد راضيًا بِقَسْمِهِ من العقل؛ لأنه متمكن من الوصول به إلى درجة كماله، فافهم.

فإذا قام ذو اليسير بما في وسعه فله مثل ما لذي الكثير الذي قام بما في وسعه، وله أن يدَّعي ما يدعيه من أن له كل شيء في الدنيا والآخرة، وله من هاهنا التمكين الكامل من كلمة ﴿كُنْ﴾(٩٣) وله ما يشاء، وإن لم يظهر الآن للعِيان، فهو ظاهر محقَّق في الجَنان كظهوره في الجِنان، ومن ذلك ما أظهره الله على أيدي الأنبياء والأولياء

(٩٠) سورة الحديد، الآية ٧.

(٩١) سورة النساء، الآية ٦٩.

(٩٢) وذ: ت.

(٩٣) سورة البقرة، الآية ١١٧؛ سورة آل عمران، الآيتان ٤٧، ٥٩؛ سورة الأنعام، الآية ٧٣؛ سورة النحل، الآية ٤٠؛ سورة مريم، الآية ٣٥؛ سورة يس، الآية ٨٢؛ سورة غافر، الآية ٦٨.

وألسنتهم في الدنيا وجعله علامة على ما يشاءون في الأخرى، وبلحوظ معنوية هـذا الكمال وبروزه من الخليفة بالأعمال.

قال هذا الناظم جميع ما قال، وبفهم ما قلناه ينحل مما قالـه الإشكال، وعلى الله الاتكال.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ، رحمه الله، على لسان أهل المعرفة

التي سماها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، «نظم السلوك»

وكان الشيخ، رحمه الله، قد سماها «لوائح الجَنان وروائح الجِنان»

فرآه، عليه السلام، في المنام فقال له: سمِّها «نظم السلوك»

وهي هذه:

******

١ سَقَتْنِي حُمَيَّا الحُبِّ رَاحَةُ مُقْلَتِي   وَكَأْسِي مُحَيَّا مَنْ عَنِ الحُسْنِ جَلَّتِ

الحُمَيَّا(٩٤): اسم للخمر، وسميت بهذا الاسم من جهة الحرارة لكونها تُحَمِّي الجسم، فبالحرارة تكون الحياة، وبحرارة الحُبِّ تكون الحياة للأرواح، فالمتحرك حَيٌّ والحركة إلى النقص موت وإلى الكمال حياة وبقاء سرمدي. والمقلة: وسط الحدق، يشير بها إلى لب البصيرة. والكأس: لا يقال إلا على القدح المملوء خمرًا. والحُسْن: مناسبة في المَرْئِيِّ(٩٥) إذا قابلتها نسبة من الرَّائي جُذِبَتْ(٩٦) إلى أن سُلبت، وإنما أتت لأن مراده النفس لا بارئها؛ لأنها الخليفة الذي لا يظهر المستخلَف إلا به، ومحطه هاهنا «من عرف نفسه فقد عرف ربه»(٩٧). ولما كان عِرْفَانُ الرَّبِّ سبحانه وتعالى لا يتناهى لزم أن

---

(٩٤) الحَمَّا: ت.

(٩٥) المَراي: ت.

(٩٦) جُدِبَتْ: ت.

(٩٧) قول متداول عند الصوفية أحيانًا كحديث، وله أهمية كبرى في الفكر الصوفي، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

عِرْفَانَ النفسِ لا يتناهى، وبالعكس. ولما كان كُلُّ مُتَعَيِّنٍ منحصرًا في عينه والنفس تجل عن الحصر جلَّت عن الحسن الصوري الذي هو أولى بِالجَذْبِ[٩٨]، والمعنوي الذي هو أولى بالسلب، فهي من حيث كل مُتَعَيِّنٍ يُشْهَدُ تُشْهَدُ، ومن حيث جلالتها عن حصر كُلِّ مُتَعَيِّنٍ لا تُشهد، وكما أنها في وحدة ذاتها تجل عن أن تُشهد، فكذلك تجل عن أن تُجحد أجلَّ من الخبر، والمخبر لزم أن الله أجلُّ وأكبر؛ إذ كل مُخْبَرٍ عَيْنٌ وإليه تنتهي العقول، وما لا يُخْبَرُ عنه غَيْبٌ وفيه ابتدأ الرسول ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[٩٩]. فالناظم لَمَّا شاهد بالبصيرة الجمال المطلق المعنوي بما عاين بالبصر من الحسن المقيد الصوري قال بالحال في مقام الإجلال: [مجزوء الرمل]

كُلُّ مَا فِي الكَوْنِ كَأْسٌ مِنْ شُمُولِ الحُبِّ سَاقِي
فَإِذَا عَايَنْتُ جُزْءًا[١٠٠] مِنْهُ شَاهَدْتُ البَوَاقِي[١٠١]

٢ فَأَوْهَمْتُ صَحْبِي أَنَّ شُرْبَ شَرَابِهِمْ بِهِ سُرَّ سِرِّي فِي انْتِشَائِي بِنَظْرَتِي[١٠٢]

أراد أنه بنظرة واحدة حصلت له، تُشَوِّقُهُ لِتَحَقُّقِ[١٠٣] صحةِ نظرةِ المُحبِّ ونضارةِ جمالِ المحبوبِ وكمالِ جمالِ الجاذبِ وتمامِ استعدادِ المجذوبِ. وانضاف إلى ذلك

(٩٨) بِالجَذْبِ: ت.
(٩٩) سورة البقرة، الآيتان ٢ - ٣.
(١٠٠) جُزْأ: ت.
(١٠١) هذان البيتان لم نجدهما فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.
(١٠٢) ب ٢ - شُرْبَ شَرَابِهِمْ: جـ] شَرِبْتَ شَرَابَهُمْ: ت.
(١٠٣) التَّحَقُّق: ت.

إيجابُ ما ينبغي من الكتمان حتى كأن لم يكن ما كان، فاستخدم الـوَهْمَ لا ليحجبَ الخَلْقَ بل لِيَذُبَّ عن[١٠٤] الحقِّ، وهذا أول السلوك.

ومما يفهم من هذا البيت أنه كان مع الناس في أحوالهم ودنياهم التي هـم سُكَارىٰ بشرابها، وهو يرىٰ ما لا يرون ويشربُ ما لا يشربون مما يشربون؛ ولهذا قال بعده:

٣ وبِالحَدَقِ اسْتَغْنَيْتُ عَنْ قَدَحِي وَمِنْ شَمَائِلِهَا لاَ مِـنْ شَـمُولِيَ نَـشْوَتِي[١٠٥]

أشار إلىٰ نـشوته إنـما كانـت لرؤيـة [٥ظ] شيء مـن المحبـوب ظـاهرًا كالـشمائل، والحَدَقُ هاهنا تـستعمل للنـاظر والمنظـور فهـي مـن جهـة المنظـور موضـع الفـتن ومواضع المحن، وهي من الناظر أسباب الموت بالحب وأسباب الحياة بالحب كقول الذائق: [مجزوء الكامل]

تَرْنُـــو[١٠٦] فَتُخْطَـــفُ مُهْجَتِـــي وَأَرَى فَيَخْطَفُهَـــا البَـــصَرْ
فَتُمِيْتُنِـــــــــي بِنَـــــــوَاظِرٍ وَأَعُــــوْدُ أُحْيَـــا بِــــالنَّظَرْ[١٠٧]

والمخطوف المهجة، وكلانا خاطفان.

٤ وَفِي حَانِ سُكْرِي حَانَ شُكْرِي لِفِتْيَةٍ بِهِمْ تَمَّ لِي كَتْمُ الهَوَى مَعَ شُهْرَتِي[١٠٨]

---

(١٠٤) لِيَذُبَّ: ت. كلمة غير واضحة المعنىٰ، قد تكون قراءتها كما كتبنـا "لِيـذُبَّ عَـنْ.." بمعنـىٰ يَـدْفَع عـن أو يَحمِي.

(١٠٥) ب ٣- شَمائِلِهَا: جـ] شَمَائِلُهَا: ت.

(١٠٦) تَرْنُوا: ت.

(١٠٧) هذان البيتان لم نجدهما فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

(١٠٨) ب ٤- وَفِي: ت] فَفِي: جـ؛ كَتْمُ: ت] كَتْمِي: جـ.

حَانِ الأولى: حانة الخَمّار. والثانية بمعنى: بلغ حِينه، وشكر الفتية واجبٌ عليه، وإن لم يكن وصل ذلك من جهتهم إليه.

وبيانه: أن سكران الحُبِّ إذا كان بين سُكارى الشرب كان مع شهوته بحانهم في تمام كتمان حاله، وحالتهم مُعاينة الحُسْنِ المُقَيَّدِ، وحالته مشاهدة الجمال المطلق، ونشوتهما واحدة بائنة بالظاهر مبايَنة بالباطن. فلزمه شكرهم لأن استشهاده بهم تمامُ كتمانِ حاله ونقصَه بهم عينُ الكمال، فحانَ الشُّكْرُ في حَانِ السُّكْرِ وهو لا يزال كذلك مهما فيه بقايا من صحو، فإذا تم سكره لم ير غير الحب، وهو معنى قوله بعده:

٥ وَلَـمَّا انْقَضَى صَحْوِي تَقَاضَيْتُ وَصْلَهَا وَلَمْ يَغْشَنِي فِي بَسْطِهَا قَبْضُ خَشْيَتِي(١٠٩)

انقضى: انتقل جملة، ومعنى تقاضيت: طلبت قضاء دَين الوصل المستحق بحقيقة الحب، وبيَّن في البيت الذي قبله أنه مهما كان معه صحو يرى بـه إخوانـه لزمـه لهم شكر من لم يتم مقصوده إلا بهم وإن لم يقصدوا له ذلك، فكان هذا حكم سلوكه في ذلك الموطن، ثم نبَّه على أن السالك لا يجوز له أن يطلب الوصال إلا بعد أن يتم لـه من صحوه الانقضاء(١١٠)، وحينئذ لا يغشاه قَبْضُ خَشْيَةٍ لا من رقيب؛ لأنـه لا يـراه، ولا خشية صدودٍ من أحبه؛ لأنه لا يطلب إلا رضاه، ولهذا بعده:

٦ وَأَبْثَثْتُهَـا مَـا بِي وَلَمْ يَـكُ حَـاضِرِي رَقِيبٌ بَقَـا حَـظٍّ بِخَلْـوَةِ جَلْـوَةٍ(١١١)

---

(١٠٩) ب ٥ - خَشْيَتِي: ت] خَشْيَةٍ: جـ.

(١١٠) الانفصاد: ت، وهو تحريف، ولعل ما أثبتناه هو الصواب.

(١١١) ب ٦ - جَلْوَةٍ: جـ] جَلْوَتِ: ت.

البثُّ: إظهار ما اجتمع(١١٢) من الحب، فقسمه باللفظ مبثوثًا بين يدَي الحب.

والجلوة: من جلاء العروس، ونظم في سلك البيان:

[مجزوء الرجز]

جـــوهرة شريفــــةٌ   عنـــد أولي العرفـــان

وهي للإعلام بأنَّ الجوهرة لجلوة الواحدة من الحبِّ لا تَصِحُّ للمُحبِّ إلا على خلوة كاملة من حظوظه رافعة من حظيظه، ولو بَقِيَ من حظه ذرة كان حكمها حكم الرقيب المانع عن صلة المحب بالحبيب، ومن أراد سلوك سبيل التحقيق فليدقق نظره في التبري عن حظه أبلغ التدقيق، وإلا زاغ عن الطريق، أو ﴿تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(١١٣).

ثم بيَّن أنه لا يصح المقال إلا بعد شاهد الحال؛ ولهذا بعده:

٧ فَقُلْتُ وَحَالِي بِالصَّبَابَةِ شَاهِدٌ   وَوَجْدِي بِهَا مَاحِيَّ وَالفَقْدُ مُثْبِتِي(١١٤)

معنى ماحيّ أي: غلبت الصفة على الموصوف فلم يبق سوى وَصْفٍ فقط، وهو الوجد بها، ومن أن هذا الفقد بعينه هو الثبوت؛ إذ لا يتم له هذه الحياة بمولاه إلا بتمام موته عما سواه. فلما محا ذاته من سوى الحب كان فقده السوى مثبتًا له في مقام الحب، ولما كان سالك سبيل المحبة فيه بقايا من نفسه يجب تركها ولكنها كوامن فيه، وكان ظهور تلك الكوامن لا يتم إلا في أزمنة ذِكر بعض تلك الكوامن وهو طلب

---

(١١٢) في ت: زيد هنا "من كان"، ولا معنى لها في السياق.

(١١٣) سورة الحج، الآية ٣١.

(١١٤) ب٧- فَقُلْتُ: ت] وَقُلْتُ: جـ؛ وَالفَقْدُ مُثْبِتِي: جـ] وَالحُبُّ لِفَقْدِ مُثْبِتِي: ت.

نظرة متلفت؛ إشارة إلى أنه لا يجوز في مذهب السلوك تقييد المالك بالمملوك، فمهما كان للمحب طلب ولو نظرة متلفت كان واقفًا مع نفسه، فغايته نفسه، وكما أن الجسم الواحد لا يكون في خبرين كذلك النفس لا تقف في حالتين، فمن [٦و] وقف مع الحظِّ فاته الحق؛ ولهذا بيَّن ما قلنا بقوله فيما بعد «هَوَى غَيْرِي قَصَدْتَ»[١١٥]، وذلك جوابه لما بدا به بقوله المعرِب عن كامن حَظِّهِ:

٨ هَبِي قَبْلَ يُفْنِي الوَجْدُ مِنِّي بَقِيَّةً   أَرَاكِ بِهَا لِي نَظْرَةَ المُتَلَفِّتِ[١١٦]

النظرة: منصوبة لأنه مفعول هَبِي، ويريد بالمُتَلفِّتِ: سرعة الفهم، المتلفت لا يثبت نظره إلى الشيء كما يثبت نظر الرائي؛ فأشار إلى طلب أيسر ما يكون لا من النظر في حاله ولا إشفاقًا على فناء ما تبقَّى من الناظر بل حبًّا في المنظور، ولم يطلب سوى نظرة واحدة يسيرة الزمن لشهوده عِزَّةَ[١١٧] المطلوب وذِلَّةَ الطالب؛ فهو قانع باليسير؛ لأن قَدْرَهُ دون قَدْرِ تلك النظرة، وإن كانت بعينه، فكيف لو كانت بعين محبوبه؟!. ولما اعترف بمقداره وأنه دون هذا المطلوب بعينه نظرًا تعلق بما دونه لعله يكون بسمعه خيرًا، فقال:

٩ وَمُنِّي عَلَى سَمْعِي بِـ«لَنْ» إِنْ مَنَعْتِ أَنْ   أَرَاكِ فَمِنْ قَبْلِي لِغَيْرِيَ لَذَّتِ[١١٨]

(١١٥) انظر البيت رقم ٨٤ من الديوان ص ٧٥؛ ص ١٢٥ من الكتاب الذي بين أيدينا.

(١١٦) ب ٨ - الوَجْدُ: ت] الحُبُّ: جـ؛ نَظْرَةَ: جـ] نَظْرَتَ: ت.

(١١٧) عِزَّتَ: ت.

(١١٨) ب ٩ - لَذَّتِ: جـ] لَذَّتِي: ت.

ومُنِّي: من الامتنان، وهو العطية لا من طريق جزاءٍ لِمُسْتَحِقٍّ للعطية بل من طريق كرم المُعطي، ولما كانت لَذَّةُ المنعِ صلةً بين المانع والممنوع، قنع هذا بهذه اللذة، وأكد هذا الطلب بشكوىٰ حَالٍ يرق لها السامع فتكون تلك الرِّقَّةُ مضافةً إلى الأصل وهو الكرم، والشكوىٰ هي قوله:

١٠ فَعِنْدِي لِسُكْرِي فَاقَةٌ لِإِفَاقَةٍ ... لَهَا كَبِدِي لَوْلاَ الْهَوَى لَمْ تَفَتَّتِ

قوله: لسُكْري بمعنىٰ إلى سُكْري. والفَاقَةُ: الضرورة. واللام في الإفاقة بمعنىٰ: لأجل إفاقة. وتفتَّت بمعنىٰ المستقبل أي: تتفتت[119]. والإفاقة: هي اليسير من الإحساس. المشار إليه بالبقية من قبل.

والمعنىٰ: إنني أطلب كمال السكر وحالىٰ كَيْتَ وكَيْتَ، وهو قوله- بواو الحال-:

١١ وَلَوْ أَنَّ مَا بِي بِالْجِبَالِ وَكَانَ طُو ... رُ سِينَا بِهَا قَبْلَ التَّجَلِّي لَدُكَّتِ

ثم ذكر ما به:

١٢ هَوًى عَبْرَةٌ نَمَّتْ بِهِ [وَجَوًى نَمَتْ ... بِهِ][120] حُرَقٌ أَدْوَاؤُهَا بِيَ أَوْدَتِ

---

(١١٩) تفتت... تتفتت: ت، يشرح التلمساني الماضي تفتت بمعنىٰ المضارع تتفتت، وهذا موجود في اللغة مثل ما يرد في سورة القدر، الآية: ٤ (تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ) بمعنىٰ تتنزل الملائكة.

(١٢٠) هذه كلمات مهملة في نص المخطوطة الأصلي، فعوضناها كما ذكرنا من نص جـ ووضعناها بين معقوفتين [ ]، وهكذا في سائر القصيدة.

اهوىٰ: هو الفاعل المفتِّت المذكور قبلُ. والعَبْرَةُ: دمعةٌ تعبُرُ. ونَمَّتْ: أظْهَرَتْ. وجَوًى: دَاءٌ بَاطِنٌ. ونمَت: زادت به بسببه. وحُرَقٌ: جمع حُرقة؛ فالحُرَقُ بغيرنا كالإحراق بالنار. والأدواء: جمع داء.

بيان: الحب له حرارة لازمة بها تُفني عن المحب أحكام امتيازاته عن المحبوب؛ لتجرِّدَهُ ثم تُفَرِّدَهُ ثم تُوَحِّدَهُ بمحبوبه، وهذه الحرارة تارةً يكون معها رطوبة من ميل إلى رجاء وتارة يبوسة من ميل إلى يأس وِصَالٍ؛ فعن الرطوبة الدمع ظاهرًا، وعن اليبوسة الحرق باطنًا؛ فإذا كان السبب، وهو جمال المعشوق، لا يتناهىٰ بل يزيد فالمُسَبِّبُ كذلك؛ ولما كان طوفانُ نُوحٍ متناهيًا ونارُ الخليلِ كذلك شَبَّهَ بها لا يتناهىٰ ما يتناهىٰ ولم يعكس؛ فلهذا قال:

١٣ فَطُوفَانُ نُوحٍ عِنْدَ نَوْحِي كَأَدْمُعِي وَإِيْقَادُ نِيرَانِ الخَلِيلِ كَلَوْعَتِي

واللوعة: الحُرْقَةُ؛ فهو إذا نظر إلى المحبوب مال إلى الرجاء طمعًا، وإلى نفسه، من كونه خَلْقًا، مال إلى اليأس خوفًا؛ فلهذا بعده:

١٤ وَلَوْلاَ زَفِيرِي أَغْرَقَتْنِي أدْمُعِي وَلَوْلاَ دُمُوعِي أَحْرَقَتْنِيَ زَفْرَتِي(١٢١)

يريد أن كُلاًّ منهما بلغ الغاية، فلا يُغْلَبُ أَحَدُهُما لضَعْفِ الآخر، وإنما كان كذلك؛ لأن الحب في غاية الجمال؛ فالحب في غاية الكمال؛ فحاله هذا الحال:

١٥ وَحُزْنِيَ مَا يَعْقُوبُ بَثَّ أَقَلُّهُ وَكُلُّ بَلاَ أَيُّوبَ بَعْضُ بَلِيَّتِي

(١٢١) ب ١٤ - أدْمُعِي: ت] مَدَامِعِي: جـ.

كان ما بَثَّه يعقوبُ قليلاً بالنسبة إلى ما لم يبثّه، وما بَثَّه زال لَمَّا زال ما في قلبه بلقاء يوسف، وهذا العاشق يزيده الوصالُ غرامًا لزيادة الجمال، وكلَّما زاد الجمال زاد الغرام، وكلما زاد الغرام زاد الكشف عن ترقي الغرام الجمالَ في عين العاشق بحسب زيادة غرامه دائمًا، فعاد هذا العاشق في حُزْنٍ دَائِمٍ متوق. وإنما عبَّر بلفظ الحزن لأن ما يجده لا يُذهبه إلا الاتحاد، ولا سبيل إليه بالذات [٦٦ظ] وإن اتحد بالصفات على ما قرَّرناه في الخلاصة. وأما بلاءُ أيُّوبَ فكان بالجسم، وهذا بالنفس والجسم؛ فذلك بعضُ هذا:

١٦ وَآخِرُ مَا أَلْقَى الأُلَى عَشِقُوا إِلَى الـ(م) ـرَّدَى بَعْضُ مَا لاقَيْتُ أَوَّلَ مِحْنَتِي[١٢٢]

وأَوَّلَ: منصوبٌ على الظرف.

والمعنى: بعض ما لاقيت في أول محنتي هو آخر ما ألقى إلا في الذين عشقوا إلى الرَّدى، وقول: «أَوَّلَ مِحْنَتِي» أي أول ما امْتُحِنْتُ به من المَحَبَّة.

١٧ فَلَوْ سَمِعَتْ أُذْنُ الدَّلِيلِ تَأَوُّهِي لِآلاَمِ أَسْقَامٍ بِجِسْمِي أَضَرَّتِ

١٨ لَأَذْكَرَهُ كَرْبِي أَذَى عَيْشِ أَزْمَةٍ بِمُنْقَطِعِي رَكْبٍ إِذَا العِيسُ زُمَّتِ[١٢٣]

الأزمة: شدة حلَّت، وهذا المَثَلُ والمُمَثَّلُ لا يعرفه إلا من ذاقه.

والمعنى: إن حَالَهُ حَالَةُ مَنْ يَئِسَ عن الحياة لانقطاعه عن الرَّكْبِ، فتَأَوُّهُهُ بِقَدْرِ بَلِيَّتِهِ، فتلك البَلِيَّةُ الظاهرة تشبه هذه البَلِيَّةَ الباطنة، والواو للحال في قوله:

(١٢٢) ب ١٦ - الأُلى: جـ] الأُوَّلَى: ت.

(١٢٣) ب ١٨ - أَذَى: جـ] أذا: ت؛ زُمَّتِ: جـ] زَمَّتِ: ت.

١٩ وَقَـدْ بَـرَّحَ التَّـبْرِيحُ بِي وَأَبَـادَنِي وَأَبْدَى الضَّنَى مِنِّي خَفِيَّ حَقِيقَتِي[124]

المعنى: كما أُخْفِيَ البَادِي من الجسم أُبدِيَ الخَفِيُّ[125] من الوَجْد.

٢٠ فَنَادَمْتُ فِي سُكْرِ النُّحُولِ مُرَاقِبِي بِجُمْلَةِ أَسْرَارِي وَتَفْصِيلِ سِيرَتِي[126]

فنادمت: يريد المنادمة بالحديث. وسُكْرُ النُّحُول: غيبة عن الجسم كما يغيب العقل بالسُّكْرِ، قوله: «وَتَفْصِيلِ سِيرَتِي» يشير إلى ما ذكره عن نفسه في هذه القصيدة، فكانت المنادمةُ بالحال أفصحَ من المقال:

٢١ ظَهَرْتُ لَـهُ مَعْنًـى وَذَاتِي بِحَيْـثُ لاَ يَرَاهَا لِبَلْوَى مِنْ جَوَى الحُبِّ أَبْلَتِ[127]

أي: إن الرقيب شهد المعنى من الصورة ففهم بالحال كما يفهم بالمقال، وبيَّن ذلك بما سيأتي بعده، والذات: الصاحبة، وإليها ينسب المتكلم فيقول: بدي وعيني، والمراد هاهنا بالذات: الجسم الذي أخفاه السقام، واللام في «لبلوى» لام لأجل.

٢٢ فَأَبْـدَتْ وَلَمْ يَنْطِـقْ لِسَانِي لِـسَمْعِهِ هَوَاجِسُ نَفْسِي سِرَّ مَا عَنْهُ أَخْفَـتِ

ذاتي التي هي عبارة عن الجسم الذي لفرط السقام قد بَقِيَ كالذات للجسم. فأبدت، أي: لفهمه وقلبه، وهَوَاجِسُ فَاعِلٌ؛ أي: ما أخفت هَوَاجِسُ نفسي،

(١٢٤) ب ١٩ - الضَّنَى: جـ] الضنا: ت.
(١٢٥) أُخْفِيَ: ت، ويمكن قراءته ما أُخْفِيَ، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.
(١٢٦) ب ٢٠ - سُكْرِ: ت] شَكْوَى: جـ.
(١٢٧) ب ٢١ - مَعْنًى: ت] وَصْفًا: جـ.

والمعنى: إن الرقيب نادمه حالي الظاهر بالسقم فأبدى(١٢٨) له ما أخفته هواجسُ نفسي من غير أن ينطق لسمعه لساني، وكأنّ عَيْنَه صارت أذنًا يسمع بها فأغنته عن العين الباطنة التي يعاين بها حالي الباطنة، وهو معنى:

٢٣ فَظَلَّتْ لِفِكْرِي أُذْنُهُ خُلْدًا بِهَا يَدُورُ بِهِ عَنْ رُؤْيَةِ العَيْنِ أَغْنَتِ(١٢٩)

أُذْنُهُ التي هي العين الظاهرة منه، ولكنها لما أرته ما فهم به من حالي الباطنة ما أخفته عنه هواجس نفسي عاد حكْمُهَا، أعني: العين، حُكْمَ الأذن التي تدرك من وراء حجاب. والهَوَاجِسُ: أدنى الخواطر الخفية من الأفكار. وبها، أي: بأذنه. ويدور يعني: يحيط. وبه: بفكري. والعين يريد بها: العين الباطنة. والخُلْدُ: الإنصات بالقلب من أجل الإدراك. والخُلْدُ: فَأْرَةٌ لا عينان لها وهي تسمع وتنصت إنصاتًا يغني عن العين؛ فأذنها لها عين، وهذا عَيْنُه له أُذُنٌ باطنة أغنته عن عَيْنٍ باطنة؛ لصحة إدراكها من فصاحة حالي ظاهرًا ما حققه من حالي باطنًا، وهذا بعده:

٢٤ فَأَخْبَرَ مَنْ فِي الحَيِّ عَنِّي ظَاهِرًا بِبَاطِنِ أَمْرِي وَهْوَ مِنْ أَهْلِ خِبْرَةِ(١٣٠)

فأخبر الرقيب مَنْ في الحيِّ مِنْ بقية العشاق. والواو في «وهو» واو الحال؛ فهو من أهل الخِبرة الباطنة بما قال؛ فكان صدق المقال منه عَنِّي كصدق الحال الذي حققه مِنِّي:

---

(١٢٨) فَأَبْدَا: ت.

(١٢٩) ب ٢٣ – فَظَلَّتْ: ت] وَظَلَّتْ: جـ؛ أُذْنُهُ: جـ] أُذُنُهُ: ت.

(١٣٠) ب ٢٤ – خِبْرَةِ: جـ] خبرت: ت.

٢٥ كَـأَنَّ الكِـرَامَ الكَـاتِبِينَ تَنَزَّلُـوا عَلَى سَمْعِهِ وَحْيًا بِمَا فِي صَحِيفَتِي

يريد: سمع القلب؛ ولهذا قال: «وحيًا». فكما لا يفوت الكرام الكاتبين شيءٌ لم يفته من حالي شيءٌ.

٢٦ وَمَا كَانَ يَدْرِي مَا أُجِنُّ وَمَـا الَّـذِي حَشَايَ مِنَ السِّرِّ المَصُونِ أَكَنَّـتِ[١٣١]

٢٧ وَكَشْفُ حِجَابِ الجِسْمِ أَبْرَزَ سِرَّ مَا بِـهِ كَـانَ مَـسْتُورًا لَـهُ مِـنْ سَرِيـرَتِي

نَسَبَ الكشفَ إلى الجسم الذي هو الحجاب، فأضافه إليـه لفـرط تـصريحه بـما دَلَّ عليه.

٢٨ وَكُنْتُ بِسِرِّي عَنْهُ فِي خُفْيَةٍ [٧و] وَقَدْ خَفَتْـهُ لِـوَهْنٍ مِـنْ نُحُـولِيَ أَنَّتِـي[١٣٢]

عنه: عن الرقيب. في خُفية - بالضم -: سترة. والخِفَـاء - بالكسر -: مـا يُستر بـه كالغِطَاء، وهو قوله خَفَتْهُ: غطَّتْهُ. والوَهْنُ: الضعف. والأَنَّةُ: واحدة أنين.

٢٩ فَـأَظْهَرَنِي سُـقْمٌ بِـهِ كُنْـتُ خَافِيًـا لَهُ والهَـوَى يَـأْتِي بِكُـلِّ عَجِيبَتِـي[١٣٣]

لأن من العجيب أن يكون الظهور بما به كان الخفاء؛ في هذا المعنى: [البسيط]

---

(١٣١) ب ٢٦ - أُجِنُّ: جـ] أَجُنُّ: ت.

(١٣٢) ب ٢٨ - وكُنْتُ بسِرِّي عنه: ت] وَعَنْهُ بِسِرِّي كُنْتُ: جـ؛ خَفَتْهُ: ت] جَفَتْهُ: جـ.

(١٣٣) ب ٢٩ - عَجِيبَتِي: ت] غَرِيبَةٍ: جـ؛ والبيت المذكور أدناه (أَخْفَى هَوَاهُ...) لم نجده فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

أَخفى هَوَاهُ فَيُخْفِيْنِي الهَـوَى سَقَمًا وذُو الهَوَى كُلَّمَا أخْفَاهُ أَخْفَاهُ

ولكنّ هذا خَفِيَ بما ظَهَرَ، وَظَهَرَ بما خَفِي. وله: للرقيب.

٣٠ وَأَفْـرَطَ بِي ضُرٌّ تَلاَشَـتْ لِـمَسِّهِ أَحَادِيـثُ نَفْـسٍ كَالْمَدَامِعِ نَمَّـتِ

المعنى: لما كان الرقيب مُطَّلِعًا بما رآه من نحول ظاهري على هواجس فيما أجنّه باطني حدث لي إفراطٌ من الضُّرِّ الذي لا تُعْرِبُ عنه العبارات؛ فتلاشت لفرط مسه هواجسُ فكري التي نمَّت عليَّ إلى الرقيب كما تنمُّ المدامع بما أجنت الضمائر.

٣١ فَلَوْ هَمَّ مَكْـرُوهُ الـرَّدَى بِي لَمَا دَرَى مَكَانِي وَمِنْ إِخْفَاءِ حُبِّكِ خُفْيَتِي

هَمَّ: قصد بِهِمَّةٍ وعَزْمٍ، وبقية البيت هو معنى بيت الاستشهاد: «أَخْفَى هَوَاهُ».

٣٢ وَمَا بِيْنَ شَـوْقٍ وَاشْتِيَاقٍ فَنَيـتُ فِي تَـوَلٍّ بِحَظْـرٍ أَوْ تَجَـلٍّ بِحَـضْرَتِي[(١٣٤)]

الحَظْرُ: المَنْعُ. والحَضْرَةُ: من الحُضُورِ.

والمعنى: إن الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق يزيد بالاشتياق فناءً دائمًا في فناءٍ يزيد، فتارة في تولي المحبوب بالشوق وتارة في تجليه:

٣٣ فَلَـوْ لِفَنَـائِي مِـنْ فِنَائِـكَ رُدَّ لِي فُـؤَادِيَ لَمْ يَرْغَـبْ إِلَى دَارِ غُرْبَـةِ

---

(١٣٤) ب ٣٢- فَنَيتُ: ت] فَنِيتُ: جـ؛ بِحضرَتِي: ت] بِحَضْرَةِ: جـ.

إشفاقًا[١٣٥] عليَّ لأجل فنائي؛ لأن الفناء عاد وطارَده[١٣٦].

٣٤ وَعُنْـوَانُ شَـأْنِي مَـا أَبُثُّـكِ بَعْـضُهُ ... وَمَـا تَحْتَـهُ إِظْهَـارُهُ فَـوْقَ قُـدْرَتِي

[وعُنْوانُ][١٣٧]: من عُنْوَانِ الكتاب

٣٥ وَأَسْكُتُ عَجْـزًا عَـنْ أُمُـورٍ كَثِـيرَةٍ ... بِنُطْقِيَ لَنْ تُحْصَى وَلَوْ قُلْتُ قَلَّتِ[١٣٨]

أي: مهما قُلْتُهُ قَلَّتَ الأَشْيَاءِ المَقُولَةُ بالنسبة إلى ما عَجَزْتُ عن قولِهِ، أو ما يَنْحَصِرُ لا نسبة له إلى ما لا يَنْحَصِرُ.

٣٦ شِفَائِيَ أَشْفَى بَلْ قَضَى الوَجْدُ أَنْ قَضَى ... وَبَـرْدُ غَلِـيلِي وَاجِـدٌ حَـرَّ غُلَّتِـي

شِفَائي: صِحَّتِي. أَشْفَى، أي: بلغ الهلاك، قضى الأولى: حَكَم. والثانية: مات. والغَلِيلُ والغُلَّةُ: ما يُكَابَدُ من العَطَشِ.

والمعنى: إني أجد ما يبرِّد حُرقتي يزيدني احتراقًا. وشفا النهر: طرفه. وأحد طرفي المرض صحة، والآخر هلاك.

٣٧ وَبَـالِيَ أَبْـلَى مِـنْ ثِيَـابِ تَجَلُّـدِي ... بَلِ الذَّاتُ فِي الإِعْدَامِ نِيطَتْ بِلَـذَّتِي

(١٣٥) اسفاقا: ت.

(١٣٦) وطده: ت.

(١٣٧) إضافة لتوضيح المعنى.

(١٣٨) ب ٣٥- قَلَّتِ: جـ] قَلَّتِي: ت.

البالُ: رَخاءُ النفس وحال القلب. وأبلى: أفعل التفضيل من بَلِي الثوبُ إذا خَلِقَ. والتَّجَلُّدُ: التَّصَبُّرُ، من الجَلَدِ. ونِيطَتْ: عَلِقَتْ.

والمعنى: إن الحب لم يُبْقِ لي بالاً، بل تبلبل وبَلِيَ، وكذلك ذاتي، ويريد بها هاهنا الجسم والنفس المُدَبِّرة لا الروح، فذاتي تعلقها باللذة لا يكون إلا فناءها لبأسها من البقاء مع الصحة؛ فهي تلتذ بالفناء وتتعلق به إذا وقع من أجل خلاصها مما وقع بها من الغرام، وكلامه عن الأمَّارة؛ فلهذا كان جميع ما قاله حقًّا، وكذلك فافهم في مثل هذا.

٣٨ فَلَوْ كُوشِفَ العُوَّادُ بِي وَتَحَقَّقُوا مِنَ اللَّوْحِ مَا مِنِّي الصَّبَابَةُ أَبْقَتِ

إشارة إلى فرط الكتمان وغاية النحول، الذي لا يُعْلَم إلا من اللوح الذي لم يكن فيه مكتوبًا، الذي لا يتطرق إليه الباطل.

٣٩ لَمَا شَاهَدَتْ مِنِّي بَصَائِرُهُمْ سِوَى تَخَلُّلِ رُوحٍ بَيْنَ أَثْوَابِ مَيِّتِ

الجسم: ثوب، والنفس عُدمت صفاتها فماتت وعادت روحًا تتخلل خلال الجسم، ولما كان هذا الحال لا يُشهد بالأبصار ذكر البصائر.

٤٠ ومُنْذُ عَفَا رَسْمِي وَهِمْتُ وَهِمْتُ فِي وُجُودِي فَلَمْ يَظْفَرْ بِكَوْنِي فِكْرَتِي[١٣٩]

ومُنْذُ: ومنذ لابتداء الزمان. عَفَا[١٤٠]: درس، يتعدَّى ولا يتعدى. رسمي: أثري.

---

(١٣٩) ب ٤٠ - عَفَا: جـ] عَفَى: ت؛ يَظْفَرْ: ت] تَظْفَرْ: جـ.

(١٤٠) عَفَى: ت.

وَهِمْتُ: من الهيام، وهو في الأصل داء يأخذ الإبل من العطش فَشُبِّهَ بالجنون فهو كالهُيام العارض عن عطش إلى لقاء المحبوب. وَهِمْتُ الثانية: غلطت وسهوت، هل أنا موجود أو معدوم، فلم أجد فكرتي تظفر لي بكون، وصورة الحق في ذلك أن من فني بنفسه وبَقِيَ بربه لم يَبْقَ له كَوْنٌ يميزه عن محبوبه.

٤١ [٧ظ] وَبَعْدُ فَحَالِي فِيكِ قَامَتْ بِنَفْسِهَا ... وَبَيِّنَتِــي فِي سَــبْقِ رُوحِــيَ بِنْيَتِــي

سُميت الشهادةُ بَيِّنَةً لأنها موضِّحة للأمر المخفي. والقائم بالشيء بنفسه: مستقل به لا يحتاج إلى من يقيمه؛ فبرهانه ظهوره للعقول. وفناء جسم المحب بالأسقام دليل على سبق روحه إلى فناء نفسه في مراد محبوبه.

٤٢ وَلَمْ أَحْـكِ فِي حُبِّيْـكِ حَـالِي تَبَرُّمًـا ... بِهَا لِاضْطِرَابٍ بَلْ لِتَنْفِيسِ كُرْبَـةِ(١٤١)

التَّبَرُّمُ: المَلَلُ والسَّآمة، وأصلها من بَرْمِ الحَبْلِ، وهو شِدَّةُ فَتْلِهِ. والاضْطِرَابُ: هو التَّقَلْقُلُ، والتَّقَدُّمُ والتَّأَخُّرُ. ويريد بقوله: كُرْبَةِ، أي: واحدة من الكُرَبِ في وقت ما هو.

٤٣ وَيَحْسُنُ إِظْهَـارُ التَّجَلُّـدِ لِلْعِـدَى ... وَيَقْبُحُ غَـيْرُ العَجْـزِ عِنْـدَ الأَحِبَّـةِ(١٤٢)

٤٤ وَيَمْنَعُنِي شَـكْوَايَ حُـسْنُ تَجَلُّـدِي ... وَإِنْ أَشْكُ مَا بِي لِلْأَعَادِي أَشْكَتِ(١٤٣)

---

(١٤١) ب ٤٢ - كُرْبَةِ: ت] كُرْبَتِي: جـ.
(١٤٢) ب ٤٣ - الأَحِبَّةِ: جـ] الأحبتي: ت.
(١٤٣) ب ٤٤ - حُسْنُ تَجَلُّدِي وَإِنْ أَشْكُ: ت] حُسْنُ تَصَبُّرِي وَلَوْ أَشْكُ: جـ؛ أَشْكَتِ: ت] لَأَشْكَتِ: جـ.

أَشْكَتْ: أزَالَتِ الشكوى، وأصله فَتْحُ الشَّكْوَةِ وإظْهَارُ ما فيها، وهي السّقَاء الصغير، شكونا إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حَرَّ الرَّمْضَاءِ فلم يَشْكُنَا، أي: لم يَأْمُرْنَا بما يزيل شكوانا.

والمعنى: إن الأعادي تَرِقُّ لي وتَرْثِي وتجتهد في إزالة ما عنه كانت مني الشكاية لِعِظَمِهِ.

٤٥ وَعُقْبَى اِصْطِبَارِي فِي هَوَاكِ حَمِيدَةٌ عَلَيْكِ وَلَكِنْ عَنْكِ غَيْرُ حَمِيدَةِ(١٤٤)

٤٦ وَكُلُّ أَذًى فِي الحُبِّ عَنْكِ إِذَا بَدَا جَعَلْتُ لَهُ شُكْرِي مَكَانَ شَكِيَّتِي(١٤٥)

٤٧ وَمَا حَلَّ بِي مِنْ مِحْنَةٍ فَهْيَ مِنْحَةٌ وَقَدْ سَلِمَتْ مِنْ حَلِّ عَقْدِ عَزِيمَتِي(١٤٦)

المعنى: مِنْ حَلِّ عَقْدٍ عَقَدْتُه على نفسي في الحب أولا، وبهذه البداية تعود المِحَنُ مِنَحًا في النهاية.

٤٨ نَعَمْ وَتَبَارِيحُ الصَّبَابَةِ إِنْ عَدَتْ عَلَيَّ مِنَ النَّعْمَاءِ فِي الحُبِّ عُدَّتِ(١٤٧)

عَدَتْ: من العدوان.

٤٩ وَمِنْكِ شَقَائِي بَلْ بَلائِي مِنَّةٌ وَفِيْكِ لِبَاسُ البُؤْسِ أَسْبَغُ نِعْمَةِ(١٤٨)

---

(١٤٤) ب ٤٥ - وَعُقْبَى: جـ] وَعُقْبَ: ت؛ هَوَاكِ: جـ] هَوَاكَ: ت؛ حَمِيدَةِ: جـ] حَمِيدَتِي: ت.

(١٤٥) ب ٤٦ - عَنْكِ: ت] مِنْكِ: جـ.

(١٤٦) ب ٤٧ - وَقَدْ: ت] إِذًا: جـ.

(١٤٧) ب ٤٨ - إِنْ: ت] إِذْ: جـ.

(١٤٨) ب ٤٩ - مِنَّةٌ: جـ] مِنَّةً: ت؛ لِبَاسُ البُؤْسِ: ت] لِبَاسِي البُؤْسَ: جـ.

لباسي، أي: المحيط بي.

٥٠ أَرَانِيَ مَا أُولِيتُهُ خَيْرَ قِنْيَةٍ قَدِيمُ وَلاَئِي فِيكِ مِنْ شَرِّ فِتْيَةٍ[١٤٩]

القِنْيَةُ: أصلها المال، واستُعْمِل في كل ما يُقْتَنَى، أي: يُمْلَكُ، لا ليخرج، بل ليبقى.

والمعنى: إن قديم حبي وولائي أراني فيكِ ما أُوليتُهُ من شَرِّ فِتْيَةٍ، ويشير إلى اللاحي والواشي:

٥١ فَلاَحٍ وَوَاشٍ ذَاكَ يَهْدِي لِغِرَّةٍ ضَلاَلاً وَذَا بِي ظَلَّ يَهْذِي لِغِيْرَةٍ[١٥٠]

يَهْدي بالفتح والضم معًا، واللام في لِغِرَّةٍ لام لأجل أَوْلى. واللاحي: العاذل، وأصله من لَحَوْتُ العَصَا إذا قَشَرْت لِحَاهَا وهو قِشْرُهَا، واستعار اللائح، بمعنى أنه يَقْشِرُ، وَصْفًا يعتقد أنه مذموم في المحب. والواشي: من الوَشْي، وشيت الشيء، أي: جعلت فيه أثرًا يُخالف معظم لونه، واستعمل في الكلام إذا قبَّح في المحب عندكم لمحبوب وصفًا وضعه على المحب مما ليس فيه، فاللاحي يهدي بجهله بالمحبوب إلى ضلال، والواشي يهدي بكذبه على المحب عند المحبوب غَيْرَةً على المحبوب بزعمه.

٥٢ أُخَالِفُ ذَا فِي لَوْمِهِ عَنْ تُقًى كَمَا أُخَالِفُ ذَا فِي لُؤْمِهِ عَنْ تَقِيَّةِ

---

(١٤٩) ب ٥٠- قِنْيَةٍ: ت] فِتْنَةٍ: جـ.

(١٥٠) ب ٥١- يَهْذِي: جـ] يَهْدِي: ت؛ لِغَيْرَةٍ جـ] لِغَيْرَتِ: ت.

معنىٰ عن تقىٰ، أي: تُقَىٰ مـن أخـاف أن أشرك لمحبوبي أو أرجـع عنـه. واللـؤم: البخل. والتَّقِيَّةُ: حذر النشر. ونـسب الـواشي إلىٰ البخـل لأن البخـل يغطـي جميـع المحاسن. كما أن الكرم يغطي جميع العيوب؛ فكان عيب هـذا الـواشي عنـد المحب عيب البخيل الذي لا يُبْقِي بُخْلُه له وَصْفًا حَسَنًا إلا غطاه قُبْحُ البخل؛ فلهذا يخالفـه علىٰ ما يريد لعله يرجع عما يشي به فيه عند المحبوب أو لعله أن لا يزيد.

وهذا البيت وأمثاله إنما يأتي به الناظم تعليمًا للناسك بحيث لا تغيره الأحـوال ولا يقف مع القيل والقال؛ لأن الحب يقضي علىٰ المحب بالثبات وبَذْلِ الجهـد في اقتنـاء أحسن الصفات، وأن يدوم علىٰ ذلك ما دامت له الحياة؛ ولهذا بعده:

٥٣ وَمَا رَدَّ وَجْهِي عَنْ سَبِيلِكِ هَـوْلُ مَـا ... لَقِيتُ [٨و] وَلاَ ضَرَّاءُ فِي الْحُبِّ مَسَّتِ[١٥١]

٥٤ وَلاَ حِلْمَ لِي فِي حَمْـلِ مَـا فِيكِ نَـالَنِي ... يُـؤَدِّي لِـحَمْدِي أَوْ لِـمَدْحِ مَـوَدَّتِي

٥٥ قَضَى حُسْنُكِ الدَّاعِي إِلَيْكِ احْتِمَالَ مَا ... قَصَصْتُ وَأَقْصَى بُعْدَ مَا بَعْدَ قِصَّتِي[١٥٢]

أَقْصَىٰ: أَبْعَدَ، أو أفعل التفضيل.

٥٦ وَمَـا هُـوَ إِلاَّ أَنْ ظَهَـرْتِ لِنَـاظِرِي ... بِأَكْمَلِ أَوْصَافٍ عَلَى الْحُسْنِ أَرْبَـتِ

الناظر: ما يُنْظَر به من بصر أو بصيرة، وهي المراد، ظهر له كمال النفس علـمًا فـأراد الاتحاد بها حقيقة، وليس إلا بنفي صفاته وصقال مرآته إلىٰ أن يصل إلىٰ حقيقة ذاتـه،

---

(١٥١) ب ٥٣ - فِي الْحُبِّ: ت] فِي ذَاكَ: جـ.

(١٥٢) ب ٥٥ - قِصَّتِي: ت] قِصَّةِ: جـ.

وحينئذ يظهر جمال المبدع في ظل مبدعاته فتغلب الصفات الحَقِّيَّة إلى أن تذهب الصفات الخُلُقِيَّة؛ فيذهب بذهابها رؤية متعلقاتها وهي الأضداد، وذلك لما يلزم عن الاتحاد الذي هو نهاية المراد؛ فتنقطع الشكوىٰ وتجلو البلوىٰ كما قال:

٥٧ فَحَلَّيْتِ لِي البَلْوَى فَخَلَّيْتُ بَيْنَهَا ... وَبَيْنِي فَكَانَتْ مِنْكِ أَجْمَلَ حِلْيَتِي(١٥٣)

فَحَلَّيْتِ: من الحلاوة. فَخَلَّيْتِ: تركت في خلاء. وحِلْيَةٌ: من الحلي. ثم ذكر الشرط اللازم لمن يتحرش بالجمال فكيف إذا طمع بالوصال، وذلك كله دون الاتصال الذي لا يَتِمُّ إلا بتمام الانفصال؛ فلهذا قال:

٥٨ وَمَنْ يَتَحَرَّشْ بِالجَمَالِ إِلَى الرَّدَى ... أَرَى نَفْسَهُ مِنْ أَنْفَسِ العَيْشِ رُدَّتِ

٥٩ وَنَفْسٌ تَرَى فِي الحُبِّ أَنْ لاَ تَرَى عَنًا ... مَتَى مَا تَصَدَّتْ لِلصَّبَابَةِ صُدَّتِ

قوله: في الحب: الحب صلة توحد بالمحبوب مُحِبَّه من جهة نفي الثنوية في الإرادة؛ فتعود الإرادة واحدة وليس إلا إرادة المحبوب؛ فلزم انتفاء إرادة المحب من جهة نفسه مع بقائها من جهة محبوبه فقط؛ فهذا أول السلوك، وأما تمامه فهو بانتفاء كل صفة تميز المُحِبَّ عن صفات المحبوب، فإن الضدين لا يجتمعان في محل واحد؛ فمن لم يفنه الحُبُّ صَدَّه الحِبُّ.

٦٠ وَمَا ظَفِرَتْ بِالوُدِّ رُوحٌ مُرَاحَةٌ ... وَلاَ بِالوَلاَ نَفْسٌ صَفَا العَيْشِ وَدَّتِ

---

(١٥٣) ب ٥٧ - حِلْيَتِي: ت] حِلْيَة: جـ.

المعنى: وما ظفرت بالود من جهة المحبوب، ولا بالولاء من جهة المحب، أي: لا تصح عليه هذه الصفة وهو يعمل على راحة روحه أو صفاء عيشه.

٦١ وَأَيْنَ الصَّفَا هَيْهَاتَ مِنْ عَيْشِ عَاشِقٍ وَجَنَّةُ عَدْنٍ بِالْمَكَارِهِ حُفَّتِ

ثم أوضح للسالك ما ينبغي أن يكون عليه من صدق المحب والثبات بعد الصبر على ما تقدم في مدة الحياة، فقال - بواو الحال -:

٦٢ وَلِي نَفْسُ حُرٍّ لَوْ بَذَلْتُ لَهَا عَلَى تَسَلِّيكِ مَا فَوْقَ الْمُنَى مَا تَسَلَّتِ(١٥٤)

أي: ما تسلت بشيء عنك، ولو كان الشيء مُنَى(١٥٥) كل مُتَمَنٍّ سواك، وفي ضد المنى:

٦٣ وَلَوْ أُبْعِدَتْ بِالصَّدِّ وَالْهَجْرِ وَالقِلَى وَقَطْعِ الرَّجَا عَنْ خُلَّتِي مَا تَخَلَّتِ(١٥٦)

الخُلَّة: المودة المتخللة في خلال النفس.

٦٤ وَعَنْ مَذْهَبِي فِي الْحُبِّ مَا لِيَ مَذْهَبٌ وَإِنْ مِلْتُ يَوْمًا عَنْهُ فَارَقْتُ مِلَّتِي

المَذْهَبُ: الطريقة، وسميت بذلك لأن سالكها ذهب من سواها بمعنى عدم. وقوله: فَارَقْتُ مِلَّتِي، أي: فأكون مرتدًا عن الإيمان إلى الكفر، والمراد: ملة إبراهيم

(١٥٤) ب٦٢ - المُنى: جـ] المُنَا: ت.

(١٥٥) مُنَا: ت.

(١٥٦) ب ٦٣ - القِلَى: جـ] القلا: ت؛ تَخَلَّتِ: جـ] تَخَلَّتي: ت.

الذي أُلقِيَ في النار ولم يُشْرِك، وقوله: فَارَقْتُ مِلَّتِي يفهم منه الإخبار عن نفسه لو فعل، والدعاء على نفسه إن فعل، ولهذا بعده:

٦٥ وَلَـوْ خَطَـرَتْ لِي فِي سِـوَاكِ إِرَادَةٌ عَلَى خَاطِرِي سَهْوًا قَـضَيْتُ بِـرِدَّتِي

وهذا صحيح؛ لأن ذلك الخاطر وإن كان سهوًا فهو دالٌّ على بقية عنها، نشأ الخاطر مضافًا إلى أن السهو ردة؛ فهو في ذلك الحين مرتد إلى سهو عن حضور يلزم عن صدق الحُبِّ وميل إلى سوى الحِبِّ، ولما كانت صحة السلوك تحكّم المالك على المملوك قال بعد ذلك:

٦٦ لَكِ الحُكْمُ فِي أَمْرِي فَمَا شِئْتِ فَاصْنَعِي فَلَمْ تَكُ إِلاَّ فِيـكِ لاَ عَنْـكِ رَغْبَتِي

ثم أقسم بأنه نبا أو لها[١٥٧].

٦٧ وَمُحْكَـمِ حُـبٍّ لَمْ يُخَـامِرْهُ بَيْنَنَـا تَخَيُّـلُ نَـسْخٍ وَهْـوَ خَـيْرُ أَلِيَّتِـي[١٥٨]

أي: في الدنيا؛ ولهذا بعده:

٦٨ وَأَخْذِكِ مِيثَاقَ الـوَلاَ حَيْـثُ لَمْ أَبِـنْ بِمَظْهَرِ لَبْسِ النَّفْسِ فِي فَيْءِ طِينَـةِ[١٥٩]

(١٥٧) كذا في ت: احتماله "نبأ أوله" نسبة لما يأتي فيما بعد.

(١٥٨) ب ٦٧ - أَلِيَّتِي: ت] أَلِيَّةِ: جـ.

(١٥٩) ب ٦٨ - حَيْثُ: ت] حِينَ: جـ؛ طِينَةِ: ت] طِينَتِي: جـ.

تقديره [٨ظ]: وحتى أخذك الميثاق بالولاء لكِ وأنا في ظل طينتي من آدم؛ حيث لم أظهر بمظهر اختفاء النفس به، وهذا صحيح، كان العالم بجملته وتفصيل ذراته في كل آن لم يزل معلومًا فيه، فالميثاق الذي أخذ الله من النبيين كان موجودًا(١٦٠) في الأزل، وكل ميثاق من نبي لقومِهِ أو شيخ لمُرِيدِه أو حِبٍّ لمُحب في الله لا شك هو في ضمن ذلك الميثاق. وهو معنى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾(١٦١)، فإذا أخذ الرسول ميثاقًا من الأمة كأن الله هو الآخذ، وكأن ما كان في الحدث هو الذي لم يزل في القدم؛ لأن الذات العلية علمها ما فارقها، ومعلومها ما غاب عنها، فالمعلوم وإن كان تحت الزمان من حيث ذلك المعلوم فهو فوق الزمان من حيث العالم فلا قبل ولا بعد إلا تحت الزمان؛ فهو مع آدم ومحمد- عليهما السلام- في زمن واحد؛ ولهذا ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾(١٦٢). ومن هاهنا ذكر الناظم سابقَ العهدِ وأضافه إليها، ولاحقَ العقدِ وأضافه إليه، فقال:

٦٩ وَسَابِقِ عَهْدٍ لَمْ يَحُلْ مُذْ عَهِدْتُهُ ... وَلَاحِقِ عَقْدٍ لَمْ يُحَلَّ بِفَتْرَةِ(١٦٣)

فلولا اللاحقُ لما سُمِّيَ السابقُ سابقًا.

---

(١٦٠) ماجودا: ت.

(١٦١) سورة النساء، الآية ٨٠.

(١٦٢) سورة الحديد، الآية ٣.

(١٦٣) ب ٦٩ - عَهِدْتُهُ: ت] عَهِدْتِهِ: جـ؛ لم يُحَلَّ (في ت: يَحُلْ) بفَتْرَةِ: ت] جَلَّ عَنْ حَلِّ فَتْرَةِ: جـ.

والمعنى: إن اللاحقَ مِنِّي تَابعٌ للسابق مِنْكِ، بل هو هو عند من يعلـم؛ إذ الـزمن في حق من هو الأول والآخر لا يعتبر بوجه. فافهم، وهذا لا يعطي قِدَمَ العالم بـل قِـدَمَ العِلْمِ بالعالم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾(١٦٤).

٧٠ وَمَطْلِـعِ أَنْـوَارٍ لِطَلْعَتِـكِ الَّتِـي لِبَهْجَتِهَا كُلُّ البُدُورِ اسْتَسَرَّتِ(١٦٥)

اسْتَسَرَّتِ: من سرار البدر وهو اختفاؤه بعد محاقه في آخر الشهر، ولا شك أن نُـورَ الشمس يستهلك نُورَ السِّرَاج.

٧١ وَوَصْفِ كَمَالٍ فِيكِ أَحْسَنُ صُـورَةٍ وَأَقْوَمُهَـا فِي الخَلْـقِ مِنْـهُ اسْـتَمَدَّتِ

لما كان من لوازم الطبيعة أن تكمل الصورة الباطنة، وإلا فما فضل عنها كملت بـه الصورة الظاهرة، كان الكمال الصوري دالاًّ على الكـمال المعنـوي، فمـن شـاهدها بالصور واقتص الأثر رأى بالعيان ما لم يره بـالخبر، وبالواجـب أن يكـون مجمـوع الحسن والجمال مستمدًّا من الكمال؛ ولهذا قَدَّمَ وصـف الكـمال منهـا معنـى وجعـل استمداد الحسن منه صورة، وذكر أقوم الصور ليلزم استمداد الأقل كما لزم استمداد الأكثر. وهذا الجمال الذي ظهر مُسْتَمَدٌّ من الكمال الذي بَهَـرَ، وكلاهمـا مخلـوق والله أجل وأكبر، ثم ذكر مثل ذلك فقال:

٧٢ وَنَعْتِ جَـلَالٍ مِنْـكِ يَعْـذُبُ دُونَـهُ عَـذَابِي وَتَحْلُـو عِنْـدَهُ لِيَ قَتْلَتِـي(١٦٦)

---

(١٦٤) سورة الملك، الآية ١٤.

(١٦٥) ب ٧٠- لِطَلْعَتِكِ: ت] بِطَلْعَتِكِ: جـ.

(١٦٦) ب ٧٢- وَنَعْتِ: جـ] ونَعْتُ: ت؛ وَتَحْلُو: جـ] وَتَحْلُوا: ت؛ قَتْلَتِي: ت] قِتْلَتِي: جـ.

النَّعْتُ: صفة لازمة، والوصف قد يكون لازمًا وقد لا، ولما ذكر الجلال ذكر معه العذاب والقتل، وبدأ بذكر الجمال؛ إذ فيه الجلال والجمال؛ ولهذا قال:

٧٣ وَسِرِّ جَمَالٍ عَنْكِ كُلُّ مَلاَحَةٍ ... بِهِ ظَهَرَتْ فِي العَالَمِينَ وَتَمَّتِ

ولم ينسب الجمال إليها، بل سِرُّ[١٦٧] الجمال ظهرت به كُلُّ ملاحةٍ عنها.

٧٤ وَحُسْنٍ بِهِ تُسْبَى النُّهَى دَلَّنِي عَلَى ... هَوًى حَسُنَتْ فِيهِ لِعِزِّكِ ذِلَّتِي

النُّهَى: اسم للعقل؛ لأنه يَنْهَى عن المخالفة ويُوَصِّلُ إلى نهاية المرام، وجعل الحُسْنَ هاهنا كالاستعارة للتفهيم والمثل من حيث الناظر؛ ولهذا بعده:

٧٥ وَمَعْنًى وَرَاءَ الحُسْنِ فِيكِ شَهِدْتُهُ ... بِهِ دَقَّ عَنْ إِدْرَاكِ عَيْنِ بَصِيرَتِي[١٦٨]

فقوله: وَرَاءَ الحُسْنِ، أي: لا يدرك ببصر ولا ببصيرة، بل به، كالنور الذي لا يشهد إلا به، وبه يشهد سواه.

٧٦ لأَنْتِ مُنَى قَلْبِي وَغَايَةُ مَقْصِدِي ... وَأَنْهَى مُرَادِي وَاخْتِيَارِي وَخِيرَتِي[١٦٩]

هذا البيت جواب القسم من أوله إلى هاهنا وقوله: وَأَنْهَى، أي: إن مرادي واختياري وخيرتي إليك انتهى. فإن قيل: كيف يصح هذا القسم والكلام عن نفسه

---

(١٦٧) سُرَّ: ت.

(١٦٨) ب ٧٥- بَصِيرَتِي: جـ] بَصِيرَتِ: ت.

(١٦٩) ب ٧٦- مَقْصِدي (في ت: مَقْصَدِي): ت] مَطْلَبِي: جـ؛ وَأَنْهَى: ت] وَأَقْصَى: جـ.

إنما يصح إذا كان كلامه عن ربه؟ فالجواب: إن فهم هذا هو عين التصوف الخص لأهله، وهو عين الشريعة.

وبيانه: إن سجود إبليس لغير الله بأمر الله هو السجود لله؛ فمحبة العبد لنفسه بأمر الله محبة الله، ولما كان الله غنيًا عن محبة العبد له، وقد مدح المحب وأحبه، كانت محبته لله محبة لنفسه لأن محبة الله من أكبر الأعمال الصالحة و ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾(١٧٠) فذكر الأصل وهذا صحيح في العقل.

ووجه ثانٍ: وهو أننا إذا نظرنا إلى الخوف ممن ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(١٧١) رأيناه أنه لا [٩و] يكون منه الضُّرُّ إلا جزاء؛ فينبغي أن لا نخاف إلا من أنفسنا، وإذا نظرنا إلى النفع ورأينا ما جاء به الوعد من الجنات والنعيم والنظر إليه سبحانه مشروطًا بالعمل فقد صار النفع لا يكون إلا من جهة أنفسنا فقد لزم محبتها كما لزم الخوف منها، والله تعالى إنما هدانا إلى الأعمال التي بها يَحْصُلُ الرَّجَاءُ ونأمن الخوفَ، ولو فرضنا عدم ذواتنا لعدم الرجاء والخوف فنحن إذا أحببناه أحببناه من أجل أنفسنا، وفي مثل ذلك:

[الوافر]

أُرِيدُ وِصَالَهُ وَيُرِيدُ صَدِّي ... فَأَعْشَقُ مَا يُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ
فَعَيْنُ مُرَادِهِ مِنِّي مُرَادِي ... وَعَيْنُ وِصَالِهِ ذَاكَ الصُّدُودُ

---

(١٧٠) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(١٧١) سورة النساء، الآية ٤٠.

فنحن في الحقيقة ما أحببنا ما يريد إلا لما نريد، ولما كان ما يجب أن نريده خفيًا عنا مشتبهًا علينا دلنا عليه؛ فنحن إذا فعلناه حصل لنا مرادنا منا، وما يجب علينا لنا منا؛ فقد لزمت محبتنا لنا أن فعلنا ما به أُمِرْنَا، وإلى هذه الرتبة ذهب الناظم هاهنا.

والوجه الثالث أن السالك متنقل من مرتبة إلى مرتبة فوقها، فهذه المرتبة يلزم عنها أن تكون النفس هي المحبوبة والغاية المطلوبة. ومن هاهنا قيل انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بنفوسهم، فهي الظافرة المظفورة، فأما إذا انتقل عن رتبة المحبة مترقيًا فله حكم آخر، وسوف يذكره الناظم فيما سيأتي؛ فلا يصح اسم المحب له، ولا تقع المحبة عليه، فالأمر هنالك كما تضمنته أبيات لمن رُقِّيَ إلى تلك الرتبة، وهي:

[الكامل]

عَقِلَتْ لَكَ العُقَلاءُ عَنْكَ عُقُولَهَا ... بَعَثَتْ إِلَيْهَا مِنْكَ فَهِيَ رَسُولُهَا
وَتَحَقَّقَتْ مِنْهَا القُصُورُ فَأَصْبَحَتْ ... وَقُصُورُهَا عَمَّا تَرُومُ دَلِيلُهَا
وَمَتَى رَأَتْكَ لَهَا رَأَتْ، فَوُصُولُهَا ... عَيْنُ الحِجَابِ وَفِي الحِجَابِ وُصُولُهَا
مِنْ أَيْنَ لِي أَنِّي أُحِبُّكَ، هَذِهِ ... واللهِ دَعْوَى لاَ يَصِحُّ دَلِيلُهَا
أَنْتَ العَلِيُّ بِذَاتِهِ عَنْ كُلِّ مَا ... حَوَتِ العِبَارَةُ أَوْ أَشَارَ مَقُولُهَا(١٧٢)

وبعد هذه الرتبة رُتَبٌ سيذكرها الناظم وسنُبينها إن شاء الله تعالى في مواضعها.

وهنا نكتة أخرى وهي أن المُحِبَّ يَذْكُرُ عن نفسه مثل هذه الأوصاف المذكورة ويكون غالطًا؛ فنبه الناظم بهذا النظم مثل هذا الغالط، وقد يكون صادقًا من جهة

(١٧٢) هذه الأبيات لم نجدها فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

الحُب ولكنه غالط من جهة الحِب كما سيأتي في قوله؛ فقال: «هَوىٰ غَيْرِي قَصَدْتِ».
ولتعد إلىٰ شرح تمام الدعوىٰ بقوله:

٧٧ خَلَعْتُ عِذَارِي وَاعْتِذَارِيَ لاَبِسَ الـ ـخَلاَعَةِ مَسْرُورًا بِخَلْعِي وَخِلْعَتِي

أي: لا اعتذر لم يَبْدُو[١٧٣] مني من خلع العذار لأني لا أجد ذلك من العار، بل أنا مسرور بخلعي وخلعتي التي هي منك.

٧٨ وَخَلْعُ عِذَارِي فِيكِ فَرْضِي وَإِنْ أَبَى اقْـ ـتِرَابِيَ قَوْمِي وَالخَلاَعَةُ سُنَّتِي[١٧٤]

معنىٰ قوله: فَرْضِي، أي: حسنك فَرْضٌ، وقضىٰ عليَّ لولا طاعة لعقل في شرع حب.

وهذه النكتة هي الكل فافهمها، والمراد بالخلع: الانخلاع عن العوائد وأحكام الغيرية؛ إذ حكم غَيْرَةِ الحب تقضي بذلك على المحب، والواو في «والخلاعة» واو الحال؛ ولهذا بعده:

٧٩ وَلَيْسُوا بِقَوْمِي مَا اسْتَعَابُوا تَهَتُّكِي فَأَبْدَوْا قِلًى وَاسْتَحْسَنُوا فِيكِ جَفْوَتِي[١٧٥]

أي: جفوتهم لي.

---

(١٧٣) يبدوا: ت.

(١٧٤) ب ٧٨ - أبىٰ: جـ ا أَبَ: ت.

(١٧٥) ب ٧٩ - قِلىٰ: جـ ا قِلاً: ت.

٨٠ وَأَهْلِيَ فِي دِينِ الهَوَى أَهْلُهُ وَقَدْ رَضُوا لِيَ عَارِي وَاسْتَطَابُوا فَضِيحَتِي

أي: لأنفسهم.

٨١ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَغْضَبْ سِوَاكِ فَلاَ أَذَى إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامُ عَشِيرَتِي

٨٢ وَإِنْ فَتَنَ النُّسَّاكَ بَعْضُ مَحَاسِنٍ لَدَيْكِ فَكُلٌّ مِنْكِ مَوْضِعُ فِتْنَتِي

٨٣ وَمَا اخْتَرْتُ حَتَّى اخْتَرْتُ حُبِّيكِ مَذْهَبًا فَوَاحَيْرَتِي إِنْ لَمْ تَكُنْ فِيكِ حَيْرَتِي(١٧٦)

الحائر: الذي لم يجد له مذهبًا يذهب به، فهذا حجر الحب على قلبه، وبقية البيت من قوله عليه السلام: «ربِّ، زِدْنِي فيكَ تَحَيُّرًا»(١٧٧).

٨٤ فَقَالَتْ: هَوَى غَيْرِي قَصَدْتَ وَدُونَهُ اقْـ ـتَصَدْتَ عَمِيًّا عَنْ سَوَاءِ مَحَجَّتِي

السواء: الوسط. وقصد: صار. واقتصد: وقف بالشيء.

٨٥ وَغَرَّكَ حَتَّى قُلْتَ مَا قُلْتَ لاَبِسًا بِهِ شَيْنَ مَيْنٍ لَبْسُ نَفْسٍ تَمَنَّتِ(١٧٨)

قوله: «به» أي: بما قلت. والمين: الكذب. ولَبْسُ هو الفاعل.

---

(١٧٦) ب ٨٣- إِنْ لَمْ: ت] لَوْ لَمْ: جـ.

(١٧٧) قول متداول بين الصوفية كحديث، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفت الكبرى للأحاديث، ويبدو أن ابن الفارض قد تأثر به في قوله: "زِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ فِيكَ تَحَيُّرًا..."، وهو بداية قصيدته الرائية، (ديوان ابن الفارض، ص ٢٢٥).

(١٧٨) ب ٨٥- لَبْسُ: ت] لَبْسَ: جـ.

٨٦ وَفِي أَنْفَسِ الأَوْطَارِ أَمْسَيْتَ طَامِعًا بِنَفْسٍ تَعَدَّتْ طَوْرَهَا فَتَعَدَّتِ[١٧٩]

الأَنْفَسُ: هو ما يُخَاطَرُ بالنفوس في طلابِهِ. والطور: الحَدّ. وتعدَّى[١٨٠] الأولى: عَبَرَ حَدَّهُ. وتعدَّى الثانية: من العدوان، ومن جاء بالعدوان استحق الحرمان.

٨٧ وَكَيْفَ بِحُبِّي وَهْوَ أَحْسَنُ خُلَّةٍ تَفُوزُ بِدَعْوَى وَهْيَ أَقْبَحُ خَلَّةِ[١٨١]

[٩ظ] والخُلَّة - بالضم -: الحب، من المخاللة. وبالفتح: الخَصْلَةُ.

٨٨ وَأَيْنَ السُّهَا مِنْ أَكْمَهٍ عَنْ مُرَادِهِ سَهَا عَمَهًا لَكِنْ أَمَانِيكَ غَرَّتِ[١٨٢]

٨٩ فَقُمْتَ مَقَامًا حُطَّ قَدْرُكَ دُونَهُ عَلَى قَدَمٍ عَنْ حَظِّهَا مَا تَخَطَّتِ

٩٠ وَرُمْتَ مَرَامًا دُونَهُ كَمْ تَطَاوَلَتْ بِأَعْنَاقِهَا قَوْمٌ إِلَيْهِ فَجُدَّتِ[١٨٣]

٩١ أَتَيْتَ بُيُوتًا لَمْ تُنَلْ مِنْ ظُهُورِهَا وَأَبْوَابُهَا عَنْ قَرْعِ مِثْلِكَ سُدَّتِ[١٨٤]

٩٢ وَبَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكَ قَدَّمْتَ زُخْرُفًا تَرُومُ بِهِ عِزًّا مَرَامِيهِ عَزَّتِ

قَدَّمَ زُخْرُفَ القَوْلِ بدعوى المحبة.

---

(١٧٩) ب ٨٦ - أَمسَيْتَ: جـ] أَمْسَيْتُ: ت

(١٨٠) وتعد: ت.

(١٨١) ب ٨٧ - خَلَّةِ: جـ] خلَّتِي: ت.

(١٨٢) ب ٨٨ - السُّهَا: جـ] السُّهى: ت؛ سَهَا: جـ] سَهَى: ت.

(١٨٣) ب ٩٠ - وَرُمْتَ: جـ] ورُمْتُ: ت.

(١٨٤) ب ٩١ - تُنَلْ: جـ] تَنَلْ: ت.

٩٣ وَجِئْتَ بِوَجْهٍ أَبْيَضٍ غَيْرَ مُسْقِطٍ   لِجَاهِكَ فِي دَارَيْكَ خَاطِبَ صَفْوَتِي

الطالب لِما يستحقه يأتي بوجهٍ أبيضَ وجاهٍ وبالضد، يقول مستهزئًا عن طلب ما لا يستحقه: جاءني فلان بوجه أبيضَ وجاهٍ وبالضد، أي: بل كان ينبغي أن يأتي بوجه الخجلان الذي أسقط جاهه كَذِبُهُ.

والمعني: كيف تأتي خاطب صفوتي لك في داريك لتظفر بها وأنت مُتكَبِّرٌ مُتحيِّلٌ بالباطل ودعوى الكذب؟

٩٤ وَلَوْ كُنْتَ بِي مِنْ نُقْطَةِ البَاءِ خَفْضَةً   رُفِعْتَ إِلَى مَا لَمْ تَنَلْهُ بِحِيلَةِ[١٨٥]

تقديره: رُفِعْتَ بِي؛ فقدمها للوزن.

٩٥ بِحَيْثُ تَرَى أَنْ لاَ تَرَى مَا عَدَدْتَهُ   وَأَنَّ الَّذِي أَعْدَدْتَهُ غَيْرُ عُدَّةِ[١٨٦]

٩٦ وَنَهْجُ سَبِيلِي وَاضِحٌ لِمَنِ اهْتَدَى   وَلَكِنَّهَا الأَهْوَاءُ عَمَّتْ فَأَعْمَتِ[١٨٧]

٩٧ وَقَدْ آنَ أَنْ أُبْدِي هَوَاكَ وَمَنْ بِهِ   ضَنَاكَ بِمَا يَنْفِي ادِّعَاكَ مَحَبَّتِي

٩٨ حَلِيفُ غَرَامٍ أَنْتَ لَكِنْ بِنَفْسِهِ   وَإِبْقَاكَ وَصْفًا مِنْكَ بَعْضُ أَدِلَّتِي

متى نفي من صفات النفس الأمارة بقي مميِّزٌ ولا تتخذ الصفة إلا بذهاب المُمَيِّزِ؛ وحينئذ تبقى النفس المطمئنة لذهاب المُمَيِّزِ ولاتخاذ الصفة؛ فتجتلي فيها صورة صانعها؛ لأنها تبقى على صورته من جهة فعلها كما أنها على صورته من جهة فعله.

(١٨٥) ب ٩٤ - رُفِعْتَ: جـ] رُفِعْتُ: ت؛ بِحِيلَةِ: جـ] بِحِيلَتِي: ت.

(١٨٦) ب ٩٥ - عُدَّةِ: جـ] عُدَّتِي: ت.

(١٨٧) ب ٩٦ - عَمَّتْ: جـ] عَمَتْ: ت.

٩٩ فَلَـمْ تَهْـوَنِي مَـا لَمْ تَكُـنْ فِيَّ فَانِيًـا وَلَمْ تَفْـنَ مَـا لَمْ تُجْـتَلَى فِيـكَ صُـورَتِي

١٠٠ فَدَعْ عَنْكَ دَعْـوَى الحُـبِّ وَادْعُ لِغَـيْرِهِ فُؤَادَكَ وَادْفَعْ عَنْـكَ غَيَّـكَ بِالَّتِي[١٨٨]

١٠١ وَجَانِبْ جَنَابَ الوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ وَهَا أَنْتَ حَيٌّ إِنْ تَكُنْ صَادِقًا مُتِ[١٨٩]

١٠٢ هُوَ الحُبُّ إِنْ لَمْ تَقْـضِ لَمْ تَقْـضِ مَأْرَبًـا مِنَ الحِبِّ فَاخْتَرْ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتِي[١٩٠]

أي: إن لم تمتْ الموت الإرادي لم تقض مأربًا واحدًا من الحِبِّ.

١٠٣ فَقُلْتُ لَهَا: رُوحِي لَـدَيْكِ وَقَبْـضُهَا إِلَيْـكِ وَمَـا لِي أَنْ تَكُـونَ بِقَبْـضَتِي

١٠٤ وَمَا أَنَا بِالشَّانِي الوَفَـاةَ عَـلَى الهَـوَى وَشَأْنِي وَفًا تَأْبَى سِـوَاهُ سَـجِيَّتِي[١٩١]

واو «وشاني» واو الحال.

١٠٥ وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِـوَى قَـضَى فُلَانٌ هَوًى مَنْ لِي بِـذَا وَهْـوَ بُغْيَتِي[١٩٢]

١٠٦ أَجَـلْ أَجَـلِي أَرْضَى انْقِـضَاهُ صَـبَابَةً وَلا وَصْلَ إِنْ صَحَّتْ لِحُبِّكِ نِسْبَتِي[١٩٣]

١٠٧ وَإِنْ لَمْ أَفُـزْ حَقًّـا إِلَيْـكِ بِنِـسْبَةٍ لِعِزَّتِهَـا حَـسْبِي افْتِخَـارًا بِتُهْمَتِـي

١٠٨ وَدُونَ اتِّهَـامِي إِنْ قَـضَيْتُ أَسًـى فَـمَا أَسَـأْتِ بِـنَفْسٍ بِالـشَّهَادَةِ سُرَّتِ[١٩٤]

---

(١٨٨) ب ١٠٠ – دَعْوَىٰ: جـ] دَعْوَ: ت.
(١٨٩) ب ١٠١ – تَكُنْ: جـ] تَكُ: ت.
(١٩٠) ب ١٠٢ – مِنَ الحِبِّ: جـ] مِنَ الحُبِّ: ت.
(١٩١) ب ١٠٤ – تَأْبىٰ: جـ] تَأْبَا: ت.
(١٩٢) ب ١٠٥ – قَضَىٰ: جـ] قَضَا: ت؛ هَوًىٰ: جـ] هَوَىٰ: ت؛ بُغْيَتِي: ت] بِغْيَتِي: جـ.
(١٩٣) ب ١٠٦ – انْقِضَاهُ: جـ] انقضاؤهُ: ت؛ وَصْلَ: جـ] وَصْلٌ: ت.
(١٩٤) ب ١٠٨ – أَسَأْتِ: جـ] أَسَأْتُ: ت.

لَمَّا كان من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، فكيف من قُتِلَ دون ماله مما لأجله خُلِق؟!.

والأسى: الحزن.

١٠٩ وَلِي مِنْكِ كَافٍ إِنْ هَدَرْتِ دَمِي وَلَمْ أُعَدَّ شَـهِيدًا عِلْـمُ دَاعِـي مَنِيَّتِـي(١٩٥)

هدرتِ: أبحتِ. والشهيد- هاهنا- هو الشاهد الحاضر مع الله عند مفارقةِ النَّفسِ البدنَ.

والمعنى: يكفيني عِلْمُكِ أَنَّ حُبِّي لك هو داعي منيتي.

١١٠ وَلَمْ تَسْوَ رُوحِـي فِي وِصَـالِكِ بَـذْلَهَا لَـدَيَّ لِبَـوْنٍ بَـيْنَ صَـوْنٍ وَبِذْلَـةِ(١٩٦)

المعنى: لم تَسْوَ روحي لديَّ بذلها في وصالك؛ لأني إن أنا صُنْتُهَا عن البذل ظفرتُ بها، وإن أنا بذلتها في وصلك ظفرتُ بأن أموت متوجهًا إليك، فقد بان أن بين البذل والصون بَونًا وأي بَون وهو البُعد.

١١١ وَإِنِّي إِلَى التَّهْدِيـدِ بِـالمَوْتِ رَاكِـنٌ وَمِـنْ هَوْلِـهِ أَرْكَـانُ غَـيْرِيَ هُـدَّتِ

١١٢ وَلَمْ تَعْسِفِي بِالقَتْلِ رُوحِيَ بَـلْ لَـهَا بِهِ تُسْعِفِي إِنْ أَنْتِ أَتْلَفْتِ مُهْجَتِي(١٩٧)

(١٩٥) ب ١٠٩- أُعَدَّ: جـ] أعَدُّ: ت.

(١٩٦) ب ١١٠- تَسْوَ: جـ] تُسْوَ: ت؛ لِبَوْنٍ: جـ] لِبُوْنٍ: ت؛ وَبِذْلَةِ: جـ] وبذلتي: ت.

(١٩٧) ب ١١٢- تَعْسِفِي: جـ] تَسْعُفي: ت؛ تُسْعِفِي: جـ] تسعُفي: ت.

لما أنكرتْ أن تكون المحبة لها منه، ونسبتها إلى نفسه ذكر عن نفسه جملة من الأبيات يَخفِض[١٩٨] بالموت والقتل والذهاب، وذلك لمعنيين: أحدهما: تعلما[١٩٩] [١٠و] من الجنايا ما لا يظهره ويحققه إلا الإقدام على الموت الطبيعي. والثاني: الوقوف منه على قدم الصدق، والسؤال على الإعانة منها له على كمال الموت الإرادي الذي أرادته منه.

١١٣ وَإِنْ صَحَّ هَذَا الفَأْلُ مِنْـكِ رَفَعْتِنِـي   وَأَعْلَيْتِ مِقْدَارِي وَأَغْلَيْتِ قِيمَتِي[٢٠٠]

١١٤ وَهَـا أَنَـا مُـسْتَدْعٍ قَـضَاكِ وَمَـا بِـهِ   رِضَـاكِ وَلاَ أَخْتَـارُ تَـأْخِيرَ مُـدَّتِي

١١٥ وَعِيـدُكِ لِي وَعْـدٌ وَإِنْجَـازُهُ مُنَـى   وَلِيٌّ بِغَـيْرِ البُعْـدِ إِنْ يُـرْمَ يَثْبُـتِ[٢٠١]

المعنى: يثبت على الموت في طلب الوصال، ولا يثبت على الحياة مع وجود البعد.

١١٦ فَقَدْ صِرْتُ أَرْجُو مَا يُخَافُ فَأَسْعِدِي   بِهِ رُوحَ مَيْتٍ لِلْحَيَاةِ اسْتَعَدَّتِ[٢٠٢]

عرف أن مَوْتَ المُحِبِّ حَيَاتُهُ إذا كان الموتُ من المحبوب هو المراد، وأن ليس على المُحِبِّ سوى الاستعداد، فلما وصل في نظم السلوك إلى هذا المقام أخذ يحكي صفة الواقف به؛ لئلا يشتبه على السالك حاله، ويغره مقاله، بل يجب عليه الثبات كما ثبت أمثاله فقال:

---

(١٩٨) يَخفِض: ت.

(١٩٩) كذا في ت، وقراءته المحتملة هي تَعَلُّمًا.

(٢٠٠) ب ١١٣ – وَإِنْ: ت] فَإِنْ: جـ.

(٢٠١) ب ١١٥ – بِغَيْرِ البُعْدِ إِنْ يُرْمَ: ت] بِمَهْمَا يُرْمَ فِي الحُبِّ: جـ.

(٢٠٢) ب ١١٦ – فَقَدْ: ت] وَقَدْ: جـ؛ أَرْجُو: جـ] أرجوا: ت.

١١٧ وَبِي مَنْ بِهَا نَافَسْتُ بِالنَّفْسِ سَالِكًا سَبِيلَ الأُلَى قَبْلِي أَبَوْا غَيْرَ شِرْعَتِي(٢٠٣)

بمعنى فيهما، أي: ببذلهما، وجعل الشرعة له لقيامه بها؛ فهو وإن تأخر شَارِعٌ لمن تقدم.

١١٨ بِكُلِّ قَبِيلٍ كَمْ قَتِيلٍ قَضَى بِهَا أَسًى لَمْ يَفُزْ يَوْمًا إِلَيْهَا بِنَظْرَةِ(٢٠٤)

قبيل: تذكير قبيلة. والأسى: الحزن، والمراد: الإعلام بأن الكل ماتوا في الطلب؛ لعلهم أن يظفروا يومًا بالنظر إليها في المُنْقَلَبِ، وهذا من المحب رأس الأدب.

١١٩ وَكَمْ فِي الوَرَى مِثْلِي أَمَاتَتْ صَبَابَةً وَلَوْ نَظَرَتْ عَطْفًا إِلَيْهِ لَأَحْيَتِ

أي: لأَحْيَتْ بعد الموت، وجعل النظر منها إنما يكون عطفًا لا استحقاقًا منه إذ ليس على الحِبِّ للمُحِبِّ حَقٌّ؛ لأن المحب هو الطالب، فكلما تقدم كُشِفَ له ما يزداد به طلبه، فمتى وقف أو ارتد قوبل بالوقوف أو الصَّدِّ، وكل ما بذل في تقدمه الاجتهاد اتحد بينه وبين محبوبه المراد إلى أن تُرِي عينُ تلافه بالحِبِّ عينَ إسعافه بالقرب، فيقول عن صد في الحال:

١٢٠ إِذَا مَا أَحَلَّتْ فِي هَوَاهَا دَمِي فَفِي ذُرَى العِزِّ وَالعَلْيَاءِ قَدْرِي أَحَلَّتِ

الأولى: التحليل الذي هو ضد التحريم، وأحَلَّت الثانية: من الحلول.

(٢٠٣) ب ١١٧ - الأُلَى: جـ] الأُولَى: ت؛ أَبَوْا: جـ] أَبَوْ: ت.

(٢٠٤) ب ١١٨ - قَضَى بِهَا أَسًى: ت] بِهَا قَضَى أَسًى: جـ.

١٢١ لَعَمْرِي وَإِنْ أَفْنَيْتُ عُمْرِي بِحُبِّهَا رَبِحْتُ وَإِنْ أَبْلَتْ حَشَايَ أَبَلَّتِ[٢٠٥]

أبلت: من البلاء. وأبلَّت: شفت، بَلَّ المريض وأبلَّ: برئ[٢٠٦].

ومعنى: «أَفْنَيْتُ عُمْرِي بِحُبِّهَا»، أي: دون وصلها؛ إذ من طلب الوصال فقد اعتقد الإحاطة بكنه الجمال، وهذا من أسوأ الاعتقاد، ومثل هذا أولى بالملل الذي هو أول الارتداد، ولا شك أنه كُلَّمَا تعالى المراد تحقق الازدياد، وهذا كُلَّمَا[٢٠٧] تعالى المحبوب بذاته تواضع المحب بصفاته، ومن هاهنا قال: يحكي صورة الحال.

١٢٢ ذَلَلْتُ بِهَا فِي الحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَأَدْنَى مَنَالٍ عِنْدَهُمْ فَوْقَ هِمَّتِي[٢٠٨]

١٢٣ وَأَخْمَلَنِي وَهْنًا خُضُوعِي لَـهُمْ فَلَمْ يَـرَوْنِي هَوَانًـا بِي مَحَـلاًّ لِخِدْمَتِي[٢٠٩]

إذا كشف صدق الحُبِّ عن بصيرة المُحِبِّ ما يجب أن تكون عليه من التواضع والخمول في حضرة الحِبِّ تحقق واعترف بما وجب عليه حين انكشف؛ فعاد نظره مقصورًا على الوقوف بين يدي محبوبه كأنه يراه، وكأن خموله وخضوعه ظَاهِران لكل من يراه؛ فعاد بحاله بين الناس مستورًا، وعاد منه خمول الذكر مسبلاً عليه جميلَ الستر، ولَمَّا تحقق من مولاه أنه قد ابتلاه بكل ما سواه انمحى من نظره رؤية السِّوى،

(٢٠٥) ب ١٢١ – أَفْنَيْتُ: ت] أَتْلَفْتُ: جـ؛ رَبِحْتُ: جـ] رَبَحْتُ: ت؛ أَبَلَّتِ: جـ] أَبَلَتِ: ت.

(٢٠٦) براء: ت.

(٢٠٧) كل ما....كل ما: ت.

(٢٠٨) ب ١٢٢ – ذَلَلْتُ: جـ] ذُلِلْتُ: ت.

(٢٠٩) ب ١٢٣ – لِخِدْمَتِي: ت] لِخِدْمَةٍ: جـ.

فهو يعامل الكل ولا يعامل إلا مولاه، ويعامله الكل ولا يعامله أحد سواه، فلا يرىٰ غير مبتليه وغير مولاه لا يراه، فلما صَحَّتْ معاملته وتَحَقَّقت رؤيته عاد بباطنه بين الناس مُخْلِدًا من درجات عزِّه عليهم إلىٰ دركات ذله بين يديه؛ لأنه يعرف لمن يرىٰ ولمن يعامل في كل ما هو قائل له أو فاعل، ولما لم يكن في ضميره باطنًا غير ما أبداه مقاله وحاله ظاهرًا، قال عن صدق بلسان حق، مخاطبًا بلسان التقوىٰ لمن فهم النجوىٰ وذاق البلوىٰ، ومعلمًا للسالك وتحريضًا له علىٰ ذلك:

١٢٤ وَمِنْ دَرَجَاتِ العِزِّ أَمْسَيْتُ مُخْلِدًا ... إِلَى دَرَكَاتِ الذُّلِّ مِنْ بَعْدِ نَخْوَتِي[(٢١٠)]

١٢٥ فَلاَ بَابَ لِي يُغْشَى وَلاَ جَاهَ يُرْتَجَى ... وَلاَ جَارَ بِي يُحْمَى لِفَقْدِ حَمِيَّتِي

١٢٦ كَأَنْ لَمْ أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيرًا وَلَمْ أَزَلْ ... لَدَيْهِمْ حَقِيرًا فِي رَخَائِي وَشِدَّتِي[(٢١١)]

١٢٧ [١٠ظ]فَلَوْ قِيلَ مَنْ تَهْوَى وَصَرَّحْتُ بِاسْمِهَا ... لَقِيلَ كَنَى أَوْ مَسَّهُ طَيْفُ جِنَّةِ

١٢٨ وَلَوْ عَزَّ فِيهَا الذُّلُّ مَا لَذَّ لِي الهَوَى ... وَلَمْ تَكُ لَوْلاَ الحُبُّ فِي الذُّلِّ عِزَّتِي[(٢١٢)]

١٢٩ فَحَالِي بِهَا حَالٍ بَعَقْلِ مُدَلَّهِ ... وَصِحَّةِ مَجْهُودٍ وَعِزِّ مَذَلَّتِي[(٢١٣)]

أي: حلا لي حالي، وهذه حالتي.

١٣٠ أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّهَا النَّفْسُ حَيْثُ لاَ ... رَقِيبُ بَقَا حَظٍّ لِسِرِّي وَخَصَّتِ[(٢١٤)]

---

(٢١٠) ب ١٢٤ - نَخْوَتِي: جـ] نَخْوَتِ: ت.

(٢١١) ب ١٢٦ - رَخَائِي: جـ] رَخَاءِ: ت.

(٢١٢) ب ١٢٨ - عِزَّتِي: جـ] عِزَّتِ: ت.

(٢١٣) ب ١٢٩ - مُدَلَّهِ: جـ] مذلة: ت.

(٢١٤) ب ١٣٠ - لاَ رَقِيبُ بَقَا حَظٌّ لِسِرِّىٰ: ت] لاَ رَقِيبَ حِجًىٰ سِرًّا لِسِرِّي: جـ

أَسَرَّتْ إِلَيَّ سِرِّي، والنفس فعل ومفعول كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾(٢١٥) فهي واحدة لها صفتان، فمتى اتصفت بإحْدَى الصفتين كانت غير الأخرى بالصفة فقط، وإن كانت غير الأخرى بالذات فبالذات واحدة لها قوتان من جهة بارئها، وبالصفة اثنتان لها فعل واحد من جهة ذاتها. فمتى كانت قائمة بإحدى الصفتين عادت الأخرى معدومة بالفعل، وإن كانت موجودة بالقوة، ولكن لا اعتماد بالقوة من جهة ربها بل الاعتماد على ما بالفعل من جهة كسبها؛ ولأجل هذا أُرْسِلَت الرسل وأُنزلت الكتب؛ أعني: لبيان الطريق الأَوْلَى، وحصول المقام الأَعْلَى، فأما بيانه فلا يكون إلا من جهة بارئها، وأما حصوله فلا يكون إلا من جهة الفعل منها، وهو الذي كان لها من جهة بارئها بالقوة، فإذا اتصفت على التمام والكمال حصل الاتصال بإحْدَى(٢١٦) الصفتين، وفي قبالته الانفصال عن الصفة الأخرى.

ولما كان الإنسان مُمْكِنًا لأنه مخلوق والحق تعالى واجبًا لأنه خالق كانت الصفة الحسنى منسوبة إليه وضدها منسوبة إلى المخلوق، فمتى كان قائمًا بالصفة الحسنى كان قائمًا بغيره، ومتى قام بضدها كان قائمًا بنفسه؛ فالشرع والتصوف هو محو ما بنفسه اختيارًا وإثبات ما بربه اختيارًا، فإذا قام بربه في حد جهده واستحق منه إنجاز وعده بقوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ»(٢١٧). لم يزل عبدك قائمًا في محل التكليف،

---

(٢١٥) سورة الشمس، الآية ٩.

(٢١٦) بأحد: ت.

(٢١٧) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبَصَرَه الذي يُبْصِر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعْطِيَنَّه، ولئن استعاذني لأُعِيذَنَّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"، حديث صحيح البخاري ٦٥٠٢.

وإن كان الحق سمعه وبصره وبقي بربه لا بنفسه مثال ذلك الحجر يعلو[٢١٨] بيد الإنسان، ففي حال علوه بغيره فعلاً هو منحطّ بنفسه قولا، في حال انحطاطه فعلاً هو عالٍ بغيره قوة، ولكن إحْدَىٰ[٢١٩] الصفتين تُذهب الأخرىٰ ولا يكون الاعتماد إلا علىٰ ما ظهر بالفعل وجودًا ويعود ضده عدمًا، وإن كان في القوة إمكان[٢٢٠] فلو كان الحجر حيًّا بحيث يُؤمر ويُنهي وتحقق أنه لا يعلو[٢٢١] إلا بغيره ولا يهوي إلا بنفسه لكان حين علوه ووجوده بغيره وعدمه بنفسه لا يخرج عن حقيقته ولا يرىٰ لنفسه غير صفته، ولكان دائمًا يعادي نفسه من أجل الصفة ويصادق غيره من أجل الصفة، فعادت بهذا المثل ذاتُ الإنسان مُقَيَّدَةً بصفته، وهو بها في دنياه وآخرته، وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[٢٢٢].

وإذ قد بان لك ذلك فقد عادت الصفة معشوقة للذات عشقًا لا تحتوي عليه العبارات، ولا يستوفي التنبيه عليه لطيف الإشارات، أعني: يجب عند العقل أن يكون الأمر كذلك، فإذا تحقق الوصف ارتفع الموصوف وسمي بأسم الغالب، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[٢٢٣]، ولم يقل كالهوىٰ.

---

(٢١٨) يعلوا: ت.

(٢١٩) أحد: ت.

(٢٢٠) إمكانا: ت.

(٢٢١) يعلوا: ت.

(٢٢٢) سورة الأنعام، الآية ١٣٩.

(٢٢٣) سورة إبراهيم، الآية ٤٣.

ومن البيِّنِ أن مجموع الشر من الحظ كما أن مجموع الخير من الحق، فمن انفصل عن الحظ اتصل بالحق، ومن علم أن هذا الانفصال والاتصال مفوض إليه بما هو إنسان، وتحقق أن الأمر والنهي يريه ويهديه وأنه مُكَّن من فعل ما ينجيه ويرديه- بحسب ما كان من بارئه- علم أن ذاته تعود بفعله إحْدَى[٢٢٤] الصفتين فكانت الصفة العليا أولى بالطلب والسفلى أولى بالهرب؛ فمتى قطع الحظ الذي لم يزل عليه رقيبًا عادت ذاته له مُحِبًّا وحبيبًا.

فهذا الناظم أَسَرَّتْ إليه نَفْسُه تَمَنِّي حُبِّهَا، بمعنى أن يتمنى على الله أو أن لا يكون له مُنى إلا حبها؛ إذ بذلك يتم المقصود ويظهر فائدة الوجود، ولَمَّا كان الحب قاضيًا عليه بالكتمان بالغ في ذلك تعليمًا للسالك فقال بعد قوله: ❋أَسَرَّتْ تَمَنِّي حُبِّهَا...❋:

١٣١ فَأَشْفَقْتُ مِنْ سِيْرِ الحَدِيثِ بِسَائِرِي فَتُعْرِبُ عَنْ سِرِّي عِبَارَةُ عَبْرَتِي[٢٢٥]

فلما أَسَرَّتْ إليه قابلها بمثل ذلك حتى أسرَّ عنه ما أسرته إليه [١١و] إذ ليس في طاقته غير ما وصفه من حالته، فبهذا قال بحكم الصيانة اللازمة عن الإجلال.

١٣٢ يُغَالِطُ بَعْضِي عَنْهُ بَعْضِي صِيَانَةً وَمَيْنِيَ فِي إِخْفَائِهِ صِدْقُ لَهْجَتِي

المين: الكذب.

---

(٢٢٤) أحد: ت.

(٢٢٥) ب ١٣١ - سَيْرِ: جـ] سِرِّ: ت.

والمعنى: إذا كذبت لأجل الإخفاء كان ذلك عين الصدق في المحبة؛ وذلك لأن صدق المحبة يستلزم كتمها بكل صورة، فافهم.

١٣٣ وَلَـمَّا أَبَـتْ إِظْهَـارَهُ لِـجَوَانِحِي ... بَدِيهَـةُ فِكْـرِي صُنْتُهُ عَـنْ رَوِيَّتِـي

١٣٤ وَبَالَغْـتُ فِي كِتْمَانِـهِ فَنَسِيتُهُ ... وَأُنْسِيتُ كَتْمِـي مَـا إِلَيَّ أَسَرَّتِ[٢٢٦]

١٣٥ فَإِنْ أَجْنِ فِي غَرْسِي الْمُنَى ثَمَرَ العَنَا ... فَلِلَّـهِ نَفْـسٌ فِي مُنَاهَـا تَعَنَّـتِ[٢٢٧]

أي: في طلب مناها؛ إذ العقل الصحيح يقضي أن لا يجوز العناء إلا في طلب المُنى[٢٢٨]، وقوله: «فَلِلَّهِ نَفْسٍ» أي: دَرُّ نَفْسٍ.

١٣٦ وَأَحْلَى أَمَانِي الحُبِّ لِلنَّفْسِ مَا قَضَتْ ... عَنَاهَـا بِـهِ مَـنْ أَذْكَرَتْهَـا وَأَنْسَـتِ

ما: مفعول. وقَضَتْ: فَصَلَتْ. وبه أي: بالحب. مَنْ: فاعل وهو المحبوبة، أذْكَرَتْهَا: أَذْكَرَتِ النَّفْسُ وأنْسَتِ.

والمعنى هو: أن هذا البيت متعلق بما تقدم، ومعناه: لَمَّا أَسَرَّتِ الحُبَّ أَذْكَرَتِ العَنَاءَ اللازمَ عنه، ثم عمل بمرادها حتى أنسته ذلك؛ فانقضى العناء الذي كان بالحب، وإذا فصل المحبوبَ عن المحبِّ مكابدةُ العناء فذلك أحلى[٢٢٩] المنى. ويحتمل لفظ البيت أن يكون المعنى واحدًا إما في الحُبِّ للنفس من أَذْكَرَتِ النفس ما قَضَتْ؛ فمات

(٢٢٦) ب ١٣٤ - فَنَسِيتُهُ: جـ] فنسبتُهُ: ت.

(٢٢٧) ب ١٣٥ - غرسي: ت] غَرْسِ: جـ؛ المُنَى: جـ] المُنَا: ت.

(٢٢٨) المُنَا: ت.

(٢٢٩) أحلا: ت.

عنها عناها به وآنَسَتْ ذلك العناء. وبيانه: أن المنىٰ إذا لم يُنـل إلا بالعنـاء فقـد عـاد غرس المنىٰ جانيًا للعناء(٢٣٠)، فلما أسرَّت النفس حُبَّهَا حصل العناء وبحصوله حصل المنىٰ، فالمحبوبة أحلىٰ(٢٣١) أماني الحب، وللنفس لأنها أذكرت النفس المنىٰ وهو هي فأنستها العَنَاءَ وهو أَلَمُ الحُبِّ فافهم؛ إذ رؤية المنىٰ في العنـاء(٢٣٢) تُنْسِي العَنَاءَ جُمْلَةً وَتُذَكِّرُ المُنَىٰ فقط؛ فنفسه أعطته هذه الرؤية. ولما لم يبق إلا المنىٰ فقـط وصـف الحـال فقال:

١٣٧ أَقَامَـتْ لَـهَا مِنِّـي عَـلَيَّ مُرَاقِبًـا خَوَاطِرَ قَلْبِي بِالهَوَى إِنْ أَلَـمَّتِ(٢٣٣)

خواطر: فاعل أقامت. بالهوىٰ، أي: بحكم الهوىٰ.

والمعنى: أنه لما حكم الحب بفناء صفات المحب لتجد بصفة المحبوب أقامته خواطرُ قَلْبِه رَقِيبًا علىٰ نفسه فلا يظفر من محبوبه ولو بنظرة إلىٰ أن تفنىٰ صفته حتىٰ عن ذَرَّة؛ ولهذا بعده:

١٣٨ فَإِنْ طَرَقَتْ سِرًّا مِنَ الوَهْمِ خَاطِرِي بِـلاَ حَـاظِرٍ أَطْرَقْـتُ إِجْـلاَلَ هَيْبَـةِ

الحاظر: المانع، ومنه: الحظيرة [لأنها](٢٣٤) تمنع الغنم. وقوله: أَطْرَقْتُ، أي: فكنت أنا الرقيب المانع.

(٢٣٠) للعنىٰ: ت.
(٢٣١) أحلا: ت.
(٢٣٢) العنىٰ: ت.
(٢٣٣) ب ١٣٧ - بالهوىٰ: ت] في الهَوَىٰ: جـ.
(٢٣٤) إضافة يقتضيها السياق.

١٣٩ وَيُطْرِقُ طَرْفِي إِنْ هَمَمْتُ بِنَظْرَةٍ وَإِنْ بُسِطَتْ كَفِّي إِلَى البَسْطِ كُفَّتِ(٢٣٥)
١٤٠ فَفِي كُلِّ عُضْوٍ فِيَّ إِقْدَامُ رَغْبَتِي وَمِنْ سَطْوَةِ الإِعْظَامِ إِحْجَامُ رَهْبَةِ(٢٣٦)
١٤١ لِفِيَّ وَسَمْعِي [فِيَّ] آثَارُ زَحْمَةٍ عَلَيْهَا بَدَتْ عِنْدِي كَإِيثَارِ رَحْمَتِي(٢٣٧)

أي كما يُؤْثِرُ المَرْءُ(٢٣٨) أخاه على نفسه رحمةً له وشرح ذلك في بيتين، ومعناهما: يصمت اللسان إن زاحمته الأذن [وتصمت الأذن](٢٣٩) إن زاحمها اللسان.

١٤٢ لِسَانِيَ إِنْ أَبْدَى إِذَا مَا تَلاَ اسْمَهَا لَهُ وَصْفَهُ سَمْعِي وَمَا صُمَّ يَصْمُتِ(٢٤٠)
١٤٣ وَأُذْنِيَ إِنْ أَهْدَى لِسَانِيَ ذِكْرَهَا لِقَلْبِي وَلَمْ يَسْتَعْبِدِ الصَّمْتَ صُمَّتِ(٢٤١)

تقدير البيت الأول: إن أبدى(٢٤٢) سمعي وصفه وهو الاستماع - إن لم يكن قد صَمَّ - يصمُت له لساني إذا ما تلا اسمها، وإن أهدى لساني ذكرَها لقلبي فلم يصمت، صَمَّتْ(٢٤٣) أذني إيثارًا ورحمة من كل عضو لصاحبه على نفسه، فكل يؤثر بالرحمة طلبًا ويؤثر بالرحمة أدبًا، وقوله: ولم يَسْتَعْبِدْ، أي: يَمْلِكُ الصَّمْتَ، وكذلك الأُذُنُ إذا لم تملك الصَّمَمَ.

(٢٣٥) ب ١٣٩ - وَيُطْرِقُ: ت] وَيُطْرَفُ: جـ؛ بِنَظْرَةٍ: جـ] بنظرتِ: ت؛ كُفَّتِ: جـ] كُفَّتِي: ت.
(٢٣٦) ب ١٤٠ - رَغْبَتِي: ت] رَغْبَةٍ: جـ؛ سطوة: ت] هَيْبَةٍ: جـ.
(٢٣٧) ب ١٤١ - زَحْمَةٍ: جـ] رحمة: ت؛ رحمتي: ت] رَحْمَةٍ: جـ.
(٢٣٨) المرؤ: ت، وما أثبتناه هو الصواب.
(٢٣٩) إضافة يقتضيها السياق.
(٢٤٠) ب ١٤٢ - إِنْ أَبْدَى: جـ] إذا أبدا: ت؛ اسْمَهَا: جـ] إِسْمُها: ت؛ صُمَّ: ت] صَمَّ: جـ.
(٢٤١) ب ١٤٣ - ذِكْرَهَا: جـ] ذكرتها: ت؛ صُمَّتِ: ت] صَمَّتِ: جـ.
(٢٤٢) ابدا: ت.
(٢٤٣) صُمَّتْ: ت.

١٤٤ أَغَـارُ عَلَيْهَـا أَنْ أَهِـيمَ بِحُبِّهَـا ... وَأَعْـرِفُ مِقْـدَارِي فَـأُنْكِرُ غَـيْرَتِي
١٤٥ فَتُخْتَلَسُ الـرُّوحُ ارْتِيَاحًـا لَهَـا وَمَـا ... أُبَـرِّئُ نَفْـسِي[٢٤٤] مِـنْ تَـوَهُّمِ مُنْيَتِـي
١٤٦ يَرَاهَا عَلَى بُعْدٍ مِـنَ العَـيْنِ مِـسْمَعِي ... بِطَيْـفِ مَـلَامٍ زَائِـرٍ حِـينَ يَقْظَتِـي[٢٤٥]
١٤٧ فَيَغْبِطُ طَرْفِي مِـسْمَعِي عِنْـدَ ذِكْرِهَـا ... وَتَحْـسُدُ مَـا أَفْنَتْـهُ مِنِّـي بَقِيَّتِـي
١٤٨ أَمَمْـتُ إِمَـامِي فِي الحَقِيقَـةِ فَـالوَرَى ... وَرَائِي وَكَانَتْ حَيْثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي[٢٤٦]

الوجهة: جِهَةٌ يتوجه إليها بالوجه ظاهرًا أو بالقلب باطنًا، ولما قال سبحانه وتعالى: «وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِيَ»[٢٤٧] علم بالضرورة أن حقيقة التوجه بالوجه ليس إلا التوجه بالقلب إلى من لا تحويه جهة وهو في كل جهة ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا﴾[٢٤٨] أي وجوهكم ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾[٢٤٩] ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٢٥٠] فالأقرب إليه إمام من وراءه في حكم الحقيقة باطنًا وإن أتم بغيره في حكم الشريعة ظاهرًا، فذكر الناظم أن محبوبته في شرع الحب بهذه الصفة من القرب وإمامه من تقدمه من العشاق، وإذا تقدَّم على من تقدَّم فهو أولى بالتقدم على من تأخر، ولهذا قال: فالوَرَىٰ وَرَائي، ولما شغله ما رأى قلبه عما

(٢٤٤) اقتباس من القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية ٥٣.

(٢٤٥) ب ١٤٦ – مِنَ العَيْنِ: ت؛ عَنِ العَيْنِ: جـ.

(٢٤٦) ب ١٤٨ – أَمَمْتُ: جـ؛ أَمَّتْ: ت؛ فِي الحَقِيقَةِ: جـ؛ فالحقيقة: ت.

(٢٤٧) قول متداول بين الصوفية كحديث، ونصه الكامل هو: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن"، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٢٤٨) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٢٤٩) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٢٥٠) سورة الحديد، الآية ٤.

رأت عينه عادت عينه معطوفة على قلبه فلم ير بعينه غير ما رآه بقلبه، ولهذا قال: «وَكَانَتْ حَيْثُ وَجَّهْتُ وِجْهَتِي» وأوضح ذلك بقوله:

١٤٩ يَرَاهَا أَمَامِي فِي [١١ظ] صَلاَتِيَ نَاظِرِي وَيَشْهَدُنِي قَلْبِي إِمَامَ أَئِمَّتِي

أمامي: قُدَّامِي.

١٥٠ وَلاَ غَرْوَ إِنْ صَلَّى الأَنَامُ إِلَيَّ أَنْ ثَوَتْ بِفُؤَادِي وَهْيَ قِبْلَةُ قِبْلَتِي[٢٥١]

«إن» أي: بسبب إن، ولما كانت الكعبة قُدَّامَ المصلي، والقَصْدُ رَبُّها، والسجود إليها له لا لها، وكانت النفس المشار إليها بالكمال مطلوبة لكل إنسان وقد أُمِرَ كُلُّ إنسان في كُلِّ كتاب مُنَزَّلٍ بإصلاحها[٢٥٢] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٢٥٣]، وكانت هذه النفس المشار إليها من أجل كونها مخلوقة وجهة يُتَوَجَّه إليها من أجل بارئها كما يتوجه إلى الكعبة من أجل بارئها، ومن البيِّن عقلاً وشرعًا أن هذه النفس التي تحققت بقوله عليه السلام عن ربه تعالى: «فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ»[٢٥٤] عادت متقدمة على غيرها، وغيرُها يَؤُمُّهَا[٢٥٥] وتطلب أن بكونها فهي قبلة غيرها من الناس، يصلي المصلي إليها، من أجل غيرها فهي قبلة باطنة والكعبة قبلة ظاهرة؛ فهي قبلة القبلة سيتضح ذلك فيما يأتي.

(٢٥١) ب ١٥٠ - الأنام: ت] الإِمَامُ: جـ.

(٢٥٢) باصطلاحها: ت.

(٢٥٣) سورة الشمس، الآية ٩.

(٢٥٤) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًّا..." سبق تخريجه.

(٢٥٥) يؤومها: ت... أن بكونها: هكذا في ت، وقد تكون قراءتها الصحيحة: بكونها.

١٥١ وَكُلُّ الجِهَاتِ السِّتِّ نَحْوِي تَوَجَّهَتْ ... بِمَا ثَمَّ مِنْ نُسْكٍ وَحَجٍّ وَعُمْرَةِ[٢٥٦]

أي: ليس الأنام[٢٥٧] فقط موجهين إليَّ لكونها ثوت بفؤادي بل الجهات الست، أي: بما فيها، وهو قوله: بما ثَمَّ، وقوله: مِنْ نُسْكٍ، أي: من ناسك وَحَاجٍّ ومُعْتَمِرٍ. وبالواجب أن يكون الأمر كذلك؛ لأن المساجد في أي بلد كان، ولو كان بينه وبين الكعبة مثلا مائة ألف بنية كانت الكعبة هي المطلوبة، وكل الجهات بمن فيها تتوجه إليها من قرب وبعد. ولا شك أن المقصود بذلك كله رَبُّ الكعبة لا عين الكعبة، وإذا كان رَبُّ الكعبة لم يقل وسعتني الكعبة بل قال: «مَا وَسِعَتْنِي[٢٥٨] أَرْضِي وَلاَ سَمَائِي وَوَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي الْمُؤْمِن»[٢٥٩]، والمراد: ليس جِرْمَ القَلْبِ بل النَّفْسُ كَامِلَةً، فتوجه الكل إلى هذه النفس الكاملة من أجل ما وسعت لا من أجلها، كتوجه المؤمنين إلى الكعبة من أجل ربها لا من أجلها. ولا شك أن التوجه الظاهر إلى الكعبة إنما هو بالأمر طوعًا ﴿وَلله يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾[٢٦٠] وكذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾[٢٦١]. وكما أن الكل ساجد فكذلك هذه

---

(٢٥٦) ب ١٥١ - تَوَجَّهَتْ: ت] مُشِيرَةٌ: جـ؛ بِمَا ثَمَّ: جـ] بِمَا تَمَّ: ت؛ وَعُمْرَةِ: جـ] وَعُمْرَتِي: ت.

(٢٥٧) للأنام: ت.

(٢٥٨) كذا في ت. والصواب: وَسَعَنِي.

(٢٥٩) سبق تخريجه.

(٢٦٠) سورة الرعد، الآية ١٥.

(٢٦١) سورة الحج، الآية ١٨. و"تر" ساقطة من ت.

النفس(٢٦٢) ساجدة إليها لا لها بل لما سجد له الكل، ولما كانت أعمال العباد راجعة عليهم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾(٢٦٣) قال:

١٥٢ لَـهَا صَـلَوَاتِي بِالمَقَـامِ أُقِيمُهَـا وَأَشْـهَدُ عَنْهَـا أَنَّهَـا لِي صَـلَّتِ(٢٦٤)

أي: إنما أنا هي ولسنا باثنين؛ ولهذا بعده:

١٥٣ كِلاَنَـا مُـصَلٍّ وَاحِـدٌ سَـاجِدٌ إِلَى حَقِيقَتِـهِ بِـالجَمْعِ فِي كُـلِّ سَـجْدَةِ

هذا البيت شاهد لصحة ما شرحناه، فافقه كونه لم يقل ساجدًا لحقيقته بل إلى حقيقته كما يسجد الناس إلى الكعبة لله، فمن كان مع حقيقته كان الله معه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾(٢٦٥) ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾(٢٦٦). وقوله بالجمع أي: إذا زال الفرق بحيث تتحد الصفات لذات واحدة فلم تبق أمّارة ولا لوّامة بل مطمئنة فقط؛ وبيّنه بقوله بعده:

١٥٤ وَمَا كَانَ لِي صَـلَّى سِـوَايَ وَلَمْ تَكُـنْ صَلاَتِي لِغَيْرِي فِي أَدَا كُلِّ رَكْعَتِي(٢٦٧)

---

(٢٦٢) للنفس: ت.

(٢٦٣) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢٦٤) ب ١٥٢ - وَأَشْهَدُ عَنْهَا: ت] وَأَشْهَدُ فِيهَا: جـ.

(٢٦٥) سورة الحديد، الآية ٤.

(٢٦٦) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٢٦٧) ب ١٥٤ - أَدَا: جـ] أَدَاي: ت؛ رَكْعَتِي: ت] رَكْعَةِ: جـ.

أي: ما كان فيما مضى ولم يكن فيما بَقِيَ، واللام في قوله إلى لام التمليك، وشرح الجملة معلوم من قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[٢٦٨]؛ لأن الله تعالى غني حميد، فمن فهم الأصل لم يُشْكِل عليه ذلك، والأصل كتاب الله وهو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾[٢٦٩] بمعنى إلا ما يعود عليها ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾[٢٧٠] ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٢٧١] وأمثال ذلك مما يعطي أن جميع أفعال العبد له.

١٥٥ إِلَى كَمْ أُوَاخِي السِّتْرَ هَا قَدْ هَتَكْتُهُ وَحَلُّ أَوَاخِي الحُجْبِ فِي عَقْدِ بَيْعَتِي

أُوَاخي: من الأخوة. وأواخي: عُقَد، أي: من حين عَقَدْتُ المبايعة عقدتها على حَلِّ عَقْدِ الحُجُبِ فلا يجوز إسدال الحجاب، والخطاب لأُولِي الألباب، وهذا متعلق بما قبله، وما بعده.

١٥٦ مُنِحْتُ وَلاَهَا يَوْمَ [لاَ يَوْمَ] قَبْلَ أَنْ بَدَتْ لِيَ عِنْدَ العَهْدِ فِي أَوَّلِيَّتِي[٢٧٢]

ولاها، أي: محبتها لي، ويفهم عنه محبتي لها، «ويوم لا يوم» أي: قبل الليل والنهار، يشير إلى سابق العلم الأزلي[٢٧٣].

---

(٢٦٨) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٢٦٩) سورة الأنعام، الآية ١٦٤.

(٢٧٠) سورة الإسراء، الآية ١٥.

(٢٧١) سورة النجم، الآية ٣٩.

(٢٧٢) ب ١٥٦ – لِيَ عِنْدَ العَهْدِ: ت] عِنْدَ أَخْذِ العَهْدِ: جـ.

(٢٧٣) الأزل: ت.

١٥٧ فَنِلْتُ هَوَاهَا لاَ بِسَمْعٍ وَنَاظِرٍ   وَلاَ بِاكْتِسَابٍ وَاجْتِلاَبِ جِبِلَّةِ

أي: نلت محبتها منحةً لا عن سماعٍ ولا عن رؤيةٍ ولا جزاء تجرد غير السِّوَىٰ، ولا بما تقتضيه الفطرة، وفهم هذا صعبٌ جدًّا إلا إذا فُهِمَ أصله، وهو أن العلم بالأزل لم يزل محيطًا باستحقاق المستَحِق [١٢و] إذا امتثل فهو من قبل الإيجاد موجود في العلم محبوب لم يزل، وما ذلك إلا للعلم بما سيكون منه من العمل، فاحفظ هذا الأصل فيما يُشْكِل عليك من مثل هذا الفصل، ولهذا بعده:

١٥٨ وَهِمْتُ بِهَا فِي عَالَمِ الأَمْرِ حَيْثُ لاَ   ظُهُورٌ وَكَانَتْ نَشْوَتِي قَبْلَ نَشْأَتِي
١٥٩ فَأَفْنَى الهَوَى مَا لَمْ يَكُنْ ثَمَّ بَاقِيًا   هُنَا مِنْ صِفَاتٍ بَيْنَنَا فَاضْمَحَلَّتِ

أَخَّرَ هنا للوزن، ومعناه: فأفنى الهوىٰ هناك ما لم يكن هناك باقيًا، بل كان في العلم أنه يكون هنا فانيًا، والذي أفناه الهوىٰ صفات متغايرة كانت من قَبْلِ الهوىٰ تحول فلما اضْمَحَلَّتْ وُجِدَتْ، وهو قوله:

١٦٠ فَأَلْفَيْتُ مَا أَلْقَيْتُ عَنِّيَ صَادِرًا   إِلَيَّ وَمِنِّي وَارِدًا بِبَصِيرَتِي(٢٧٤)

ألفيتُ: وجدتُ. وألقيت: طرحت.

والمعنى: ما ألقيته هاهنا من صفات الغَيْرة وجدته ببصيرتي صادرًا عني واردًا إِلَيَّ مِنِّي، بمعنىٰ أن النفس غير محتاجة إلىٰ غيرها في الاتحاد بالصفة، وأوضح جميع ما

(٢٧٤) ب ١٦٠ - بِبَصِيرَتِي: جـ] ببصيرتِ: ت.

ألغز بقوله:

١٦١ وَشَاهَدْتُ نَفْسِي بِالصِّفَاتِ الَّتِي بِهَا تَحَجَّبْتُ عَنِّي فِي شُهُودِي وَحِجْبَتِي

المعنى: رأيت بالحجابِ كما رأيت بكشفِهِ، والمَرْئِيُّ: النفس، وهي واحدة، ولكن تفرَّقتْ بالصفات، فلما نفت عنها ما به كانت المنافاةُ صَحَّ ما به، قال عنه:

١٦٢ وَأَنِّي الَّتِي أَحْبَبْتُهَا لاَ مَحَالَةً وَكَانَتْ لَهَا نَفْسِي عَلَيَّ مُحِيلَتِي(٢٧٥)

١٦٣ فَهَامَتْ بِهَا مِنْ حَيْثُ لَمْ تَدْرِ وَهْيَ فِي شُهُودِي بِنَفْسِ الأَمْرِ غَيْرُ جَهُولَةِ

قوله: بها، أي: بإياها.

والمعنى: أنا أشهد ذاتي ولا أجحدها، ومع هذا أني أظن أني أُحِبُّ غيري، ولما كان ما صرح به من كونه ما نظم إلا سلوكه إليه ولا دَلَّ غيره عليه، وكان فيما قاله غموضٌ عند من ليس في عزمه نهوض إلى تحقق ما قاله ونيل ما ناله، أعاد بصورتين وهما أن فصَّل ما جمع، وجمع ما فَصَّل؛ ليشهد التفصيل للجمع والجمع للتفصيل بوحدة فاعل ومفعول، فقال مُعَلِّمًا بأقواله ومُعَلِّمًا بأفعاله:

١٦٤ وَقَدْ آنَ لِي تَفْصِيلُ مَا قُلْتُ مُجْمَلاً وَإِجْمَالُ مَا فَصَّلْتُ بَسْطًا لِبَسْطَتِي

البسطة: التَّمَكُّنُ.

١٦٥ أَفَادَ اتِّخَاذِي حُبَّهَا لاِتِّحَادِنَا نَوَادِرَ عَنْ عَادِ المُحِبِّينَ شَذَّتِ(٢٧٦)

(٢٧٥) ب ١٦٢ - مَحَالَةً: جـ] مَحَالةِ: ت.
(٢٧٦) ب ١٦٥ - لِاتِّحادِنَا: جـ] لا اتحادِنا: ت.

المعنى: لما اتخذت حبها لأتحد بها لا لشيء سوى ذلك أفاد نوادر، لم تجر(٢٧٧) بها عادة، وذلك أن عادةَ المُحِبِّ يطلب من محبوبه غرضه، وَفَرْقٌ بين هذا وبين مُحِبٌ يُحِبُّ، وذلك أن عادةَ المُحِبِّ يطلب من محبوبه غرضه، وَفَرْقٌ بين هذا وبين مُحِبٌ يطلب من نفسه عرض محبوبه، فلهذا قال حال الناظم ما معناه: إذا كانت المَحَبَّةُ من أجل المُحِبِّ كان المحبوب غرضًا، ثم ذكر من النوادر قوله:

١٦٦ يَشِي لِي بِيَ الوَاشِي إِلَيْهَا وَلَائِمِي عَلَيْهَا بِهَا يُبْدِي لَدَيْهَا نَصِيحَتِي(٢٧٨)

الواشي يذم العاشق، واللاحي يذم المعشوق.

والمعنى: كان الواشي قبل اتحادنا يشي بي فصار يشي بي لديها، وصار لائمي عليها يبدي نصيحتي بها، أي بالحب على حبها، ولما كان الواشي بي قد صار لي أوسعته شكرًا ولم يكن الواشي غيري حيث أنا متحد بها، فعاد الشكر لها وما أسلفت بُعدًا ثم وصلت بعده، بل مازالت عندي إذ هي أنا وتمنحني برًّا بصدق المودة مني لها، ثم بَيَّنَ ذلك فقال:

١٦٧ [فَأُوسِعُهَا شُكْرًا وَمَا أَسْلَفَتْ قِلًى وَتَمْنَحُنِي بِرًّا لِصِدْقِ المَحَبَّةِ](٢٧٩)

١٦٨ تَقَرَّبْتُ بِالنَّفْسِ احْتِسَابًا لَهَا وَلَمْ أَكُنْ رَاجِيًا عَنْهَا ثَوَابًا فَأَدْنَتِ(٢٨٠)

---

(٢٧٧) كم تجر: ت، وما أثبتناه يتوافق مع سيق المعنى.

(٢٧٨) ب ١٦٦ - يشي لي بيَ: ت] يَشِي بِي لِيَ: ج.

(٢٧٩) هذا البيت غير موجود في ت، وعوضنا هذا النقص من ج.

(٢٨٠) ب ١٦٨ - فَأَدْنَت: ج] فَأَدْنَتِي: ت.

تَقَرَّبْتُ بالنفسِ أي: بقتلها عن حياتها في الحظوظ؛ فقتلتها لها لا لشيء أرجوه نوال
عن جهادي فيها، فلما[٢٨١] بدأ بنفسه ثَنىٰ بماله، فقال:

١٦٩ وَقَدَّمْتُ مَالِي فِيمَا لِي عَاجِلاً وَمَا إِنْ عَسَاهَا أَنْ تَكُونَ مُنِيلَتِي[٢٨٢]

قوله: فيما لي، أي: في إصلاح ما لي، وقوله: «وَمَا إِنَّ عَسَاهَا أَنْ تَكُوْنَ مُنِيلَتِي»، أي:
في الباطن من الأحوال كما قَدَّمت ما أملكه في الظاهر من الأموال.

١٧٠ وَخَلَّفْتُ خَلْفِي رُؤْيَتِي ذَاكَ مُخْلِصًا وَلَسْتُ بِرَاضٍ أَنْ تَكُونَ مَطِيَّتِي

أي: أن تكون رؤيتي مطيتي.

١٧١ وَيَمَّمْتُهَا بِالفَقْرِ لَكِنْ بِوَصْفِهِ غَنِيتُ فَأَلْقَيْتُ افْتِقَارِي وَثَرْوَتِي[٢٨٣]

الغنىٰ عن الشيء أعظم من الغنىٰ[٢٨٤] بالشيء.

والمعنى: أنه لما اتصفتُ بالفقر إليها فقط استغنيتُ عما سواها، فأنا غني عنه لا به.
وقوله: وثروتي أي: التي هي وصف الفقر وليس المراد أني طرحت فقري إليها، بل
المعنىٰ: أني لم أنظر إلىٰ غنىٰ[٢٨٥] عن السِّوَىٰ بل طرحته كما طرحت الفقر إلي السوىٰ

(٢٨١) فها قلها: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.
(٢٨٢) ب ١٦٩ - فِيمَا لِي: ت] فِي مَآلِيَ: جـ.
(٢٨٣) ب ١٧١ - لَكِنْ: جـ] لا كن: ت.
(٢٨٤) الغنا: ت.
(٢٨٥) غنا: ت.

بالفقر إليها فقط، فافقه هذا السلوك كيف هو غير الأول الذي هو قليل الاتحاد؛ فهو أدق وأعلى.

١٧٢ فَأَثْبَتَ لِي إِلْقَاءُ فَقْرِيَ وَالْغِنَى فَضِيلَةَ قَصْدِي فَاطَّرَحْتُ فَضِيلَتِي

قوله: فاطَّرَحْتُ فَضِيلَتِي، أي: التي تَفَضَّلْتُ بها إذ كنتُ أفضلَ من غيري

١٧٣ [١٢ظ]فَلاَحَ فَلاَحِي فِي اطِّرَاحِي فَأَصْبَحَتْ ثَوَابِيَ لاَ شَيْئًا سِوَاهَا مُثِيبَتِي

في اطِّراحي: الذي في حال اطراحي وحينه، فلما بلغ هذا المقام من الاتحاد بها ذكر أفعاله بعد الاتحاد ليُعْلِم السالكَ بعد ذلك ما المراد فقال:

١٧٤ وَظَلْتُ بِهَا لاَ بِي عَلَيْهَا أَدُلُّ مَنْ بِهِ ضَلَّ عَنْ سُبْلِ الْهُدَى وَهِيَ دَلَّتِ

أي: لما فنيَ من صفاتي كل مغاير صارت دلالتي بها عليها كُلَّ من ضل بنفسه المغايرة عنها؛ ولهذا قال: «لا بي» لأنه لما كان مغايرًا بالصفات كان متميزًا عنها، فكان هو الدالّ فيما انتفى المغاير، عادت دلالته عليها بها لا به، ثم أوضح أصل الطريق بل جملته وتفصيله على التحقيق، وبيَّن بالبيت الأول ما عليه المعوَّلُ، وهو قوله:

١٧٥ فَخَلِّ لَهَا خِلِّي مُرَادَكَ [مُعْطِيًا قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِهَا مُطْمَئِنَّةِ]

فهذا هو الأصل، والباقي تفصيله ولوازمه، وهو قوله: «مُعْطِيًا * قِيَادَكَ مِنْ نَفْسٍ بِهَا مُطْمَئِنَّةِ»، أي بالظفر بها إن فعلت.

١٧٦ [وَأَمْسِ خَلِيًّا مِنْ حُظُوظِكَ واسْمُ عَنْ ‌ ‌ ‌ حَضِيضِكَ وَاثْبُتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَنْبُتِ][٢٨٦]

١٧٧ وَسَدِّدْ وَقَارِبْ وَاعْتَصِمْ وَاسْتَقِمْ لَـهَا ‌ ‌ ‌ مُجِيبًـا إِلَيْهَـا عَـنْ إِنَابَـةِ مُخْبِـتِ

١٧٨ وَعُدْ مِنْ قَرِيبٍ وَاسْتَجِبْ وَاجْتَنِبْ غَـدًا ‌ ‌ ‌ أُشَـمِّرُ عَـنْ سَـاقِ اجْتِهَـادٍ بِنَهْضَةِ[٢٨٧]

ولما كان من أسماء السيف (ماضي) والوقت ماضٍ[٢٨٨] قال:

١٧٩ وَكُنْ صَارِمًا كَالوَقْتِ فَالمَقْتُ فِي عَسَى ‌ ‌ ‌ وَإِيَّاكَ «عَلَّ» فَهْيَ أَخْطَرُ عِلَّتِي[٢٨٩]

والمراد: السرعة؛ لأن الوقت أسرع؛ ولهذا شبه الصارم به.

١٨٠ وَقُمْ فِي رِضَاهَا وَاسْعَ غَـيْرَ مُحَاوِلٍ ‌ ‌ ‌ نَـشَاطًا وَلاَ تُخْلِـدْ لِعَجْـزٍ مُفَـوِّتِ

١٨١ وَسِرْ زَمِنًا وَانْهَضْ كَسِيرًا فَحَظُّكَ الـ ‌ ‌ ‌ ـبَطَالَةُ مَـا أَخَّـرْتَ عَزْمًـا لِـصِحَّةِ

١٨٢ وَأَقْدِمْ وَقَدِّمْ مَا قَعَـدْتَ لَـهُ مَـعَ الـ ‌ ‌ ‌ ـخَوَالِفِ وَاخْرُجْ عَنْ قُيُودِ التَّلَفُّتِ

له: لأجله. الخوالف: النساء، ولا يقيدك تلفتك إلى ما قد فعلته من الواجب.

١٨٣ وَجُزَّ بِسَيْفِ العَزْمِ سَوْفَ فَـإِنْ يَجُـدْ ‌ ‌ ‌ تَجِدْ نَفَسًا بِالنَّفْسِ إِنْ جُدْتَ جَدَّتِ[٢٩٠]

---

(٢٨٦) هذا البيت غير موجود في ت، وعوضت هذا النقص من جـ.

(٢٨٧) ب ١٧٨ - بِنَهْضَةِ: جـ] بِنَهْضَتِ: ت.

(٢٨٨) ماضي: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٢٨٩) ب ١٧٩ - عِلَّتِي: ت] عِلَّةِ: جـ.

(٢٩٠) ب ١٨٣ - وَجُزَّ: ت] وَجُدَّ: جـ؛ فَإِنْ يَجُدْ: ت] فَإِنْ تَجُدْ: جـ؛ بالنَّفْسِ: ت] فَالنَّفْسُ: جـ.

المعنى: إن تجُدْ على نفسك بالعزم جَدَّت في السير، ومتى أجدَّت أمدَّت ووجدت تَفَسًا إذ المُجِدُّ يضطر إلى التنفس فشبه السير الباطن بالسير الظاهر تعريفًا. وأشار بالنَفَس إلى الإمداد الواصل عن سِرِّ الاجتهاد في طلب الاتحاد الذي هو نهاية المراد.

١٨٤ وَأَقْبِلْ إِلَيْهَا وَانْحُهَا مُفْلِسًا فَقَدْ وَصَيْتُ لِنُصْحِي إِنْ قَبِلْتَ وَصِيَّتِي

الإفلاس، يريد به: أن لا تأتي بعقل ولا معرفة ولا اعتماد عليّ أو على فراغك من سواها، بل كن فارغًا من فراغك فلا تُقَيِّدُ الأعمال لمن أتى بشيء من هذه الأموال أو حالٍ من الأحوال، ومن فهم معنى لفظة الفقر فهم القصد.

١٨٥ فَلَمْ يَدْنُ مِنْهَا مُثْرِيًا بِاجْتِهَادِهِ وَعَنْهَا بِهِ لَمْ يَنْأَ مُؤْثِرُ عُسْرَةِ(٢٩١)

به: يرجع على الاجتهاد، بمعنى: أنه بجهد طاقته يؤثر العسرة، ويريد بها الفقر كما قدمنا، فإن كان مثريًا لا باجتهادٍ فلا بأس ولكن يجب إيثار العسرة.

١٨٦ بِذَاكَ جَرَى شَرْطُ الهَوَى بَيْنَ أَهْلِهِ وَطَائِفَةٌ بِالعَهْدِ وَفَّتْ فَوَفَّتِ(٢٩٢)

الأول(٢٩٣): من الوفاء. والثاني: من الوافي، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾(٢٩٤)، إذا أعطى ما عليه وافيًا.

---

(٢٩١) ب ١٨٥ - فَلَمْ يَدْنُ: جـ] فَلاَ يَدْنُ: ت؛ مُثْرِيًا: ت] مُوسِرًا: جـ.

(٢٩٢) ب ١٨٦ - وَفَّتْ فَوَفَّتِ: جـ] أَوفَتْ فَوُفَتِ: ت.

(٢٩٣) الأولى: ت.

(٢٩٤) سورة النجم، الآية ٣٧.

١٨٧ مَتَى عَصَفَتْ رِيحُ الغِنَى قَصَفَتْ أَخَا غَنَاءٍ وَلَوْ بِالفَقْرِ هَبَّتْ لَرَبَّتِ(٢٩٥)

الغِنَىٰ المقصود- بكسر الغين-: عدم الاحتياج، والغَنَاءُ-الممدود بالفتح-: حصول الثروة واليسار؛ فمتىٰ اشتدت ريح الغِنَىٰ(٢٩٦) قصفت صاحب الثروة الذي كان غصن شجرتها، وهو معنىٰ: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾(٢٩٧)، فهذا الكلام جَمَعَ جميع المراد، فقوله: ﴿رَآهُ﴾ بمعنىٰ رأىٰ نفسه فهو الرائي والمرئي، وبان من ذلك ذم الغنىٰ(٢٩٨) فلزم عنه مدح الفقر، ولزم- من ذكر الرؤية منه لغِنَاه- التبري من رؤية عمله ورؤية غِنَاه بفقره فذلك غناء الباطن وهو أغلق بالنفس من رؤية الغنىٰ الظاهر فافهم ذلك، كيف احتوت هذه الكلمة- علىٰ الجملة- مَقَاصِدَ التصوف بعد ما ظهر من ظاهرها ما يوجب من الفقر رضاه بحاله والصبر الحلو علىٰ عدم ماله والخلاص من وسواس قلبه، وأبلغ من ذلك كله حُسْنُ النظرِ بربه؛ إذ الغنيّ القادر لا يكون منعه إلا عطاءٌ وحكمةٌ ودواءٌ.

١٨٨ وَأَغْنَى يَمِينٍ بِاليَسَارِ جَزَاؤُهَا مُدَى القَطْعِ مَا لِلْوَصْلِ فِي الحُبِّ مُدَّتِ(٢٩٩)

يمين، هي: اليد اليمنىٰ، واليَسَار: الرزق [١٣و] الجزيل، والمُدَىٰ: السكاكين، وأغنىٰ: أفعل التفضيل.

(٢٩٥) ب ١٨٧ - غَنَاءٍ: ت] عَنَاءٍ: جـ.
(٢٩٦) الغِنَا: ت.
(٢٩٧) سورة العلق، الآيتان ٦ - ٧.
(٢٩٨) الغنا: ت.
(٢٩٩) ب ١٨٨ - يَمِينٍ: جـ] يمينٌ: ت.

والمعنى: أن لا يأتي بمعرفة أو ما به يكون متكبرًا بل بالفقر الذي هو وصف العبد لينفرد الرب بوصف الغنى، فإذا أعطى العبد نفسه حقيقة وصفها فقد أعطى ربه حقيقة وصفه، وعلى هذا العطاء من العبد لربه يكون الجزاء له من ربه، فإن الغنى على قَدْرِ الفقر، وبيّن الناظم تفصيل هذا الإجمال بذكر الإخلاص والخلاص من رؤية الأعمال فقال:

١٨٩ وَأَخْلِصْ لَهَا وَاخْلُصْ بِهَا مِنْ رُعُونَةِ افْـ ـتِقَارِكَ مِنْ أَعْمَالِ بِرٍّ تَزَكَّتِ[٣٠٠]

والرعونة: جنونُ عُجْبٍ، والمراد هاهنا ليس العجب بالأعمال الصالحة التي تَزَكَّتْ بها النفس، بل إذا عمل هذه الأعمال وجب عليه أن لا يرى لنفسه عملاً، فرؤية الأعمال رأى فقره من أعمال البر مدحة، وفقره منها هو بتركه رؤيتها؛ فحصل له العجب بفقره؛ وذلك لكونه رأى ألا يُرَى، فهذه الرؤية هي الجنون الحادث عن الرعونة؛ لأن الأمر انقلب عليه في نظره فوقع فيما ظن أنه منه خَلُصَ، بل وقع في شر منه لأنه إذا ترك رؤية الأعمال خلص من حجاب رؤيتها، فإذا رأى أنه تُرِكَ وقع في حجاب رؤية الترك، وهذه أشد من الحجاب الأول، ولهذا أضاف الرعونة إلى الافتقار، وليس الافتقار إلى الأعمال بل من الأعمال؛ ولهذا قَدَّمَ ذكر الإخلاص وذكر كيفية الوصول إليه بما ذكره مقرونًا بذكر الخلاص؛ ولهذا قيل: إخلاص العمل هو الخلاص من العمل، بمعنى أنه لم ينسب ذلك إليه وإذا لم يكن عاملاً لم يكن تاركًا

(٣٠٠) ب ١٨٩ - تزكتِ: ت] تَقَضَّتِ: جـ.

لعمل ولا لرؤية ترك، وكيفية ذلك هي أنك لما حَكَّمْتَه عليك صرتَ آلة بيده فكان هو الفاعل وحده وليس إلا أنت.

وهذا السلوك إنما يتقدم إليه إقدام الملوك، فأما ما دونه فهو دالٌّ على بقايا نفس وكمون حظ خفي، وله أوان ظهور؛ فمتى كان السالك ممن يرى ففيه بقايا محبة أن يرى فهو مع السِّوَى، وما حصل له تمام الخلاص من الهوى، وهذا الهوى جنس، أنواعه لا تُحصَى ومراتبه لا تُسْتَقْصَى، وعنه تظهر الدعاوى، ومنه تتولد الفتاوى، حتى يغلب على ظن القائل أو الفاعل أنه إنما قال ما وجب ولو تركه الحجب[٣٠١]، وهذا من العجب الذي هو رعونة الافتقار والوقوف مع الحظ والافتخار، ولهذا بعده:

١٩٠ وَعَادِ دَوَاعِي القِيلِ وَالقَالِ وَانْجُ مِنْ عَوَادِي دَعَاوٍ صِدْقُهَا قَصْدُ سُمْعَةِ[٣٠٢]

وعَادِ: اتَّخِذْ عَدُوًّا وكُنْ له غالبًا. والدواعي: ما يدعو. وعوادي: من العدوان.

١٩١ فَأَلْسُنُ مَنْ يُدْعَى بِأَلْسَنِ عَارِفٍ وَإِنْ عَبَّرَتَ كُلَّ العِبَارَاتِ كَلَّتِ[٣٠٣]

التكبر بالعرفان من أكبر الحجب عند العارفين.

١٩٢ وَمَا عَنْهُ لَمْ تُفْصِحْ فَإِنَّكَ أَهْلُهُ وَأَنْتَ غَرِيبٌ عَنْهُ إِنْ قُلْتَ فَاصْمُتِ[٣٠٤]

---

(٣٠١) كذا في ت، وقد تكون: انحجب.

(٣٠٢) ب ١٩٠ - وَانْجُ: جـ] وانجد: ت؛ عَوَادِي: جـ] عُوَادِي: ت.

(٣٠٣) ب ١٩١ - بِأَلْسَنِ: جـ] بألسَنَ: ت؛ وَإِنْ: ت] وَقَدْ: جـ؛ عَبَّرَتَ: ت] عَبَرَتْ: جـ.

(٣٠٤) ب ١٩٢ - إن: ت] مَ: جـ.

المعنى: مبني على ما تقدم؛ فإن ما لا تستطيعه العبارة لا يزيده الإيضاح إلا خفاء، ومن عبّر عنه كان مفارقًا له متغربًا عنه، ومتى وجد ما تستطيعه العبارة فلم يعبر فهو أهله؛ بمعنى أنه أهل لأن يصل إليه بالحال الذي لا يفصح عنه المقال.

١٩٣ وَفِي الصَّمْتِ سَمْتٌ عِنْدَهُ جَاهُ مُسْكَةٍ غَدَا عَبْدَهُ مَنْ ظَنَّهُ خَيْرَ مُسْكِتِ

السَّمْتُ: قَصْدُ مُسَاوَاةٍ، والمراد هاهنا مساواة ذي الرتبة العالية. والمُسْكَةُ: البقية من الشيء من جهة ما يمسك أصله.

١٩٤ فَكُنْ بَصَرًا وَانْظُرْ وَسَمْعًا وَعِي وَكُنْ لِسَانًا وَقُلْ فَالجَمْعُ أَهْدَى طَرِيقَةِ[٣٠٥]

أراد: «فبي يبصر وبي يسمع»[٣٠٦]، والجمع ضد الفرق، ومعنى الفرق ما ميز. ومعنى الجمع: الاتحاد[٣٠٧] بالصفة وهو أهدى طريقة.

١٩٥ وَلاَ تَتَّبِعْ مَنْ سَوَّلَتْ نَفْسُهُ لَهُ فَصَارَتْ لَهُ أَمَّارَةً وَاسْتَمَرَّتِ

١٩٦ وَدَعْ مَا عَدَاهَا وَاعْدُ نَفْسَكَ فَهْيَ مِنْ عِدَاهَا وَعُذْ مِنْهَا بِأَحْصَنِ جُنَّةِ[٣٠٨]

واعْدُ: جَاوِزْ نفسك المسوِّلة الأمَّارة، بيان النفس لها بالوصف اسم، فمتى كانت بغير وصف بارئها كانت ظالمة عدوة لذاتها، والوصف يظهر لها في الإرادة، فإن خالفت تميزت الغيرية وإن اتحدت بإرادة مولاها لما ذهبت الغيرية.

---

(٣٠٥) ب ١٩٤- طَرِيقَةِ: جـ] طريقتي: ت.

(٣٠٦) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًا ..." سبق تخريجه.

(٣٠٧) بالاتحاد: ت.

(٣٠٨) ب ١٩٦- وَعُذْ: ت] وَعُذْ: جـ.

١٩٧ فَنَفْسِيَ كَانَتْ قَبْلُ لَوَّامَةً مَتَى أُطِعْهَا عَصَتْ أَوْ تُعْصَ كَانَتْ مُطِيعَتِي

١٩٨ فَأَوْرَدْتُهَا مَا المَوْتُ أَيْسَرُ بَعْضِهِ وَأَتْعَبْتُهَا كَيْمَا تَكُونُ مُرِيحَتِي

[١٣ظ] فأوردتها أي: جعلت الرياضة بترك الإرادات وردًا لها، والموت الطبيعي أيسر من الموت الإرادي. والطبيعي: مُرْدٍ. والإرادي: طول العُمر فهو أيسر بعض ما جعله وردًا لها دائمًا.

١٩٩ فَعَادَتْ وَمَهْمَا حُمِّلَتْهُ تَحَمَّلَتْـ ـهُ مِنِّي فَلَوْ خَفَّفْتُ عَنْهَا تَأَذَّتِ(٣٠٩)

٢٠٠ وَكَلَّفْتُهَا لاَ بَلْ كَفَلْتُ قِيَامَهَا بِتَكْلِيفِهَا حَتَّى كَلِفْتُ بِكُلْفَتِي(٣١٠)

أي: لها. كَفَلْتُ: ضَمِنْتُ قيامها بتكليفها، أي: بما كُلِّفْتُه من الله. وكَلِفْتُ: أولعت.

٢٠١ وَأَذْهَبْتُ فِي تَهْذِيبِهَا كُلَّ لَذَّةٍ بِإِبْعَادِهَا عَنْ عَادِهَا فَاطْمَأَنَّتِ(٣١١)

العاد: العادات المُفْرِقَة إرَادَةً. فاطمأنت بالاتحاد وَصْفًا، فقد عرفت النفس المطمئنة وهي التي ليس لها منها إرادة مغايرة لإرادة مولاها منها بوجه، والمطمئن من الأرض: هو المنخفض، وضده العالي ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٣١٢).

---

(٣٠٩) ب ١٩٩ - فَلَوْ: ت] وَإِنْ: جـ.

(٣١٠) ب ٢٠٠ - كَفَلْتُ: جـ] كَفِلْتُ: ت.

(٣١١) ب ٢٠١ - فَاطْمَأَنَّتِ: جـ] فاطْمَأَنَّتي: ت.

(٣١٢) سورة الزمر، الآية ٧٢.

٢٠٢ وَلَمْ يَبْقَ هَوْلٌ دُونَهَا مَا رَكِبْتُهُ وَأَشْهَدُ نَفْسِي فِيهِ غَيْرَ زَكِيَّةِ[٣١٣]

٢٠٣ وَكُلُّ مَقَامٍ عَنْ سُلُوكٍ قَطَعْتُهُ عُبُودِيَّةً حَقَّقْتُهَا بِعُبُودَةِ[٣١٤]

العبودية: إظهار التذلل منك لمن يستحقه. والعبودة: ظهور الذِّلَّةِ لك منك.

٢٠٤ وَكُنْتُ بِهَا صَبًّا فَلَمَّا تَرَكْتُ مَا أُرِيدُ أَرَادَتْنِي لَهَا وَأَحَبَّتِ[٣١٥]

أي: لم يتولَّ[٣١٦] معها إرادة تميزني عنها في مُرَادٍ لها مني.

٢٠٥ فَصِرْتُ حَبِيبًا بَلْ مُحِبًّا لِنَفْسِهِ وَلَيْسَ كَقَوْلٍ مَرَّ نَفْسِي حَبِيبَتِي[٣١٧]

قوله: لنفسه، أي: اتحدنا، ولكن بنفي الغيرية مني، فلم يبق إلا هي، وهذان البيتان قد تضمنا مقصود الناظم، وإن الاتحاد المشار إليه إنما هو اتحاد صفة نفسه لا غير، فكان أولاً يحب نفسه بتقدير أن تكون مطمئنة، وذلك قبل ظهور ما فيها مما هو بالقوة، فلما خرج عن صفاته إلى صفاتها ظهر ذلك بالفعل، فعاد حبيبًا مُحبًّا لا مُحِبًّا فقط، فيكون هنالك اثنان بدل[٣١٨] واحدٍ مُحِبٌّ لنفسه خرج بها لا به؛ بمعنى: أنه خرج بوصفها عن وصفه وبإرادتها عن إرادته، ولهذا قال:

(٣١٣) ب ٢٠٢ - غَيْرَ زَكِيَّةِ: جـ] غيرُ زكيتي: ت.

(٣١٤) ب ٢٠٣ - بِعُبُودَةِ: جـ] بعُبُودتِ: ت.

(٣١٥) ب ٢٠٤ - وَأَحَبَّتِ: جـ] وأحَبَتِ: ت.

(٣١٦) يتولى: ت.

(٣١٧) ب ٢٠٥ - مَرَّ: جـ] أمْرِ: ت.

(٣١٨) بلد: ت.

٢٠٦ خَرَجْتُ بِهَا عَنِّي إِلَيْهَا فَلَمْ أَعُدْ ... إِلَيَّ وَمِثْلِي لَا يَقُولُ بِرَجْعَتِي[٣١٩]

الرجوع: يكون إلى وراء.

٢٠٧ وَأَفْرَدْتُ نَفْسِي عَنْ خُرُوجِي تَكَرُّمًا ... فَلَمْ أَرْضَهَا مِنْ بَعْدِ ذَاكَ لِصُحْبَتِي

٢٠٨ وَغُيِّبْتُ عَنْ إِفْرَادِ نَفْسِي بِحَيْثُ لَا ... يُزَاحِمُنِي إِبْدَاءُ وَصْفٍ بِحَضْرَتِي

٢٠٩ وَأُشْهِدْتُ غَيْبِي إِذْ بَدَتْ فَوَجَدْتُنِي ... هُنَالِكَ إِيَّاهَا بِخَلْوَةِ جَلْوَةِ[٣٢٠]

معنى هذه الأبيات الثلاثة من قوله: خرجت، أي: عن صفتي. ثم أُفرِدَتْ نفسي عن رؤية خروجي فغُيِّبتُ عن إفرادي، ثم أُشهِدتُ غيبي، أي: حقيقتي؛ إذ غيِّبت فوجدتني عبدًا مخلوقًا كيف كنت، ولهذا عَبَّرَ بما لم يُسَمَّ فاعله في قوله: «وَغُيِّبْتُ وَأُشْهِدْتُ»، ثم جاء بهذا المعنى في ثلاثة[٣٢١] أبيات أخرى بصورة أدق فقال:

٢١٠ وَطَاحَ وُجُودِي فِي شُهُودِي وَبِنْتُ عَنْ ... وُجُودِ شُهُودِي مَاحِيًا غَيْرَ مُثْبِتِ[٣٢٢]

طاح: انمحى. وَبِنْتُ أي: بعد ذلك، وهو من البَيْنِ عن وجود شهودي حال كوني ماحيًا غَيْرَ مُثْبِتٍ بوَجهٍ.

٢١١ وَعَانَقْتُ مَا شَاهَدْتُ فِي مَحْوِ شَاهِدِ ... بِمَشْهَدِهِ لِلصَّحْوِ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةِ[٣٢٣]

---

(٣١٩) ب ٢٠٦ - برَجْعَتِي: ت] بِرَجْعَةٍ: جـ.
(٣٢٠) ب ٢٠٩ - غَيْبِي: جـ] عيني: ت؛ بِخَلْوَةِ جَلْوَةِ: ت] بِجَلْوَةِ خَلْوَتِي: جـ.
(٣٢١) ثلثة: ت.
(٣٢٢) ب ٢١٠ - وُجُودِ شُهُودِي: جـ] وجودي شُهودِي: ت.
(٣٢٣) ب ٢١١ - بمَشْهَدِهِ: ت] بِمُشْهِدِهِ: جـ؛ مِنْ غَيْرِ سَكْرَةِ: ت] مِنْ بعدِ سَكْرَتِي: جـ.

وعانقت، أي: بعد ذلك.

٢١٢ وَفِي الصَّحْوِ بَعْدَ المَحْوِ لَمْ أَكُ غَيْرَهَا   وَذَاتِي بِذَاتِي إِذْ تَحَلَّتْ تَجَلَّتِ(٣٢٤)

قوله: بذاتي، أي: لا ذات الحق تعالى، وقوله: تحلت: من الحلية، فافهم أن مراده ليس غير نفسه التي قد استخلفت من بارئها فأودع كل ما يحتاج إليه فيها، فخليتها منها لها، غير أنه تعالى هو المعطي لها، إنها تعطي، فإن أبت الإعطاء فهي التي أبت، وإن هي أعطت كان خالقها المعطي؛ لذلك سماها عليها خليفة؛ لأن لها منها بها كشف ما غطى، أي: ما غطى بها فلها منها كشفه بجعلها خليفة عنه سبحانه فيما يرجع عليها.

٢١٣ وَهَا أَنَا أُبْدِي فِي اتِّحَادِيَ مَبْدَئِي   وَأُنْهِي انْتِهَائِي فِي تَوَاضُعِ رِفْعَتِي(٣٢٥)

بيان: لما انْمَحَى(٣٢٦) الشاهد بمشهده صحوه بعد سكره لم يجد في الصحو الذي هو بعد المحو، أعني: محو الصفات المميزة، لم أجد المُشهَد لي إلا ذاتي فأنا لا أرى إلا مخلوقًا قد أُعطِي أن يُعطِي نفسه كل ما يحتاج إليه، ففيه الفاعلية والمفعولية، ولهذا ذكر الناظم أن له مَبْدَأً(٣٢٧) في اتحاده ومُنتَهًى في تواضع رفعته؛ لأن منتهى التواضع هو أن يكون هذا الخليفة الرفيع الشأن عبدًا؛ إذ ليست رفعته أولى بنفسه من حيث

---

(٣٢٤) ب ٢١٢ – وَفِي: ت] فَفِي: جـ؛ إِذْ تَجَلَّتْ تَحَلَّتِ: جـ] إذ تجلت تجلتِ: ت.

(٣٢٥) ب ٢١٣ – مَبْدَئِي: جـ] مَبْدَائِي: ت.

(٣٢٦) انمحا: ت.

(٣٢٧) أن لم مبدأ: ت.

الخلقة بل بغيره. فلما عادت[٣٢٨] رفعته آخرًا بنفسه من فعله كان الأصل باقيًا؛ فحيث انتهت رفعته؛ فالتواضع لازم لها وقائم بها؛ فكان أول ما أبداه في اتحاده بها قوله:

٢١٤ جَلَتْ فِي تَجَلِّيهَا الوُجُودَ لِنَاظِرِي ... فَفِي كُلِّ مَرْئِيٍّ أَرَاهَا بِرُؤْيَتِي[٣٢٩]

يريد: رؤية الرائي؛ فأثبتها بالباء بمعنى برؤيتي إياي، فلهذا بعده:

٢١٥ فَوَصْفِيَ إِذَا لَمْ نَدْعُ بِاثْنَيْنِ وَصْفُهَا ... وَهَيْئَتُهَا إِذْ وَاحِدٌ نَحْنُ هَيْئَتِي[٣٣٠]
٢١٦ [١٤و] فَإِنْ دُعِيَتْ كُنْتُ الُمجِيبَ وَإِنْ أَكُنْ ... مُنَادًى أَجَابَتْ مَنْ دَعَانِي وَلَبَّتِ[٣٣١]
٢١٧ وَإِنْ نَطَقَتْ كُنْتُ الُمنَاجِي كَذَاكَ إِنْ ... قَصَصْتُ حَدِيثًا إِنَّمَا هِيَ قَصَّتِ[٣٣٢]
٢١٨ وَقَدْ رُفِعَتْ تَاءُ الُمخَاطَبِ بَيْنَنَا ... وَفِي رَفْعِهَا فِي فِرْقَةِ الفَرْقِ رِفْعَتِي[٣٣٣]

تاء المخاطب مفتوحة، فلما رفعت عادة للمخاطب رفعت معنى، أزيلت أيضًا.

٢١٩ فَإِنْ لَمْ يُجَوِّزْ رُؤْيَةَ اثْنَيْنِ وَاحِدًا ... حِجَاكَ وَلَمْ يَثْبُتْ لِبُعْدِ تَثَبُّتِ[٣٣٤]
٢٢٠ سَأَجْلُو إِشَارَاتٍ عَلَيْكَ خَفِيَّةً ... بِهَا كَعِبَارَاتٍ لَدَيْكَ جَلِيَّةِ[٣٣٥]

(٣٢٨) هذه العبارة: "فلما عادت" مكررة في ت.
(٣٢٩) ب ٢١٤ – مَرْئِيٍّ: جـ] مَرَائيٍّ: ت.
(٣٣٠) ب ٢١٥ – إِذَا: ت] إِذْ: جـ؛ نَدْعُ: ت] نُدْعَ: جـ؛ وَهَيْئَتُهَا: جـ] وهَيْأَتُهَا: ت.
(٣٣١) ب ٢١٦ – الُمجِيبَ: جـ] المجيبُ: ت.
(٣٣٢) ب ٢١٧ – قَصَّتِ: جـ] قَصَّتِي: ت.
(٣٣٣) ب ٢١٨ – وَقَدْ: ت] فَقَدْ: جـ؛ فِي فِرْقَةِ: ت] عنْ فِرْقَةِ: جـ.
(٣٣٤) ب ٢١٩ – يَثْبُتْ: ت] تَثْبُتْ: جـ.
(٣٣٥) ب ٢٢٠ – سَأَجْلُو: جـ] سأجلوا: ت؛ جَلِيَّةِ: جـ] جَليتِ: ت.

تقديره عليك بها أي قف مُعربًا وبادر إليها، فهذا في محتمل اللفظ أيضًا، والمعنى في بها أي بها يعود الممثَّل بالإشارات الخفية كالعبارات الجلية.

٢٢١ وَأُغْرِبُ عَنْهَا مُغْرِبًا حَيْثُ لَاتَ حِيـ ـنَ [لَبْسٍ] بِتَبْيَانَيْ سَمَاعٍ وَرُؤْيَتِي[٣٣٦]

مغربًا: أي بغرائب. لات حين[٣٣٧]: لا نافية زيد عليها التاء كما في ثمت. والحين: الوقت.

٢٢٢ وَأُثْبِتُ بِالبُرْهَانِ قَوْلِيَ ضَارِبًا مِثَالَ مُحِقٍّ وَالحَقِيقَةُ عُمْدَتِي

٢٢٣ بِمَتْبُوعَةٍ يُنْبِيكَ فِي الصَّرْعِ غَيْرُهَا عَلَى فَمِهَا فِي مَسِّهَا حَيْثُ جُنَّتِ

٢٢٤ وَمِنْ لُغَةٍ تَبْدُو بِغَيْرِ لِسَانِهَا عَلَيْهِ بَرَاهِينُ الأَدِلَّةِ صَحَّتِ[٣٣٨]

بغير لسانها، أي: بغير لُغَتِهَا[٣٣٩]. وعليه: على قولي.

٢٢٥ وَفِي العِلْمِ حَقًّا أَنَّ مُبْدِي غَرِيبِ مَا سَمِعْتَ سِوَاهَا وَهْيَ فِي الحُسْنِ أَبْدَتِ[٣٤٠]

٢٢٦ فَلَوْ وَاحِدًا أَمْسَيْتَ أَصْبَحْتَ وَاحِدًا مُنَازَلَةً مَا قُلْتُهُ عَنْ حَقِيقَتِي[٣٤١]

المعنى: لما تَقَسَّمْتَ رأيت السِّوى في باطن الحال وفي الظاهر.

(٣٣٦) ب ٢٢١ - لَاتَ حِينَ لَبْسٍ بِتِبْيَانَيْ سَمَاعٍ وَرُؤْيَةِ: جـ] لا تحين بتبياني سَماع ورؤيتي: ت.

(٣٣٧) لا تحين: ت.

(٣٣٨) ب ٢٢٤ - تَبْدُو: جـ] تبدوا: ت.

(٣٣٩) ت: نعتها، وهو تحريف من الناسخ، والصواب ما أثبتناه.

(٣٤٠) ب ٢٢٥ - سَمِعْتَ: جـ] سَمِعْتُ: ت؛ الحُسْنِ: ت] الحِسِّ: جـ.

(٣٤١) ب ٢٢٦ - وَاحِدًا: ت] وَاحِدًا: جـ؛ حَقِيقَتِي: ت] حَقِيقَةِ: جـ.

٢٢٧ وَلَكِنْ عَلَى الشِّرْكِ الخَفِيِّ عَكَفْتَ لَوْ عَرَفْتَ بِنَفْسٍ عَنْ هُدَى الحَقِّ ضَلَّتِ[٣٤٢]

٢٢٨ وَفِي حُبِّهِ مَنْ عَزَّ تَوْحِيدُ حِبِّهِ فَبِالشِّرْكِ يَصْلَى مِنْهُ نَارَ قَطِيعَتِي[٣٤٣]

حُبه: محبته. وحِبه بالكسر: محبوبه.

والمعنى: أن حب السّوىٰ ميل إلىٰ الهوىٰ فعاد المحبوبان[٣٤٤] وبقدر الميل إلىٰ أحدهما يكون الميل عن الآخر حتىٰ يعود أحدهما إلهًا ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٣٤٥]، وهذا شرك خفي جزاؤه نار قطيعتي؛ فهي نار خفية كما كان الشرك خفيًّا.

٢٢٩ وَمَا شَانَ هَذَا الشَّأْنَ مِنْكَ سِوَى السِّوَى وَدَعْوَاهُ حَقًّا عَنْكَ إِنْ تَمْحُ تَثْبُتِ[٣٤٦]

شان الأولىٰ: عاب[٣٤٧].

والمعنى: لما اتبعت الهوىٰ باتباع السوىٰ كانت الدعوىٰ منك بالفعل لا بالقول فادعيت أن هواك إله حق، فإن يُمحَ السوىٰ منك تثبتَّ في التوحيد، وذكره بما لم يُسَمَّ فاعله تعظيمًا لأنك لا تقدر علىٰ محوه إلا بالله فهو مثبتك بذلك المحو الذي هو من فعله بك جزاء علىٰ فعلك بك الذي هو امتثال أمره الذي جاءت به رسله فافهم. ولا

(٣٤٢) ب ٢٢٧ - عَكَفْتَ: جـ] علقتُ: ت.

(٣٤٣) ب ٢٢٨ - قَطِيعَتِي: ت] قَطِيعَةِ: جـ.

(٣٤٤) المحبوبين: ت.

(٣٤٥) سورة الفرقان، الآية ٤٣.

(٣٤٦) ب ٢٢٩ - إِنْ تَمْحُ تَثْبُتِ: جـ] إن يَمْحُ يثبتِ: ت.

(٣٤٧) غب: ت.

تقل: والامتثال أيضًا منه، بل والتمكين من المخالفة والامتثال منه وإلا أُزيد اعتقادك فائدة الأمر والنهي، وأقمت حجَّتك لا حجته وقد قامت بالرسل، فمهما لم تَرُدَّ اعتقادك عليك كان اعتقادك رادًّا عليه وأنت لا تعلم ولا ينفعك حسنُ ظنك به مع سوء اعتقادك فيه، ولا معنىٰ لما ذكره الناظم سوىٰ هذا، وهو نفي الثنوية من المُحِبِّ والمَحْبُوبِ سواء كان في مراد أو ما يتفرع منه من اعتقاد:

٢٣٠ كَذَا كُنْتُ حِينًا قَبْلَ أَنْ يُكْشَفَ الغِطَا — مِنَ اللَّبْسِ لاَ أَنْفَكُّ عَنْ ثَنَوِيَّةِ
٢٣١ أَرُوحُ بِفَقْدٍ بِالشُّهُودِ مُؤَلِّفِي — وَأَغْدُو بِوَجْدٍ بِالوُجُودِ مُشَتِّتِي(٣٤٨)

المعنىٰ: إذا فقدتُ شهودي لذاتي تألفتُ علىٰ الوحدة، فإذا وجدتُ وجودي تشتَّتُّ عنها، وفي هذا المعنىٰ قيل: [الكامل]

نَزِّهْ شُهُودَكَ عَنْ وُجُودِكَ تَرْشُدِ — فَإِذَا فَقَدْتَ وُجُودَ حُبِّكَ تُوجَدِ
مَا فِي الوُجُودِ سِوَى الإِلَهِ وَأَنْتَ أَنْـ — ـتَ الفَرْقُ وَهُوَ الجَمْعُ فِي المُتَرَدِّدِ
فَإِذَا فَقَدْتَكَ فِيهِ كُنْتَ مُوَحِّدًا — وَإِذَا وَجَدْتَكَ كُنْتَ غَيْرَ مُوَحِّدِ

٢٣٢ يُفَرِّقُنِي لُبِّي التِزَامًا بِمَحْضَرِي — وَيَجْمَعُنِي سَلْبِي اصْطِلاَمًا بِغَيْبَتِي

صلم أُذنه: إذا بان بتأصلها، وهذا البيت شرح ما قبله.

٢٣٣ أَخَالُ حَضِيضِي الصَّحْوَ وَالسُّكْرَ مَعْرَجِي — إِلَيْهَا وَمَحْوِي مُنْتَهَى قَابِ سِدْرَتِي

---

(٣٤٨) ب ٢٣١ - وَأَغْدُو: جـ] وأغدوا: ت.

يُريد: محو صفات التغاير.

٢٣٤ فَلَمَّا جَلَوْتُ الغَـيْنَ عَنِّـي اجْتَلَيْتُنِـي   مُفِيقًا وَمِنِّي العَيْنُ بِـالعَيْنِ قَـرَّتِ(٣٤٩)

الغين: ما ستر، وقوله مفيقًا أي: لا في سكر، ويريد سكر الحب، وذلك أن الوحدة ترفع الحب فإنه لا يكون إلا عن اثنين. والعين الأولى: البصيرة. والثانية: الذات المحققة، ويريد: ذاته، وسميناها محققة من جهة كونها أحق بمولاها من غيرها، إذ لا وصول إليه إلا بعد الوصول إليها، فهي سفينة النجاة؛ إذ هي توحدت وتحققت بالصفات، ولا يكون هذا إلا بإحدى(٣٥٠) صورتين إما باجتلاب منها فيكون هو عينها ويدها، وإما باجتذاب(٣٥١) منه فتكون هي عينه ويده، وبيان ذلك مبرهن بالكتاب والسنة، فأما بالكتاب فقوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٣٥٢)، [١٤ظ] اجتذاب(٣٥٣) منه سبحانه وتعالى؛ إذ صارت يد العبد يد إله سبحانه في المبايعة، وأما السنة فقوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ»(٣٥٤) وهذا اجتلاب من العبد واكتساب؛ إذ تقرب بالنوافل حتى صار الحقُّ عَيْنَهُ وَيَدَهُ، وقد بيَّنَّا في الخلاصة ما يُزيل الاشتباه ويُحقق أن لا اتحاد للممكن والواجب بالذات في حكم أبدًا، فافهم.

---

(٣٤٩) ب ٢٣٤ – الغَيْنَ: جـ] العين: ت؛ وَمنِّي: ت] فَمِنِّي: جـ.

(٣٥٠) بأحد: ت.

(٣٥١) بجتداب: ت.

(٣٥٢) سورة الفتح، الآية ١٠.

(٣٥٣) اجتداب: ت.

(٣٥٤) هذا جزء من حديث مشهور، نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًّا..." سبق تخريجه.

٢٣٥ وَمِنْ فَاقَتِي سُكْرِي غَنِيتُ إِفَاقَةً　　لَدَى فَرْقِيَ النَّائِي فَجَمْعِي كَوَحْدَتِي(٣٥٥)

لما قال - أولا -: والسُّكْرُ مَعْرَجِي، ثم عاد فقال: اجتليتني مُفِيقًا، أي: صاحيًا، قال بعده ما معناه: إنَّني استَغْنَيْتُ عن السُّكْرِ، وكان غناي عنه من نفس فاقتي إليه، فمن جهة ما حقيقته في السُّكْرِ صرت اجتليتني مفيقًا لدىٰ فَرْق النائي البعيد؛ فأنا في الجمع والوحدة سواء، وسَمَّاه الفرق البعيد لأن الفرق القريب هو لكل أحد، فإذا عرف واتصف زال الفرق وصح الجمع الذي هو الاتحاد بالصفة، وهذا إنما يراه أولا لفرط الحب الذي سماه سكرًا، فإذا صحا ورأىٰ الفرق بعد ذلك كان هذا الفرق النائي. وفي نسخة: الثاني: ولما كان ما ذكره عن نفسه في هذه الأبيات وتكلم به بلسان أهل المعرفة عظيمًا ومنكرًا عند بعض السامعين له أو الجاهلين به، أحالهم علىٰ صورة صحيحة شرعًا وعقلاً وذوقًا فقال تنبيهًا علىٰ ما شاهده منه بالحال، وهو معنىٰ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٣٥٦):

٢٣٦ فَجَاهِدْ تُشَاهِدْ فِيكَ مِنْكَ وَرَاءَ مَا　　وَصَفْتُ سُكُونًا عَنْ وُجُودِ سَكِينَتِي(٣٥٧)

٢٣٧ فَمِنْ بَعْدِمَا جَاهَدْتُ شَاهَدْتُ مُشْهِدِي　　وَهَادِيَّ لِي إِيَّايَ بَلْ بِيَ قُدْوَتِي

---

(٣٥٥) ب ٢٣٥ - سُكْرِي: ت] سُكْرًا: جـ؛ النائي: ت] الثاني: جـ.

(٣٥٦) سورة العنكبوت، الآية ٦٩.

(٣٥٧) ب ٢٣٦ - سَكِينَتِي: ت] سَكِينَةِ: جـ.

هذا رأىٰ نفسه خليفةً عن ربه لأنه تعالىٰ أوجدها علىٰ صورته من جهة أن لها منها كل ما يحتاج إليه، ثم ذكر في البيت الثاني هذا المعنىٰ وزاده معنًىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[٣٥٨] وذلك بقوله «صلاتي».

٢٣٨ وَبِي مَوْقِفِي لاَ بَلْ إِلَيَّ تَوَجُّهِي كَذَاكَ صَلاَتِي لِي وَمِنِّي كَعْبَتِي[٣٥٩]

هذا المعنىٰ ومثله يكرره بصور لفرط اعتنائه بتعريفه للسالك؛ وذلك لأنه أصل كما بيَّنَّا في الخلاصة، وفي مثله مما تقدم من قوله وما كان لي صلىٰ سواىٰ.

٢٣٩ فَلاَ تَكُ مَفْتُونًا بِحِسِّكَ مُعْجَبًا بِنَفْسِكَ مَوْقُوفًا عَلَى لَبْسِ عِزَّتِي[٣٦٠]

٢٤٠ وَفَارِقْ ضَلاَلَ الفَرْقِ فَالجَمْعُ مُنْتِجٌ هُدَى فِرْقَةٍ بِالإِتِّحَادِ تَحَدَّتِ

الفرق: رؤية السِّوىٰ لافتراقه. والجمع: ما جَمَّع المتفرقات، وهو رؤية المطلق من الذات بالمتقيد من المتعينات، والفرق أيضًا بمعنىٰ آخر هو: تفرق الهَمِّ والفِكْرِ، والجمع علىٰ طلب الأهم، وهذا لا شك منتج هدىٰ.

٢٤١ وَصَرِّحْ بِإِطْلاَقِ الجَمَالِ وَلاَ تَقُلْ بِتَقْيِيدِهِ مَيْلاً لِزُخْرُفِ زِينَةِ[٣٦١]

٢٤٢ فَكُلُّ مَلِيحٍ حُسْنُهُ مِنْ جَمَالِهَا مُعَارٌ لَهُ أَوْ حُسْنُ كُلِّ مَلِيحَةِ

---

(٣٥٨) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٣٥٩) ب ٢٣٨ - كَذَاكَ: ت] وَلَكِنْ: جـ.

(٣٦٠) ب ٢٣٩ - عِزَّتِي: ت] غِرَّةِ: جـ.

(٣٦١) ب ٢٤١ - مَيْلاً: جـ] مثلا: ت.

٢٤٣ بِهَا قَيْسُ لُبْنَى هَامَ بَلْ كُلُّ عَاشِقٍ كَمَجْنُونِ لَيْلَى أَوْ كُثَيِّرِ عَزَّةِ[٣٦٢]

٢٤٤ فَكُلٌّ صَبَا مِنهُمْ إِلَى وَصْفِ لَبْسِهَا بِصُورَةِ حُسْنٍ لَاحَ فِي حُسْنِ صُورَةِ[٣٦٣]

٢٤٥ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ فَظَنُّوا سِوَاهَا وَهْيَ فِيهِمْ تَجَلَّتِ

إنما أترك شرح كثير من الأبيات خوف التطويل، ولأني أثبت في الخلاصة أولاً ما استغنيت به عن إعادة الشرح[٣٦٤] في مواضعه، ولأني إذا أهملت شرحًا ذكرته بعد ذلك في مكان أَلْيَق به إن لم يكن قدمت ذلك من قبلُ.

وشرح هذا البيت معناه بيِّنٌ من النسخة الكبرىٰ فإن الإنسان هو النسخة الصغرىٰ؛ فهو يستدل بالظاهر الجلي الكبير علىٰ الباطن الخفي الصغير، ومن رأىٰ ظهور النفس في المعادن ثُم ترقىٰ إلىٰ رؤية ظهورها الأظهر في النبات الذي كأنه حيوان مربوط، يكبر وينسل، ثم ترقَّىٰ إلىٰ رؤية ظهورها الأظهر في الحيوان، ثم في الإنسان، رأىٰ كل شيء في الكون دالاً عليها مشيرًا إليها في كل شيء تَصوَّرَتْ بل بصورٍ وقد جَلَّتْ عن التقيد بصورة أو تصور.

(٣٦٢) ب ٢٤٣ - كَمَجْنُونِ: جـ] لمجنون: ت؛ كُثَيِّرِ: جـ] كثيَّر: ت؛ عَزَّةِ: جـ] عزتي: ت.
وقيس هو: قيس بن ذريح، الملقب بمجنون لبنىٰ الخزاعية، عاش في خلافة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وتوفي سنة ٦١ هـ. ولبنىٰ، هي: لبنى بنت الحباب، وهي صاحبة الشاعر المشهور قيس بن ذريح، ولهما أخبار مشهورة في الحب، ماتت لبنىٰ قبل قيس فرثاها ومات بعدها بأيام. مجنون ليلىٰ، هو: قيس بن الملوح، وهو شاعر من المتيمين من أهل نجد، توفي سنة ٦٨ هـ. ليلىٰ، هي: ليلى بنت سعد العامرية. كثير، هو: كثير بن عبد الرحمن، وهو أحد عشاق العرب المشهورين حيث عرف بعشقه عزة بنت جميل. عزة، هي: عزة بنت جميل، وهي من عاشقات العرب المشهورات.

(٣٦٣) ب ٢٤٤ - صُورَةِ: جـ] صورت: ت.

(٣٦٤) شرح: ت.

٢٤٦ بَدَتْ بِاحْتِجَابٍ وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ عَلَى صِبَغِ التَّلْوِينِ فِي كُلِّ بَرْزَةِ[٣٦٥]

الصِّبَغُ: جمع صِبْغَة.

٢٤٧ فَفِي النَّشْأَةِ الأُولَى تَرَاءَتْ لِآدَمٍ بِمَظْهَرِ حَوَّا قَبْلَ حُكْمِ الأُمُومَةِ[٣٦٦]
٢٤٨ فَهَامَ بِهَا كَيْمَا يَكُونُ بِهَا أَبَا وَيَظْهَرُ بِالزَّوْجَيْنِ سِرُّ النُّبُوَّةِ[٣٦٧]

هذا سِرُّ هُيَامِهِ بها.

٢٤٩ وَكَانَ ابْتِدَا حُبِّ المَظَاهِرِ بَعْضَهَا لِبَعْضٍ وَلاَ ضِدٌّ يَصُدُّ بِبِغْضَةِ[٣٦٨]

الابتداء: آدم لحواء[٣٦٩]. والواو في «ولا» واو الحال.

٢٥٠ وَمَا بَرِحَتْ تَبْدُو وَتَخْفَى لِعِلَّةٍ عَلَى حَسَبِ الأَوْقَاتِ فِي كُلِّ حِقْبَةِ[٣٧٠]

الحِقْبَة: مدة من الزمان مهمة.

٢٥١ وَتَظْهَرُ لِلْعُشَّاقِ فِي كُلِّ مَظْهَرٍ مِنَ اللَّبْسِ فِي أَشْكَالِ حُسْنٍ بَدِيعَةِ
٢٥٢ فَفِي مَرَّةٍ لُبْنَى وَأُخْرَى بُثَيْنَةٌ وَآوِنَةً تُدْعَى بِعَزَّةَ عَزَّتِ

---

(٣٦٥) ب ٢٤٦- صِبَغِ: ت] صِيَغِ: جـ؛ بَرْزَةِ: جـ] بَرْزَتِ: ت.
(٣٦٦) ب ٢٤٧- حَوَّا: جـ] حوىٰ: ت.
(٣٦٧) ب ٢٤٨- سِرُّ النُّبُوَّةِ: ت] حُكْمُ البُنُوَّةِ: جـ.
(٣٦٨) ب ٢٤٩- بَعْضَهَا: ت] بَعْضِهَا: جـ؛ بِبِغْضَةِ: ت] لِبِغْضَةِ: جـ.
(٣٦٩) حوىٰ: ت.
(٣٧٠) ب ٢٥٠- تَبْدُو: جـ] تبدوا: ت.

[١٥و] أي: جَلَّتْ وامْتَنَعَتْ وَتَنَزَّهَتْ عن التقيُّد والحصر بمظاهر التكوين وصور التلوين.

٢٥٣ وَلَسْنَ سِوَاهَا لاَ وَلكِنَّ غَيْرَهَا ... وَمَا إِنْ لَهَا فِي حُسْنِهَا مِنْ شَرِيكَةِ[٣٧١]

٢٥٤ كَذَاكَ بِحُكْمِ الإِتِّحَادِ بِحُسْنِهَا ... كَمَا لِي بَدَتْ فِي غَيْرِهَا وَتَزَيَّتِ

أي: إذا حصل الاتحادُ كنتُ أنا المريد والمُرَادُ، هـذا المعنى مبسوط إلى أن بيَّنه في تاسع بيت بقوله: أسام بها كنت المسمى فبدا بقوله: كما لي بدت، وقابله بقوله:

٢٥٥ بَدَوْتُ لَهَا فِي كُلِّ صَبٍّ مُتَيَّمٍ ... بِأَيِّ بَدِيعٍ حُسْنُهُ وَبِأَيَّةِ

للتعظيم.

٢٥٦ وَلَيْسُوا سِوَايَ فِي الهَوَى لِتَقَدُّمٍ ... عَلَى السَّبْقِ فِي اللَّيَالِي القَدِيمَةِ[٣٧٢]

التقدم بالزمان ليس لشيء، أو إنما التقدم بالكمال ولو تأخر ظهور الكامل، ولهذا كان محمد- صلى الله عليه وسلم- قبل من سِواه، وهو معنى «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّيْنِ»[٣٧٣] فليس المراد العلم، فإن كل شيء في الكون كان في العلم وآدم بين الماء والطين، وإنما المراد التحقق بعين الكمال الذي يلزم تقدمه على الأمثال ولو تأخر.

(٣٧١) ب ٢٥٣- وَلكِنَّ: ت] وَلاَ كُنَّ: جـ؛ شَرِيكَةِ: جـ] شريكتي: ت.

(٣٧٢) ب ٢٥٦- سِوَايَ: ت] سِوَائِي: جـ؛ لِتَقَدُّمٍ: ت] لِتَقَدُّمِ: جـ؛ عَلَى السَّبْقِ: ت] عَلَيَّ لِسَبْقِ: جـ.

(٣٧٣) قول متداول بين الصوفية أحيانًا كحديث، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

وأما مقصود الناظم هاهنا فإنه أشار إلى الاتحاد بالصفة، فإذا كانت واحدة في الحب ذهب البُعد والقرب، وبيانه:

٢٥٧ وَمَا القَوْمُ غَيْرِي فِي هَوَايَ وَإِنَّمَا ظَهَرْتُ لَهُمْ لِلَّبْسِ فِي كُلِّ هَيْئَةِ(٣٧٤)
٢٥٨ فَفِي مَرَّةٍ قَيْسٌ وَأُخْرَى كُثَيِّرٌ وَآوِنَةً أَبْدُو جَمِيلَ بُثَيْنَةِ(٣٧٥)
٢٥٩ تَجَلَّيْتُ فِيهِمْ ظَاهِرًا واحْتَجَبْتُ بَاطِناً بِهِمُ فَاعْجَبْ لِكَشْفٍ بِسُتْرَةِ

لما غلب صفة الحِبِّ على ذات المُحِبِّ وليس لذات معنى إلا ما يظهر به من صفتها، كان ظهور صفة المُحِبِّ الكامل في زمن تأخر عين ظهور صفته ممن تقدم، ولما كانت الذات لا معنى لها إلا الصفة؛ إذ لا يتميز ولا يظهر إلا بها، كان ظهور صفة المتأخر ظهور الذات المتأخر ممن تقدمه، ولما كانت الذات بحكم الصفة وقد اتحدت الصفة في الزمانين، اتحدت في تلك الصفة حقيقة الذاتين؛ فارتفع الزمان واتحدت الذاتان كما اتحدت الصفتان، وهذا ظاهر كالعيان غني عن البرهان، وهذا يصح في عبدين لا عبد ورب كما قدمناه في الخلاصة.

٢٦٠ وَهُنَّ وَهُمْ لاَ وَهْنَ وَهْمٍ مَظَاهِرٌ لَنَا بِتَجَلِّينَا بِحُبٍّ وَنَضْرَةِ(٣٧٦)

---

(٣٧٤) ب ٢٥٧ - لَهُمْ: ت] بِهِمْ: جـ؛ هَيْئَةِ: جـ] هَيئَةِ: ت.

(٣٧٥) ب ٢٥٨ - قَيْسٌ: ت] قَيْسًا: جـ؛ كُثَيِّرٌ: ت] كُثَيِّرًا: جـ؛ أَبْدُو: جـ] أبدوا: ت.
جميل، هو: أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر، أحد عشاق العرب المشهورين، أحب ابنة عمه وعُرف بها، فدعي جميل بثينة. وبثينة، هي: بثينة بنت حيان العذرية، وكانت تكنى أم عبد الملك.

(٣٧٦) ب ٢٦٠ - مظَاهِرٌ: جـ] مَظَاهِرِ: ت؛ وَنَضْرَةِ: جـ] ونضرة: ت.

أي: لم أقل ذلك عن كسر صَدٍّ وعن وَهْمٍ، بل عن يقين، اتحدت ذاتنا كما اتحدت صفاتنا بالتجلي في حُبٍّ من مُحِبٍّ، ونَضْرَةٍ من حُبٍّ، وهي من النضارة والحسن؛ وإذ قد بان ذلك وتحققت حقيقته للسالك:

٢٦١ فَكُلُّ فَتى حُبٍّ أَنَا هُوَ وَهْيَ حـِ(م) ـبُ كُلِّ فَتَى وَالكُلُّ أَسْمَاءُ لُبْسَتِي[٣٧٧]

اللُّبْسَةُ: من الالتباس وهو الاستتار، والمراد ظهور صورة أخرى من الاتحاد مبنية على الأصل، وذلك أنه إذا كان في سائر الأزمان كُلُّ عُشَّاقٍ أنا وكل معشوق ليس غير معشوقي، وقد حصل لي به الاتحاد، فقد عادت أسماء اللبسة في الأزمان اسمًا فقط في صحيح الأذهان، وهو معنى:

٢٦٢ أَسَامٍ بِهَا كُنْتُ الْمُسَمَّى حَقِيقَةً وَكُنْتُ لِيَ البَادِي بِنَفْسٍ تَخَفَّتِ[٣٧٨]

أي: الأمر هكذا فيما يصح في حكم الحقيقة، من أن الذات لا معنى لها [إلا بـ][٣٧٩] صفتها، فقد رجعت النفس واحدة تبدو[٣٨٠] للعيان وتخفى بحكم الزمان، وبيّن ذلك بقوله بعده:

٢٦٣ وَمَا زِلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ وَلاَ فَرْقَ بَلْ ذَاتِي لِذَاتِي أَحَبَّتِ[٣٨١]

---

(٣٧٧) ب ٢٦١ - كُلِّ: جـ] كلّ: ت؛ لُبْسَتِي: ت] لُبْسَةِ: جـ.

(٣٧٨) ب ٢٦٢ - أَسَامٍ: جـ] أسامَ: ت.

(٣٧٩) إضافة بها يستقيم المعنى.

(٣٨٠) تبدوا: ت.

(٣٨١) ب ٢٦٣ - أَحَبَّتِ: جـ] أحبّتي: ت.

الواو في «ولا فرق» واو الحال، وإلا ينتقض جميع ما قال، وعلىٰ هذا بنىٰ قوله بعده:

٢٦٤ وَلَيْسَ مَعِي فِي المُلْكِ شَيْءٌ سِوَايَ وَالـ ـمَعِيَّةُ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى أَلْمَعِيَّتِي

الألمعي: الذكي المتوقد، والألمعية: وصفه.

٢٦٥ وَهَذِي يَدِي لاَ أَنَّ نَفْسِي تَخَوَّفَتْ سِوَايَ وَلاَ غَيْرِي بِخَيْرٍ تَرَجَّتِ[٣٨٢]

هذا الكلام وإن كان قصد فيه باطن الحقيقة فإنه صحيح في ظاهر الشريعة، وقوله تعالىٰ: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾[٣٨٣]. وإذا كان كذلك فهل يخاف إلا من نفسه؟ وهل يرجىٰ[٣٨٤] لخير غيره؟ واعلم أن قوله: «مَا زِلْتُ إِيَّاهَا وَإِيَّايَ لَمْ تَزَلْ» يريد أَحَدِيَّةَ النفس قبل ظهورها في مظاهر الصفات، وقبَلَ الفرق الذي يفرقها بأنواع الابتلاءات، فإذا رجعت عن صفاتها إلىٰ وحدة ذاتها عادت أخيرًا كما كانت أولاً حين لا فرق.

وإيضاح ما قلناه يُتفهم بها التلخيص وذلك أنه رأىٰ الكون كله صور صفات النفس والنفس لا ترىٰ إلا بصفاتها. فلما اتحد بها باطنًا في عالم الجمع ثم نظر ظاهرًا إلىٰ عالم الفرق رأىٰ نفسه بالفرق كما رآها بالجمع، وهذه الرؤية أعني: [١٥ظ] رؤية أَحَدِيَّةَ النفس تعطي أن الرائي والمرئي[٣٨٥] واحد، ولو لم يشاهدها في الجمع، لما رآها

---

(٣٨٢) ب ٢٦٥ - بِخَيْرٍ: ت] لخَيْرٍ: جـ.

(٣٨٣) سورة النجم، الآية ٣٩.

(٣٨٤) يرجا: ت.

(٣٨٥) الراي والمراي: ت.

في الفرق ولو لم يرها[٣٨٦] في الفرق لمَا أثبت الرائي والمرئي[٣٨٧]، فعاد الجمع والفرق في الظاهر - وقد كان فرقًا فقط - يعطي جمعًا وفرقًا في الباطن، وقد كان جمعًا فقط، فأما جمع الجمع فهو جمع الظاهر والباطن معًا من غير شعور بفرق. ومن شهد هذا المشهد كان الرائي والمرئي[٣٨٨] عنده واحدًا ما زال ولا يزال[٣٨٩] يظهر ويخفى مع اختلاف مظاهره في الظهور كما أن الجسم واحد وذلك من أول الاتحاد إلى يوم المعاد. وبهذه النكتة ينشرح كثير من القصيدة، ولهذا قال: «أَنَّ نَفْسِي تَخَوَّفَتْ سِوَايَ» أي: وهي في عالم الفَرْقِ، ومثله.

٢٦٦ وَلاَ ذُلَّ إِخْمَالٍ لِذِكْرِي تَوَقَّعَتْ ... وَلاَ عِزَّ إِقْبَالٍ لِشُكْرِي تَوَخَّتِ[٣٩٠]

أي: قصدتْ ونَحَتْ[٣٩١].

٢٦٧ وَلَكِنْ لِصَدِّ الضِّدِّ عَنْ طَعْنِهِ عَلَى ... عُلاَ أَوْلِيَايَ الْمُنْجِدِينَ بِنَجْدَتِي[٣٩٢]

المنجدين: المعينين. والنجدة: القوة. والمنجد أيضًا هو الصاعد علوًّا، وهذا البيت معلوق[٣٩٣] بما قبله من قوله: وكنت لي البادي، أي: لا صُدَّ الضِّدُّ مِنِّي، وذكر الأولياء

---

(٣٨٦) يراها: ت، وما أثبتناه هو الصواب.

(٣٨٧) الراي والمراي: ت.

(٣٨٨) الراي والمراي: ت.

(٣٨٩) يزول: ت.

(٣٩٠) ب ٢٦٦ - لِشُكْرِي: ت] بِشُكْرِي: جـ.

(٣٩١) ونحوتُ: ت.

(٣٩٢) ب ٢٦٧ - عُلاَ: جـ] عُلاً: ت؛ بِنَجْدَتِي: جـ] بنجدة: ت.

(٣٩٣) مغدوق: ت.

تمثيلاً لما فيه مواليًا أو معاديًا، وفي هذا البيت نظر، ثم أقسم داعيًا على نفسه بقوله حاكيًا عن بدايته التي وصّلته إلى الاتحاد قبل ترك المراد فقال:

٢٦٨ رَجَعْتُ لِأَعْمَالِ العِبَادَةِ عَادَةً — وَأَعْدَدْتُ أَحْوَالَ الإِرَادَةِ عُدَّتِي

٢٦٩ وَعُذْتُ بِنُسْكِي بَعْدَ هَتْكِي وَعُدْتُ مِنْ — خَلَاعَةِ بَسْطِي لِانْقِبَاضٍ بِعِفَّةِ(٣٩٤)

٢٧٠ [وَصُمْتُ نَهَارِي رَغْبَةً فِي مَثُوبَةٍ — وَأَحْيَيْتُ لَيْلِي رَهْبَةً مِنْ عُقُوبَةِ](٣٩٥)

٢٧١ وَعَمَّرْتُ أَوْقَاتِي بِوِرْدٍ لِوَارِدٍ — وَصَمْتٍ لِسَمْتٍ وَاعْتِكَافٍ لِحُرْمَةِ(٣٩٦)

الوارد: ما يرد من المحبوب على صفاء القلوب من عوالم الغيوب، وكان الورد من العبارات سببًا لورود الواردات.

٢٧٢ وَبِتُّ عَنِ الأَوْطَانِ هِجْرَانَ قَاطِعٍ — مُوَاصَلَةَ الإِخْوَانِ وَاخْتَرْتُ عُزْلَتِي(٣٩٧)

٢٧٣ وَدَقَّقْتُ فِكْرِي فِي الحَلَالِ تَوَرُّعًا — وَرَاعَيْتُ فِي إِصْلَاحِ قُوتِيَ قُوَّتِي

٢٧٤ وَأَنْفَقْتُ مِنْ يُسْرِ القَنَاعَةِ رَاضِيًا — مِنَ العَيْشِ فِي الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ بُلْغَةِ

٢٧٥ وَهَذَّبْتُ نَفْسِي بِالرِّيَاضَةِ ذَاهِبًا — إِلَى كَشْفِ مَا حُجْبُ العَوَائِدِ غَطَّتِ

٢٧٦ وَجَرَّدْتُ فِي التَّجْرِيدِ عَزْمِي تَزَهُّدًا — وَآثَرْتُ فِي نُسْكِي اسْتِجَابَةَ دَعْوَتِي(٣٩٨)

---

(٣٩٤) ب ٢٦٩- وَعُذْتُ بِنُسْكِي: ت] وَعُذْتُ بِنُسْكِي: جـ.

(٣٩٥) هذا البيت غير موجود في ت، وعوضنا هذا النقص من جـ.

(٣٩٦) ب ٢٧١- وَصَمْتٍ: جـ] وَصَمْتِ: ت؛ لِسَمْتٍ: ت] بِسَمْتٍ: جـ؛ وَاعْتِكَافٍ لِحُرْمَةِ: جـ] واعتكافِ لِحُرْمَتِي: ت.

(٣٩٧) ب ٢٧٢- وَبِتُّ: ت] وَبِنْتُ: جـ.

(٣٩٨) ب ٢٧٦- دَعْوَتِي: جـ] دَعوَتِ: ت.

هذا آخر القَسَمِ، ثم جاء بجوابه الذي أوله رَجَعْتُ؛ فبيَّن بـما نظـم في القسم أدبَ السالك واحتياجه إلى ذلك وجعل جَزَاءهُ[٣٩٩] الرجوع إلى ذلك متى رأى من نفسه الاثنينية، ويحق يكون ذلك؛ لأنه متى بقى منه بقية من نفسه الأمارة أو ارتكس إليها ولو في لحظة لزمته صفات الإرادة أولا، إلى أن يقطع ما قطع، فلما فرغ من هذا التعليم نَزَّه النفس عن الحلول بالجسم، وإن ظهرت بواسطته وضرب المثل بصورة دِحيا[٤٠٠]، فكان بعد قوله: «رَجَعْتُ لأَعْمَالِ العِبَادَةِ[٤٠١]» قوله:

٢٧٧ مَتَى حُلْتُ عَنْ قَوْلِي أَنَا هِيَ أَوْ أَقُلْ   وَحَاشَا لِمِثْلِي إِنَّهَا فِيَّ حَلَّتِ

أي: حاشا لمثلي أن يعتقد ذلك، وبيَّن معتقده بقوله، أي: لا أحيلك على غيب في قولي، لا أقول بالحلول، ولا أقول أنا هي وإن ظهرت بكل صورة في الكون، وجعل ذكر ظهور جبريل بصورة دحيا مثلاً، فكما أن حقيقة جبريل لم تتغير بمظهر دحيا، فكذلك لا تتغير حقيقة النفس بظهورها في المظاهر لتكميل ذاتها بنفي الغيرية من صفاتها التي إنما خُلِقَتْ صُوَرُ الكون أمثالاً لها، مثل: الأسد صورة الغضب،

(٣٩٩) جزاؤه: ت.

(٤٠٠) هو: دحية بن خليفة بن فروة بن نضالة الكلبي الصحابي المشهور، وهو الذي كان جبريل عليه السلام يأتي بصورته، وكان أجمل الناس وأحسنهم صورة، انظر: ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: علي محمد عمر، الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١، جـ٤، ص٢٣٤، ترجمة رقم ٤٦٥؛ ابن الأثير الجزري، *أسد الغابة*، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠، جـ٢، ص٦، ترجمة رقم ١٥٠٧؛ الذهبي، *سير أعلام النبلاء*، ط٢، ١٩٨٢، جـ٢، ص٥٥٠، ترجمة رقم ١١٦؛ ابن حجر، *الإصابة*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر، القاهرة، ٢٠٠٨، جـ٣، ص٣٨١، ترجمة رقم ٢٣٩٩.

(٤٠١) العبادت: ت، وما أثبتناه هو الصواب.

والخنزير صورة الشهوة، والقرد صورة المُحَاكَاة(٤٠٢)؛ لترىٰ النفس من الكون ما تُحِبُّ فَتُحِبُّ مثله منها، وما تَبْغَضُ فتعلم أنه ضد لها منها فترفضه بما بيَّنه الأمر الإلهي عنها، لأنها هي الفاعلة بإذن بارئها فيها، فأظهر لها بالكون مظاهر الصفات المنجيات والمهلكات، فإذا وقفت في صفة حاجبة لها عن ذاتها، كانت بكلها مع مَظْهَرِ تلك الصفة في آخرتها، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾(٤٠٣)، أي: ليس لهم من اتباع أمره سوىٰ المحاكاة فقط وهم مقيدون بالشهوات البدنية وإن كانت صورهم علىٰ صور الأناسي، فالإنسان بصورته المعنوية جامع سائر الصور بصفاته، متمكن من الانتقال والثبوت عن ما شاء منها مما له أو عليه.

ولما كان الأمر إليه سمَّاه الله خليفة؛ إذ في قوته أن يكون خليفةَ شيطانٍ أو خليفةَ رحمانٍ، فمتىٰ أمر نفسه بما أمر به رَبُّه كان خليفةً علىٰ نفسه لربه، وكذلك يكون خليفة من قام بأمره. وبالأمر ظهرت فائدة الشرائع [١٦و]، وبما بيَّنَّاه من ظهور صفات النفس في صور الكون، ظهرت فائدة الكون للنفس إذ رأتها به، وثمرة هذه الرؤية هي أنه لا يؤذي شيئًا من الكون؛ لأنه يكون قد أذىٰ إياه، بل يعمل علىٰ صلاحه؛ فيكون قد أصلح إياه، فلهذا كان الظهور كله والإنسان من جملته عائدًا علىٰ الإنسان ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾(٤٠٤) ثم تَمَّمَ قوله:

---

(٤٠٢) المحاكات: ت.

(٤٠٣) سورة المائدة، الآية ٦٠.

(٤٠٤) سورة التغابن، الآية ٦.

٢٧٨ وَلَسْتُ عَلَى غَيْبٍ أُحِيلُكَ [لاَ وَلاَ عَلَى مُسْتَحِيلٍ مُوجِبٍ سَلْبَ حِيلَتِي][405]

أي: فألزمكَ. ولا على مستحيل: في العقل، لا حيلة لك في تحققه.

٢٧٩ وَكَيْفَ وَبِاسْمِ الحَقِّ أَضْحَى تَحَقُّقِي تَكُونُ أَرَاجِيفُ الضَّلاَلِ مُخِيفَتِي[406]

أراجيف الضلال: إنكار المنكرين عليَّ فيما قلته من ظهور النفس في الصور من المعدن والشجر والحيوان والبشر من غير حلول عند أولي النظر، وبرهن على ذلك بقوله:

٢٨٠ وَهَا دِحْيَةٌ وَافَى الأَمِينُ نَبِيَّنَا بِصُورَتِهِ فِي بَدْءِ وَحْيِ النُّبُوَّةِ[407]

الأمين: جبريل هو الفاعل الذي وافى[408] بمعنى: قابل وحضر، وقوله بصورته أي: بصورة دحيا ونَبِيَّنَا مفعول وافى[409] فَنُصِبَ.

٢٨١ أَجِبْرِيلُ قُلْ لِي كَانَ دِحْيَةَ إِذْ بَدَا كَمُهْدِي الهُدَى فِي صُورَةٍ بَشَرِيَّةِ[410]

٢٨٢ وَفِي عِلْمِهِ عَنْ حَاضِرِيهِ مَزِيَّةٌ بِمَاهِيَّةِ المَرْئِيِّ مِنْ غَيْرِ مِرْيَةِ

---

(٤٠٥) [ ] ما بين المعقوفتين من جـ.

(٤٠٦) ب ٢٧٩ - أضحى: ت] ظَلَّ: جـ.

(٤٠٧) ب ٢٨٠ - وَافَى: جـ] وافا: ت؛ بَدْءِ: جـ] بَدْوِ: ت.

(٤٠٨) وافا: ت، وما أثبتناه يتوافق مع قواعد الإملاء.

(٤٠٩) وافا: ت.

(٤١٠) ب ٢٨١ - كَمُهْدِي: ت] نُهْدِي: جـ.

علمه: علم النبي. عن حاضريه: عن من حضره. مزية: زيادة. بماهية المرئي[٤١١] دحيًا، وإنه جبريل. بغير مرية: شك.

٢٨٣ يَـرَى مَلَكًـا يُـوحِي إِلَيْـهِ وَغَـيْرُهُ   يَرَى رَجُلاً يُرْعَى لَدَيْهِ بِصُحْبَتِي[٤١٢]

الرائي: النبي، يُرعىٰ أي: يرعىٰ جانبه بسبب صحبته للنبي - صلىٰ الله عليه وسلم.

٢٨٤ وَلِي مِـنْ أَتَـمِّ الـرُّؤْيَتَيْنِ إِشَـارَةٌ   تُنَزِّهُ عَـنْ رَأْيِ الحُلُـولِ عَقِيـدَتِي[٤١٣]

معنىٰ الرؤيتين: ما كان يراه النبي - صلىٰ الله عليه وسلم -، وما كان يراه من حضره، والإشارة هي أنه إذا كان جبريل لم يحل في الصورة وقد ظهر بها والنفس لا تحل في جسم وقد ظهرت به، فكيف اعتقد حلول الباريء بمصنوعاته وإن تجلىٰ من الشجرة لموسىٰ عليه السلام، وقال ﴿أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾[٤١٤]، وقد صح أنه تعالىٰ كلَّمه تكليمًا من وراء حجاب، وإذا جاز احتجابه بصورة الذات[٤١٥] من غير حلول فبصورة الإنسان أجمع من غير حلول، وذلك إذا فني عن صفاته وتَمَيُّزِهِ وتَعيُّنِهِ بإرادة مميزة له عن إرادات بارئه له.

٢٨٥ وَفِي الذِّكْرِ ذِكْرُ اللَّبْسِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ   وَلَمْ أَعْدُ عَنْ حُكْمَيْ كِتَابٍ وَسُنَّةِ[٤١٦]

(٤١١) المراي: ت.
(٤١٢) ب ٢٨٣ - بِصُحْبَتِي: ت] لِصُحْبَةٍ: جـ.
(٤١٣) ب ٢٨٤ - أَتَمِّ: ت] أَصَحِّ: جـ.
(٤١٤) سورة طه، الآية ١٤.
(٤١٥) الذيات: ت.
(٤١٦) ب ٢٨٥ - وَسُنَّةِ: جـ] وسنتي: ت.

الذكر: القرآن. واللَّبْسُ: الالتباس بالصور، وهو قوله تعالى ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾[٤١٧] أي: جبريل ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾[٤١٨] وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾[٤١٩]. وأما السنة فقوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ»[٤٢٠]، ولقوله فإن الله قال على لسان عبده: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»[٤٢١]، فلما برهن على مراده بالسنة والتنزيل دلَّ على السبيل؛ فقال:

٢٨٦ مَنَحْتُكَ عِلْمًا إِنْ تُرِدْ كَشْفَهُ فَرِدْ سَبِيلِيَ وَاشْرَعْ فِي اتِّبَاعِ شَرِيعَتِي

أي: التي أنا متبعها، وهي شريعة محمد- صلى الله عليه وسلم-، ولهذا عَيَّنَ أن أول الطريق وهو الشروع، اتباع الشريعة. وَرِدْ: من الورود. وقوله سبيلي ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٤٢٢] أي كذلك، فلا يصح السبيل إلا من وراء هذا الدليل- صلى الله عليه وسلم- واتباع شريعته التي هي شريعة متبعة.

٢٨٧ فَمَنْبَعُ صَدًّا مِنْ شَرَابٍ نَقِيعُهُ لَدَيَّ فَدَعْنِي مِنْ سَرَابٍ بِقِيعَةِ[٤٢٣]

منبع صدَّاء: ماء معروف يضرب به المثل، تقول العرب: ماء ولا كصدَّاء[٤٢٤].

---

(٤١٧) سورة مريم، الآية ١٧.

(٤١٨) سورة مريم، الآية ١٧.

(٤١٩) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٤٢٠) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًا..." سبق تخريجه.

(٤٢١) ورد هذا الدعاء في العديد من الأحاديث النبوية، انظر على سبيل المثال: صحيح البخاري ١٠٤٦، صحيح مسلم ٩٠١، سنن أبي داود ٩٧٢.

(٤٢٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٤٢٣) ب ٢٨٧- صَدًّا: جـ] صدى: ت؛ شَرَابٍ نَقِيعُهُ: جـ] شراب بقيعة: ت؛ بِقِيعَةِ: جـ] بقيعتي: ت.

(٤٢٤) صدى... صدى: ت. انظر: تاج العروس (صدأ) ١: ٣١٠، مجمع الأمثال.

٢٨٨ وَدُونَكَ بَحْـرًا خُـضْتُهُ وَقَـفَ الأُلَى بِسَاحِلِهِ صَوْنًا لِـمَوْضِعِ حُرْمَتِي[٤٢٥]

الأُلى[٤٢٦] هنا مقلوب من الأول؛ لأنه جمع أولى، مثل: أُخَر وأخرى. والبحر يريد به: معرفة النفس. والساحل: معرفة الشريعة التي لا يمكن الوصول إلى البحر إلا من ساحله. والأُلى[٤٢٧] يريد بهم: من لم يكن على قدمه كما ذكر في البيت الثالث، وهذا غير قول أبي يزيد: «خضت بحرًا وقف الأنبياء في ساحله»[٤٢٨]. فإن قصد القائل هاهنا تعظيم نفسه ترغيبًا في سلوك سبيله وقصد أبي يزيد تعظيم الأنبياء- عليهم السلام- الذي يلزم عنه تعظيم نفسه؛ إذ فعله كفعلهم- فكأنه قال: خضت ما خاضه الأنبياء ورجعوا مكلفين إلى ساحله لقوتهم على الوقوف عند الجمع بين البر والبحر، يستخرجون الدرر ويضمنون سلامة البشر، وليس للأولياء ذلك كما ليس لغيرهم ما لهم؛ ولهذا قال بعد هذا البيت:

٢٨٩ وَ«لاَ تَقْرَبُـوا مَـالَ اليَتِـيمِ» إِشَـارَةٌ لِكَـفِّ يَـدٍ صُـدَّتْ لَـهُ إِذْ تَـصَدَّتِ

وبيّن أنه لم يمدح نفسه بهذا الكلام، بل مدح الطريق، وأنه هو وسالكه وَاحِدٌ من كل رفيق؛ إذ هم واحد وبالصفة على التحقيق، فقال:

---

(٤٢٥) ب ٢٨٨- الأُلَى: جـ] الأولى: ت.

(٤٢٦) الأولى: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٤٢٧) والأولى: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٤٢٨) أصل العبارة هو: "خضت بحرًا وقف الأنبياء بساحله"، راجع: قاسم محمد عباس، *أبو يزيد البسطامي- المجموعة الصوفية الكاملة- ويليها كتاب تأويل الشطح*، دار المدى، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦، ص ٤٩.

٢٩٠ وَمَا نَالَ شَيْئًا مِنْهُ غَيْرِي سِوَى فَتًى عَلَى قَدَمِي فِي القَبْضِ وَالبَسْطِ مَا فَتِي

أي: ما برح، والقدم يريد ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٤٢٩)، والقبض والبسط [١٦ظ] يريد: الشيء وضده، فلم يغيره عند الله سرَّاءُ أتته ولم يغير الله عنده ضراءُ جاءته؛ فكان في السراء كما كان سليمان- عليه السلام- بقوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾(٤٣٠) فلم تغيره السراء عند الله، وكان في الضراء كما قال يونس- عليه السلام-: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(٤٣١)، فلم تغير الله عنده الضراءُ، لأنه رآها جزاءً من ربه، وسليمان رأى السراء فضلاً من ربه، فمن كان في حال قبضه بما يقبض أو بسطه(٤٣٢) بما يبسط واحدًا كان واقفًا مع الفاعل لا مع الفعل، وإذا ثبت على ذلك فهو صاحب الفتوة على نفسه وكفى.

٢٩١ فَلَا تَعْشُ عَنْ آثَارِ سَيْرِيَ وَاخْشَ غَيْـ ـنَ إِيثَارِ غَيْرِي وَاغْشَ عَيْنَ طَرِيقَتِي(٤٣٣)

الأعشى: هو الذي لا يبصر ليلاً. والغين: الستر. وقوله: آثار بمعنى: أن يقفو الأثر.

٢٩٢ فَوَادِي وَلَاهَا صَاحِ صَاحِي الفُؤَادِ فِي وِلَايَةِ أَمْرِي دَاخِلٌ تَحْتَ إِمْرَتِي(٤٣٤)

---

(٤٢٩) سورة يونس، الآية ٢.

(٤٣٠) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤٣١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٤٣٢) بسط: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٤٣٣) ب ٢٩١- سَيْرِيَ: جـ] سري: ت؛ غَيْنَ: جـ] عن: ت؛ عَيْنَ طَرِيقَتِي: جـ] عين كل طريقتي: ت.

(٤٣٤) ب ٢٩٢- صَاحَ: ت] صَاحِ: جـ؛ الفُؤَادِ: جـ] الفُؤَادُ: ت.

الفاء للعطف تَرَكَّبَتْ على وادي. وصاح: نداء صاحب مرخم. وصاحي الفؤاد: وصف للصاحب، ومعنى البيت: الإعلام لمن هو مثله في المحبة لمحبوبه، أن فؤاده في محبة هذه المحبوبة غير محكوم عليه بالحب، بل فؤاده ووادي ولاها بمن حل بالوادي داخل تحت أمره وفي ولايته.

وبيان هذا البيت يُتفهم ما بعده ويظهر ترقيه عن جميع ما تقدم من أوصاف الحب وعن كل اسم قد سمي به، وإيضاح ذلك: هو أنه أولاً ذكر محبته لنفسه المطمئنة ثم ظهر له أنه إنما كانت لها ومن أجلها، ثم ذكر أنه تَرَقَّى وعاد فأحب [.../ النفس] المطمئنة حتى اتحد بها، ثم هاهنا عاد فذكر تَرَقِّيه وفراغَه منها ورحلته عن الاتحاد بها مع كونها مطمئنة وفي أبلغ الدرجات، ونبه بالاتحاد الذي ذكره على أنه: لما رأى نفسه في الأكوان والمظاهر وتكلم عليها كلام من قد اتحد بالبارئ تعالى ورأى كل شيء لها وعنها، نَبَّهَ على أنه ما خرج عنه ولا وصل إلا إليه وأن الرائي هو المرئي[٤٣٥] والمحب هو المحبوب، وهو عبد مخلوق وكانت نفسه بخيلة على نفسه، ثم تكلم فيما سيأتي على سلوك سبيل المحبة للنفس مع الفراغ منها والتبري عنها، وإيضاحه هو أنه أحبها من أجلها ثم رحل عن ذلك ورجع إلى العبودية، وصفة هذه العبودية أنه كان يحب نفسه من أجلها فصار يحبها من أجل الله، بمعنى: أنه إذا علم أن الله يريد منه أن يعز نفسه أعزها لكون الله أراد منه ذلك فَلَمَّا عَلِمَ[٤٣٦] أنه تعالى يريد منه أن يزلها أزلها،

---

(٤٣٥) الراي هو المراي: ت.

(٤٣٦) فلم عُلِمَ: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

وكان الإعزازُ والإذلالُ، عنده منه، واحدًا لكونه مراد مولاه، والعبد بالحقيقة إنما يفعل مُراد المولى.

٢٩٣ وَمُلْكُ مَعَالِي العِشْقِ مِلْكِي وَجُنْدِيَ الـ ـمَعَانِي وَكُلُّ العَاشِقِينَ رَعِيَّتِي

أي: لم أَبِن عن الحب دون معرفة به، بل بعد نهاية معرفة وذوق؛ حيث صار حالي ذلك مِلكًا لي، ثم قال:

٢٩٤ فَتَى الحُبِّ هَا قَدْ بِنْتُ عَنْهُ بِحُكْمِ مَنْ يَرَاهُ حِجَابًا فَالهَوَى دُونَ رُتْبَتِي(٤٣٧)

من قوله: فتى الحب، وهو نداء إلى قوله: «وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَنِّيَ نَازِحٌ»(٤٣٨)، مدح للمتحد بالنفس المطمئنة، وهو لمن رأى ذلك غاية، وذلك بعينه درجة إلى ما فوقه، ولا سبيل إلى الصعود عنها إلا بمفارقة تلك المحبة، ومتى بَقِيَ معه من تلك المحبة شيء فتقدم؛ احترق بجذوة، كما سيأتي في موضعه، فافهمه. ولما قال: «فَالهَوَى دُونَ رُتْبَتِي» قال:

٢٩٥ وَجَاوَزْتُ حَدَّ العِشْقِ فَالحُبُّ كَالقِلَى وَعَنْ شَأْوِ مِعْرَاجِ اتِّحَادِيَ رِحْلَتِي

ثم خاطب فتى(٤٣٩) الحب الممدوح أولاً، فقال له بعد رحلته عنه: «فطب» أي: أنت لا أنا.

---

(٤٣٧) ب ٢٩٤ - فَتَى الحُبِّ: ت] فَتِي الحُبُّ: ج.

(٤٣٨) انظر البيت رقم ٣٠٧ من الديوان ص ٩٧؛ ص ١٨٥ من الكتاب الذي بين أيدينا.

(٤٣٩) فتا: ت.

٢٩٦ فَطِبْ بِالهَوَى نَفْسًا فَقَدْ سُدْتَ أَنْفَسَ الـ ـــعِبَادِ مِــن العُبَّــادِ فِي كُــلِّ أُمَّتِـي[٤٤٠]

٢٩٧ وَفُـزْ بِـالعُلاَ وَافْخَـرْ عَـلَى نَاسِـكٍ عَـلاَ بِظَـــاهِرِ أَعْـــمَالٍ وَنَفْـــسٍ تَزَكَّـــتِ

٢٩٨ وَجُـزْ مُـثْقَلاً لَـوْ خَـفَّ طَـفَّ مُـوَكَّلاً بِمَنْقُولِ أَحْكَامٍ وَمَعْقُـولِ حِكْمَتِـي[٤٤١]

جُزْ، أي: تجاوز. لو خَفَّ: ترك ما أثقله، طفَّ على عليّ العلوم كما يطفو الخفيف على الماء، لكنه عن تنقل غَارِقٌ؛ حيث أضحى موكلاً بمنقول:

٢٩٩ وَجُزْ بِـالوَلاَ مِـيرَاثَ أَرْفَـعِ عَـارِفٍ غَــدَا هَمُّــهُ إِيثَــارَ تَــأْثِيرِ هِمَّتِـي[٤٤٢]

الولاء للمعتق، بمعنى: أن هذا العارف عَبْدُ المحب الذائق، ونصب همَّهُ لأنه خَبَرَ[٤٤٣] غدا.

٣٠٠ وَتِهْ سَاحِبًا بِالسُّحْبِ أَذْيَالَ عَاشِـقٍ بِوَصْـلٍ عَـلَى أَعْـلَى المَجَـرَّةِ جُـرَّتِ

٣٠١ وَجُـلْ فِي فُنُـونِ الإِتِّحَـادِ وَلاَ تَحِـدْ إِلَى فِئَـــةٍ فِي غَـــيْرِهِ العُمْـــرَ أَفْنَـــتِ

٣٠٢ فَوَاحِـدُهُ الجَـمُّ الغَفِـيرُ وَمَـنْ عَـدَا هُ شِرْذِمَـةٌ حُجَّـتْ بِـأَبْلَغِ حُجَّـةِ[٤٤٤]

الجم: الكثير. والغفير: الجماعة الكثيرة من الناس. وعداه: سواه. والشرذمة: اليسير. وحُجَّتْ: غُلِبَتْ بقيام الحُجَّة، وهذا كله وما بعده يحكي فيه مقامه [١٧و] إلى

---

(٤٤٠) ب ٢٩٦- سُدْتَ أَنفَسَ: جـ] سُدَّتَ أَنفُس: ت؛ أُمَّتِي: ت] أُمَّةِ: جـ.

(٤٤١) ب ٢٩٨- حِكْمَتِي: ت] حِكْمَةِ: جـ.

(٤٤٢) ب ٢٩٩- وجُزْ: ت] وَحُزْ: جـ؛ هَمُّهُ: جـ] همَّهُ: ت؛ هِمتِي: ت] هِمَّةِ: جـ.

(٤٤٣) خير: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٤٤٤) ب ٣٠٢- فَوَاحِدُهُ: جـ] فواحدة: ت؛ شِرْذِمَةٌ (بدون واو): جـ] وشرذمة: ت؛ حُجَّةِ: جـ] حُجتي: ت.

مقام الناظم، ولكنه المقام الذي كان عليه ثم رجع عنه لكونه لم يرضه، فافهم المعنى، وقابل به الأبيات.

٣٠٣ فَمُتْ بِمَعْنَاهُ وَعِشْ فِيهِ أَوْ فَمُتْ مُعَنَّاهُ وَاتْبَعْ أُمَّةً فِيهِ أَمَّتِ(٤٤٥)

فمت، أي: توسل، أي: اجعل معنى الحب وسيلة لك إلى الاتحاد بمحبوبك، والمراد بمعناه: حقيقته. وأَمَّتْ: قَصَدَتْ أي: قصدته؛ فماتت فيه دون أن تظفر به؛ فتلك تجدٌ لك.

٣٠٤ وَأَنْتَ بِهَذَا المَجْدِ أَجْدَرُ مِنْ أَخِي اجْـ ـتِهَادٍ مُجِدٍّ عَنْ رَجَاءٍ وَخِيفَةِ(٤٤٦)

٣٠٥ وَغَيْرُ عَجِيبٍ هَزُّ عِطْفَيْكَ دُونَهُ بِأَهْنَا وَأَنْهَى لَذَّةٍ وَمَسَرَّةِ(٤٤٧)

هز عطفيك إشارة إلى التبختر. وقوله: دونه، أي: قبل الوصول إليه، فكيف إذا وصلت؟!

٣٠٦ فَأَوْصَافُ مَا يُعْزَى إِلَيْهِ كَمِ اصْطَفَتْ مِنَ النَّاسِ مَنْسِيًّا وَأَسْمَاهُ أَسْمَتِ(٤٤٨)

يُعْزَى: ينسب إليه، إلى المجد. أسمت: أعلت، ثم قال هذا كله لك:

٣٠٧ وَأَنْتَ عَلَى مَا أَنْتَ عَنِّيَ نَازِحٌ وَلَيْسَ الثُّرَيَّا لِلثَّرَى بِقَرِينَةِ

---

(٤٤٥) ب ٣٠٣- أَمَّتِ: جـ] أَمَّتِي: ت.

(٤٤٦) ب ٣٠٤- وَأَنْتَ: ت] فَأَنْتَ: جـ؛ أَخِي: جـ] أَخٍ: ت.

(٤٤٧) ب ٣٠٥- عِطْفَيْكَ: جـ] عطفتك: ت؛ بِأَهْنَا: جـ] بأهنى: ت؛ وَمَسَرَّةِ: جـ] ومسرتي: ت.

(٤٤٨) ب ٣٠٦- فَأَوْصَافُ: ت] وَأَوْصَافُ: جـ؛ مَنْسِيٌّ: جـ] منسيًا: ت.

أي: ومع هذا كله يا فتىٰ الحب، المتحد بنفسه المطمئنة، أنت بعيـد عنـي؛ «فـالواو» للحال، وأنت:

٣٠٨ فَطُـورُكَ قَـدْ بُلِّغْتَـهُ وَبَلَغْـتَ فَـوْ قَ طَوْرِكَ حَيْثُ النَّفْسُ لَمْ تَكُ ظَنَّتِ(٤٤٩)

الطُّورُ: الجبل، بمعنىٰ: جبل المكالمة. والطَّوْر: الحد.

٣٠٩ وَحَـدُّكَ هَـذَا عِنْـدَهُ قِـفْ فَعَنْـهُ لَـوْ تَقَدَّمْتَ شَيْئًا لاَحْتَرَقْتَ بِجَـذْوَةِ(٤٥٠)

الجذوة: الجمرة الملتهبة، ويقال بالضم والفتح والكسر.

٣١٠ وَقَدْرِي بِحَيْـثُ المَـرْءُ يُغْـبَطُ دُونَـهُ سُمُوًّا وَلَكِنْ فَوْقَ قَدْرِيَ غِبْطَتِي(٤٥١)

أي: غبطتي علىٰ ما دون قدري.

٣١١ وَكُـلُّ الـوَرَى أَبْنَـاءُ آدَمَ غَـيْرَ أَ(م) نِّي حُزْتُ صَحْوَ الجَمْعِ مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِي(٤٥٢)

صحو الجمع: هو أن يدرك ببصره وبصيرته إدراكًا واحدًا لا في سكر، وأن يجمع له ذلك بسائر حواسه وروحه، وكل ما ينسب إليـه بحيـث لا فـرق بـين أن يـسمع أو يرىٰ، وذلك لاتحـاده بالحـق كما بيَّنا معنىٰ(٤٥٣) قوله في الاتحـاد الذي هو «كُنْتُ سَمْعَهُ

(٤٤٩) ب ٣٠٨- ظَنَّتِ: جـ] ظنتي: ت.

(٤٥٠) ب ٣٠٩- بِجَذْوَةِ: جـ] بجذوتي: ت.

(٤٥١) ب ٣١٠- يُغْبَطُ: جـ] يعبط: ت؛ غِبْطَتِي: جـ] عبطتي: ت.

(٤٥٢) ب ٣١١- بَيْنِ: ت] دُونِ: جـ.

(٤٥٣) معنا: ت.

وَبَصَرَهُ»(٤٥٤)؛ ولهذا قال:

٣١٢ فَسَمْعِي كَلِيمِيٌّ وَقَلْبِي مُنَبَّأٌ بِأَحْمَدِ رُؤْيَا مُقْلَةٍ أَحْمَدِيَّةِ(٤٥٥)

لما كان صاحب هذا المقام هو زبدة الكون، كان حكمه روح الأرواح لسائر ما في الكون، وكان كل حسن من فيض طينته؛ لأن العبد من طينة مولاه، فهذا معنى قوله:

٣١٣ وَرُوحِيَ لِلأَرْوَاحِ رُوحٌ وَكُلُّ مَا تَرَى حَسَنًا فِي الكَوْنِ مِنْ فَيْضِ طِينَتِي(٤٥٦)

٣١٤ فَذَرْ لِيَ مَا قَبْلَ الظُّهُورِ عَرَفْتُهُ خُصُوصًا وَبِي فِي الذَّرِّ لَمْ تَدْرِ رُفْقَتِي(٤٥٧)

فذر لي، أي: لا تنازع في معرفة كانت لي خصوصًا، والمعنى: عرفت الآن ما قبل الظهور فَبَقِيَ حكمي الآن كما كنت قبل الظهور في العلم الأزلي(٤٥٨)، بمعنى ترك الإرادة المميزة بيني وبينه - سبحانه - حتى كأنني الآن كما كنت قبل الظهور، ولا شك أن من نظر بعين العقل الصحيح رأى أن العلم الأزلي(٤٥٩) إنما كان فيه ما هو الآن في الكون، والذي هو الآن في الكون ينقسم إلى قسمين: أحدهما: ما هو من أفعال الخلق بإذن الحق. ولما أودع فيهم بالقوة ومَكَّنَهُم من إظهاره إلى الفعل، ومن

(٤٥٤) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًّا..." سبق تخريجه.

(٤٥٥) ب ٣١٢- بِأَحْمَدِ: جـ] بأحْمَدَ: ت؛ أَحْمَدِيَّةِ: جـ] أحمديةِ: ت.

(٤٥٦) ب ٣١٣- وَكُلُّ مَا: جـ] وكلما: ت؛ فَيْضِ طِينَتِي: ت] فَضْلِ تُرْبَتِي: جـ.

(٤٥٧) ب ٣١٤- فِي الذَّرِّ لَمْ تَدْرِ: ت] لَمْ تَدْرِ فِي الذَّرِّ: جـ.

(٤٥٨) الأزل: ت.

(٤٥٩) الأزل: ت.

قبل إظهاره فكما كان من أفعاله فهو تابع العلم منه - سبحانه - وما كان من أفعالهم فالعلم يتبعه لا هو يتبع العلم، ومن فهم هذا فهم سِرَّ القَدَر، وسنوضحه في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

واعلم أنه من تفطن فتحقق إحاطة العلم الأزلي[٤٦٠] بذرَّات[٤٦١] الكون قبل إظهاره مسخرًا للإنسان ورأى تلقي الإنسان بترقي ما يتعلق به كجسمه الذي سرى بحكم التقدير الأزلي[٤٦٢]، مترقيًا في صور الأعيان الجمادية ثم النباتية ثم الحيوانية إلى أن ظهرت صورة الإنسان، ثم نظر كذلك في ترقي صورته المعنوية إلى أن ظهر الإنسان الكامل فَسَلَّمَ إليه أمره، ومُكِّن من أن يزكي نفسه فعاد هو المرقي لها، وعاد خليفة عن ربه؛ فمن شهد ذلك رأى من بارئه قدرة كاملة وتبين له أنه إنما رأى بحسب الرائي لا المرئي[٤٦٣]، والرائي[٤٦٤] في قبل الكون ولو تجرد عنه بكل صورة ممكنة فإنه يكون لم يخرج عن حكم الكون.

وكذلك مرآته الباطنة وكل ما يرد عليه في النشأة الأولى وله حد وحق، فإذا وصل إلى حده وصل إلى حقه جزاء هاهنا من ربه، وكان حقًّا عليه نصر المؤمنين[٤٦٥]، وحده، هاهنا:

---

(٤٦٠) الأولى: ت.

(٤٦١) بروزات: ت.

(٤٦٢) الأولى: ت.

(٤٦٣) الرائي لا المرائي: ت.

(٤٦٤) الرائي: ت.

(٤٦٥) إشارة إلى الآية ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سورة الروم، الآية ٤٧.

صفاء مرآته[٤٦٦] التي هي حقيقة ذاته، فكما أن المرآة[٤٦٧] إذا كملت في استدارتها وشكلها وصفائها وغير ذلك من لوازمها أرت ما قابلها على ما هو عليه؛ فكذلك هذه الذات وجلاؤها وتصحيحها هو بامتثال الأمر العام ظاهرًا والخاص باطنًا، وهذا الخاص - أعني ما يختص بالولي - لا يكون خارجًا عن العام الذي جاء به النبي، بل هو مما جاء به النبي، ولكنه يخص الولي في حال دون حال، وربما استتر عن نظر العام [١٧ظ] فإذا انكشف لم يكن مخالفًا، وذلك كما لو كشف الخضر ما فعله ونبأ به موسى - عليهما السلام - فظهر أنه لم يكن ذلك الفعل الخاص مخالفًا للحكم العام وبيّن قوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ[٤٦٨] عَنْ أَمْرِي﴾[٤٦٩]، أن الاثنين على طريق واحد من جهة كونهما مع الأمر لا مع أنفسهما.

وهذا أعني: الأمر: هو الدين[٤٧٠] القيم، ويحقق بالمفهوم من هذه القصة التي تضمنت - بقوله ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٤٧١]، وهما بشران - أن الذي يكون مع الله بعقله فيما يرد عليه من أمره أولى بأن يقول له الحق تعالى: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾[٤٧٢]. وهذه هي سقطة إبليس، وهي شجرة المعرفة التي أكل منها آدم، وبهذا اللفظ سميت في التوراة شجرة المعرفة خيرًا وشرًّا. وإذ قد فهمت ما قدمناه فاعلم

(٤٦٦) مرآته: ت.

(٤٦٧) المراة: ت.

(٤٦٨) فعله: ت.

(٤٦٩) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٤٧٠) الدين مكررة في ت.

(٤٧١) سورة الكهف، الآية ٧٨.

(٤٧٢) سورة الكهف، الآية ٧٨.

أنه كُلَّ ما[٤٧٣] كملت المعاني العقلية في ذهن الناطق المتمكن من العبارة تَعَيَّنَ لها صور مظاهر لفظية، كذلك كلما كملت روحانية عبد تَعَيَّنَ لها صورة جسم هو مظهرها، ثم أفيض على الجسم الظاهر من الكمال الباطن ما يتم به ظهور المعنى الذي لأجله وُجِدَتْ تلك الصورة، ولم يزل الظهور كذلك إلى أن تعين ظهور الكامل المكمَّل، فظهرت صورة محمد- صلى الله عليه وسلم- وفيها سائر ما قبلها من المعاني التي يلزم عن ظهورها ظهورُ سائر الصور من الأفلاك والأملاك، وغيرها من كل ما ظهر، فكان الكمال للأولياء والكمال والتكميل للأنبياء عليهم السلام، فمرآة الولي تُخَصَّص ومرآة النبي تخصص وتُعمَّم، والخلل متمكن على المرآتين[٤٧٤] ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤٧٥]، ولكنه مستحيل على الأنبياء لأنهم معصومون وعصمتهم من جهة أتينا لهم كسبًا لا إجبارًا.

والعلم الأزلي[٤٧٦] لما كان محيطًا بما يكون منهم كانوا من الذين سبقت لهم منه الحسنى، ومعنى السبق قبل الإيجاد ولم يكن السبق إلا بما في العلم، بما يكون منهم بعد الإيجاد، ولهذا اختارهم وهو معنى: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالاته[٤٧٧]﴾[٤٧٨]

(٤٧٣) فاعلم أنه كما أنه كل ما: ت.

(٤٧٤) المرآتين: ت.

(٤٧٥) سورة الأنعام، الآية ٨٨.

(٤٧٦) الأزل: ت.

(٤٧٧) كذا في ت، وهي قراءة: نافع؛ وأبي عمرو؛ وابن أبي عامر؛ وحمزة؛ والكسائي؛ وعاصم. انظر: د. أحمد مختار عمر، د. عبد العال سالم مكرم، *معجم القراءات القرآنية*، جـ٢، ص ٣١٦، الكويت، ط٢، ١٩٨٨.

(٤٧٨) سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

فالمرآة بالقوة صحيحة من جهة الخالق، وبالفعل صحيحة من جهة المخلوق؛ فظهر في المرآة النبوية ما قابلها من جهة الحق مما يتعلق بسائر الخلق، وأما ما يتعلق بها من الحق فما لا تطيقه العبارات ولا تستطيعه الإشارات والأمر مستمر في ترقيه، مستقر في تلقيه، دنيا وآخرة.

فالصوفي تكلم على مرآته من جهة ما قبله من الحق بقدر طاقته مما يصل إلى أذهان الخلق بيانًا للسالك ليصل بفعله إلى ذلك، ولم يصل إلى درجة المعصوم الذي قيل له: قُلْ(٤٧٩)، وكلاهما ناظر في مرآته التي ظهر المعنى بصورتها من غير حلول فيها:

[المديد]

ظَهَـرَ المَعْنَـى بِـصُورَتِهِ   وَلَـهُ فِي القَلْـبِ مُتَّـسَعُ
فَهْــوَ مِــرْآةٌ مُقَابِلَــةٌ   وَبِهَــا الأَشْـيَاءُ تَنْطَبِـعُ
هَــذِهِ لاَ تَمْــتَلِيْ أَبَــدًا   وَبِهَــا مَــا لَـيْسَ يَنْقَطِـعُ
هَـوَ عَـيْنٌ وَهْـيَ مَنْزِلَـةٌ   فَهْــوَ دَانٍ وَهْــوَ مُرْتَفِــعُ
لَمْ يَـسَعْهُ الكَـوْنُ أَجْمَعُـهُ   وفُــؤَادُ مُــؤْمِنٌ يَـسَعُ

فصاحب هذا المقام لم يبق له اسم يقع على مسماه من جهة مسماه، وأما من جهة مسميه فله سائر الأسماء الحسنى؛ ولهذا قال عن صاحب المقام بلسان الإعلام لا للمنكرين بل لذوي الأفهام:

(٤٧٩) المعصوم: يقصد به النبي محمد (ص)، وفعل الأمر "قُلْ": يقصد به السور القرآنية التي تبدأ به مثل: الإخلاص والفلق والناس.

٣١٥ وَلاَ تُسْمِنِي فِيهَا مُرِيدًا فَمَنْ دُعِي ... مُرَادًا لَهَا جَذْبًا فَقِيرٌ لِعِصْمَتِي

بمعنى: إلى عصمتي، وذلك أن السالك الواصل أكمل من المجذوب[٤٨٠]؛ لأن السالك عصمته من نفسه، فهي أعظم ممن عصمته من ربه عند من يعلم؛ ولهذا يكون المجذوب فقيرًا إلى عصمة السالك؛ إذ ليس له شيء من جهة نفسه، وقوله: «وَلاَ[٤٨١] تُسْمِنِي فِيهَا» أي: في تلك الحضرة الأزلية، وبقية الأبيات مبنية على هذا المعنى. أعني: لما تحقق السالك بنفي الإرادة هنا حتى عاد كأنه لم يخرج من العلم الأزلي[٤٨٢]، فبهذا التقدير يصح ما قال، وإذا كان هاهنا لم يبق من جهة إرادة فلا يجوز أن يسمى مريدًا وهو هنا، فكيف في الحضرة؟ ولهذا بعده:

٣١٦ وَأَلْغِ الكُنَى عَنِّي وَلاَ تَلْغُ أَلْكَنًا ... بِهَا فَهْيَ مِنْ آثَارِ صِيغَةِ صَنْعَتِي[٤٨٣]

ألغ: أبطل. والكنى: الألقاب. ولا تلغُ: من اللغو، وهو ما لا معنى له؛ ولهذا قيل اللَّغا: صوت العصافير. وقوله: ألكنًا، أي: كالألكن، وهو الذي لا يُبِينُ، وكون الكُنى من إِيْثَارِ صِيْغَةِ صَنْعَتِي؛ لأنه كل ما اتصف بصفة جاز له ذلك الاسم والاتصاف إليه؛ فالأسماء صفته، فإذا وقف مع الذات كان المسمى له قد نُزِّه بالصفات.

---

(٤٨٠) المجدوب: ت.

(٤٨١) فلا: ت، وما أثبتناه يتوافق مع ما ذكر بالنص.

(٤٨٢) الأزل: ت.

(٤٨٣) ب ٣١٦- وَأَلْغِ: جـ؛ وألغُ: ت.

٣١٧ وَعَنْ لَقِيِّ بِالعَارِفِ ارْجِعْ فَإِنْ تَرَ الـ(م) سْتَنابُزَ بِالأَلْقَابِ فِي الذِّكْرِ تُمَقَّتِ(٤٨٤)

أي: تمقت في القرآن إن رأيت ذلك جائزًا، ثم قال بواو الحال، أي: ارجع عن لقبي بالعارف.

٣١٨ وَأَصْغَرُ أَتْبَاعِي عَلَى عَيْنِ قَلْبِهِ عَرَائِسُ أَبْكَارِ المَعَارِفِ زُفَّتِ(٤٨٥)

وأشار بالأبكار إلى [١٨و] المستنبطين الذين ظهرت منهم المعارف أبكارًا؛ فهم السابقون بها، ويشير بالأتباع إلى من سلك على أثره، ثم وصفه بقوله:

٣١٩ جَنَى ثَمَرَ العِرْفَانِ مِنْ فَرْعِ فِطْنَةٍ زَكَا بِاتِّبَاعِي وَهْوَ مِنْ أَصْلِ فِطْرَتِي

زكا، أي: ذلك الفرع باتباعي، وأما الفطرة في الأصل فواحدة ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(٤٨٦)، ولكن من اتبع الهدى جنى من فرع فطنته معرفة الحق وأخذ من فطنته ما في فطرته أصلاً من حيث الخلقة، فافهم.

٣٢٠ فَإِنْ سِيلَ عَنْ مَعْنًى أَتَى بِغَرَائِبٍ عَنِ الفَهْمِ جَلَّتْ بَلْ عَنِ الوَهْمِ دَقَّتِ

٣٢١ وَلَا تَدْعُنِي يَوْمًا بِنَعْتٍ مُقَرَّبٍ أَرَاهُ بِحُكْمِ الجَمْعِ فَرْقَ جَرِيرَةِ(٤٨٧)

---

(٤٨٤) ب ٣١٧- تَرَ: جـ] ترىٰ: ت.

(٤٨٥) ب ٣١٨- وأَصْغَرُ: ت] فَأَصْغَرُ: جـ؛ زُفَّتِ: جـ] زفتي: ت.

(٤٨٦) سورة الروم، الآية ٣٠.

(٤٨٧) ب ٣٢١- يَوْمَ: ت] فيهَ: جـ؛ جَرِيرَةِ: جـ] جريرتِ: ت.

الجريرة: ما يجره الإنسان إلى نفسه من تَبِعَةِ الذَّنْبِ، والمُقَرَّبُ مفعولٌ؛ فهو منافي الوحدة، فكما أن حسنات الأبرار سيئات المقربين فكذلك المُقَرَّبُ؛ وذلك لوجود الفرق في حكم الجمع.

٣٢٢ فَوَصْلِيَ قَطْعِي وَاقْتِرَابِي تَبَاعُدِي وَوُدِّيَ صَدِّي وَانْتِهَائِيَ بِدَايَتِي(٤٨٨)

أي: تساوىٰ عندي ذلك؛ إذ لَمْ يَبْقَ لي مطلب من جهة نفسي.

٣٢٣ وَفِي مَنْ بِهَا وَرَّيْتُ عَنِّي وَلَمْ أُرِدْ سِوَايَ خَلَعْتُ اسْمِي وَنَعْتِي وَكُنْيَتِي

أي: في حُبِّ نَفْسِي من قبل انتقالي عن موطن الحُبِّ خلعتُ ذلك كله واتحدت بها، فكيف وقد خلعتها وعدت عنها زاهدًا فيها راغبًا إلى أربابها كما كنت في محبتها سالكًا مندرجًا.

٣٢٤ فَصِرْتُ إِلَى مَا دُونَهُ وَقَفَ الأُلَى وَضَلَّتْ عُقُولٌ بِالعَوَائِدِ ضَلَّتِ
٣٢٥ فَلاَ وَصْفَ لِي وَالوَصْفُ رَسْمٌ كَذَاكَ الِاسْـ ـمُ وَسْمٌ فَإِنْ تَكْنِي فَاكْنُ أَوِ انْعَتِ(٤٨٩)

أي: فما أنا ذاك.

٣٢٦ وَمِنْ أَنَا إِيَّاهَا إِلَى حَيْثُ لاَ إِلَى عَرَجْتُ وَعَطَّرْتُ الوُجُودَ بِرَجْعَتِي

ومن: لابتداء الغاية. وإلى: لانتهاء الغاية.

---

(٤٨٨) ب ٣٢٢- وَانْتِهَائِي: جـ| وانتهاءِ: ت؛ بِدَايَتِي: ت| بَدْأَتِي: جـ.
(٤٨٩) ب ٣٢٥- فَكُنْ: ت| فَكَنِّ: جـ؛ انْعَتِ: جـ| انعتِي: ت.

٣٢٧ وَمِنْ أَنَا إِيَّايَ لِبَاطِنِ حِكْمَةٍ وَظَاهِرِ أَحْكَامٍ أُقِمْتُ لِدَعْوَتِي[٤٩٠]

لباطن، أي: إلى باطن، المعنى: أنه لما اتحد بنفسه المطمئنة بعد قطع ما قطعه من سواها خرج عنها وجعلها مبدأ لغاية ليس لها منتهى، فلما رجع إلى أنانيته كانت رجعته إلى باطن حكمة وظاهر شريعة أقيم بها داعيًا؛ فلهذا يقول بعد هذا البيت: إن غاية من جذبه إلى الدعوة، ومنتهى مرادي منه هو الوصول إلى ما أسلفته أنا من السلوك قبل الرجوع عن إياي، وهو معنى:

٣٢٨ وَغَايَةُ مَجْذُوبِي إِلَيْهَا وَمُنْتَهَى مُرَادِيهِ مَا أَسْلَفْتُهُ قَبْلَ تَوْبَتِي

وإليها: إلى الدعوة التي أقيم لها، واعلم أنه لما كان المدعُوُّ مدعوًا إلى المراتب لأجل الله والداعي قد سلكها وعلا عنها ثم رجع داعيًا، دعا[٤٩١] نفسه إلى الله بترك المراتب ودعا[٤٩٢] غيره إلى الله بالمراتب تدريجًا، فلما كان عاليًا عن المراتب وإن كان قائمًا فيها داعيًا عادت المراتب كلها تحت قدمه الذي هو قدم صدق عند ربه[٤٩٣]، فلما تكلم عن إياه في مقام الاتحاد المعلوم عند الآحاد لا المظنون به الاتحاد قال:

٣٢٩ وَمِنِّي أَوْجُ السَّابِقِينَ بِزَعْمِهِمْ حَضِيضُ ثَرَى آثَارِ مَوْضِعِ وَطْأَتِي[٤٩٤]

---

(٤٩٠) ب ٣٢٧- وَمِنْ: ت] وَعَنْ: جـ؛ إِيَّايَ: ت] إِيَّانِي: جـ.

(٤٩١) دعى: ت، وما اثبتناه هو الصواب.

(٤٩٢) ودعى: ت، وما اثبتناه هو الصواب.

(٤٩٣) إشارة إلى الآية: ﴿قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾، سورة يونس، الآية ٢.

(٤٩٤) ب ٣٢٩- ثَرَى: جـ] ترى: ت؛ وَطْأَتِي: جـ] وطئتي: ت.

بزعمهم، أي: باعترافهم؛ إذ اتصفوا بما كنت اتَّصَفْتُ به. وقوله: وطأتي، أي: إلى الواحدة التي هي من أول الترقي عن النفس إلى بارئها. وبيان ذلك: أنه لما كان الاتحاد المشار إليه ينفي أنانية[٤٩٥] العبد

٣٣٠ وَآخِرُ مَا بَعْدَ الإِشَارَةِ حَيْثُ لاَ ... تَرَقِّي ارْتِفَاعٍ وَضْعُ أَوَّلِ خَطْوَتِي[٤٩٦]

الذي مبدؤه نفي مراده، بحيث لا يسمى مريدًا هو المشار إليه بقوله: «ما بعد الإشارة» لم يكن، وكان هذا القائل قد فنى عن الكل عاد آخر ما بعد الإشارة أول خطوة له، لأنه تخطى راجعًا إلى الكون، وهذا مقام الانتهاء، وهو شهود الظاهر والباطن معًا بغير حجاب، ولما كان هذا المقام لا يعلمه من العلماء إلا الأعلام قال بعده:

٣٣١ فَمَا عَالِمٌ إِلاَّ بِفَضْلِيَ عَالِمٌ ... وَلاَ نَاطِقٌ فِي الكَوْنِ إِلاَّ بِمِدْحَتِي

وهذا هو المقام المحمدي لا غيره، ولما كان السالك قد نبَّه عليه نسب هذا المقام إلى نفسه تعظيمًا لصاحب المقام وتعريفًا، صلى الله عليه وسلم، قد علا عن المقام، فمن تمسك به كان المقام له، وترجم عن ذلك بقوله:

٣٣٢ وَلاَ غَرْوَ أَنْ سُدْتُ الأُلَى سَبَقُوا وَقَدْ ... تَمَسَّكْتُ مِنْ طَهَ بِأَوْثَقِ عُرْوَةِ[٤٩٧]

٣٣٣ عَلَيْهَا مَجَازِيٌّ سَلاَمِي لِأَنَّمَا ... حَقِيقَتُهُ بِالجَمْعِ مِنِّي تَحِيَّتِي[٤٩٨]

(٤٩٥) انان: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.
(٤٩٦) ب ٣٣٠- وآخِرُ: جـ] وأعَزُّ: ت.
(٤٩٧) ب ٣٣٢- الأُلَى: جـ] الأولى: ت.
(٤٩٨) ب ٣٣٣- حَقِيقَتُهُ بِالجَمْعِ مِنِّي تَحِيَّتِي: ت] حَقِيقَتُهُ مِنِّي إِلَيَّ تَحِيَّتِي: جـ.

عليها: على طه، والمراد: صاحب مقامها فسلم على المقام أدبًا، كما تُباس عتبة باب الملك، وكما يقال في الكتب يخدم المجلس، وبيان قوله: «مني تحيتي» أن الفرق فيه مسلِّمٌ أو مسلَّمٌ عليه، وهذا غير الحقيقة فهي سلام مجازي لازم مع الفرق، وأما صاحب الجمع الذي جمع من المتفرقات فإنه لم ير غير السلامة بالحقيقة منه عليه، وهذا ظاهر عند من عرف الاتحاد بالصفة على ما بيَّناه لا على ما يُظن، ولما كان الواحد لما قلناه إنما رأى ما وجده قد ظهر له من [١٨ظ] نفسه لم يتقيد بها لرحلته عنها، عاد بعد ذلك يظهر له أيضًا من نفسه وقد أمن الحجاب بها، ثم أخذ يشرح حاله بعد أن انتقل عن الحب وتساوى لديه البعد والقرب، وسما عن الأسماء وغير ذلك مما تقدم فقال حاكيًا عنه في مبدأ غرامه الثاني بنفسه بعد انْتِفَائِهِ(٤٩٩) عنه أولاً:

٣٣٤ وَأَطْيَبُ مَا فِيهَا وَجَدْتُ بِمُبْتَدَا غَرَامِي وَقَدْ أَبْدَى بِهَا كُلَّ نَدْرَةِ

أي: بها بدت كل ندرة؛ لأنه لما قطع كل شيء من أجلها أولاً، حتى صفت وصحت، ثم قطعها ترقيًا إلى الصانع عن المصنوع عادت تريه كل ندرة، فقد كانت الأشياء تحجبه عنها وكانت هي تُحجب عن صانعها، فعادت هي تريه الأشياء ولا يحتجب بالأشياء لأنه لم يحتجب بها أراه الأشياء فكيف بالأشياء، فقوله «بمبتدأ غرامي» يريد: المبتدأ الثاني الذي أول خطوة منه آخر ما بعد الإشارة، وصورة ذلك أنه أولاً ترك الظاهر وعاد إلى باطنه فهام بما وجد، ثم انتقل عن ذلك إلي وعن رؤية نفسه التي كانت له مرآة فرجع إلى ظاهر الوجود فرأى بالظاهر الذي هو مقام الفرق

(٤٩٩) انتفاؤه: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

ما كان رآه في الباطن وهو في مقام الجمع، فعاد إلى الظاهر كمن نقض التوبة لما رأى محبوبته في الحجاب كرؤيته لها بلا حجاب، ولكنه رأى أولاً بترك الحجاب، ورأى ثانيًا بعين الحجاب، ورأى الرؤية الأولى بقلبه والثانية بعينه، فلما عاد قلبه عينًا وعينه قلبًا جددت رؤيته له حُبًّا كان آخر ما كان أول ما بان، فالأول شوق يعبر عنه اللسان، والثاني ذوق يجده الجَنان، ولما كانت الرؤيتان لم يجدهما إلا منه عادت رغبته إليه كرغبته عنه؛ فصارت نفسه معشوقته لا من أجلها بل كما يهيم الهائم بذكر المنازل من أجل النازل، فكان هو الباطن الخفي والظاهر الجلي، ولهذا قال: وأطيب ما لاقيت مبتدا غرامي.

٣٣٥ ظُهُورِي وَقَدْ أَخْفَيْتُ حَالِيَ مُنْشِدًا ... بِهَا طَرَبًا وَالحَالُ غَيْرُ خَفِيَّةِ(٥٠٠)

٣٣٦ بَدَتْ فَرَأَيْتُ الحَزْمَ فِي نَقْضِ تَوْبَتِي ... وَقَامَ بِهَا عِنْدَ النُّهَى عُذْرُ مِحْنَتِي

فظهوره له بعد فقدانه إياه، وقد كان محتجبًا به فصار الحجاب كاشفًا، وهذا أطيب ما يوجد، ومعنى ظهوري، أي: إلى ظاهر الوجود، وقوله: «وَقَدْ أَخْفَيْتُ حَالِيَ» أي: التي تركت الظاهر لأجلها، فلما بدت له نفسه بما كان قد تركها من أجله قام عند أولي النُّهَى عذر محنته؛ فكان الحزم في نقض توبته يقينا؛ فقال:

٣٣٧ فَمِنْهَا أَمَانِي مِنْ ضَنَا جَسَدِي بِهَا ... أَمَانِيُّ آمَالٍ سَخَتْ ثُمَّ شَحَّتِ(٥٠١)

٣٣٨ وَفِيهَا تَلاَفِي الجِسْمِ بِالسُّقْمِ صِحَّةٌ ... لَهُ وَتَلاَفُ النَّفْسِ نَفْسُ الفُتُوَّةِ(٥٠٢)

---

(٥٠٠) ب ٣٣٥ - خَفِيَّةِ: جـ] خفيتي: ت.

(٥٠١) ب ٣٣٧ - شَحَّتِ: جـ] شجَّتِ: ت.

(٥٠٢) ب ٣٣٨ - صِحَّةٌ: جـ] صِحَّةُ: ت.

تلافي: تدارك. وتلاف: إتلاف. وقوله: نفس الفتوة، أي: عليها.

٣٣٩ وَمَوْتِي بِهَا وَجْدًا حَيَاةٌ هَنِيئَةٌ وَإِنْ لَمْ أَمُتْ فِي الْحُبِّ عِشْتُ بِغُصَّتِي[٥٠٣]

عشت بِغُصَّتِي[٥٠٤]: دعا على نفسه إن لم يمت في الحب.

٣٤٠ فَيَا مُهْجَتِي ذُوبِي جَوًى وَصَبَابَةً وَيَا لَوْعَتِي كُونِي كَذَاكَ مُذِيبَتِي

٣٤١ وَيَا نَارَ أَحْشَائِي أَقِيمِي مِنَ الجَوَى حَنَايَا ضُلُوعِي فَهْيَ غَيْرُ قَوِيمَةِ[٥٠٥]

٣٤٢ وَيَا حُسْنَ صَبْرِي فِي هَوَى مَنْ أُحِبُّهَا [تَجَمَّلْ وَكُنْ لِلدَّهْرِ بِي غَيْرَ مُشْمِتِ][٥٠٦]

٣٤٣ [وَيَا جَلَدِي فِي جَنْبِ طَاعَةِ حُبِّهَا] تَحَمَّلْ عَدَاكَ الكَلُّ كُلَّ عَظِيمَةِ

الكَلُّ: الكَلاَلُ والضَّعْفُ.

٣٤٤ وَيَا جَسَدِي المُضْنَى تَسَلَّ عَنِ الشِّفَا وَيَا كَبِدِي مَنْ لِي بِأَنْ تَتَفَتَّتِي

٣٤٥ وَيَا سَقَمِي لاَ تُبْقِ لِي رَمَقًا فَقَدْ أَبَيْتُ لِبُقْيَا العِزِّ ذُلَّ البَقِيَّةِ

لِبُقْيَا: لأجل بُقْيَا العِزِّ بما فَنِيَ فِي الحُبِّ. ذُلُّ البَقِيَّةِ: التي لم يُفْنِهَا الحب.

٣٤٦ وَيَا صِحَّتِي مَا كَانَ مِنْ صُحْبَتِي انْقَضَى وَوَصْلُكِ فِي الأَحْيَاءِ مَيْتًا كَهَجْرَةِ

---

(٥٠٣) ب ٣٣٩- هَنِيئَةٌ: جـ] هَنيئةٍ: ت.

(٥٠٤) بعصه: ت.

(٥٠٥) ب ٣٤١- قَوِيمَةِ: جـ] قويمتي: ت.

(٥٠٦) ب ٣٤٢- هَوَىٰ: ت] رِضَا: جـ. هناك تداخل بين البيتين ٣٤٢ و ٣٤٣، وما بين المعقوفات في البيتين من جـ

أي: وصالك للميت وهَجْرُكِ له بمنزلةٍ واحدةٍ.

٣٤٧ وَيَا كُلَّ مَا أَبْقَى الضَّنَى مِنِّيَ ارْتَحِلْ   فَمَا لَكَ مَأْوَى فِي عِظَامٍ رَمِيمَةِ[٥٠٧]

٣٤٨ وَيَا مَا عَسَى مِنِّي أُنَاجِي تَوَهُّمًا   بِيَاءِ النِّدَا أُونِسْتُ مِنْكَ بِوَحْشَةِ

المراد: أنه لما قال مثل هذا حُبًّا في انتقاله عن النفس الأمارة وعشقًا في المطمئنة، قال هذا بعده حبًّا في انتقاله عن المطمئنة؛ بحيث لا يبقى له منه شعور به، فيبقى آلة فقط؛ فيكون أنسه بربه هو عين وحشته بنفسه. إن هذا الحضور معلوق[٥٠٨] بتلك الغيبة عن ذَرِّه[٥٠٩]، وإنما كان الأمر كذلك لأن الناظر إلى الشيء لا يمكنه النظر إلى ضده إلا بنقل البصر عن الأول، فمهما [كان][٥١٠] له نظر إلى المفعول فلا سبيل له إلى النظر إلى الصانع؛ إذ الناظر قلب واحد ﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[٥١١]؛ فلهذا ذكر ما ذكره من حبه الفناء كقوله في البيت المتقدم: «أُونِسْتُ مِنْكَ بِوَحْشَةِ»[٥١٢]؛ ولهذا ظهر مقصوده، وبيَّن أن حكم الصبابة هو هذا؛ فقال:

٣٤٩ فَكُلُّ الَّذِي تَرْضَاهُ وَالمَوْتُ دُونَهُ   بِهِ أَنَا رَاضٍ وَالصَّبَابَةُ أَرْضَتِ[٥١٣]

٣٥٠ وَنَفْسِيَ لَمْ تَجْزَعْ بِإِتْلَافِهَا أَسًى   وَلَوْ جَزِعَتْ كَانَتْ بِغَيْرِي تَأَسَّتِ[٥١٤]

---

(٥٠٧) ب ٣٤٧- الضَّنَى: جـ] الضَّنَا: ت.

(٥٠٨) مغدوق: ت.

(٥٠٩) ذرة: ت.

(٥١٠) [ ] إضافة يستقيم بها السياق.

(٥١١) سورة الأحزاب، الآية ٤.

(٥١٢) بوحشتي: ت، وما أثبتناه يتوافق مع ما جاء بالنص المشروح.

(٥١٣) ب ٣٤٩- أَرْضَتِ: جـ] أرضةِ: ت.

(٥١٤) ب ٣٥٠- جَزِعَتْ: جـ] جَزَعَتْ: ت.

أي: كان لها أسوة بمن مات من العشاق قبل، ورأى موته فوزًا وإن كان مقتولاً [١٩و] بالحب؛ فلهذا قال:

٣٥١ وَفِي كُـلِّ حَـيٍّ كُـلُّ حَـيٍّ كَمَيِّـتٍ بِهَا عِنْدَهُ قَتْلُ الهَـوَى خَـيْرُ مِيتَـةِ(٥١٥)

أي: قتل الهوى له بها وإن كان في الحي حيًّا وهو كالميت هوًى، ثم ذكر السبب.

٣٥٢ تَجَمَّعَـتِ الأَهْـوَاءُ فِيهَـا فَـمَا تَـرَى بِهَا غَيْرَ صَبٍّ لاَ يَرَى غَيْرَ صَبْوَةِ(٥١٦)

وهذا الحال مُنبئ عن اتحاد نظر الناظم إلى إطلاق الجمال، كأن منه الجمال في كل شيء، فلهذا يشتاقه من يراه، فإذا شئتُ أن أراه بعضي تراني أراهُ فيما أراه، ومشروب ناظم القصيد أعظم [و] أعلى(٥١٧) من هذا لأنه من باب ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾(٥١٨)، ثم فصَّل بقوله:

٣٥٣ إِذَا سَـفَرَتْ فِي يَـوْمِ عِيـدٍ تَزَاحَمَـتْ عَـلَى حُـسْنِهَا أَبْـصَارُ كُـلِّ قَبِيلَـةِ

٣٥٤ فَأَرْوَاحُهُمْ تَصْبُو لِـمَعْنَى جَمَالِـهَا وَأَحْدَاقُهُمْ مِنْ حُسْنِهَا فِي حَدِيقَةِ(٥١٩)

أي: الأمر هكذا علموا أو لم يعلموا، ثم قال عن من يعلم:

---

(٥١٥) ب ٣٥١- حَيٍّ: جـ] حَيِّ: ت؛ كُلُّ حَيٍّ: جـ] كُلَّ حَيٍّ: ت.

(٥١٦) ب ٣٥٢- الأَهْوَاءُ: جـ] الأهوى: ت؛ فَمَا تَرَى: جـ] فما يرى: ت؛ صَبٍّ: جـ] صَبٌّ: ت؛ صَبْوَةِ: جـ] صَبْوتِ: ت.

(٥١٧) أعلا: ت.

(٥١٨) سورة الإسراء، الآية ٤٤.

(٥١٩) ب ٣٥٤- تَصْبُو: جـ] تصبوا: ت.

٣٥٥ وَعِنْدِيَ عِيدِي كُلَّ يَوْمٍ أَرَى بِهِ جَمَالَ مُحَيَّاهَا بِعَيْنٍ قَرِيرَةِ[٥٢٠]

أي: قريرة برؤية الحبيب من غير ملاحظة منها إلى ملاحظة الرقيب.

٣٥٦ وَكُلُّ اللَّيَالِي لَيْلَةُ القَدْرِ إِنْ دَنَتْ كَمَا أَنَّ أَيَّامَ اللِّقَا يَوْمُ جُمْعَةِ[٥٢١]

٣٥٧ وَسَعْيِي لَهَا حَجٌّ بِهِ كُلُّ وَقْفَةٍ عَلَى بَابِهَا قَدْ عَادَلَتْ كُلَّ وَقْفَةِ

أي: الوقفة الواحدة على الباب تعادل كُلَّ وَقْفَةٍ وَاقِفٍ فِي الثواب، وبحقٍّ قال ذلك؛ لأن الوقفة بالله غير الوقفة فيه، والباب هو الذي يُدْخَلُ منه إلى الدار، و«مَنْ عَرَفَ نَفْسَه فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»[٥٢٢] ولما كان الباب هو الحجاب وجب كشفه بالعباد، وهو معنى قوله، ابن العريف[٥٢٣]: [الطويل]

بَدَا لَكَ سِرٌّ طَالَ عَنْكَ اكْتِتَامُه وَلَاحَ صَبَاحٌ كُنْتَ أَنْتَ ظَلَامُه
فَأَنْتَ حِجَابُ القَلْبِ عَنْ سِرِّ غَيْبِهِ وَلَوْلَاكَ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ مَقَامُه

---

(٥٢٠) ب ٣٥٥ - قَرِيرَةِ: جـ] قريرَتِ: ت.

(٥٢١) ب ٣٥٦ - أَنَّ أَيَّامَ: ت] كُلُّ أَيَّامِ: جـ؛ يَوْمُ: جـ] يَومَ: ت.

(٥٢٢) قول متداول بين الصوفية كحديث، وله أهمية كبرى في الفكر الصوفي، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٥٢٣) وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي المعروف بابن العريف. توفي ابن العريف مقتولاً بمراكش سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م، وقبره معروف إلى اليوم بسوق العطارين، ويعرف عند العامة بسيدي العريف. وهناك شكوك في نسبة هذه الأبيات؛ فقد نسب البيتان الأول والثاني للحلاج أيضًا. ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨، جـ١، ص١٦٨، ترجمة رقم ٦٨؛ الغزي، *ديوان الإسلام*، جـ٣، ص٣٣٣، ترجمة رقم ١٥٠٩.

لمزيد من التفاصيل، انظر: كامل مصطفى الشيبي، شرح *ديوان الحلاج*، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط٢، ٢٠٠٧، ص ٤٨٤ - ٤٨٥.

فَإِنْ غِبْتَ عَنْهُ حَلَّ فيْهِ وَطَنَّبَتْ   عَلَىٰ مِنْكَبِ الكَشْفِ المَصُونِ خِيَامُه
وَجَاءَ حَدِيْثٌ لاَ يُمَلُّ سَمَاعُهُ   شَهِيٌّ إِلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُه

٣٥٨ وَأَيُّ بِلاَدِ اللهِ حَلَّتْ بِهَا فَمَا   أَرَاهَا وَفِي عَيْنِي حَلَتْ غَيْرَ مَكَّةِ(٥٢٤)

أي: أَنِسْتُ(٥٢٥) غير مكة فتكون أحلى(٥٢٦)، بل هي عين مكة ومكة هي الأحلى(٥٢٧)، وبحق قال ذلك؛ لأن المطلوب لغيره ليس كالمطلوب لذاته، كما قيل: [البسيط]

مَا المُنْحَنَى مَا يَحْمِي مَا الأَثْلُ مَا البَانُ   لَوْ لَمْ يَكُنْ بِعَقِيْقِ الرَّمْلِ سُكَّانُ(٥٢٨)

٣٥٩ وَأَيُّ مَكَانٍ ضَمَّهَا حَرَمٌ كَذَا   أَرَى كُلَّ دَارٍ أَوْطَنَتْ دَارَ هِجْرَتِي(٥٢٩)

محبٌّ أن يهاجر إليها.

٣٦٠ وَمَا سَكَنَتْهُ فَهْوَ بَيْتٌ مُقَدَّسٌ   بِقُرَّةِ عَيْنِي فِيهِ أَحْشَايَ قَرَّتِ(٥٣٠)

أي: إنما قرت أحشائي من قَلَقِ الحُبِّ بِقُرَّةِ عيني فيه من رؤية الحب.

---

(٥٢٤) ب ٣٥٨- مَكَّةِ: جـ] مكتِ: ت.

(٥٢٥) است: ت.

(٥٢٦) أحلا: ت.

(٥٢٧) الأحلا: ت.

(٥٢٨) هذا البيت لم نجده فيما بين أيدينا من دواوين شعرية.

(٥٢٩) ب ٣٥٩- هِجْرَتِي: ت] هِجْرَةِ: جـ.

(٥٣٠) ب ٣٦٠- عَيْنِي: جـ] عَينِ: ت.

٣٦١ وَمَسْجِدِيَ الأَقْصَى مَسَاحِبُ بُرْدِهَا ... وَطِيبِي ثَرَى أَرْضٍ عَلَيْهَا تَمَشَّتِ(٥٣١)

قد علمت أن هذه الاستعارات كلها من باب التمثيل؛ ليدل على الكثير بالقليل؛ وإلا فالأمر أعظم مما يقال ومما قيل؛ فلهذا اختصر الناظم في مقاله واقتصر على ذكر حاله؛ فقال تأدبًا بين يدي الساكن بمدح المواطن.

٣٦٢ مَوَاطِنُ أَفْرَاحِي وَمَرْبَى مَآرِبِي ... وَأَطْوَارُ أَوْطَارِي وَمَأْمَنُ خِيفَتِي(٥٣٢)

٣٦٣ مَغَانٍ بِهَا لَمْ يَدْخُلِ الدَّهْرُ بَيْنَنَا ... وَلاَ كَادَنَا صِرْفُ الزَّمَانِ بِفُرْقَةِ(٥٣٣)

٣٦٤ وَلاَ سَعَتِ الأَيَّامُ فِي شَتِّ شَمْلِنَا ... وَلاَ حَكَمَتْ فِينَا اللَّيَالِي بِجَفْوَتِي(٥٣٤)

٣٦٥ وَلاَ صَبَّحَتْنَا النَّائِبَاتُ بِنَبْوَةٍ ... وَلاَ حَدَّثَتْنَا الحَادِثَاتُ بِنَكْبَةِ(٥٣٥)

النائبات: ما تتناوب على الإنسان مما يزعجه عن مقر راحته. والنَّبوَة: المنع، وأصله من الموضع العالي، كأن النائبات عَلَتْ على من ناوبت عليه. والنكبة: ما يُنْكِب، أي: يُمِيِّل عن السعادة إلى الشقاوة.

٣٦٦ وَلاَ شَنَّعَ الوَاشِي بِصَدٍّ وَهِجْرَةٍ ... وَلاَ أَرْجَفَ اللاَّحِي بِبَيْنٍ وَسَلْوَةِ(٥٣٦)

---

(٥٣١) ب ٣٦١- مَسَاحِبُ: جـ] مساحت: ت؛ ثَرَى: جـ] ثرا: ت.

(٥٣٢) ب ٣٦٢- مَآرِبِي: جـ] مآربي: ت.

(٥٣٣) ب ٣٦٣- صِرْفُ الزَّمَانِ: ت] فِيهَا الزَّمَانُ: جـ.

(٥٣٤) ب ٣٦٤- بِجَفْوَتِي: ت] بِجَفْوَةٍ: جـ.

(٥٣٥) ب ٣٦٥- بِنَكْبَةِ: جـ] بنكبتي: ت.

(٥٣٦) ب ٣٦٦- وَهِجْرَةٍ: جـ] وهِجَرَةٍ: ت؛ وَسَلْوَةِ: جـ] وسَلْوَتِ: ت.

الهجرة: الجفوة، من الهجر؛ وبحق قال ذلك كله لأن القلب إذا استوطنه الحُبُّ لم يَعْرِضْ شيءٌ من ذلك للمحب.

٣٦٧ وَلاَ اسْتَيْقَظَتْ عَيْنُ الرَّقِيْبِ وَلَمْ يَزَلْ عَلَيَّ لَـهَا فِي الحُبِّ عَيْنِي رَقِيبَتِـي[٥٣٧]

لها: للمحبوبة؛ فكما أن الرقيب لو أبطل المراقبة لمحة لم يكن رقيبًا في تلك اللمحة فكذلك عيني لم تزل عيني في الحب رقيبة على الحب، ولما لم يكن هذا الشأن إلا ملازمًا في كل آن قال:

٣٦٨ وَلاَ اخْتُصَّ وَقْتٌ دُونَ وَقْتٍ بِطِيبَـةٍ بِهَـا كُـلُّ أَوْقَـاتِي مَوَاسِـمُ لَـذَّتِي[٥٣٨]

هذا لما لم يزل مع ذاته ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾[٥٣٩] لزم جميع ما ذكره في هذا البيت وفيما ماثله.

٣٦٩ نَهَـارِي أَصِـيلٌ كُلُّـهُ إِنْ تَنَـسَّمَتْ أَوَائِلُـهُ مِنْهَـا بِـرَدِّ تَحِيَّـةِ[٥٤٠]

الأصيل: ما بين العصر والمغرب، والمراد أن البادية يقاسون ألم الحَرِّ فيلتذُّون بانكساره بِالْغُدُوِّ والآصال. ونسمات الريح مستعار في كلام الشعر لما[٥٤١] يَرِد على

(٥٣٧) ب ٣٦٧- اسْتَيْقَظَتْ: جـ] استَنْطَقَتْ: ت؛ وَلَمْ يَزَلْ: ت] وَلَمْ تَزَلْ: جـ.

(٥٣٨) ب ٣٦٨- وَقْتٌ: جـ] وقتا: ت؛ لَذَّتِي: ت] لَذَّةِ: جـ.

(٥٣٩) سورة الحديد، الآية ٤.

(٥٤٠) ب ٣٦٩- تَنَسَّمَتْ: ت] تَبَسَّمَتْ: جـ؛ تَحِيَّةِ: ت] تَحِيَّتِي: جـ.

(٥٤١) الما: ت.

القلوب من المحبوب مما يشبه طيب النسيم الذي هو قوام روح من انْمَسَكَ نَفَسُه، ثم عادت إليه روحه بنسمة.

٣٧٠ وَلَـيْلِيَ فِيهَـا كُلُّـهُ سَـحَرٌ إِذَا ... سَرَى لِيَ مِنْهَـا فِيـهِ عَـرْفُ نُـسَيْمَةِ
٣٧١ وَإِنْ طَرَقَـتْ لَـيْلاً فَـشَهْرِيَ كُلُّـهُ ... بِهَا لَيْلَـةُ البَـدْرِ ابْتِهَاجًـا بِـزَوْرَتِي(٥٤٢)
٣٧٢ وَإِنْ قَرَّبَـتْ دَارِي فَعَـامِيَ كُلُّـهُ ... رَبِيعُ اعْتِدَالٍ فِي رِيَـاضِ أُرِيـضَةِ(٥٤٣)
٣٧٣ وَإِنْ رَضِـيَتْ عَنِّـي فَعُمْـرِيَ كُلُّـهُ ... زَمَانُ الصِّبَا طِيبًا وَعَصْرُ الـشَّبِيبَةِ(٥٤٤)

كل هذا تمثيل المجهول بالمعلوم، وأما حقيقة الحال [١٩ظ] ففرق ما يقال.

٣٧٤ لَئِنْ جَمَعَتْ شَمْلَ المَحَاسِـنِ صُـورَةٌ ... شَـهِدْتُ بِهَـا كُـلَّ المَعَـانِي الدَّقِيقَـةِ
٣٧٥ فَقَـدْ جَمَعَـتْ أَحْـشَايَ كُـلَّ صَـبَابَةٍ ... بِهَا وَجَوًى يُنْبِيكَ عَـنْ كُـلِّ صَـبْوَةِ

الصَّبْوَةُ: الميل. وبها: ضمير المحبوبة.

٣٧٦ وَلِمْ لاَ أُبَاهِي كُلَّ مَنْ يَـدَّعِي الهَـوَى ... بِهَا وَأُبَاهِي فِي افْتِخَارِي بِخَطْوَتِي(٥٤٥)
٣٧٧ وَقَدْ نِلْتُ مِنْهَا فَوْقَ مَا كُنْتُ رَاجِيًـا ... وَمَا لَمْ أَكُنْ أَمَّلْتُ مِنْ قُـرْبِ قُرْبَتِي

(٥٤٢) ب ٣٧١ - لَيْلاً: جـ] ليني: ت؛ البَدْرِ: ت] القَدْرِ: جـ.
(٥٤٣) ب ٣٧٢ - أُرِيضَةِ: جـ] أريضتي: ت.
(٥٤٤) ب ٣٧٣ - الشَّبِيبَةِ: جـ] الشبيبتي: ت.
(٥٤٥) ب ٣٧٦ - كُلَّ مَنْ: جـ] كلمن: ت؛ وَأُبَاهِي: ت] وَأُنَاهِي: جـ؛ بِخَطْوَتِي: ت] بِحُظْوَتِي: جـ.

لما كان المُحِبُّ يعمل على قُرْبِهِ من المحبوب سمَّى ما يَرِدُ عليه من محبوبه قُرْبَةً؛ لكون ذلك علامة قرب المُحِبِّ من قلب المحبوب وقربة واحدة وقربات، فذكر هذا الناظم أنه نال الاتحاد بمحبوبه وذلك ما لم يكن في أمله من القرب، وأين ذلك من الاتحاد به وقد تقرر أن الاتحاد فناء المريد بالمراد، فلما لم يبق هنالك بَيْنٌ مع بقاء العَيْنِ والأَيْنِ كانت العبارة لا تُوَفِّي حق التعريف، عن هذا المقام الشريف إلا بلفظ الاتحاد الذي لا يفهمه إلا الاتحاد، وإن كان مثله سائرًا بين الأنام وجاريًا كثيرًا من الكلام، وقد بيَّنه الوحي والنقل وصَدَّقَه الشرعُ والعقلُ، فلما استوى فيه الناقل والواجد سمعه المُقِر والجاحِد، فذهب هذا بالفوائد وذهب هذا محتاج إلى الناقد، ولما ذهب[٥٤٦] الاتحاد حقيقة البين ولم يبق أثر بعد عين، قال مما يلزم عن هذا الحال:

٣٧٨ وَأَرْغَمَ أَنْفَ البَيْنِ لُطْفُ اشْتِمَالِهَا ... عَلَيَّ بِمَا يُرْبِي عَلَى كُلِّ مُنْيَةِ

بيان: الله بكل شيء محيط، فعلى عبده بلطفه وعلى نده بغيفه؛ وإذ قد كان محيطًا فهو مشتمل على عبده بكل ما يربي على كل منية، وفي هذا ضُربت أمثال الجنة والنار للمؤمنين والكفار.

٣٧٩ بِهَا مِثْلَ مَا أَمْسَيْتُ أَصْبَحْتُ مُغْرَمًا ... وَمَا أَصْبَحَتْ فِيهِ مِنَ الحُسْنِ أَمْسَتِ[٥٤٧]

٣٨٠ فَلَوْ مَنَحَتْ كُلَّ الوَرَى بَعْضَ حُسْنِهَا ... خَلا يُوسُفٍ مَا فَاتَهُمْ بِمَزِيَّةِ

(٥٤٦) كذا في ت، ولعلها: أذهب.

(٥٤٧) ب ٣٧٩-مِثْلَ: جـ] مثلَهُ: ت.

ثم بيّن السلوك الموصل بقوله:

٣٨١ صَرَفْتُ لَهَا كُلِّي عَلَى يَدِ حُسْنِهَا ... فَضَاعَفَ لِي إِحْسَانُهَا كُلَّ وُصْلَةِ

٣٨٢ يُشَاهِدُ مِنِّي حُسْنَهَا كُلُّ ذَرَّةٍ ... بِهَا كُلُّ طَرْفٍ جَالَ فِي كُلِّ طَرْفَةِ

لما كان سبحانه في كل شيء فكله لا كونينية حلول لامتناع ذلك، ولا لأن له[548] بعضًا وكُلاًّ، بل بالقدرة على الأشياء[549] المحيطة به من كل وجه- كان للمتحد به سبحانه أن يدعي ما ادعاه قائل هذا البيت؛ لأن الشاهد والمشهود عين الوجود، وكما أن لكل فرع أصلاً[550] فلكل كلام أهل، ومن تجرد عن صفاته ودخل إلى ذاته رأى فيه ما يكفيه، ولهذا قال:

٣٨٣ وَيُثْنِي عَلَيْهَا فِيَّ كُلُّ لَطِيفَةٍ ... بِكُلِّ لِسَانٍ طَالَ فِي كُلِّ لَفْظَةِ

٣٨٤ وَأَنْشَقُ إِيَّاهَا بِكُلِّ رَقِيقَةٍ ... بِهَا كُلُّ أَنْفٍ نَاشِقٍ كُلَّ هَبَّةِ[551]

٣٨٥ وَيَسْمَعُ مِنِّي لَفْظَهَا كُلُّ بِضْعَةٍ ... بِهَا كُلُّ سَمْعٍ سَامِعٍ مُتَنَصِّتِ

٣٨٦ وَيَلْثَمُ مِنِّي كُلُّ جُزْءٍ لِثَامَهَا ... بِكُلِّ فَمٍ فِي لَثْمِهِ كُلُّ قُبْلَةِ

٣٨٧ وَلَوْ بَسَطَتْ جِسْمِي رَأَتْ كُلَّ جَوْهَرٍ ... بِهِ كُلُّ قَلْبٍ فِيهِ كُلُّ مَحَبَّةِ[552]

---

(٥٤٨) اله: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٥٤٩) الشيء: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٥٥٠) أصل: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٥٥١) ب ٣٨٤- إِيَّهَا: ت] رَيَّهَا: جـ؛ نَاشِقٍ: ت] نَاشِقٌ: جـ؛ في ت: جاء البيت رقم ٣٨٥ قبل البيت رقم ٣٨٤.

(٥٥٢) ب ٣٨٧- وَلَوْ: ت] فَلَوْ: جـ.

لما كان الإنسان الكامل زبدة الكون، والكون كل صور صفاته وهو غاية الكل، كانت كل محبة - من كل قلب فيما كان ويكون - داخلة في ضمن محبته لكمالها المحيط؛ فلذلك لو عادت ذَرَّاتُ جسمه إلى بساطتها التي كانت من قبل التركيب كانت سر آية الحب موجودة من هناك في كل ذرة؛ لأن في الجزء الكل بمقتضى العلم الذي لا يكون إلا هو؛ إذ العلم والأزل فيه المعلوم لم يزل، فالجسم الواحد مشهود قبل تركيبه من كل ذرة بل وروح ذلك الجسم ومقاصد تلك الروح وغايات تلك المقاصد تفصيلاً وإجمالاً تقييدًا وإطلاقًا، ولهذه المحبة قام الكون واجتمع وتم في كل مكون؛ لأن الفاطر فطر الكل على محبته فتحرك الكل إليه على مراده سبحانه منه ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٥٥٣] ومن شاهد هذا الجمال واتحد بهذا الكلام له أن يقول مهما قال:

٣٨٨ وَأَغْرَبُ مَا فِيهَا اسْتَجَدْتُ وَجَادَ لِي ... بِهِ الفَتْحُ كَشْفًا مُذْهِبًا كُلَّ رِيبَةِ[٥٥٤]

جاد: أَعْطى الجَيِّدَ، وقوله: اسْتَجَدْتُ بمعنى: طلبت الجود وفيه معنى استحسنت.

٣٨٩ شُهُودِي بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ ... وَلِيَّ ائْتِلَافٍ صَدُّهُ كَالمَوَدَّةِ[٥٥٥]

الصَدُّ من الجَوْرِ عليَّ، والجمع هاهنا نسب العين إليه، وهي معاينة ما يجمع بين الضدين كمن يرى أن الله هو الفاعل بيد كل فاعل ولم يفعل إلا حسنًا، وهذا إنما

---

(٥٥٣) سورة البقرة، الآية ٢٥٥.

(٥٥٤) ب ٣٨٨- وَجَادَ لِي: جـ] بعادلي: ت.

(٥٥٥) ب ٣٨٩- صَدُّهُ كَالمَوَدَّةِ: جـ] ضده كالمودّتِ: ت.

يعلمه العالِم علمًا ويجده الذائق وجودًا، وكلاهما لا ينقصان للشريعة ولا ينقصان للعقل، فأما من جهة العلم فمن علم أن الله مكن العباد من فعل الحسن والقبيح وحجر عليهم بعد التمكن فلا يُزِيْلُ الحَجْرَ عن ذَرَّةٍ إلا إذا أراد وقوعها. اعلم أن الأفعال جميعها منسوبة إليه سبحانه وإن كانت بيد الخلق وعاد الأمر كله لله وحده ولا تتحركُ ذرة إلا بإذنه، وصحَّ أنه [٢٠و] أراد من العالَم ما هم فاعلوه، بل تعين الفعل له وحده، وإذا كان الفعل له وحده وهو غَنِيٌّ عن العباد فلا يفعل الفساد، بل ما هم فيه صلاح المعاش والمعاد، فأما كيفية إقامة حدود الشريعة مع صحة هذا الاعتقاد فهو بأن يعلم الراسخ في العلم أن إزالة الاحتجار لا يلزم الإجبار، فإذا أزال الحَجْرِ عنهم كان الفعل صادرًا منهم، وكانوا مختارين له قادرين عليه مكتسبين له مؤاخذين به؛ لأنهم ما اطلعوا على مراد الله فكانوا في شغله بل في شغل أنفسهم من جهة مرادهم، ولم يتغير ما قررناه أولاً من كونهم في شغله، ومراده عند من علم أن زوال الاحتِجَار لا يلزم الإجبار على الفعل من العبد القادر المختار، وبصحة هذا يصح الابتلاء والاختبار، وتقوم أحكام الشريعة في نظر النظار، ويحق الجزاء بالجنة أو بالنار:

[البسيط]

فَالْكُلُّ فِي شُـغُلٍ مِـنْهُمْ لأَنْفُسِـهِمْ وَالْكُـلُّ فِي كُـلِّ آنٍ مِنْـهُ فِي شُـغُلٍ

وتفصيل ذلك وردُّ ما يرد عليه راجعٌ إلى عالم الوقت القادر على نصر الشريعة عقلاً عند من كانت عنده تقليدًا ونقلاً، وأما أصحاب الذوق فهم الذين انمحى(٥٥٦) من نظرهم رؤية السوى فعَلَوا على بساط التقوى وانفردوا بعالم السِّرِّ والنجوى:

[الطويل]

بَـدَا لَهُـمْ فِي كُـلِّ وَادٍ فَلَـمْ يَـرَوا   سِوَى وَجْهِهِ، فَـالْقَوْمُ فِيهِ بُهُوتُ
تَجَـلَّى لَهُـمْ فِي كُـلِّ شَيْءٍ وَضِـدِّهِ   هُنَالِـكَ بَغْـيُ الكَـافِرِيْنَ قُنُـوتُ

وقد بيَّن الناظم مقصوده فيما ذكره مما يتعلق به وجعله مثلاً يعلَّم به غيره وألزم نفسه ستر ما يتعلق به، وعلَّم للسالك ذلك وهو في ستة أبيات آخرها «بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ»، والجمع بين ما قاله وقلناه علمًا وذوقًا ظاهر من غير إشكال، عند ﴿مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٥٥٧) فأما الجاحد أو المعاند أو الواقف مع العوائد أو الثابت على سوء العقائد، فضالٌّ عن التحقيق أو معاقب بالضلال عن الطريق والله ولي التوفيق. ولقد بيَّن الناظم بقوله مشيرًا إلى وحدته:

٣٩٠ أَحَبَّنِـيَ اللاَّحِـي وَغَـارَ فَلاَمَنِـي   وَهَامَ بِهَا الـوَاشِي فَجَارَ بِرِقْبَتِي(٥٥٨)

اللاحي: يلوم العاشق على فعله ويظهر له المحبة والنصح بلومه فيكون اللوم من أجله، يقول الناظم: قد عاد هذا عندي محبٌّ لي فمن غيرته عليَّ لامني وهو لا يدري

---

(٥٥٦) انمحا: ت.

(٥٥٧) سورة ق، الآية ٣٧.

(٥٥٨) ب ٣٩٠- بِهَا: ت] بِيَ: جـ، فَجَارَ: ت] فَحَارَ: جـ

أنني لا أحب إلا نفسي، فكأنه يأمرني بما أنا عليه. وهذا من قبيل معنىٰ قولهم: أبصره لائمي عليه ولم يكن قبلها رآه:

[مخلع البسيط]

فَقَــالَ لِيْ لَــوْ عَــشِقْتَ هَــذَا   مَـا لاَمَـكَ النَّـاسُ فِي هَـوَاهُ
فَظَلَّ(٥٥٩) مِـنْ حَيْـثُ لَـيْسَ يَـدْرِيْ   يَـأْمُرُ بِالْحُـبِّ مَـنْ نَهَـاهُ(٥٦٠)

والواشي: هو الذي يظهر محبته ونصحه للمعشوق ويذم عنده العاشق؛ فهذا حار في المراقبة المانعة من اجتماع المحب بالمحبوب لأنهما واحد. يقول الناظم: فأنا أشكر من يذمني لأني أرىٰ ذمه لي محبة وهيامًا بي بخلاف ما يراه غيري؛ لأن الواشي يستحق أكبر منها لكونه نصحها نصح المحب لها الهائم بها، وأنا هي فيستحق مني الشكر، والآخر يستحق البر.

٣٩١ فَشُكْرِي لِـهَذَا حَاصِلٌ حَيْثُ بِرُّهَـا   لِـذَا وَاصِـلٌ وَالكُـلُّ آثَـارُ نِعْمَتِـي

أي: إنما كنتُ المنعم عليَّ وبيَّن ذلك بقوله:

---

(٥٥٩) فضل: ت.

(٥٦٠) هذان البيتان منسوبان لابن وكيع التنيسي، واسمه: الحسن بن علي الضبي، أصله من بغداد ومولده بتنيس نسبة إلىٰ "تنيس" مدينة بديار مصر بالقرب من دمياط، يقال إن هذه المدينة بناها تنيس بن حام بن نوح عليه السلام فسميت باسمه. مات ابن وكيع سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م. من شعراء اللهو والوصف والخمر. في حين نسب ابن أبي أصيبعة هذه الأبيات نفسها إلىٰ أمين الدولة بن التلميذ. انظر: الثعالبي، *يتيمة الدهر*، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣، جـ٥، ص٤٠، ترجمة رقم ٢٤؛ ياقوت الحموي، *معجم الأدباء*، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٩٩٣، ترجمة رقم ٣٤٥؛ ابن أبي أصيبعة، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ٣٦٢– ٣٦٣؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ٢، ص١٠٤، ترجمة رقم ١٧١؛ ابن العماد، *شذرات الذهب*، ط١، ١٩٨٩، جـ٤، ص٤٩٦.

٣٩٢ وَغَيْرِي عَلَى الأَغْيَارِ يُثْنِي وَلِلسِّوَى ... سِوَائِيَ يَثْنِي مِنْهُ عِطْفًا لِعَطْفَتِي[٥٦١]

وللسّوىٰ بمعنىٰ: وإلىٰ السّوىٰ. وعِطْفَا الرجل: جانباه من لدن رأسه إلىٰ وركه. والعَطفة: الشفقة، وأوضح ما قدمه بعده:

٣٩٣ وَشُكْرِيَ لِي وَالبِرُّ مِنِّيَ وَاصِلٌ ... إِلَيَّ وَنَفْسِي بِاتِّحَادِي اسْتَبَدَّتِ

قد بيّنا مثل هذا في عدة أبيات بصور مختلفات بعدما أوضحناه في الخلاصة فلا يُشكل عليك بعدما صح في ظاهر الشرع وباطن العقل وصحيح النقل؛ لأنها- أعني النفس- إذا استبدت بإذن بارئها وجدت كل ما تحتاج إليه مودَعًا فيها، فأما وهي تحت الحَجْرِ فهي كالحَجَرِ ولا تتوجه عليها الحُجَّة بمن حَجَر، ولما عرَّفهم هذا وصَعُبَ علىٰ كثير من الأفهام قال:

٣٩٤ وَثَمَّ أُمُورٌ تَمَّ لِي كَشْفُ سِتْرِهَا ... بِصَحْوِ مُفِيقٍ عَنْ سِوَايَ تَغَطَّتِ[٥٦٢]

قوله: لي، أي: لا لسوايَ كشفت. وقوله: بصحو، أي: لا في سكر للأحوال. وقوله: مفيق أي: بعد سُكْرٍ مُفِيْقٍ، وقوله:

٣٩٥ بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبَحْ دَمُهُ وَفِي الـ ... إِشَارَةِ مَعْنَى مَا العِبَارَةُ حَدَّتِ[٥٦٣]

(٥٦١) ب ٣٩٢- لِعَطْفَتِي: ت] لِعَطْفَةِ: جـ.

(٥٦٢) ب ٣٩٤- وَثَمَّ: جـ] وتم: ت.

(٥٦٣) ب ٣٩٥- يُبَحْ دَمُهُ: ت] يُبِحْ دَمَهُ: جـ؛ العِبَارَةُ حَدَّتِ: جـ] العبارة حدتي: ت.

بيان: من رأىٰ كل شيء في كل شيء بالتفصيل والإجمال. الله في كل ما رآه[٥٦٤] إذ أباح دمه. وتحقيق صحة هذه الرؤية تقريبًا إلىٰ الأفهام علمًا من قوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٥٦٥]، فمتىٰ كانت ذات العبد في جُزْءٍ أو كُلٍّ أو صورةٍ أو معنًىٰ أو حرفٍ أو ذَرَّةٍ أو لَمحٍ أو خَطْرَةٍ كان الله معه، وهو لا يرىٰ إلا هو، فلا يرىٰ الرائـي[٥٦٦] نفسه، فهذا قد عادت عنده كل عبارة حد، والمعنىٰ في الإشارة، وقد بيَّن قصده وأوضح حدَّه بقوله بعده:

٣٩٦ وَمَبْدَأُ إِبْدَاهَا [٢٠ظ] اللَّذَانِ تَسَبَّبَا إِلَىٰ فُرْقَتِي وَالجَمْعُ يَأْبَىٰ تَشَتُّتِي[٥٦٧]

هذا الكلام جعله رمزًا فقاله عنه بما شاهده منه وضربه مثلاً للذات العلية، فتكلم عن من هو محدود بالعبارة، والمعنىٰ المراد بها ما تومئ إليه الإشارة، فقوله: ومبدأ إبداها، أي: مبدأ إظهارها السّوىٰ، وهو يعم ما يقبل البُدوَّ إلهيًّا كالصفات وكونيًّا كالعالَم ومفصلاً كالأشكال ومجموعًا كالإنسان، فقال: مبدأ إظهارها أظهرته شيئان هما اللذان كانا سببين موصلين إلىٰ فرقتي لها؛ حيث كنت في العلم كون «الجَمْعُ يَأْبىٰ تَشَتُّتِي»، والشيئان هما: الظهور بالوحدة وعنه ظهرت الروح هادية إلىٰ أفقها ودالة عليه بوجودها، والظهور بالكثرة وعنها ظهر الجسم الدالُّ علىٰ رُفقته من كل جسم أظهرته نفسي، وشرح هذا المعنىٰ في ثلاثة[٥٦٨] عشر بيتًا:

(٥٦٤) مأواه: ت.
(٥٦٥) سورة الحديد، الآية ٤.
(٥٦٦) الراي: ت.
(٥٦٧) ب ٣٩٦- يَأْبىٰ: جـا يَأْبُ: ت.
(٥٦٨) ثلثة: ت.

٣٩٧ وَعَنِّيَ بِالتَّلْوِيحِ يَفْهَمُ ذَائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصْرِيحِ لِلْمُتَعَنِّتِ

أي: فكيف وقد طرحت للذائق؟

٣٩٨ هُمَا مَعَنَا فِي بَاطِنِ الجَمْعِ وَاحِدٌ وَأَرْبَعَةٌ فِي ظَاهِرِ الفَرْقِ عُدَّتِ[٥٦٩]

الأربعة: أنا وهي واللاحي والواشي. وباطن الجمع هو أحدية الجمع. وظاهر الفرق هو الأجسام القائمة بالأنفس؛ فالجمع الظاهر هو جمع الأسماء التي تقتضي سِوَىٰ؛ كالخالق يقتضي مخلوقًا والمصور صورة، فالفرق في الأسماء ومسمياتها حسًّا وعقلاً، والجمع الظاهر هو الفاعل فقط وأما الجمع الباطن، فجمع الأسماء التي لا تتعلق بسوىٰ كالقدوس واللام والوتر فهي فرقة، ويجمعها الله بمعنىٰ الـله الذي له كل شيء، وأما معنىٰ قوله «هما» فقد بيَّنه بقوله بعده: «وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَـذَاتٌ» فجمع الجمع هو ما جمع بين الأسماء الظاهرة والباطنة، وأَحَدِيَّةُ الجمع هو ما نفىٰ الشعور بالجمع الذي هو جمع ما كان الفرق فيه ظاهرًا عقلاً وهو الجمع الباطن، وحسًّا وهو الجمع الظاهر، وهذا كله في نظر الناظر، فَأَحَدِيَّةُ الجمع شرحها بقوله:

٣٩٩ وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَـذَاتٌ وَمَـنْ وَشَـى لَهَا وَثَنَى عَنْهَا صِفَاتٌ تَبَدَّتِ[٥٧٠]

قوله: لذات أي: واحدة. «وَمَنْ وَشَىٰ لَهَا» أي: بي. وثنىٰ عنها أي: تناءىٰ بعدله، وبيَّن مراده بقوله بعده:

(٥٦٩) ب ٣٩٨- عُدَّتِ: جـ] عُدَّتِي: ت.

(٥٧٠) ب ٣٩٩- لَهَا: ت] بِهَا: جـ.

٤٠٠ فَـذَا مَظْهَـرٌ لِلـرُّوحِ هَـادٍ لِأُفْقِهَـا شُـهُودًا غَـدَا فِي صِـيغَةٍ مَعْنَوِيَّـةِ

فذا أي: الواشي، وقوله: لأُفقِهَا أي: إلى أُفُقِهَا، وهو مبدؤها[٥٧١] التي ظهرت عنه. وقوله: شهودًا أي: في شهود الشاهد.

٤٠١ وَذَا مُظْهِـرٌ بِـالنَّفْسِ حَـادٍ لِرُفْقِهَـا وُجُودًا غَـدَا فِي صِـبْغَةٍ صُـوَرِيَّةِ[٥٧٢]

غدا: من الغدو.

والمعنى: أن الجسم هو الذي تنافى عنها وهو صفة للاحي، والروح هو الذي هداني إلى ما عنه ظهر الروح فحصلت المحبة له وذلك صفة الواشي المحب.

٤٠٢ وَمَنْ عَرَفَ الأَشْكَالَ مِـثْلِيَ لَمْ يَـشُبْـ ـهُ شِرْكُ هَوًى فِي رَفْعِ إِشْكَالِ شُبْهَةِ[٥٧٣]

فرفعها إذ عرفها فعادت هادية مآبًا بعد أن كانت بادئة حجابًا، وبَيَّنَ بعد ذلك كيفية أمره إذ عرف الأشكال في الوجود ورفع الإشكال في الشهود وهو قوله لمن فهم من تلويحه المقصود.

٤٠٣ فَـذَاتِيَ بِاللَّـذَّاتِ خَـصَّتْ عَـوَالِمي بِمَجْمُوعِهَـا إِمْـدَادَ جَمْـعٍ وَعَمَّـتِ

(٥٧١) مبداها: ت.

(٥٧٢) ب ٤٠١ – بِالنَّفْسِ: ت] لِلنَّفْسِ: جـ؛ غَدَا: ت] عَدَا: جـ.

(٥٧٣) ب ٤٠٢ – هَوًى فِي رَفْعِ إِشْكَالِ شُبْهَةِ: جـ] هَدًى في رفع ما اشتبه: ت، مما تسبب في وجود خلل في قافية البيت ووزن البحر وما أثبتناه من جـ وقد أزال الخلل.

أي: ذاتي في الأزل أمدَّت إمداد جمع باللذات جميع عوالمي خصوصًا وعمومًا، افهم هذا جيدًا فقد بيَّنه بقوله بعده: «فجادت بفيضها» والواو في «ولا» واو الحال.

٤٠٤ فَجَادَتْ وَلاَ اسْتِعْدَادَ كَسْبٍ بِفَيْضِهَا ... وَقَبْلَ التَّهَيِّي لِلقَبُولِ اسْتَعَدَّتِ[٥٧٤]

أي: «وَقَبْلَ التَّهَيِّي» ممن قبل الوجود، وهو العوالم، استعدت ذاتي للفيض. وبَيَّنَ اللذات التي خصَّت بها عوالمه بقوله:

٤٠٥ فَبِالنَّفسِ أَشْبَاحُ الوُجُودِ تَنَعَّمَتْ ... وَبِالرُّوحِ أَرْوَاحُ الشُّهُودِ تَهَنَّتِ[٥٧٥]

ثم شرح الحال وضرب المثال؛ إذ قال:

٤٠٦ فَحَالُ شُهُودِي بَيْنَ سَاعٍ لأُفْقِهَا ... وَلاَحٍ مُرَاعٍ رُفْقَهُ بِالنَّصِيحَةِ[٥٧٦]

فالبيت الأول كله موضوع ومبتدأ[٥٧٧] محموله، وخبره الثاني وهو:

٤٠٧ شَهِيدٌ بِحَالِي فِي السَّمَاعِ لِجَاذِبَيْ ... فَضَاءُ مَقَرِّي أَوْ مَمَرُّ قَضِيَّتِي[٥٧٨]

لِجَاذِبَيْ، أي: لأجل جَاذِبَيْ، والجَاذِبَانِ: ما يجذب الرُّوحَ إلى فضاء عالم الشهود والوحدة. وما يجذب النفس إلى مضيق عالم الحس والكثرة. ففضاء المقر: عالَم الحقيقة. وممر القضية: عالم الحس، الذي يمر فيه ذو القضية.

---

(٥٧٤) ب ٤٠٤ - فَجَادَتْ: ت] وَجَدَتْ: جـ.
(٥٧٥) ب ٤٠٥ - فَبِالنَّفسِ: جـ] فبالنفس: ت.
(٥٧٦) ب ٤٠٦ - فَحَالُ: ت] وَحَالُ: جـ؛ بِالنَّصِيحَةِ: جـ] بالنصيحتي: ت.
(٥٧٧) مبدا: ت.
(٥٧٨) ب ٤٠٧ - فَضَاءُ: ت] قَضَاءُ: جـ.

٤٠٨ وَيُثْبِتُ نَفْيَ الإِلْتِبَاسِ تَطَابُقُ الـ ـمِثَالَيْنِ بِالخَمْسِ الحَوَاسِ المُبِينَةِ

تقديره الالتباسَ الحَاصِلَ بالخمس الحواس يثبت نفيه تطابقَ المثالين المذكورين.

٤٠٩ وَبَيْنَ يَدَيْ مَرْمَايَ دُونَكَ سِرَّ مَا تَلَقَّتْهُ مِنْهَا النَّفْسُ سِرًّا فَأَلْقَتِ

مرماي، أي: ما رميت إليه. وقوله: دونك أي: خذ ما تحقق عندك؛ أن الذات [٢١و] واحدة والصفات كثيرة وذلك:

٤١٠ إِذَا لاَحَ مَعْنَى الحُسْنِ فِي أَيِّ صُورَةٍ وَبَاحَ مُعَنَّى الحُزْنِ فِي آيِ سُورَةِ

آي بمعنى: آيات.

٤١١ يُشَاهِدُهَا فِكْرِي بِطَرْفِ تَخَيُّلِي وَيَسْمَعُهَا ذِكْرِي بِمِسْمَعِ فِطْنَتِي

٤١٢ وَيُحْضِرُهَا لِلنَّفْسِ وَهْمِي تَصَوُّرًا فَيَحْسَبُهَا فِي الحِسِّ فَهْمِي نَدِيمَتِي[٥٧٩]

المعنى: إن كل صورة هي بمفردها في موطن من فكري وتخيلي وذكري ووهمي وحسي، والكل واحد يظهر في كل موطن بصورة، فإذا فرقته كان غيرًا وإذا جمعته كان عينًا هي أنا، ومع هذا فإن ذاتي غير هذا كله وإن كانت[٥٨٠] صفاتي هادية إليها دالة عليها، وكذلك ذات الحق تعالى هي غير هذا كله، وإن كان الكل صور مظاهر صفاته في سبل توصل إليه البعيد؛ إذ لا أبعد ممن كان عدمًا فصار وجودًا بغيره فهو

(٥٧٩) ب ٤١٢ - الحِسِّ: جـ] الحسن: ت.

(٥٨٠) كان: ت.

لا يزال غنيًا به فقيرًا إليه، فقُرب الحق إليه قرب الوجود إلىٰ الموجود، وبُعْده من الحق بُعْدُ العدم من الوجود، فافهم هذا أو أحفظه.

٤١٣ فَأَعْجَبُ مِنْ سُكْرِي بِغَيْرِ مُدَامَةٍ　　وَأَطْـرَبُ فِي سِرِّي وَمِنِّـيَ طَرْبَتِـي

٤١٤ فَيَرْقُصُ قَلْبِي وَارْتِعَاشُ مَفَاصِلِي　　تُصَفِّقُ كَالشَّادِي وَرُوحِيَ قَيْنَتِي[٥٨١]

٤١٥ وَمَا بَرِحَتْ نَفْسِي تَقَـوَّتُ بِـالْمُنَى　　وَتَمْحُو الْقُوَى بِالضَّعْفِ حَتَّى تَقَوَّتِ

تَقَوَّت: فعل مستقبل بمعنىٰ تَتَقَوَّتُ، من القُـوتِ، والأخـيرة قَوِيَـتْ، وهـو فعـل ماض.

٤١٦ هُنَاكَ وَجَـدْتُ الكَائِنَـاتِ تَحَالَفَـتْ　　عَلَى أَنَّهَـا وَالعَـوْنُ مِنِّـي مُعِينَتِـي[٥٨٢]

واو العون واو الحال؛ لأني إذا توجهت فكل شيء باب ومعين، وإذا نكصت فكـل شيء حجاب ومعين، فليس العون إلا مني، ومثل هذا: [الكامل]

وَإِذَا نَـسِيتُ نَـسِيتَنِي وَإِذَا ذَكَـرْ　　تُ ذَكَرْتَنِي فَالْكَشْفُ مِنِّي وَالحِجَـابُ[٥٨٣]

فمـن حـادلي وجـاوز[٥٨٤] فهـو بـيِّن في قولـه تعـالىٰ: ﴿نَـسُوا اللهَ فَأَنْـسَاهُمْ﴾[٥٨٥] ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[٥٨٦].

---

(٥٨١) ب ٤١٤ - تُصَفِّقُ: ت] يُصَفِّقُ: جـ.

(٥٨٢) ب ٤١٦ - مُعِينَتِي: جـ] معينتِ: ت.

(٥٨٣) "وإذا ذكر ** تك أنت ذاكر فالكشف": ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق والوزن.

(٥٨٤) أجادلي أو أجادر: ت.

(٥٨٥) سورة الحشر، الآية ١٩.

(٥٨٦) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

٤١٧ لِيَجْمَعَ شَمْلِي كُلُّ جَارِحَةٍ بِهَا وَيَشْمَلَ جَمْعِي كُلَّ مَنْبِتِ شَعْرَةِ[٥٨٧]

أي لكل مجمع شملي بها جارحة مني لأني أجدها بسمعي وبصري وذوقي وكل شيء مني. وتشتمل هذه الجمعية على كل مَنْبِت[٥٨٨] شعرة مني، وليس المراد ما فيه شعرة مجموع ما لكل جارحة والمراد بهذا الذي ذكره عنه في العالم الصغير ما يجده من مثله في العالم الكبير، فنزه عن المثل وضرب له المثل.

٤١٨ وَيُخْلَعَ فِيمَا بَيْنَنَا لَبْسُ بَيْنِنَا عَلَى أَنَّنِي لَمْ أُلْفِهِ غَيْرَ أُلْفَةِ[٥٨٩]

بيننا الثانية: الفراق. والألفة ضد الفرقة.

٤١٩ تَنَبَّهْ لِنَقْلِ الحِسِّ لِلنَّفْسِ رَاغِبًا عَنِ الدَّرْسِ مَا أَبْدَتْ بِوَحْيِ البَدِيهَةِ[٥٩٠]

أي افقه كيف ينقل الحس ما أبدته المحبوبة للنفس، ولا يأخذ ذلك من درس بل بوحي البديهة.

٤٢٠ لِرُوحِيَ يُهْدِي ذِكْرَهَا الرَّوْحُ كُلَّمَا سَرَتْ سَحَرًا مِنْهَا شَمَالٌ وَهَبَّتِ

الرَّوح: الراحة. منها: من المحبوبة.

---

(٥٨٧) ب ٤١٧ - مَنْبِتِ شَعْرَةِ: جـ] منبة شعرتي: ت.

(٥٨٨) منبة: ت.

(٥٨٩) ب ٤١٨ - لَمْ أُلْفِهِ: جـ] لم أنه: ت؛ أُلْفَةِ: جـ] ألفتِ: ت.

(٥٩٠) ب ٤١٩ - البَدِيهَةِ: جـ] البديهتِ: ت.

٤٢١ وَيَلْتَذُّ إِنْ هَاجَتْهُ سَمْعِيَ بِالضُّحَى عَلَى فَرْقِ وُرْقٌ شَدَتْ وَتَغَنَّتِ(٥٩١)

هاجته: هاجت ذكرها.

٤٢٢ وَيَنْعَمُ طَرْفِي إِنْ رَوَتْهُ عَشِيَّةً لِإِنْسَانِهِ عَنْهَا بُرُوقٌ وَأَهْدَتِ

روت ذكرها، وهو استعارة كأن البروق تروى عنها ذكراها، لأنها تُذَكِّرُ بنورها أنوارَ المحبوبة التي نور الكون لم يكن إلا من أنوارها، وفيه معنى العزة والجلال؛ فسرعته من العزة، وخطفه الأبصار من الجلال. وقوله لإنسانه: إنسان الطرف.

٤٢٣ وَيَمْنَحُهُ ذَوْقِي وَلَمْسِيَ أَكْؤُسُ الـ(م) ـشَرَابِ إِذَا لَيْلاً عَلَيَّ أُدِيرَتِ

منح الذكر، وذوقي ولمسي مفعولان، وأكؤس فاعل.

٤٢٤ فَيُوحِيهِ قَلْبِي لِلْجَوَانِحِ بَاطِنًا بِظَاهِرِ مَا رُسْلُ الْجَوَارِحِ أَدَّتِ(٥٩٢)

قلبي بوحي الذكر، وكَنَّى بالجوانح عما للروح من الصفات الباطنة التي هي كالحواس الظاهرة الموصلة إلى النفس مدركاتها، وذلك كالفهم والإدراك ومثله، ورسل الجوارح هي ما قَدَّمَه مما يؤخذ بالحواس فيهدي الذكر ظاهرًا إلى النفس فيوحيه القلب باطنًا إلى الروح، والمراد بالنفس حال في كثرة، والمراد بالروح حال في وحدة، مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾(٥٩٣).

(٥٩١) ب ٤٢١ - فَرْقِ وُرْقٌ: ت] وَرَقِ وُرْقٌ: جـ؛ شَدَتْ: جـ] شذت: ت.

(٥٩٢) ب ٤٢٤ - فَيُوحِيهِ: ت] وَيُوحِيهِ: جـ.

(٥٩٣) سورة الحجر، الآية ٢٩.

٤٢٥ وَيُحْضِرُنِي فِي الجَمْعِ مَنْ بِاسْمِهَا شَدَا فَأَشْهَدُهَا عِنْدَ السَّمَاعِ بِجُمْلَتِي[٥٩٤]

الجمع: جمع المدركات المذكورة؛ ولهذا بعدها فأشهدها عند ذلك السماع بجملتي.

٤٢٦ فَتَنْحُو سَمَاءَ النَّفْخِ رُوحِي ومَظْهَرِي الـ ـمُسَوَّى بِهَا يَحْنُو لِأَتْرَابِ تُرْبَتِي[٥٩٥]

سماء النفخ أي: مقرها الأول السامي. وقوله: بها أي: بالذات العلية المحبوبة، وهو من قوله ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[٥٩٦]، وتحنو[٥٩٧] تميل للتراب إلى أتراب.

٤٢٧ فَمِنِّـيَ مَجْـذُوبٌ إِلَيْهَـا وَجَـاذِبٌ إِلَيْـهِ وَنَـزْعُ النَّـزْعِ فِي كُـلِّ جَذْبَـةِ

النَّزْعُ الأول[٥٩٨] بمعنى القلع، والثاني بمعنى منازعة الميت عند المفارقة[٥٩٩]، فأضاف الأول إلى الثاني إضافة التمثيل.

والمعنى: إنني أجدني في كل جذبة إما مجذوب بها من أحد [٢١ظ] الجاذبين بين روح وجسم، كما يجد من تنزع منه نفسه عند الموت.

---

(٥٩٤) ب ٤٢٥ - شَدَا: جـ] شذا: ت.

(٥٩٥) ب ٤٢٦ - فَتَنْحُو: جـ] فينحوا: ت؛ سَمَاءَ النَّفْخِ: ت] سَمَاءَ الفَتْحِ: جـ؛ يَحْنُو: جـ] تحنوا: ت؛ تُرْبَتِي: ت] تُرْبَةِ: جـ.

(٥٩٦) سورة الحجر، الآية ٢٩.

(٥٩٧) تحنوا: ت.

(٥٩٨) للأول: ت.

(٥٩٩) المفارق: ت.

٤٢٨ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ أَنَّ نَفْسِي تَذَكَّرَتْ حَقِيقَتَهَا مِنْ نَفْسِهَا حِينَ أَوْحَتِ

أي: ذاك التجاذب. وحقيقتها أي: ما عنها ظهرت، وقوله: من نفسها: نفس الحقيقة، أوحت «كن»؛ فكانت النفس وكل مكون.

٤٢٩ فَحَنَّتْ لِتَجْرِيدِ الخِطَابِ بِبَرْزَخِ الـ(م) ـتُّرَابِ وَكُلٌّ آخِذٌ بِأَزِمَّتِي

لتجريد، أي: إلى، وهي الآن برزخ التراب، ويريد الخطاب الأول ويُفهم منه تجريد خطاب الحق الآن بألسنة الكون. فإنه مسموع للقلوب من أصوات الناطقات مرئيٌّ[٦٠٠] للبصائر من ظل المبدعات؛ فأراد إلى أنه حَنَّ إلى سماع مجرد، وإيضاحه أن صوت الشادي[٦٠١] باسمها كان مذكرًا إلى خطابها الأول بما خاطبته بـ«كن» فكان، فلما تذكرت حقيقتها من نفسها، فمعنى[٦٠٢] ذلك: حنّت إلى تجريد هذا الخطاب المسموع الآن ليعود خطابًا بغير حرف وصوت وآلات بشرية، وهذا الحنين وأنا في برزخ التراب، وكل شيء قد أخذ مني بعنان وزمام، فحصل التجاذب والنزع وسمي الجسم برزخًا لأنه جامع بين الوحدة والكثرة واللطيف والكثيف والباقي والفاني. ثم ضرب مثالاً بما في الحس، فقال:

٤٣٠ وَيُنْبِيكَ عَنْ شَأْنِي الوَلِيدُ وَإِنْ نَشَا بَلِيدًا بِإِلْهَامٍ كَوَحْيٍ وَفِطْنَةِ[٦٠٣]

---

(٦٠٠) مرائيٌ: ت.

(٦٠١) الشاذي: ت.

(٦٠٢) فعنى: ت.

(٦٠٣) ب ٤٣٠ – شَأْنِي: جـ] شأن: ت.

أي: وينبيك بإلهامٍ وفطنةٍ(٦٠٤) كوحي إلى النبي.

٤٣١ إِذَا أَنَّ مِـنْ شَـدِّ القِـمَاطِ وَحَـنَّ فِي ... نَشَاطٍ إِلَى تَفْرِيجِ إِفْرَاطِ كُرْبَتِي(٦٠٥)
٤٣٢ يُنَـاغَى فَيُلقِـي كُـلَّ كَـلٍّ أَصَـابَهُ ... وَيُصْغِي لِمَـنْ نَاغَـاهُ كَالْمُتَنَصِّتِ(٦٠٦)
٤٣٣ وَيُنْسِيهِ مُـرَّ الخَطْـبِ حُلْـوُ خِطَابِـهِ ... وَيُـذْكِرُهُ نَجْـوَى عُهُـودٍ قَدِيمَةِ(٦٠٧)
٤٣٤ وَيُعْرِبُ عَـنْ حَـالِ السَّمَاعِ بِحَالِـهِ ... فَيُثْبِـتُ لِلـرَّقْصِ انْتِفَـاءَ النَّقِيـصَةِ

أي: لا نقيصة في رقص، إذا كان عن هذا السماع المجرد والمشهور [أن](٦٠٨) الرقص نقص؛ فالطفل أثبت انتفاء النقص.

٤٣٥ إِذَا هَـامَ شَـوْقًا بِالْمُنَـاغِي وَهَـمَّ أَنْ ... يَطِـيرَ إِلَى أَوْطَانِـهِ الأَوَّلِيَّـةِ
٤٣٦ يُـسَكَّنُ بِالتَّحْرِيـكِ وَهْـوَ بِمَهْـدِهِ ... إِذَا مَـا لَـهُ أَيْـدِي مُرَبِّيـهِ هَـزَّتِ
٤٣٧ وَجَدْتُ بِوَجْدٍ آخِذِي عِنْـدَ ذِكْرِهَـا ... بِتَحْبِـيرِ تَـالٍ أَوْ بِأَلْـحَانِ صَيِّتِ

تالي القرآن أو مغنٍّ بالألحان. وقوله: وجدت أي: من المجادلة.

٤٣٨ كَـمَا يَجِـدُ المَكْـرُوبُ فِي نَـزْعِ نَفْسِهِ ... إِذَا مَـا لَـهُ رُسْـلُ المَنَايَـا تَوَفَّـتِ

---

(٦٠٤) وفطنتي: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.
(٦٠٥) ب ٤٣١ – كُرْبَتِي: ت] شِدَّةِ: جـ.
(٦٠٦) ب ٤٣٢ – فيُلقي: ت] فَيُلْغِي: جـ؛ كَلٍّ أَصَابَهُ: جـ] كُلُّ أَصَابَهُ: ت.
(٦٠٧) ب ٤٣٣ – قَدِيمَةِ: جـ] قديمتي: ت.
(٦٠٨) [ ] إضافة يقتضيها السياق.

المراد ما يجده من الراحة؛ فالتوفي بعد الموت لا فيه، فإن فيه مع الجسم وبعده مع الروح، والكل تمثيل وتنبيه بقوله: «فذا نفسه رقت» أي: من كثافتها ميلاً إلى الجسم الذي به كان ظهورها إلى الوجود وذلك بموته الطبيعي، «وَرُوحِي تَرَقَّتْ لِلْمَبَادِي العَلِيَّةِ»، وهي ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾[٦٠٩]، وذلك بموتي الإرادي.

٤٣٩ فَوَاجِدُ كَرْبٍ فِي السِّيَاقِ لِفُرْقَةٍ ... كَمَكْرُوبِ وَجْدٍ لاشْتِيَاقٍ لِرُفْقَةِ[٦١٠]

٤٤٠ فَذَا نَفْسُهُ رَقَّتْ إِلَى مَا بَدَتْ بِهِ ... وَرُوحِي تَرَقَّتْ لِلْمَبَادِي العَلِيَّةِ

٤٤١ وَبَابُ تَخَطِّيَّ اتِّصَالِي بِحَيْثُ لاَ ... رَقِيبَ وِصَالٍ عَنْهُ رُوحِي تَرَقَّتِ[٦١١]

المعنى: إن الحاصل لي من الوصل لم يكن في زمن تمثل بغير خطوة واحدة، فكانت بابًا لا منزلاً خرجت منه بك، بابًا خرجت عنه، فلم يبق رقيب يصد عن الوصل، ونسب الباب إلى التخطي بمعنى أول التخطي. وقوله: «وَبَابُ تَخَطِّيَّ» مبتدأ وخبره اتصالي، وقوله: عنه، أي: عن الرقيب. وبَيَّنَ السبيلَ إلى ما به وصف نفسه بقوله:

٤٤٢ عَلَى أَثَرِي مَنْ كَانَ يُؤْثِرُ قَصْدَهُ ... كَمِثْلِيَ فَلْيَرْكَبْ لَهُ صِدْقَ عَزْمَتِي[٦١٢]

٤٤٣ وَكَمْ لُجَّةٍ قَدْ خُضْتُ قَبْلَ وُلُوجِهِ ... فَقِيرُ الغِنَى مَا بُلَّ مِنْهَا بِنُغْبَةِ[٦١٣]

---

(٦٠٩) سورة الحجر، الآية ٢٩.

(٦١٠) ب ٤٣٩ - كَمَكْرُوبِ: جـ] كمكروبٍ: ت؛ لِرُفْقَةِ: جـ] لرفقتي: ت.

(٦١١) ب ٤٤١ - رَقِيبَ: ت] حِجَابُ: جـ.

(٦١٢) ب ٤٤٢ - فَلْيَرْكَبْ: جـ] فاركب: ت؛ صِدْقَ: جـ] صِدْقُ: ت؛ عَزْمَتِي: ت] عَزْمَةِ: جـ.

(٦١٣) ب ٤٤٣ - الغِنَى: جـ] الغِنَا: ت.

اهاء في ولوجه ضمير الباب(٦١٤). والنُّغْبَةُ: الجرْعَةُ، يقال نَغَبْتَ أي تجرَّعْتَ. والغنى يكون بالشيء وعن الشيء، فالغنيُّ بالشيء يقال له فقير المعنى، والغنيُّ عن الشيء هو الصانع سبحانه، ولا يُطلق(٦١٥) عليه اسم الفقير ﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾(٦١٦).

٤٤٤ بِمِـرْآةِ قَـوْلِي إِنْ عَزَمْـتَ أُرِيكَـهُ فَأَصْغِ لِمَا أُلْقِي بِسَمْعِ بَصِيرَةِ(٦١٧)

٤٤٥ لَفَظْـتُ مِـنَ الأَقْـوَالِ قَـوْلِيَ غَـيْرَةً وَحَظِّي مِنَ الأَفْعَالِ فِي كُلِّ فَعْلَةِ(٦١٨)

هذا هو السلوك إلى اتحاد الملك بالمملوك، على ما بيَّنا المراد بلفظ الاتحاد في الخلاصة وغيرها من شرح أبيات في هذه القصيدة، وهذا الاتحاد هو معنى «حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له عينًا وبصرًا»(٦١٩) فالملك(٦٢٠) اتحد بالمملوك لا أن المملوك بالملك، فافهم السلوك. ثم قال وهو مفعول لفظتُ، والواو أغنت في قوله ولحظي، وقوله: غَيْرَةً، الغيرة: إفراد المحبوب عن رؤية غيره، فهو غيور، ومتى انتفت الغيرة لم يبق غيرة إذ لم يبق غيرٌ.

٤٤٦ وَلَحْظِي عَلَى الأَعْمَالِ حُسْنَ ثَوَابِهَا وَحِفْظِيَ لِلأَحْوَالِ مِنْ شَيْنِ زِينَتِي(٦٢١)

(٦١٤) يشير إلى كلمة باب في البيت ٤٤١.

(٦١٥) ينطلق: ت.

(٦١٦) سورة محمد، الآية ٣٨.

(٦١٧) ب ٤٤٤ - بِمِرْآةِ: جـ] بمُرْآتِ: ت؛ فَأَصْغِ: جـ] فَصْغَ: ت، أُلْقِي: جـ] أَلْقَى: ت.

(٦١٨) ب ٤٤٥ - قَوْلِيَ: ت] لَفْظِيَ: جـ؛ غَيْرَةً: جـ] غِيرَةً: ت؛ فَعْلَةِ: جـ] فِعْلَةِ: ت.

(٦١٩) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًّا..." سبق تخريجه.

(٦٢٠) فالملك: ت.

(٦٢١) ب ٤٤٦ - شَيْنِ: جـ] شِينَ: ت.

رؤية زينة [٢٢و] الأعمال الصالحة والأحوال تشبهًا، ثم عطف:

٤٤٧ وَوَعْظِي بِصِدْقِ العَزْمِ إِلْغَاءَ مُخْلِصٍ وَلَفْظِي اعْتِبَارَ اللَّفْظِ فِي كُلِّ قِسْمَتِي[٦٢٢]

لما قال أولاً: لَفَظْتُ[٦٢٣] بمعنىٰ: تركت وهو أسهل الترك، كما يلفظ الكلمةَ قائلها، ومعناه: تركت رؤية لفظي المليح. قال بعده ما معناه تركت أيضًا ذلك الترك بمعنىٰ: لم أرَ رؤيتي لذلك الترك. ثم قال: وتركت وعظي بصدق العزم فألغيته إلغاء مخلص فيما ترك، وتركت تركي اعتبار اللفظ، ثم لفظت لفظي أيضًا.

٤٤٨ فَقَلْبِـيَ بَيْـتٌ فِيـهِ أَسْـكُنُ دُونَـهُ ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْهُ مِنْ حَجَبِيَّتِي

المعنىٰ: قلبي بيت لي وسكني فيه فإن ظهرت صفاتي فظهورها مما هو دونه في الرتبة، وظهورها عما دونه يكون من جملة حَجَبِيَّتِي؛ لأن ذاتي تحتجب بصفاتي، فمتىٰ ظهرت الصفات احتجبت الذات، وذلك دون قلبي الذي هو سكني، والهاء في «عنه» ضمير دونه، وقد فني بذاته عن الذات، ولهذا قال:

٤٤٩ وَمِنْهَـا يَمِـينٌ فِيـهِ رُكْـنٌ مُقَبَّـلٌ وَمِنْ قِبْلَتِي فِي فِيَّ لِلْحُكْمِ قُبْلَتِي[٦٢٤]

الضمير في «ومنها» ضمير الصفات، والمعنى: أن حكم الشرع الباطن الذي هو كحكم الشرع الظاهر في تقبيل الحجر الأسود، الذي قال فيه رسول الله- صلىٰ الله

(٦٢٢) ب ٤٤٧ - العَزْمِ: ت] القَصْدِ: جـ؛ قِسْمَتِي: ت] قِسْمَةٍ: جـ.

(٦٢٣) يشير إلىٰ كلمة لفظتُ في البيت ٤٤٥.

(٦٢٤) ب ٤٤٩ - يَمِينٌ: ت] يَمِينِي: جـ؛ فِيهِ: ت] فِيَّ: جـ؛ فِي فِيَّ لِلْحُكْمِ: ت] لِلْحُكْمِ فِي فِيَّ: جـ.

عليه وسلم-: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض»[٦٢٥] أي من قَبَّلَهُ فقد قَبَّلَهَا، وكما أن الحجر من القِبْلَة فكذلك فمن فمي قُبْلَتِي.

٤٥٠ وَحَـوْلِيَ بِـالمَعْنَى طَـوَافِي حَقِيقَـةً   وَسَعْيِي لِوَجْهِي مِنْ صَفَايَ لِـمَرْوَتِي[٦٢٦]

يفهم هذا من ظاهر الشريعة بقوله ﴿مَـنْ عَمِـلَ صَـالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾[٦٢٧]، وفي باطن الحقيقة وهو المراد هاهنا من قوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ»[٦٢٨] وحقيقة ذلك: أنه تعالى إذا كان قد وسعه قلب المؤمن[٦٢٩]، فطوافه وإن كان ظاهر أحوال البيت بالصورة[٦٣٠] فهو حول قلبه باطنًا[٦٣١]، ويكون هذا الطواف هو الحقيقي؛ لأن الطواف بالبيت ليس من أجل البيت، بل من أجل رب البيت، فكما لزم هذا في الظاهر بالجسم شرعًا لزم هذا في الباطن بالعقل شرعًا؛ ولهذا بعده:

٤٥١ وَفِي حَرَمٍ مِنْ بَـاطِنِي أَمْـنُ ظَـاهِرِي   وَمَنْ حَوْلَهُ يُخْشَى تَخَطُّـفَ جِـيرَةِ[٦٣٢]

---

(٦٢٥) قول متداول بين الصوفية كحديث، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٦٢٦) ب ٤٥٠ - صَفَايَ: جـ] صفاتي: ت.

(٦٢٧) سورة فصلت، الآية ٤٦.

(٦٢٨) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًا..." سبق تخريجه.

(٦٢٩) إشارة إلى: "ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن"، وهو قول متداول بين الصوفية كحديث إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٦٣٠) بالصُّورتِ: ت.

(٦٣١) فكرة الطواف حول القلب كحقيقة للطواف حول البيت موجودة في عدد من الصوفية من أمثال: إبراهيم ابن أدهم ورابعة العدوية والحلاج وغيرهم.

(٦٣٢) ب ٤٥١ - يُخْشَى: ت] يَأْبَى: جـ؛ جِيرَةِ: ت] جِيرَتِي: جـ.

المعنى: من دَخَل حرمي آمِنٌ، ومن جاورني حول حرمي يخشى أن يتخطّفه كلّ شيء.

٤٥٢ وَنَفْسِي بِصَوْمِي عَـنْ سِـوَايَ تَفَـرُّدًا   زَكَتْ وَبِفَضْلِ الفَيْضِ عَنِّيَ زَكَّـتِ[٦٣٣]

أي: زَكَتْ من زَكَا من السّوىٰ. وقولـه: «بِصَوْمِي عَـنْ سِـوَايَ» يريـد بـه مطلـق السّوىٰ؛ لأن من صح له الاتحاد تفرَّد عن الأضداد، وكان هو المريـد والمراد، وهـذا هو العبد كما بينا في الخلاصة.

٤٥٣ وَشَفْعُ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ ظَلَّ فِي اتِّـ(م)   ـحَادِيَ وِتْـرًا فِي تَـيَقُّظِ غَفْـوَتِي[٦٣٤]

الشفع في الوجود هو المخلوق شفع الخالق، يقـول: إن الزوجية عـادت في حكـم شهودي وِتْرًا في حال اتحادي بمحبوبي، وهذا أجده أبدًا متيقظًا، فإن رأيت الـشفعية فإنما يكون ذلك في غفوة، وهي أدنىٰ نوم خفيف لا يغيب عن الإحساس بـما يحسه المستيقظ علىٰ الأكثر، فإن غُيِّب فهي الغفوة وإن لم يغب[٦٣٥] فهو تيقُّظ غفلة، فإذا كان في تيقظ غفوة لم ير إلا وترًا فكيف في تيقظ؟! وأما النـائم فـالقلم مرفـوع عنـه. ولا يصعب هذا وأمثاله عليك فإن الناظر في مسألة[٦٣٦] مـن العلـم مـثلاً إذا همَّـه فهمهـا يضطره حاله إلىٰ الغيبة بها عن كل شيء من علومه ومن معلوماته وعنه، حتىٰ كأنـه اتحد بها ولم يرَ في ذاته غيرها، فهو وإن أدركها بذاته وفي ذاته لم يكن له شـعور بذاتـه

---

(٦٣٣) ب ٤٥٢ – وَبِفَضْلِ الفَيْضِ: ت] وَبِفَيْضِ الفَضْلِ: جـ.
(٦٣٤) ب ٤٥٣ – تَيَقُّظِ: جـ] تيقض: ت، وهو تحريف.
(٦٣٥) يغيب: ت.
(٦٣٦) مسئلة: ت.

بل بمسألته، فقد انطوىٰ مع السوىٰ في مسألة(٦٣٧) من العلم ولم يبق إلا هي وليس إلا هو منصبغًا بها مقابلاً بذاته ذات الذات معدومًا من سائر الجهات، فإن ظفر به عد في عزة علم وفرح بدقة فهم يرىٰ ذاته في محل لو بُدِّلَ له من لذات الأجسام ما في أيدي الأنام لما رضي بالخروج عن العقل والحلول في الجهل، وإذا كان هذا الحال فيما يقال فكيف بمن خلا لصومه وتفرد بذاته متجردًا عن صفته ناظرًا في مرآته حتىٰ شاهد وحدته غير محتاجة إلىٰ آلة جسمانية أو روحانية في مشاهدتها لها وغناها بها؛ فصار طالبًا مطلوبًا محبًّا محبوبًا؟!.

ومن سِرِّ هذه الوحدة أن لا يلحقها الباطل عنها إثبات ضده لها منها، فرأت فيها كل شيء وهي غيبة في [٢٢ظ] شهود النفس فقيرة إليه في مشاهدة الحس، فعاد أشرف ما فيها آلة معطلة بل لا وجود له في وحدتها حتىٰ يعارض أو يفاوض، فلما أعطاها الشهود ما رأته منها لا بالعقل بل بالوجود، رأت وحدتها مستفادة من أحدية بائنة بها مباينة لها، فأعرضت حينئذ عن ذاتها كإعراضها من قَبْلُ عن صفتها؛ فتحل لها بها مَن أبدعها ثم شغلها به عما لها أودعها، ثم ظهر لها منها ما شغلها به عنها فعادت عادمة لها به واجدة له بها، فإذا عادت إلىٰ الحس وجدتها به فلم تر إلا عبوديتها ولم تشهد إلا صفتها، وجاء العقل فلم تهتدِ إلا به ولم تحتجب إلا بسببه، فمتىٰ كانت عادمة لها به تحققت، وهنالك مَحْوٌ لاَ سُكْرٌ وَلاَ صَحْو، وهو مقامها الأعلىٰ(٦٣٨).

(٦٣٧) مسلة: ت.

(٦٣٨) الأعلا: ت.

ومتى كانت واجدة له بها نطقت وصدقت وهذا مقام الوجد، والأعلى[٦٣٩] مقام الفقد، والأدنى مقام الحد، فالناظم[٦٤٠] نزَّه عن الحد وتكلم من الوجد وأشار إلى الفقد تكملة؛ السبب في ظهور الأكوان ظهور صفات الإنسان، لِيُظْهِر له عرفانًا بسواه ثم يظهر له عيانًا بإياه، وبعين ظهوره له ظهر الله فظهر المخلوق لنفسه عينًا وظهر خالقه له غيبًا، والعلم يقضي أن الخالق عين لم يزل والمخلوق غيب لم يكن، فلما استُخلِف عليه جعل أمره كله إليه ليهتدي إلى مولاه به وبكل ما سواه، فلما أبدى له لا لله هدى إليه بسواه ثم هدى إليه بإياه فمن قام في حد خلافته بذاته وصفاته رأى من مولاه ما يمكن في هذه الدار أن يراه، ومن رأى أَحَب، وكما أن من سِرِّ الرؤية الحب؛ فكذلك من سِرِّ الحُبِّ القُرْبُ، ومن تحقق من ربه بالخلافة لم يكن قربه منه بالمسافة؛ ولذا لم يُبْقِ مسافة يبدو[٦٤١] بها بين راءٍ ومرئي[٦٤٢] فرقٌ، فأين هنالك خالق وخلق؟!، ولما صح ذلك والعبودية باقية على حالها والربوبية باقية على حالها والربوبية بادية بجمالها، قال شاهد الحال:

[الكامل]

هُوَ ظَاهِرٌ بِظُهُورِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ   عَنْهُ لَنَا مِنَّا ظُهُورًا بَيِّنَا
وَلِفَرْطِ قُرْبٍ لَيْسَ فِيهِ مَسَافَةٌ   يَبْدُو[٦٤٣] بِهَا رَاءٍ وَمَرْئِي لَنَا
هُوَ بَاطِنٌ عَيْنًا كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ   مِنَّا لَنَا فَلَقَدْ عَلا وَلَقَدْ دَنَا
فَكَأَنَّمَا أَنَا لاَ أُشَاهِدُ غَيْرَهُ   وَكَأَنَّمَا أَنَا لاَ أَرَى إِلاَّ أَنَا

---

(٦٣٩) الأعلا: ت.

(٦٤٠) فالناظم: ت.

(٦٤١) يبدوا: ت.

(٦٤٢) رائي ومري: ت.

(٦٤٣) يبدوا: ت.

فالصوفي إلى مثل هذا الاتحاد أشار وأراد وحاشا وبيّن الاتحاد، وإذا كان نفى عن نفسه الحلول في الجسم ونزَّهها عن الرسم والاسم، فما ظنك به في مولاه وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟!.

٤٥٤ وَإِسْرَاءُ سِرِّي عَنْ خُصُوصِ حَقِيقَةٍ … إِلَيَّ كَسَيْرِي فِي عُمُومِ الشَّرِيعَةِ

قوله «إليَّ» تقديره: وإسراء سِرِّي إليَّ الذي هو مختص بي عن حقيقة تَحَقَّقْتُ بها، هو مثل سيري في عموم الشريعة؛ لأن كل موطن له حكم فحيث السر فحقيقته باطنة، وحيث الحس فشريعة ظاهرة، وإخلالي بشيء من أحدهما كإخلالي بالآخر، والمراد أنه لما تكلم عن الشريعة الخاصة به بيّن أنه لم يخرج عن الشريعة العامة له ولغيره، فقال:

٤٥٥ وَلَمْ أَلْهَ بِاللاَّهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي … وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّاسُوتِ مُظْهِرَ حِكْمَتِي[٦٤٤]

أَلْهُ أي: أشتغل؛ فأكون في قيامي باللاهوت منفردًا به عن حكم الناسوت، كمن لها[٦٤٥] عن حَقٍّ إذ فرَّط فيما لا يجوز التفريط فيه، والمراد مأخوذ من قوله ﴿اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا﴾[٦٤٦]، فلم أحتجب بالحق الباطن فيكون الحق الظاهر عندي لهوًا، ولم أشتغل بالحق الظاهر وأنسى مظهره. والحكمة: الشريعة؛ لقوله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾[٦٤٧] ونسبها إليه لأنها من الله له ولكل مؤمن بها.

---

(٦٤٤) ب ٤٥٥ - حِكْمَتِي: ت] حِكْمَةِ: جـ.

(٦٤٥) لهى: ت، وما أثبتناه هو الصواب.

(٦٤٦) سورة الأعراف، الآية ٥١.

(٦٤٧) سورة القمر، الآية ٥.

والمعنى: لست كمن ألهاه حق باطن عن حق ظاهر؛ فجعل الظاهر عنده لهوًا وأنساه حَقٌّ ظَاهِرٌ حَقًّا باطنًا فتركه عنده منسيًّا، وهو معنى ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾(٦٤٨).

وتلخيصه: [السريع]

لَمْ أَلْهُ نَاسُوتًا بِلَاهُوتِهِ أَوْ أَنْسَ لَاهُوتًا بِنَاسُوتِ

بل عدلت من العدل وما عدلت عن الحق واللاهوت. والناسوت لم يأت في الشريعة الإسلامية، وقيل إن النوري(٦٤٩) ذكره في نظم، والحلاج(٦٥٠) في نثر؛ فقال عند الصَّلْبِ، فقال: «اللهم إنك أنت المتجلي من كل جهة [٢٣و] للمتجلي عن كل جهة، بحق قيامك بحقي، وقيامي بحقك، وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي، لأن

---

(٦٤٨) سورة الحشر، الآية ١٩.

(٦٤٩) أبو الحسين أحمد بن محمد البغوي النوري، المعروف بـ"ابن البغوي"، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، بغدادي المنشأ والمولد، خراساني الأصل من قرية بين هراة ومرو الروذ، يقال لها "بغشور". وصفه أبو عبد الرحمن السلمي بأنه "من أَجَلِّ مشايخ القوم وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً"، كان مشهودا له بالصلاح والتقوى، فكان - رضي الله عنه - من أقران الجنيد وخير النساج، توفي النوري عام ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م. انظر: عبد الرحمن السلمي، *طبقات الصوفية*، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦، ص١٦٤، ترجمة رقم ٢.

(٦٥٠) هو أبو المُغيث الحسين بن منصور بن محمد البيضاوي، لقِّب بـ"الحلاج"، وُلد في بلدة طور، شمال شرق مدينة البيضاء، في بلاد فارس سنة ٢٤٤هـ/ ٨٥٧م، وهو من أصل فارسي، وتوفي سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢٢م. من أشهر مؤلفاته *ديوانه*، *وكتاب الطواسين*؛ بالإضافة إلى العديد من الأقوال المأثورة عنه المتناثرة في شتى المصنفات الصوفية. انظر: عبد الرحمن السلمي، *طبقات الصوفية*، ص٣٠٧، ترجمة رقم ١٣؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، جـ١٤، ص٣١٣، ترجمة رقم ٢٠٥؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٣، ص ١٨٢، ٢٠٢؛ الشعراني، الطبقات الكبرى، جـ١، ص١٩٥، ترجمة رقم ٢٠٩.

قيامي بحقك ناسوتية، وقيامك بحقي لاهوتية، وكما أن ناسوتيتي مستهلكة في لاهوتيتك غير ممازجة لها، فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيتي من غير مماسة لها. وبحق قِدَمِكَ على حدثي وحق حدثي ملابس قِدَمَكَ أن ترزقني شكر ما أنعمت عليَّ؛ حيث غيَّبت أغياري كما كشفت لي من مطالعة وجهك الكريم، وحرَّمت على غيري ما أبحت لي من النظر في مكنونات سرك، وهؤلاء عبادك اجتمعوا القتلي تقربًا إليك وتعصبًا لدينك؛ فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي ما فعلوا، ولو سترت عني ما سترت عنهم لما ابتليت، ولك الحمد دائمًا»[٦٥١]. ثم أنشد: «اقتلوني يا ثقاتي»[٦٥٢]. قلت لو حَفِظَ الحلاج ظاهر الشريعة كما ينبغي لحُفِظَ بها، وهو معنى قول الناظم: «بِهَا لَمْ يَبُحْ مَنْ لَمْ يُبِحْ دَمَهُ»[٦٥٣]، فإن قلت: قد قُتِلَ النبيون ابتلاءً، قلت: إنما

(٦٥١) نذكر هنا النص حسب رواية ماسينيون؛ لأن هناك بعض الاختلافات عن النص كما ذكره التلمساني: "اللهم إنك المتجلي عن كل جهة، المتخلي من كل جهة. بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك. وقيامي بحقك يخالف قيامك بحقي. فإنّ قيامي بحقك ناسوتية، وقيامك بحقي لاهوتية. وكما أن ناسوتيّتي مستهلكة في لاهوتيّتك غير ممازجة إيّاها فلاهوتيتك مستولية على ناسوتيّتي غير مُمَاسَّةٍ لها. وبحق قِدَمك على حدثي، وحق حدثي تحت ملابس قدمك، أن ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمت بها عليَّ حيث غيّبتَ أغياري عمّا كشفتَ لي من مطالع وجهك وحرّمت على غيري ما أبحتَ لي من النظر في مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا القتلي تعصُّبًا لدينك وتقرُّبًا إليك. فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لما فعلوا ما فعلوا، ولو سترتَ عني ما سترت عنهم لما ابتُلِيتُ بما ابتليت. فلك الحمد فيما تفعل ولك الحمد فيما تريد. لويس ماسينيون وبول كراوس، *كتاب أخبار الحلاج، أو مناجيات الحلاج*، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦، ص١٢.

(٦٥٢) بداية قصيدة للحسين بن منصور الحلاج، راجع: *ديوان الحلاج*، تحقيق: عبده وازن، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص٩٦- ٩٧.

(٦٥٣) انظر البيت رقم ٣٩٥ من الديوان ص ١٠٦؛ ص ٢١٣ من الكتاب الذي بين أيدينا.

قتلوا من قاتلهم اعتداء، والمقتول بالشريعة لم يكن قاتله معتديًا خصوصًا، والمقتول غير مأمور بإظهار ما به قُتِلَ، ولو كان مأمورًا لعُصِمَ، وهذه سنة الله مع الأنبياء، بلغ ﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾(٦٥٤) ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾(٦٥٥) ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾(٦٥٦)، وأما من بلَّغ بالأمر ولم يُعْصَم فلم تقتله شريعة بل بنو إسرائيل، اتخذ الله من قتلوه من أنبيائهم شهيدًا كما اتخذ من قاتل الكفار فقُتِلَ بأيديهم؛ فالمقتول بيد مؤمن أو كافر مقتول عن هوىً من قاتله شهيد، كان الحلاج أو غيره، فأما من قتلته الشريعة فلا، فإن الله لا ينقص شريعته.

فإن قُلْتَ: لعل الحلاج كان مأمورًا بقتل نفسه على يد غيره تمحيصًا أو توقيرًا لا تنقيصًا، قُلْتُ: تقدم الجواب: أنه لا يصح أن يكون أمره سبحانه مخالفًا لشريعته، ولو صَحَّ بوجه لما قال «اللهم اغفر لهم»، فإن القائم بالشريعة لا يكون مذنبًا بها، ولا يكون ظاهر الشريعة منافيًا لباطن الحقيقة، ولهذا قال الناظم:

٤٥٦ فَعَنِّي عَلَى النَّفْسِ العُقُودُ تَحَكَّمَتْ وَمِنِّي عَلَى الحِسِّ الحُدُودُ أُقِيمَتِ

٤٥٧ وَقَدْ جَاءَنِي مِنِّي رَسُولٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّ عَزِيزٌ بِي حَرِيصٌ لِرَأْفَتِي(٦٥٧)

أي: لرأفة منه بي.

(٦٥٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

(٦٥٥) سورة طه، الآية ٤٦.

(٦٥٦) سورة هود، الآية ٥٥.

(٦٥٧) ب ٤٥٧ - لِرَأْفَتِي: ت] لِرَأْفَةٍ: جـ.

٤٥٨ فَحُكْمِيَ مِنْ نَفْسِي عَلَيْهَا قَضَيْتُهُ وَلَـمَّا تَوَلَّتْ أَمْرَهَا مَا تَوَلَّتِ

تَوَلَّتْ الأولى من الولاية. والثانية بمعنى: ما تولت عنه، أي: رجعت.

٤٥٩ وَمِنْ عَهْدِ عَهْدِي قَبْلَ عَهْدِ عَنَاصِرِي إِلَى دَارِ بَعْثٍ قَبْلَ إِنْذَارِ بَعْثَتِي(٦٥٨)

ومن عَهْدٍ، أي: زمن. وقوله: عَهْدِي، أي: معاهدتي، قبل إِنْذَارِ بَعْثَةِ رَسُولٍ يُنْذِرُ بِالْبَعْثِ.

٤٦٠ إِلَيَّ رَسُولاً كُنْتُ مِنِّيَ مُرْسَلاً وَذَاتِي بِآيَاتِي عَلَيَّ اسْتَدَلَّتِ

أي: ذاتي الآن استدلت على أني كنت من قَبْلُ. والعلامات التي ترزحت عني الآن مني هي التي كنت بها في العلم على ما أنا عليه الآن، فكان العلم لم يزل ولا يزال، وهذا ومثله من علم الراسخين في العلم.

٤٦١ وَلَـمَّا نَقَلْتُ النَّفْسَ مِنْ مِلْكِ أَرْضِهَا بِحُكْمِ الشِّرَا مِنْهَا إِلَى مُلْكِ جَنَّتِي(٦٥٩)
٤٦٢ وَقَدْ جَاهَدَتْ فَاسْتَشْهَدَتْ فِي سَبِيلِهَا وَفَازَتْ بِبُشْرَى بَيْعِهَا حِينَ أَوْفَتِ(٦٦٠)
٤٦٣ سَمَتْ بِي لِجَمْعِي عَنْ خُلُودِ سَمَائِهَا وَلَمْ تَرْضَ إِخْلاَدِي لِأَرْضِ خَلِيفَةِ(٦٦١)

---

(٦٥٨) ب ٤٥٩ - عَهْدِ: ت] عَصْرِ: جـ؛ بَعْثَتِي: ت] بَعْثَةِ: جـ.
(٦٥٩) ب ٤٦١ - الشِّرَا: جـ] الشرى: ت؛ جَنَّتِي: ت] جَنَّةِ: جـ.
(٦٦٠) ب ٤٦٢ - جَاهَدْتُ فَاسْتَشْهَدتُ: ت] جَاهَدَتْ فَاسْتُشْهِدَتْ: جـ؛ سَبِيلِهَا: جـ] سَبِيلِهِ: ت.
(٦٦١) ب ٤٦٣ - تَرْضَ: ت] أَرْضَ: جـ.

المعنى: جمعي، أي: إلى جمعي، ولما كان الإنسان في العلم موجودًا في كل رتبة من رتب الوجود كالعناصر ثم النبات ثم الحيوان ثم في أشخاص الآباء، وكانت ذاته معلومة كلية وهي مبثوثة في كل جزئية عبرت فيها حتى اجتمعت وكملت، وكان ذلك كله لغاية ترجع على الإنسان من جهة نفسه بموجب ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(٦٦٢)، كان ما ذكره الناظم في هذه الأبيات صحيحًا.

وإيضاحه: أن الفاعل سبب للغاية؛ لأنه يوجدها بالفعل، والغاية سبب للفاعل لأنها تُحرّكه نحوها؛ فالغاية علة في كون الفاعل فاعلاً بالفعل، والفاعل علة في كون الغاية غاية بالفعل، فمن نظر إلى غاية الإنسان وجدها سببًا لظهورها بالفعل، فإذا وصل إلى غايته من جهة فعله رأى نفسه فاعلاً ومفعولاً مُظْهِرًا ومُظْهَرًا، فلما بلغ الناظم هذا الكمال بالفعل سمت به نفسُه عن خلود سمائها وهو من قوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ﴾(٦٦٣) فسمت عن خلود في جنة ما دامت السموات إلى جمع ونسب الجمع إليه، ولما سما لم يرض الإخلاد إلى الأرض وإن كان فيها خليفة، ونبّه على أن هذه الغاية إنما وجدها من نفسه ليُنبّه السالك على السبيل المُوصِلة إلى ذلك. وإذا(٦٦٤) كان ما ذكره الناظم [٢٣ظ] صحيحًا بهذا الاعتبار العلمي، فكيف لا يكون صحيحًا وقد صار شهودًا عن عمل بما جاء عن الله من سلوك سبيل موصِلة(٦٦٥) إلى ما فوق ذلك، فإن ما ذكره في هذه الأبيات هو تفصيل

---

(٦٦٢) سورة الشمس، الآية ٩.

(٦٦٣) سورة هود، الآية ١٠٧.

(٦٦٤) وإذا: ت.

(٦٦٥) موصلة: ت.

مجمَل قوله: «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ»(٦٦٦)؛ ولهذا يذكر الناظم عبودية وربوبية معًا عن شيء واحد هو نفسه لأنها فاعل ومفعول، فمنها وإليها، وعائد ما منها ليس إلا عليها، وكيف لا والله خلقها على صورته ووسمها قبل اتحادها بخليقته، فلما نفته الأغيار بما آتاها من الاقتدار والاختيار لم تخلد إلى فرق بل سمت إلى جمع جمع للذات أسماء الصفات.

٤٦٤ وَكَيْفَ دُخُولِي تَحْتَ مِلْكِي كَأَوْلِيَا ءِ مُلْكِي وَأَتْبَاعِي وَحِزْبِي وَشِيعَتِي

الجنة عادت مملوكة له بحكم المبايعة، وكل ما هو دون(٦٦٧) رتبة الكامل هو داخل تحت ملكه، وبعد أن ملكه ترقى عنه، فكيف يهبط إليه فيعود كغيره من ولي أو تابع وغيره [من] الصالحين؟ فهذا هو الكامل، وأما المكمَّل فهو الرسول - عليه السلام - ولم يرض خلود سمائك عليَّ إلى جمع، صح قوله:

٤٦٥ فَلاَ فَلَكٌ إِلاَّ وَمِنْ نُورِ بَاطِنِي بِهِ مَلَكٌ يُهْدِي الهُدَى بِمَشِيئَتِي(٦٦٨)

لما كانت الموجودات مظاهر الأسماء، كان الكامل جامع الظاهر.

٤٦٦ وَلاَ قُطْرَ إِلاَّ حَلَّ مِنْ فَيْضِ ظَاهِرِي بِهِ قَطْرَةٌ عَنْهَا السَّحَائِبُ سَحَّتِ

---

(٦٦٦) هذا جزء من حديث مشهور نصه الكامل هو: "من عادى لي وليًا..." سبق تخريجه.

(٦٦٧) دونه: ت.

(٦٦٨) ب ٤٦٥ - فَلاَ: ت] وَلاَ: جـ.

القطرة مما لا يحاط به بحر، ومن هذا البحر سحت سحائب المعارف، وأما في الظاهر فمعناه أنني كنت سبب ذلك، يعني: كل ما كان يكن؛ لأن الفعل من الفاعل لا يكون إلا لغاية، والكامل هو الغاية، فمن علم ذلك فبأضعاف ما قاله الناظم يعترف، ومن بحر القدرة المطلقة يغترف، ولهذا شرح البيتين بقوله:

٤٦٧ فَمِنْ مَطْلَعِي النُّورُ البَسِيطُ كَلَمْعَةٍ وَمِنْ مَشْرَعِي البَحْرُ المُحِيطُ كَقَطْرَةِ(٦٦٩)

والمطْلَعُ: ابتداءُ الظهور، وما ينحصر لمعة مما لا ينحصر.

٤٦٨ فَكُلِّي لِكُلِّي طَالِبٌ مُتَوَجِّهٌ وَبَعْضِي لِبَعْضِي جَاذِبٌ بِالأَعِنَّةِ(٦٧٠)

قوله: مُتَوَجِّه: من لم يجد الحق إلا من ذاته، وبرهان ما قلناه أنه قضى كرم الكريم أن يكون جوده كاملاً ومن كماله قربه ولا أقرب من ذاتك إليك ولا أبلغ من النظر به، فها أنت تنظر أين تنظر. وأما معنى البيت: فاعلم أن النفس ليس لها كل ولا جزء(٦٧١) من جهة ذاتها إلا من جهة موضوعاتها كما تتناول من عالم الحس بالعين غير ما تتناول بالأذن فإذا نسب إلى وحدتها الجزء(٦٧٢)؛ فذلك(٦٧٣) على حكم التعريف لما يتعلق بها فيكون الجزء(٦٧٤) على صورة الاستعارة، ومن علِم أن النفس هي الفاعلة

(٦٦٩) ب ٤٦٧ - كَقَطْرَةِ: جـ] كقَطْرَتي: ت.

(٦٧٠) ب ٤٦٨ - بِالأَعِنَّةِ: جـ] بالأعنتي: ت.

(٦٧١) جزو: ت.

(٦٧٢) جزو: ت.

(٦٧٣) فذالك: ت.

(٦٧٤) جزو: ت.

المنفعلة[٦٧٥] فَهِمَ هذا البيت وأمثاله وأصل هذا الفهم من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[٦٧٦]. ومراد البيت أن كل بعض واحد جاذب لكل واحد من الأبعاض بكل عنان، فيكون جاذبًا نفسه أيضًا، فيصح أول البيت ومثاله مَرَايَا مختلفات الأشكال قبلت صورة واحدة وتقابلت فانقلبت الصورة الواحدة في كل مرآة بصورة، وقبلت كل مرآة صورة كل مرآة فتكون كل مرآة جَاذِبَةً بكل وجه مَجْذُوبَةً من كل وجه، ويكون كل وجه هو الوجه الأول، ولكن ظهر بصورة مرآته[٦٧٧] والوجه الأول منفرد بذاته.

٤٦٩ وَمَنْ كَانَ فَوْقَ التَّحْتِ وَالفَوْقُ تَحْتَهُ ... إِلَى وُجْهَةِ الهَادِي عَنَتْ كُلُّ وِجْهَةِ[٦٧٨]

يريد بالوجهة: التوجه. وعَنَتْ: خضعت.

٤٧٠ فَتَحْتُ الثَّرَى فَوْقُ الأَثِيرِ لِرَتْقِ مَا ... فَتَقْتُ وَفَتْقُ الرَّتْقِ ظَاهِرُ سُنَّتِي

الأثير: كرة النار لتأثر الكون عنها، والرتق ضد الفتق، ويريد به ما كان قبل الكون. والفتح: الكون.

والمعنى: أن الفوق والتحت معدومان للرتق فتحت الثرىٰ هو فوق الأثير لأجل الرتق الذي كان قبل «كن»، وظاهر سنته في التعريف لا يكون إلا بفتق الرتق، وأما

(٦٧٥) الفاعلت المنفعلت: ت.

(٦٧٦) سورة الشمس، الآية ٩.

(٦٧٧) مراأته: ت.

(٦٧٨) ب ٤٦٩ – الفَوْقُ: جـ] الفوقَ: ت؛ إِلَى وُجْهَةِ: ت] إِلَى وَجْهِهِ: جـ.

باطن فرضه فهو برفض الكون حتى يعود الفتق رتقًا[٦٧٩]، ومثله: [الكامل]

أَخْفَيْتُ إِذْ أَظْهَرْتُ مَعْنًى كَائِنًا مَا لَمْ يَكُنْ فَخَفِيتُ فِي الإِعْلاَنِ

فَإِذَا أَرَدْتُ ظُهُورَ مَا أَخْفَيْتُهُ أُخْفِ الَّذِي أَظْهَرْتُهُ فَيَرَانِي

المعنى: أخفيت معنى كائنًا وهو أنا إذ أظهرت ما لم يكن وهو السّوى، لما تعين الناظم بأحدية الجمع قال عنه ما عنها وبيَّنه في بقية الأبيات؛ فقال:

٤٧١ وَلاَ شُبْهَةٌ [٢٤و] وَالجَمْعُ عَيْنُ تَيَقُّنٍ وَلاَ جِهَةٌ والأَيْنُ بَيْنَ تَشَتُّتِ[٦٨٠]

أي: أن صفات الفتق ليست للرتق، فلا جهة ولا حصر أين مع تيقُّن عين فلا شبهة والحالة هذه. والبَيْن: الفِراق، إضافة إلى التشتيت.

٤٧٢ وَلاَ عِدَّةٌ وَالعَدُّ كَالحَدِّ قَاطِعٌ وَلاَ مُدَّةٌ وَالحَدُّ شِرْكُ مُوَقِّتِ

لأن الذات فوق الزمان.

٤٧٣ وَلاَ نِدَّ فِي الدَّارَيْنِ يَقْضِي بِنَقْضِ مَا بَنَيْتُ وَيُمْضِي أَمْرُهُ حُكْمَ إِمْرَتِي[٦٨١]

المعنى: لا معاند ولا مثل.

---

(٦٧٩) إشارة إلى الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾، سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٦٨٠) ب ٤٧١ - بَيْنَ تَشَتُّتِ: ت] بَيْنُ تَشَتُّتِي: جـ.

(٦٨١) ب ٤٧٣ - أَمْرُهُ حُكْمَ: جـ] أَمْرُهُ حُكْمُ: ت.

٤٧٤ وَلاَ ضِدَّ فِي الكَوْنَيْنِ وَالخَلْقُ مَا تَرَى بِهِ لِلتَّسَاوِي مِنْ تَفَاوُتِ خِلْقَتِي(٦٨٢)

التفاوت لأجل التساوي، ثم قال بعدما به ظهر الفرق ما به الجمع:

٤٧٥ وَمِنِّـي بَـدَا لِي مَـا عَلَيَّ لَبِسْتُهُ وَعَنِّي البَوَادِي بِي إِلَيَّ أُعِيدَتِ(٦٨٣)

لَبِسْتُهُ: سَتَرْتُهُ، من قوله: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾(٦٨٤) والبوادي: من بدا، أي: أظهر. وقوله: أعيدت، أي: فاستترت.

٤٧٦ وَفِيَّ شَهِدْتُ السَّاجِدِينَ لِـمَظْهَرِي فَحَقَّقْتُ أَنِّي كُنْتُ آدَمَ سَجْدَتِي(٦٨٥)

٤٧٧ وَعَايَنْتُ رُوحَانِيَّةَ الأَرَضِينَ فِي مَلاَئِكِ عِلِّيِّينَ أَكْفَاءَ رُتْبَةِ(٦٨٦)

أي: عاينت ذلك فيَّ بغير فرق، وروحانية الأرضين الجن، بيان من رأىٰ النفس واحدةً بالذات مختلفةً بالصفات، عَلِمَ أنها إذا ظهرت بصفة الجن كانت منهم، وبصفة الملائك كانت منهم، فمتىٰ أعرضت عن الصفتين ورجعت إلىٰ ذاتها بالعلم والأمر(٦٨٧) عادت الجن والملائك فيها سواء.

---

(٦٨٢) ب ٤٧٤ - بِهِ: ت] بِهِمْ: جـ؛ خِلْقَتِي: ت] خِلْقَةِ: جـ.

(٦٨٣) ب ٤٧٥ - إِلَيَّ: ت] عَلَيَّ: جـ.

(٦٨٤) سورة الأنعام، الآية ٩.

(٦٨٥) ب ٤٧٦ - لِمَظْهَرِي: جـ] لِمُظْهِري: ت.

(٦٨٦) ب ٤٧٧ - رُتْبَةِ: ت] رُتْبَتِي: جـ.

(٦٨٧) لأمر: ت.

٤٧٨ وَمِنْ أُفْقِي الدَّانِي اجْتَدَى رُفْقِيَ الْهُدَى ۞ وَمِنْ فَرْقِيَ النَّائِي بَدَا جَمْعُ وَحْدَتِي[٦٨٨]

اجتدىٰ: طلب الجود. ورُفقي: رفاقي. وفرقي: وجودي المحسوس. والنائي: البعيد. أي: بَدَأتُ من الوجود فعرفت الجمع من الفرق والأفق الداني ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾[٦٨٩].

٤٧٩ وَفِي صَعْقِ دَكِّ الحِسِّ خَرَّتْ إِفَاقَةً ۞ لِيَ النَّفْسُ قَبْلَ التَّوْبَةِ المُوسَوِيَّةِ[٦٩٠]

جعل الحِسَّ طُورَه، وخرَّت له نفسه فسجدت سجود الانقياد والطاعة حتىٰ عادت كما كانت في العلم قبل يوم موسىٰ - عليه السلام -، ثم ذكر هذه الوحدة بقوله:

٤٨٠ فَلاَ أَيْنَ بَعْدَ العَيْنِ وَالسُّكْرُ مِنْهُ قَدْ ۞ أَفَقْتُ وَعَيْنُ الغَيْنِ بِالصَّحْوِ أَصْحَتِ

أي: فلا طلب «أين» بعد وجود «عين»، وواو «والسكر» واو الحال.

٤٨١ فَآخِرُ مَحْوٍ جَاءَ خَتْمِيَ بَعْدَهُ ۞ كَأَوَّلِ صَحْوٍ لِارْتِسَامِ بِعُدَّتِي[٦٩١]

---

(٦٨٨) ب ٤٧٨ - أُفْقِي: ت] أُفْقِيَ: جـ؛ اجْتَدَىٰ (في ت: اجْتَدَا): ت] احْتَذَىٰ: جـ؛ رُفْقِي: جـ] رُفْقِيَ: ت؛ فَرْقِيَ: جـ] فِرَقِ: ت؛ النَّائِي: ت] الثَّانِي: جـ.

(٦٨٩) سورة ق، الآية ١٦.

(٦٩٠) ب ٤٧٩ - دَكِّ: جـ] دَكِّي: ت؛ إِفَاقَةً: جـ] إفَاقَةٌ: ت.

(٦٩١) ب ٤٨١ - بِعُدَّتِي: ت] بِعِدَّةِ: جـ.

ارتسام الأحد في مراتب العدد يُعطي كثرة الأحد في الحس وليس إلا كثرة مراتبه، فإذا رأته النفس لا بالمراتب رأت واحدًا؛ فمحوها من المراتب هو محو المراتب منها فإذا رجعت إلى الصحو شهدت في المراتب ما شهدت في حالة محوها فلم تحتجب بكثرة مراتب العدد عن وحدة الأحد. وهذا مبني على قولهم لا يُرى الشيء [إلا](٦٩٢) بغيره.

والمعنى يقول: إن شهوده وجوده واحدًا أثبت له رؤية ذاته؛ إذ لا رسم وصف في حالة سكره كرؤيته لذاته في حال صحوه فرآه ظاهرًا ما رآه باطنًا وبالعكس؛ فصار الأول والآخر واحدًا.

٤٨٢ وَمَأْخُوذُ مَحْوِ الطَّمْسِ مَحْقًا وَزَنْتُهُ بِمَحْدُودِ صَحْوِ الحِسِّ فَرْقًا بِكَفَّتِي(٦٩٣)

ومأخوذ، أي: الذي أخذه، **والمعنى:** وزنت الذي أخذه محو الطمس؛ فالمَحق بالمحو وزنته بمن قطعه صحو الحسِّ في حال الفرق، فتساوى هذا بهذا في كفة واحدة لا ترجيح بينهما لاتحاد نظري في أحدية مخبري؛ فانمحت نقطة حرف الغين حتى عادت عينًا بعد أن كانت غينًا، فصار الحجاب كاشفًا، ومَن وجد في محوه غير ما يجده في صحوه فهو محجوب وليس بأهل للقربة لأجل تلوينه، وأما أنا فلي التمكين في حال التلوين، فهذا معنى قوله:

(٦٩٢) [ ] إضافة بها يستقيم المعنى.

(٦٩٣) ب ٤٨٢ - بِمَحْدُودِ: ت] بِمَجْذُوذِ: جـ؛ بِكَفَّتِي: ت] بِكِفَّةِ: جـ.

٤٨٣ فَنُقْطَةُ غَيْنِ الغَيْنِ عَنْ صَحْوِيَ انْمَحَتْ وَيَقْظَةُ عَيْنِ العَيْنِ مَحْوِيَ أَلْغَتِ[٦٩٤]

يريد بقوله غين: حرف الغين. ويريد بالغين: الحجاب. والعَيْن الأولى: البصيرة. والثانية: الذات.

٤٨٤ وَمَا فَاقِدٌ فِي الصَّحْوِ فِي المَحْوِ وَاجِدٌ لِتَلْوِينِهِ أَهْلٌ لِتَمْكِينِ زُلْفَتِي[٦٩٥]

٤٨٥ تَسَاوَى النَّشَاوَى وَالصُّحَاةُ لِنَعْتِهِمْ بِرَسْمِ حُضُورٍ أَوْ بِوَسْمِ حَظِيرَتِي[٦٩٦]

إلى نعتهم في نظري بأحدية الجمع سواء كانوا في رسم حضور [٢٤ظ] مع النفس أو حظيرة الحس.

٤٨٦ وَلَيْسُوا بِقَوْمِي مَنْ عَلَيْهِمْ تَعَاقَبَتْ صِفَاتُ الْتِبَاسٍ أَوْ سِمَاتُ بَقِيَّةِ

٤٨٧ وَمَنْ لَمْ يَرِثْ عَنِّي الكَمَالَ فَنَاقِصٌ عَلَى عَقِبَيْهِ نَاقِصٌ فِي العُقُوبَةِ[٦٩٧]

٤٨٨ وَمَا فِيَّ مَا يُفْضِي لِلَبْسٍ بَقِيَّةٍ وَلَا فَيْءَ لِي يَقْضِي عَلَيَّ بِفَيْئَةِ[٦٩٨]

الفيء: ظلّ، صفة مغايرة. وبِفَيْئَةٍ: برجعة.

٤٨٩ وَمَاذَا عَسَى يُلْقِي جَنَانٌ وَمَا بِهِ يَفُوهُ لِسَانٌ بَيْنَ وَحْيٍ وَصِيغَةِ

(٦٩٤) ب ٤٨٣ - غَيْنِ: جـ] عَينِ: ت؛ انْمَحَتْ: ت] امَّحَتْ: جـ.

(٦٩٥) ب ٤٨٤ - وَاحِدٌ: ت] وَاجِدٌ: جـ؛ زُلْفَتِي: ت] زُلْفَةِ: جـ.

(٦٩٦) ب ٤٨٥ - وَالصُّحَاةُ: جـ] والصُّحَاتُ: ت؛ حَظِيرَتِي: ت] حَظِيرَةِ: جـ.

(٦٩٧) ب ٤٨٧ - نَاقِصٌ: ت] نَاكِصٌ: جـ.

(٦٩٨) ب ٤٨٨ - بَقِيَّةِ: جـ] بَقِيَّةِ: ت؛ يَقْضِي: جـ] تَقْضِي: ت؛ بِفَيْئَةِ: ت] بِفَيْئَتِي: جـ.

يشير بهذا البيت إلى استواء المعرفة، وهو ما لا يريده إدراكُ جنانٍ ولا نُطْق لسانٍ، ولهذا بعده:

٤٩٠ تَعَانَقَتِ الأَطْرَافُ عِنْدِيَ وَاسْتَوَى بِسَاطُ السَّوَى عَدْلاً بِحُكْمِ السَّوِيَّةِ[٦٩٩]

الأطراف: كل طرفي نقيض، وإلى هاهنا مبني على قوله:

«شُهُودِي[٧٠٠] بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفِ * وَلِيَّ ائْتِلاَفٍ ...»[٧٠١].

ثم أخذ يُخبر عن نفسه بما ينبني على هذا الأصل لذي قدرة وأثبت صحته؛ فقال:

٤٩١ وَعَادَ وُجُودِي فِي فَنَا ثَنَوِيَّةِ الـ ـوُجُودِ شُهُودًا فِي بَقَا أَحَدِيَّتِي

عاد: رجع. المعنى: لم يبق لي وجودٌ بل شُهُودٌ فقط وذلك في بقاء أحَدَيَّتِي، وهذا في حال فناء ثنوية الوجود؛ إذ لفظ الوجود واحدٌ لكنه - أعني الوجود - انقسم إلى مُطْلَقٍ ومُقَيَّدٍ، فالثنوية للمقيد، فإذا فَنِيَ لم يبق إلا المطلق.

٤٩٢ فَمَا فَوْقَ طَوْرِ العَقْلِ أَوَّلُ فَيْضَةٍ كَمَا تَحْتَ طُورِ النَّقْلِ آخِرُ قَبْضَةِ[٧٠٢]

---

(٦٩٩) ب ٤٩٠ - وَاسْتَوَى: ت] وَانْطَوَى: جـ.

(٧٠٠) ولا شهودي: ت.

(٧٠١) انظر البيت رقم ٣٨٩ من الديوان ص ١٠٥؛ ص ٢٠٩ من الكتاب الذي بين أيدينا.

(٧٠٢) ب ٤٩٢ - فَيْضَةِ: ت] فَيْضِهِ: جـ؛ النَّقْلِ: جـ] للنَّقْلِ: ت.

الذي فوق طَوْرِ العقل الحق، فأول فيضة فاضت عن الحق هي كما تحت طور النقل وهو جسد الإنسان وتحته يريد الأرض، والمراد أنه تساوى الفوق والتحت، والطَّور والطُّور، والعَقْل والنقل، والفَيْضَةُ والقَبْضَةُ.

٤٩٣ لِـذَلِكَ عَـنْ تَفْـضِيلِهِ وَهْـوَ أَهْلُـهُ نَهَانَا عَلَى ذِي النُّونِ خَـيْرُ البَرِيَّـةِ(٧٠٣)

وهو النبي. أهله: أهل التفضيل(٧٠٤).

٤٩٤ أَشَرْتُ بِـمَا تُعْطِـي العِبَـارَةُ وَالَّـذِي تَغَطَّـى فَقَـدْ أَوْضَـحْتُهُ بِلَطِيفَـةِ

اللطيفة: قوله:

٤٩٥ وَلَيْسَ أَلَسْتُ الأَمْسَ غَيْرًا لِـمَنْ غَـدَا [وَجُنْحِي غَدَا] صُبْحِي وَيَوْمِي لَيْلَتِي(٧٠٥)

الجُنْحُ: قطعة من الليل مظلمة، وقوله لمن أي: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾(٧٠٦) إذا قيلت غدًا، وقد عاد أول النهار وآخر الليل واحدًا والنهار والليل واحدًا.

٤٩٦ وَسِرُّ بَـلَى لِلَّـــهِ مِـرْآةُ كَـشْفِهَا وَإِثْبَاتُ مَعْنَى الجَمْعِ نَفْيُ المَعِيَّـةِ

(٧٠٣) ب ٤٩٣ - تَفْضِيلِهِ: جـ] تفصِيله: ت.

(٧٠٤) التفصيل: ت.

(٧٠٥) ب ٤٩٥ - أَلَسْتُ: جـ] أَلَسْتَ: ت؛ الأَمْسَ: ت] الأَمْسِ: جـ؛ وَنَوْمِي: جـ؛ وَنَوْمِيَ: ت] وَيَوْمِيَ: جـ.

(٧٠٦) سورة غافر، الآية ١٦.

«سِرُّ بَلَىٰ» عائد علىٰ قوله: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[٧٠٧]، وقولـه «لله» عائد علىٰ قوله: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾[٧٠٨]، والمعنىٰ أن مرآة[٧٠٩] كشف سِرِّ بلىٰ لله الأمْرُ، وتمام البيت ينبئ عن تمام الضدية، وكذلك معنىٰ ما بعده:

٤٩٧ وَلاَ ظُلَمٌ تُغْشَى وَلاَ ظُلْمَ يُخْتَشَى ... وَنِعْمَةُ نُورِي أَطْفَأَتْ نَارَ نِقْمَتِي[٧١٠]

٤٩٨ وَلاَ وَقْتَ إِلاَّ حَيْثُ لاَ وَقْتَ حَاسِبٍ ... وُجُودَ وُجُودِي مِنْ حِسَابِ الأَهِلَّةِ[٧١١]

أضاف وَقْتَ إلىٰ حاسب يحسب وجودي، ويريد رفع الزمان.

٤٩٩ وَمَسْجُونُ حَصْرِ العَصْرِ لَمْ يُرَ مَا وَرَا ... ءَ سَجِيَّتُهُ فِي جَنَّةِ الأَبَدِيَّةِ[٧١٢]

يريد ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾[٧١٣]. والسجية: الاعتقاد، والمعنىٰ أن كل إنسان إنما يرىٰ الله علىٰ صورة[٧١٤] اعتقاده في الله، ولهذا كان أولىٰ ما اعتقد في الله ما جاء عن الله. ولما ذكر أن الإنسان في سجن الحصر في الدنيا والآخرة قال عن نفسه أنه خرج عن السجن لاتحاده بمحبوبه واتحاد نظره واتحاد الكل في نظره.

---

(٧٠٧) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.
(٧٠٨) سورة غافر، الآية ١٦.
(٧٠٩) مرات: ت.
(٧١٠) ب ٤٩٧ – وَلاَ: ت] فَلاَ: جـ؛ تُغْشَىٰ: ت] تَغْشَىٰ: جـ؛ نَارَ: جـ] نَارُ: ت.
(٧١١) ب ٤٩٨ – وَلاَ وَقْتَ: جـ] وَلاَ وَقْتٌ: ت؛ حَاسِبِ: ت] حَاسِبٌ: جـ.
(٧١٢) ب ٤٩٩ – يُرَ: ت] يَرَ: جـ؛ سَجِيَّتُهُ: ت] سِجِّينِهِ: جـ.
(٧١٣) سورة الإسراء، الآية ٧٢.
(٧١٤) صورت: ت.

٥٠٠ فَبِي دَارَتِ الأَفْلَاكُ فَاعْجَبْ لِقُطْبِهَا الـ ـمُحِيطِ بِهَا والقُطْبُ مَرْكَزُ نُقْطَتِي[٧١٥]

المعنى: لما كنت سبب وجودها وغاية ظهورها فكنت قطبها، ولما كانت بما فيها مسخَّرة لي وكلها صور صفاتي كنت محيطًا بها إحاطة الإنسان بالحيوان والنبات والمعدن كإحاطة[٧١٦] الإناء بالماء. واعلم أن القطب هو الذي تدور عليه الرحى[٧١٧] والبَكَرة، وقطب الكون هو الرجل الذي لأجله وُجِدَ الكون وعليه مدار كونية الدارين، ولكل عصر رجل هو في هذا المقام وهو صاحب الوقت، وهذا مع اختلاف مراتب الرجال فإنه فرَّق بين من يقوم بالمُلك وبين من يقوم المُلك به، فالأول لولا المُلْكُ لم يقم فالمُلْكُ أقامه فهو مملوك الملك. والثاني مالك المُلْك ومتصرف فيه يؤتيه من يشاء، فهذا هو فيما نحن بصدد بيانه.

وقطب الأقطاب هو الذي لم يكن قبله ولا بعده مثله، وهو محمد- صلى الله عليه وسلم- وهذا في الحقيقة لم يزل في العلم الأزلي[٧١٨] كذلك، وأضرب لك مثالاً: وهو أن المتصوف المتصف [٢٥و] بعشر صفات مثلاً لا شك قد عاد محيطًا بكل متصف باسم واحد منها أو باسمين أو بأكثر، فهذا هو صورة إحاطته واسم لمن دونه وكذلك[٧١٩] رتبة من دونه أيضًا، فالأوتاد أربعة على أربع[٧٢٠] جهات العالَم، والأبدال

(٧١٥) ب ٥٠٠- نُقْطَتِي: ت] نُقْطَةِ: جـ.

(٧١٦) لاحاطة: ت.

(٧١٧) الرحا: ت.

(٧١٨) الأزل: ت.

(٧١٩) وكذالك: ت.

(٧٢٠) أربعت: ت.

سبعة على حكم أيام الأسبوع والكواكب السَّيَّارة، وسُمُّوا أبدالاً لأنه إذا مات الْغَوْث(٧٢١) الذي هو القطب بَدَلَه وَاحِدٌ منهم، وللقطب رجلان عن يمين وشمال فهو بهم ثلاثة(٧٢٢)، والأوتاد بهم سبعة فالعالَم وُجِدَ لغاية هي قطب الأقطاب، فابتدأ مترقيًا حتى ظهرت [به](٧٢٣)، ينحط إلى أن ينفد ظهور أرباب الكمالات الذين هم أقطاب أعصارهم بعده كما كانوا قبله، فإذا توجهوا إلى الآخر خربت الدنيا لأنها لم تكن إلا من أجلهم وهم من أجل الغوث، وهذا جميعه إنما هو لهم على وجه الاستحقاق؛ إذ العلم لم يزل محيطًا بهم من قبل ظهور الكون مسخرًا لهم، فلما علم منهم ما سيكون بعد إيجادهم وتمكينهم من امتثال أمره سبقت بالحسنى(٧٢٤)، وأعدَّ لهم الجزاء في الأخرى ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾(٧٢٥).

والسبق لا يكون إلا من اثنين فاعلين وهما خالق ومخلوق، فسبق لم يزل لمن لم يكن لعلمه سبحانه بما يستحقه بعمله؛ فعادت السابقة على وفق العلم، والعلم يتبع المعلوم ولا يغيره فكان الممكن مستحيلاً، فقد عادت السابقة غير حجة على الله وقامت الحجة البالغة لله(٧٢٦)، فَهِمَ مَن فَهِم وجَهِلَ مَن جَهِل، وهذا سر القدر الذي إذا تحقق ظهر في العقول أن الحجة البالغة له سبحانه وأنه إنما فعل ما فعله، ورفع من

(٧٢١) الغوت: ت.

(٧٢٢) ثلاث: ت.

(٧٢٣) [ ] إضافة بها يستقيم المعنى.

(٧٢٤) إشارة إلى الآية: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى﴾، سورة الأنبياء، الآية ١٠١.

(٧٢٥) سورة ق، الآية: ٣٥.

(٧٢٦) إشارة إلى الآية: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾، سورة الأنعام، الآية ١٤٩.

رفعه، (...)[٧٢٧] يهوىٰ بل يعلم، وسواء كان ظهور هذا السر في الدنيا أو في القيامة، غير أنه في الدنيا للأفراد وفي الآخرة لسائر العباد. ومعنىٰ البيت: إنني تنزلت إلىٰ القطبية من فوق ولم أترقَّ إليها من أسفل فعلوت إليها عن بدلية كانت لي، أو خلفت من كان قبلي قطبًا عن ثلاث ذي يمين وشمال وقطب، فافهم فهذا هو قوله:

٥٠١ وَلاَ قُطْبَ قَبْلِي عَنْ ثَلاَثٍ خَلَفْتُهُ وَقُطْبِيَّةُ الأَوْتَادِ عَنْ بَدَلِيَّتِي

٥٠٢ فَلاَ تَعْدُ خَطِّي الْمُسْتَقِيمَ فَإِنَّ فِي الـ(م) ـزَّوَايَا خَبَايَا فَانْتَهِزْ خَيْرَ فُرْصَةِ

خَطِّي: الصراط[٧٢٨]، ومعنىٰ «فإن» وتمامه: هو أن غير المستقيم منعطف فله زاوية فيها خبية السوىٰ، وكذلك انعطفت، وذلك يعطي الفرق ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[٧٢٩] ثم بيَّن ذلك بقوله:

٥٠٣ فَعَنِّي بَدَا فِي الذَّرِّ فِيَّ الوَلاَ وَلِي لِبَانُ ثُدِيٍّ الجَمْعِ مِنِّيَ دَرَّتِ

اللبان: هو اللبن ما دام في الثدي، وثُدِيٌّ جمع ثَدْي، وقد تقدم شرح هذا البيت.

٥٠٤ وَأَعْجَبُ مَا فِيهَا شَهِدْتُ فَرَاعَنِي وَمِنْ نَفْثِ رُوحِ القُدْسِ فِي الرُّوعِ رَوْعَتِي

راعني: فزعني. والروح: جبريل. والرُّوعُ - بالضم -: الخَلَد. وفيها: غرامي بها.

٥٠٥ وَقَدْ أَشْهَدَتْنِي حُسْنَهَا فَشُدِهْتُ عَنْ حِجَابِي فَلَمْ أُثْبِتْ حُلاَيَ لِدَهْشَتِي[٧٣٠]

(٧٢٧) الكلمة غير واضحة في ت.
(٧٢٨) السراط: ت.
(٧٢٩) سورة الأنعام، الآية ١٥٣.
(٧٣٠) ب ٥٠٥ - فَشُدِهْتُ: جـ] فشهدت: ت.

قوله عن حجابه، رأىٰ بالحجاب وهو في عالم الفَرْقِ، لكنه في غيبه عنه جامع الأشهاد.

٥٠٦ ذَهِلْتُ بِهَا عَنِّي بِحَيْثُ ظَنَنْتُنِي سِوَايَ وَلَمْ أَقْصِدْ سِوَاءَ مَظِنَّتِي[٧٣١]

ذَهَلْتُ - بالفتح - ذَهْلاً - وبالكسر - ذُهُولاً أي: بسبب حيرة. والمَظِنَّة: الموضع الذي يُظَنُّ أنه فيه، فظننتني سِواء سِواي وليس إلا هي، وهذا الحال لا يكون إلا في عالم الحجاب، وفي حين الشهود ليس إلا الذهول.

٥٠٧ وَدَلَّهَنِي فِيهَا ذُهُولِي فَلَمْ أُفِقْ عَلَيَّ وَلَمْ أَقْفُ التِّمَاسِي بِظِنَّةِ[٧٣٢]

دلهني: غيبني. والظنة: التهمة، هذا حال لا يمكن أن يعرف بمثال أو مقال، ولا يدريه إلا من ذاقه، وهو غيب. وبعد إفاقته قال:

٥٠٨ فَأَصْبَحْتُ فِيهَا وَالِهًا لاَهِيًا بِهَا وَمَنْ وَلَّهَتْ شُغْلاً بِهَا عَنْهُ أَلْهَتِ[٧٣٣]

والهًا أي: بلا عقل، والمعنى: والهًا بها لاهيًا أي: غافلاً عني بها. وقوله: «عَنْهُ أَلْهَتِ» أي: أَلْهَتْ عَنْهُ بِهَا.

٥٠٩ وَعَنْ شُغُلِي عَنِّي شُغِلْتُ فَلَوْ بِهَا قَضَيْتُ أَسًى مَا كُنْتُ أَدْرِي بِنُقْلَتِي[٧٣٤]

(٧٣١) ب ٥٠٦ - سِوَاءَ: ت] سَوَاءَ: جـ.
(٧٣٢) ب ٥٠٧ - ذُهُولِي: جـ] دهولي: ت؛ التِّمَاسِي: جـ] التماشي: ت.
(٧٣٣) ب ٥٠٨ - وَهَّتْ: جـ] وَهَتْ: ت.
(٧٣٤) ب ٥٠٩ - قضيتُ بها أسى، زاد "بها" بعد "قضيت" وهي زيادة مخلة بالوزن: ت] قَضَيْتُ رَدًى: جـ.

صاحب هذا الحال لا يشك في هذا المقال، وليس ذلك الجمال صوريًا ولا معنويًا؛ فلهذا لا يجده إلا ذائقه.

٥١٠ وَمِنْ مُلَحِ الوَجْدِ المُدَلِّهِ فِي الهَوَى الـ ـمُوَلِّهِ عَقْلِي سَبْيُ سَلْبٍ كَغَفْلَةِ(٧٣٥)

كغفلة بمعنى: صار العقل غفالاً، ومن ملح أي: ومن أجل ملح، وقوله(٧٣٦): كغفلة، هذا تشبيه بحالة الغافل في الدنيا، وبيَّنه بقوله:

٥١١ أُسَائِلُهَا عَنِّي إِذَا مَا لَقِيتُهَا وَمِنْ حَيْثُ أَهْدَتْ لِي هُدَايَ أَضَلَّتِ

أي: أضلت عن سواها حيث أهدت لي هداي إليها

٥١٢ [٢٥ظ] وَأَطْلُبُهَا مِنِّي وَعِنْدِيَ لَمْ تَزَلْ عَجِبْتُ لَهَا بِي كَيْفَ عَنِّي اسْتَجَنَّتِ

٥١٣ وَمَا زِلْتُ فِي نَفْسِي بِهَا مُتَرَدِّدًا لِنَشْوَةِ حِسِّي وَالمَحَاسِنُ خَمْرَتِي(٧٣٧)

وقوله: «في نفسي بها» أي: بنفسي من داخل إلى خارج، وسيشرحه فيما بعده. وقوله لِنَشْوَةِ(٧٣٨)، أي: أتردد إلى ما في الحسن من محاسن نفسي لأنتشي بها نشوة الخمرة، وبيَّنه بقوله:

٥١٤ أُسَافِرُ مِنْ عِلْمِ اليَقِينِ لِعَيْنِهِ إِلَى حَقِّهِ حَيْثُ الحَقِيقَةُ رِحْلَتِي(٧٣٩)

---

(٧٣٥) ب ٥١٠ - المُوَلِّهِ: جـ] المُولِهِ: ت.

(٧٣٦) وكقوله: ت.

(٧٣٧) ب ٥١٣ - لِنَشْوَةِ: جـ] لِنَشْوَتِ: ت.

(٧٣٨) لنشوت: ت.

(٧٣٩) ب ٥١٤ - مِنْ عِلْمِ: ت] عَنْ عِلْمِ: جـ.

لعينه أي: إلى عَيْنِهِ، ثم إلى حَقِّهِ. واليقين: من يَقِنَ المَاءُ إذا سكن فلا تقطع فيه الصور على ما هي عليه إلا مع السكون. واليقين قد يكون عِلْمًا فقط كالعلم بمكة. وقد يكون عينًا كمعاينتها وإن لم تدر حقيقتها. وقد يكون حقًّا بمعنى حق يقين بوجود حقيقة لأجلها كانت العَيْنُ والعِلْمُ من قبل.

والمعنى: رحلتي إذا سافرت إنما هي من علم اليقين إلى عَيْنِهِ ومن عَيْنِهِ إلى حَقِّهِ، وهو حيث الحقيقة هناك، وهذا السَّفَرُ لم أرد به سواي ولا طلبت غيري، ولهذا بعده:

٥١٥ وَأَنْشُدُنِي عَنِّي لِأُرْشِدَنِي عَلَى ... لِسَانِي إِلَى مُسْتَرْشِدِي عِنْدَ نِشْدَتِي

نَشَدْتُ الضَّالَةَ: إذا طَلَبْتُهَا، وحقيقة المؤمن ضالته. والرَّشَدُ: خلاف الغَيِّ.

والمعنى: هو أن الذي يطلب من ربه مطلوبًا هو الذي تمثل في نفسه لنفسه بصورة ربه، فإذا حقق لم يجد هناك غير نفسه فقط، فكان يقول: أسأل إياي عني: من أنا وماذا هي حقيقتي؟، بل أُرشدني إِذْ[٧٤٠] أنا المرشد والمسترشد، فأنا لا أجحد وجودي ولا أشهده، فحينئذ أنا لم أخرج عني ولم أسأل سواي.

٥١٦ وَأَسْأَلُنِي رَفْعِي الحِجَابَ بِكَشْفِيَ الـ(م) ... ـنِّقَابَ وَبِي كَانَتْ إِلَيَّ وَسِيلَتِي[٧٤١]

أي: وأنا أعلم.

(٧٤٠) إذا: ت.

(٧٤١) ب ٥١٦ - رَفْعِي: جـ] رفع: ت.

٥١٧ وَأَنْظُرُ فِي مِـرْآةِ حُـسْنِيَ كَـيْ أَرَى جَمَالَ وُجُودِي فِي شُهُودِيَ طَلْعَتِي[٧٤٢]

المرآة[٧٤٣]: الكون.

٥١٨ وَإِنْ فُهْتُ بِاسْمِي أُصْغِ نَحْوِي تَشَوُّقًا إِلَى مُسْمِعِي ذِكْرِي بِنُطْقِي وَأُنْصِتِ[٧٤٤]

التَشَوُّقُ: التَّطَلُّعُ، والمراد أنه لم يزل مفتشًا على إياه بكل صورة تفتيش عاشق على معشوق لا غناء له عنه، ولا له نظر إلى شيء إلا من أجله، وهذا الحال يكون قبل الاتصال إليه وبعد الاتحاد به.

٥١٩ وَأُلْصِقُ بِالأَحْشَاءِ كَفِّي عَسَايَ أَنْ أُعَانِقَهَا فِي وَضْعِهَا عِنْدَ ضَمَّتِي

أعانقها، ضمير طلعتي. في وضعها: وضع كفي.

٥٢٠ وَأَهْفُو لأَنْفَاسِي لَعَلِّيَ وَاجِدِي بِهَا مُسْتَجِيزًا أَنَّهَا بِيَ مَرَّتِ[٧٤٥]

أهفو[٧٤٦]: أميل ملتفتًا إلى واجدي، بها أي، بالأنفاس، مستجيزًا أي: مجوزًا ذلك أنها إن ذاتي مرتِ، أي في أنفاسي. وتقدير الكلام: لم أزل كذلك مترددًا مجتهدًا.

---

(٧٤٢) ب ٥١٧– مِرْآةِ: جـ] مرآت: ت.

(٧٤٣) المرآت: ت.

(٧٤٤) ب ٥١٨– وَإِنْ: ت] فَإِنْ: جـ؛ تَشَوُّقًا: ت] تَشَوُّفًا: جـ.

(٧٤٥) ب ٥٢٠– وأَهْفُو: جـ] وأهفوا: ت.

(٧٤٦) أهفوا: ت.

٥٢١ إِلَى أَنْ بَـدَى مِنِّـي لِعَيْنِـيَ بَـارِقٌ وَبَانَ سَنَا فَجْرِي وَبَانَتْ دُجُنَّتِي[٧٤٧]

وبان: ظهر. سنا: ضوء. وبانت: من البينونة. ودجنتي: ظلمتي.

٥٢٢ هُنَـاكَ إِلَى مَـا أَحْجَـمَ العَقْـلُ دُونَـهُ وَصَلْتُ وَبِي مِنِّي اتِّصَالِي وَوُصْلَتِي

أحجم: امتنع؛ إذ لا تدرك النفس بالعقل.

٥٢٣ فَأَسْـفَرْتُ بِـشْرًا إِذْ بَلَغْـتُ إِلَيَّ عَـنْ يَقِينٍ [يَقِينِي] شَدَّ رَحْـلٍ لِسَفْرَةِ[٧٤٨]

أسفرت: ظهرت. بِشْرًا: سرورًا. يقيني: يحجبني.

والمعنى: لَمَّا كنت لا أزال مسافرًا وَقَانِي بلوغي إليَّ عن يقينٍ أن أشد رحل سفر.

٥٢٤ وَأَرْشَدْتُنِي إِذْ كُنْتُ عَنِّيَ نَاشِـدِي إِلَيَّ وَنَفْـسِي بِي عَـلَيَّ دَلِيلَتِـي

اعلم أن الذي ينحل به إشكال[٧٤٩] هذه الأبيات وأمثالها هو أن تعلم أولا ما جاءت به الشريعة، ثم تبني عليه، وهو قوله ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾[٧٥٠] فهذا شيءٌ عليه بنى أمرَه كلَّهُ ناظمُ هذه القصيدة.

---

(٧٤٧) ب ٥٢١ - بَدَىٰ: ت] بَدَا: جـ.

(٧٤٨) ب ٥٢٣ - بَلَغْتُ: جـ] بلغتَ: ت؛ لِسَفْرَةِ: جـ] لِسَفَرَتِ: ت.

(٧٤٩) تنحل به أشكال: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٧٥٠) سورة الأنعام، الآية ١٣٩.

وإيضاح ذلك: أن الذات العلية علمها ما فارقها ومعلومها ما غاب عنها، ولما كان في العلم الأزلي[٧٥١] أنه تعالىٰ يخلق عبدًا يُجزىٰ بوصفه لم يزل وصفُه وجزاءُ وصفِه معلومًا؛ فكان وصفه في العلم سببًا[٧٥٢] لظهور ذي الوصف في الوجود، وكان ظهور ذي الوصف في الوجود سببًا لظهور الوصف في الوجود كما كان في العلم؛ فعاد جميع ما بدا ويبدو[٧٥٣] إنما هو علىٰ صورة الجزاء سواء تقدم علىٰ الفاعل المتَّصِفِ أو تأَخَّرَ، ولما لم يكن الله إلا مجازيًا لزم أن يوصف الذي عليه الجزاء ليس إلا من الإنسان كان ما كان، وبفهم هذا يصح كل ما قال الناظم حقيقةً من جهة كونه يَنْسِبُ الفعل إليه ويُعِيْدُه منه عليه.

٥٢٥ فَأَسْتَارُ لُبْسِ الحِسِّ حِيْنَ كَشَفْتُهَا وَكَانَتْ لَهَا أَسْرَارُ حُكْمِيَ أَرْخَتِ[٧٥٤]

كشفتها، أي: لنفسي، وقوله [٢٦و]: حكمي: حكم الشريعة؛ نسبها إليه لأنه له.

٥٢٦ رَفَعْتُ حِجَابَ النَّفْسِ عَنْهَا بِكَشْفِيَ الـ(م) ـنِّقَابَ وَكَانَتْ عَنْ سُؤَالِي مُجِيبَتِي[٧٥٥]

الحجاب: هو الكون، وقوله: النقاب، أي: رأيتها الفاعلة المنفعلة.

٥٢٧ وَكُنْتُ جِلاَ مِرْآةِ ذَاتِيَ مِنْ صَدَا صِفَاتِي وَمِنِّي أحْدَقَتْ بالأَشِعَّةِ[٧٥٦]

---

(٧٥١) الأزل: ت.

(٧٥٢) سبب: ت.

(٧٥٣) ويبدوا: ت.

(٧٥٤) ب ٥٢٥- فَأَسْتَارُ: ت] وَأَسْتَارُ: جـ؛ لُبْسِ: ت] لَبْسِ: جـ.

(٧٥٥) ب ٥٢٦- عَنْهَا: ت] عَنِّي: جـ.

(٧٥٦) ب ٥٢٧- مِرْآةِ: جـ] مِرْآتِ: ت؛ وَمِنِّي أحْدَقَتْ بالأَشِعَّةِ: ت] فَمِنِّي أُحْدِقَتْ بِأَشِعَّةِ: جـ.

هذا ومثله كما قدمنا معلوم شرعًا من قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾(٧٥٧)، ومثله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾(٧٥٨)، ومثله: ﴿نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ﴾(٧٥٩)؛ ومجموعه فـ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾(٧٦٠). فمن علم ذلك علم أن الكشف والحجاب ليس إلا منه ولنفسه، فقال عن نفسه أضعاف هذه الأقوال، ولا شك في صدقه، ولِمَ لا؟ كبعض(٧٦١) بعض حقّه؛ وإذ لا بد للإنسان من العرفان فأولى ما كان من القرآن، فهذا النظم كله إنما هو في النفس لا غير، فإن ذكر صانعها فإن ذلك بسبب يقتضي به تعريفها لها، وبعد هذا فيها من الأسرار وأنواع الأقدار ما لا تسعه الأفكار مما في هذه الدار وتلك الدار الآخرة، وَبِخَطْرَةٍ من خطراتها وإجابة داعيها تكون الجنة أو النار.

٥٢٨ وَأَشْهَدْتُنِي إِيَّايَ إِذْ لاَ سِوَايَ فِي وُجُودِيَ مَوْجُودٌ فَيَقْضِي بِزَحْمَةِ(٧٦٢)

أي: ليس في وجود المخلوق خالق، كما ليس في وجود الخالق مخلوق.

٥٢٩ وَأَسْمَعَنِي فِي ذِكْرِيَ اسْمِيَ ذَاكِرِي وَنَفْسِي بِنَفْيِ الحِسِّ أَصْغَتْ وَأَسْمَتِ(٧٦٣)

٥٣٠ وَعَانَقْتُنِي لاَ بِالْتِزَامِ جَوَارِحِي الْـ ـجَوَانِحَ لَكِنِّي اعْتَنَقْتُ هُوِيَّتِي(٧٦٤)

---

(٧٥٧) سورة الشمس، الآية ٩.

(٧٥٨) سورة البقرة، الآية ١٥٢.

(٧٥٩) سورة التوبة، الآية ٦٧.

(٧٦٠) سورة الأنعام، الآية ١٣٩.

(٧٦١) الكلمة غير واضحة في ت.

(٧٦٢) ب ٥٢٨- وُجُودِيَ: ت] شُهُودِيَ: جـ؛ بِزَحْمَةِ: ت] بِرَحْمَةِ: جـ.

(٧٦٣) ب ٥٢٩- وَنَفْسِي: جـ] فنفسي: ت.

(٧٦٤) ب ٥٣٠- هُوِيَّتِي: جـ] هَوِيَّتِي: ت.

هذا إنما ما تقدم مثله، المعنىٰ مفهوم مما قبله: فكما أشهد ذاته إياها حين لا سوىٰ؛ كذلك أسمع ذاته ذكر اسمه ولا سوىٰ، فهو ذاكر له مذكور منه وبيَّنه بقوله: «وتَنْفِي بِنَفْيِ الحِسِّ»، أي أنا الذي أسميت نفسي من أرض الحس إلىٰ سماء الذات حتىٰ وجدتُني ذاكرًا لي مذكورًا في زمن واحد، وذلك بنفي للحس، قلت: فأُصْغِي ناجيتُ نفسي معاينًا إليَّ: لِمَ[٧٦٥] هذا المقام في محل الآلام والتعليق بعلائق طال ما ناجيتُ نفسي مستغنية بها ناجيتُها معاتبًا، فجاوبها بعين ما قالته في حينه الأجسام؟ فناجت بارئها مستغنية بها ناجيتُها معاتبًا، فجاوبها بعين ما قالته في حينه بحكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[٧٦٦]، فلما رجعتُ إلىٰ حسي معتبرًا وجدتُني مكلمًا لي عنه بلسان الخلافة؛ فلهذا أقول لله فيقول لي بلساني ما أقوله له بعينه وحينه، فتحققت أنه المتعالي عن الحلول بأرض الجسم وأنه جعلني الخليفة عنه فيها، فلما كُشِفت لي به الأستارُ وكان كلامي لي كلامه لي. بهذا الاعتبار كان كلامه لي بي وفعله بي مني، وهو الذي أوجدني أوجد روحي في جَنَّةِ قُرْبٍ منه أو نَارِ بُعْدٍ عنه، ومنه قول الناظم:

٥٣١ وَأَوْجَدْتُنِي رُوحِي وَرَوْحُ تَنَفُّسِي يُعَطِّرُ أَنْفَاسَ العَبِيرِ المُفَتَّتِ[٧٦٧]

واو «وروح تنفسي» واو الحال، كما يكون الجنة. أنفاس العبير: الريح، لَّما اكتسبت منه نسبت إليه.

(٧٦٥) الكلمة غير واضحة في ت، وقد تقرأ: لِمَ أو لِمَ أو كَمْ.

(٧٦٦) سورة الرعد، الآية ١١.

(٧٦٧) ب ٥٣١ - العَبِيرِ: جـ] العَبِيرُ: ت.

٥٣٢ وَعَنْ شِرْكِ وَصْفِ الحِسِّ كُلِّي مُنَـزَّهٌ ... وَفِيَّ وَقَــدْ وَحَّــدْتُ ذَاتِيَ نُزْهَتِـي

٥٣٣ وَمَـدْحُ صِـفَاتِي بِي يُوَفِّـقُ مَـادِحِي ... لِحَمْدِي وَمَدْحِي بِالصِّفَاتِ مَذَمَّتِي[768]

٥٣٤ فَشَاهِدُ وَصْفِي بِي جَلِيسِي وَشَـاهِدِي ... بِـهِ لِاحْتِجَـابِي لَـنْ يَحِـلَّ بِحِلَّتِـي[769]

فشاهد، أي: المشاهد. جليسي، أي: مصاحبي، وبه بالوصف لاحتجابي، أي: عنه. بحِلَّتِي، الحِلَّة: حَيُّ العرب.

٥٣٥ وَفِي ذِكْـرِ أَسْـمَائِي تَـيَقُّظُ رُؤْيَـةٍ ... وَذِكْرِي بِهَا رُؤْيَا تَوَسُّـن هَجْعَـةِ[770]

الوسن: النوم.

٥٣٦ كَـذَاكَ بِفِعْـلِي عَـارِفِي بِيَ جَاهِـلٌ ... وَعَارِفُــهُ بِي عَــارِفٌ بِالحَقِيقَــةِ

هذا مأخوذ من قولهم: لا يُعْرَفُ الشَّيْءُ بِغَيْرِهِ، ومن عرف الله عرف به كل شيء قد ينعكس.

٥٣٧ فَخُذْ عِلْمَ أَعْلَامِ الصِّفَاتِ بِظَاهِرِ الـ ... ـمَعَالِمِ مِـنْ نَفْسٍ بِـذَاكَ عَلِيمَـةِ

أَعْلَامَ: جمع عَلَم. والصفات: صفات النفس.

٥٣٨ وَفَهْمَ أَسَامِي الذَّاتِ عَنْهَا بِبَاطِنِ الـ ... ـعَوَالِمِ مِـنْ رُوحٍ بِـذَاكَ مُـشِيرَةِ[771]

(٧٦٨) ب ٥٣٣ - بِي: ت] بي: جـ؛ مَذَمَّتِي: جـ] مُذمتِي: ت.
(٧٦٩) ب ٥٣٤ - بِي: ت] فِي: جـ؛ يَحِلَّ: ت] يَحُلَّ: جـ.
(٧٧٠) ب ٥٣٥ - وَفِي ذِكْرِ: ت] وَبِي ذِكْرُ: جـ.
(٧٧١) ب ٥٣٨ - مُشِيرَةِ: جـ] مُشِيرَتِ: ت.

وخذ فهم أسمائي، الذات: المخلوقة. والعوالم: جمع عالم كالطابع والخاتم. أسامي الذات: صفاتها الإرادية. وصفات النفس: ما يتعلق بالجسم كالبصر والسمع، وإشارة الروح بالصفات إلى صفات مبدعها سبحانه؛ وسيبيِّن ذلك فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

٥٣٩ ظُهُورُ صِفَاتِي عَنْ أَسَامِي جَوَارِحِي مَجَازًا بِهِ لِلْحُكْمِ نَفْسِي تَسَمَّتِ

المجاز ضد الحقيقة. وقوله: للحكم: حكم الحِسِّ.

٥٤٠ رُقُومُ عُلُومٍ فِي سُتُورِ هَيَاكِلٍ عَلَى مَا وَرَاءَ الحِسِّ فِي النَّفْسِ وَرَّتِ

وَرَّتْ[٧٧٢]: من التورية، وهي[٧٧٣] إظهار شيء يكون المراد به غيره بخفية.

٥٤١ وَأَسْمَاءُ ذَاتِي عَنْ صِفَاتِ جَوَانِحِي جَوَازًا لِأَسْرَارٍ بِهَا الرُّوحُ سُرَّتِ[٧٧٤]

هذه كالقدرة والعلم تجوِّز الروح بأسماء ذاتها المأخوذة [٢٦ظ] عن صفات جوانحها التي حُكْمُهَا حكم الجوارح للجسم، يجوِّز بها إلى أسرار تَسُرُّ[٧٧٥] بها. والأسرار: رؤية الموصوف بعين الصفة في سر العبد حيث لا عين ولا غين[٧٧٦]، ولهذا جعلها:

(٧٧٢) ورة: ت.

(٧٧٣) وبهي: ت.

(٧٧٤) ب ٥٤١- جَوَازًا: جـ] جَوَازَ: ت.

(٧٧٥) تسروا: ت.

(٧٧٦) غير: ت، ولعل الصواب ما أثبتناه؛ حيث يقصد بالعين: البصيرة، وبالغين: الحجاب، انظر البيت ٤٨٣.

٥٤٢ رُمُـوزُ كُنُـوزٍ عَـنْ مَعَـانِي إِشَـارَةٍ بِمَكْنُونِ مَـا تُخْفِـي السَّرَائِرُ حُفَّـتِ

لأن الصفة المقيدة، كقدرة العبد، رمزٌ دَلَّكَ على كَنْزٍ مطلقٍ من قدرة الحق.

٥٤٣ وَآثَارُهَـا فِي العَالَـمِينَ بِعِلْمِهَـا وَعَنْهَـا بِهَـا الأَكْـوَانُ غَـيْرُ غَنِيَّـةِ

يقول: إذا أثر المؤثِّرُ بعلم الأسماء فيها يكون الأثـر في العـالمين لا يعلمهـا؛ فالآثـار حين يكون الكون مفتقرًا إلى ظهور الأثر.

٥٤٤ وُجُـودُ اقْتِنَـا ذِكْـرٍ بِأَيْـدِ تَحَكُّـمٍ شُهُودُ اجْتِنَا شُكْرٍ بِأَيْـدِ عَمِيمَـةِ(٧٧٧)

المعنى: حُبُّ الآثار: هو وجود اقتناء ذكر. والـ«أيدِ»: القوة. وشهود: جمع شاهد. وبـ«أيدِ» الأخيرة: بنعيم.

٥٤٥ مَظَـاهِرُ لِي فِيهَـا بَـدَوْتُ وَلَمْ أَكُـنْ عَلَيَّ بِخَافٍ قَبْـلَ مَـوْطِنِ بَـرْزَتِي(٧٧٨)

البرزة: الظهور، يقول: لما بَرَزَتْ صفات الإنسان عنـه في حجـاب أفعالـه لإحيـاء الميت وخطف عرش بلقيس، كانت أفعاله مظاهر له؛ فرأى إيـاه في أفعالـه، وقولـه: «وَلَمْ أَكُنْ عَلَيَّ بِخَافٍ»، أي: كان في ذاتي بالقوة مُجملاً ما أظهرته بالفعل مفـصلاً، ثـم ذكر كيف كان اسم صفة في كل اسم صفة من حيث جمعية الأسماء في مُسَمًّى واحد، فقال:

---

(٧٧٧) ب ٥٤٤ - اقْتِنَا: جـ] إقتِنَا: ت؛ بِأَيْدِ: جـ] بأيد: ت.

(٧٧٨) ب ٥٤٥ - بَرْزَتِي: جـ] بَرَزَتِ: ت.

٥٤٦ فَلَفْظٌ وَكُلِّي بِي لِسَانٌ مُحَدِّثٌ وَلَحْظٌ وَكُلِّي فِيَّ عَيْنٌ لِعَبْرَتِي[(٧٧٩)]
٥٤٧ وَسَمْعٌ وَكُلِّي بِالنَّدَى أَسْمَعُ النِّدَا وَكُلِّيَ فِي رَدِّ الرَّدَى يَدُ قُوَّةِ[(٧٨٠)]
٥٤٨ مَعَانِي صِفَاتٍ مَا وَرَا اللَّبْسِ أَثْبَتَتْ وَأَسْمَاءُ ذَاتٍ مَا رَوَى الحِسُّ بَثَّتِ[(٧٨١)]

معاني: خبر مبتدؤه «فَلَفْظُ»، والمعنى أنني إذا اتَّخَذْتُ ذاتي كان اللفظ واللحظ حين الاتحاد معاني أثبتت من وجود المُوجِد ما كان عندي وراء اللبس فصار بيِّنًا بما روىٰ الحِسُّ.

٥٤٩ فَتَصْرِيفُهَا مِنْ حَافِظِ العَهْدِ أَوَّلاً بِنَفْسٍ عَلَيْهَا بِالوَلاَءِ حَفِيظَةِ

فتصريفها: أي التَّصَرُّفُ بها، والهاء: ضمير الأسماء. والعهد ﴿أَلَسْتُ﴾[(٧٨٢)] وتقديره: بنفس حفيظة، وهي من المحافظة، والجملة في موضع مبتدأ وخبره شوادي، وهو جمع شادية، وهي المغنية المنشدة.

والمعنى: أن المتصرف بالأسماء شدىٰ وهدىٰ[(٧٨٣)] إلى صانعه فهو عبد له؛ فافهم هذه الأبيات وأمثالها؛ وافقه ذلك كيف يُعظِّم صفات النفس ثم يعود فيجعلها هادية إلى صانعها، ويضرب الأمثال لما جاءت به تعظيمًا لمن جاء بها؛ فَيَصْغُرُ عظيمُ ما جاءت به عند صغير ما جاء بها.

---

(٧٧٩) ب ٥٤٦ - وَكُلِّي بِي: جـ] وكلِّ في: ت؛ لِعَبْرَتِي: ت] لِعِبْرَةِ: جـ.
(٧٨٠) ب ٥٤٧ - بِالنَّدَىٰ: جـ] بالندا: ت؛ الرَّدَىٰ: جـ] الرَّدَا: ت.
(٧٨١) ب ٥٤٨ - اللَّبْسِ: ت] النَّفْسِ: جـ.
(٧٨٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢.
(٧٨٣) هدا: ت.

٥٥٠ شَــوَادِي مُبَاهَــاتٍ هَــوَادِي تَنَبُّــهٍ بَوَادِي فُكَاهَاتٍ غَـوَادِي رَجِيَّةِ(٧٨٤)

المباهاة(٧٨٥): المفاخرة. وهوادي: جمع هادية. وبوادي: من بدا. وفكاهات: حديث مؤانسة. وغوادي: السحاب. ورجية: يُرجى مطرها.

٥٥١ وَتَوْقِيفُهَـا مِـنْ مَوْثِـقِ العَقْـدِ آخِـرًا بِـنَفْسٍ عَـلَى عِـزِّ الإِبَـاءِ أَبِيَّـةِ(٧٨٦)

المعنى أن المتوقف عن التصرف بالأسماء مع القدرة على التصرف بها. وقد أوثق عقده آخرًا أي في آخر عمره أو سلوكه بعد ما حفظ عهده أولاً وتصرف بها ثم عادت أَبِيَّةً تعلو على عِزِّ الإباء، أي: هذا وأمثاله.

٥٥٢ جَــوَاهِرُ أَنْبَــاءٍ زَوَاهِــرُ وُصْــلَةٍ ظَــوَاهِرُ إِنْبَــاءٍ قَــوَاهِرُ صَــوْلَةِ

جواهر: خبر لما قبله. أنباء: أخبار. وزواهر: نجومه يُهْتَدَىٰ بهم. وإنباء- بكسر الألف-: إخبار. والصَّوْلَةُ: وُثُوب للقهر.

٥٥٣ وَتَعْرِيفُهَا مِنْ قَاصِدِ الحَـزْمِ ظَـاهِرًا سَـجِيَّةُ نَفْسٍ بِـالوُجُودِ سَـخِيَّةِ(٧٨٧)

تعريفها، أي: تعليمها. والقاصد: المستقيم في سيرته. والحزم: ضبط الرجل أمره

---

(٧٨٤) ب ٥٥٠- مُبَاهَاتٍ: ت] مُبَاهَاةٍ: جـ.

(٧٨٥) المباهات: ت.

(٧٨٦) ب ٥٥١- العَقْدِ: ت] العَهْدِ: جـ؛ الإِبَاءِ أَبِيَّةِ: جـ] الأباءِ أبِيَّتِي: ت.

(٧٨٧) ب ٥٥٣- قَاصِدِ الحَزْمِ: جـ] قاصف الحزم: ت.

وأخذه فيه بالثقة. وقوله: ظاهرًا، يريد: مراعاة ظاهِرِ[٧٨٨] الشريعَةِ، وتخلق ظاهر السالك؛ فيعود مظهرًا للأسماء فيعرفها بحاله وبمقاله. والسجية: الخُلُق الساكن، سجا البحر: سَكَنَ فلم يُحرِّكْهُ هَوَاءٌ فلا كَدَّ فيه من فوقه ولا من تحته، والسكون هاهنا بمعنى ثبوت الصفات؛ بحيث عادت[٧٨٩] سجيةً ونعتًا لازمًا.

٥٥٤ مَثَـانِي مُنَاجَـاةٍ مَعَـانِي نَبَاهَـةٍ مَغَـانِي مُحَاجَـاةٍ مَبَـانِي قَـضِيَّةِ[٧٩٠]

المثنى: هو اثنان مما قصد به؛ فهو حق كمثاني القرآن، يعود مناجاة[٧٩١] ذلك الإنسان في تعليم ما ينبه على ما هو من صفات الحق الظاهرة بصفات الخلق كظهور الأحجية وهو الكلام الـمُعَمَّى؛ فيبين عن ذلك قضية عظيمة.

٥٥٥ وَتَشْرِيفُهَا [٢٧و] مِنْ صَادِقِ العَزْمِ بَاطِنًا إِنَابَـةُ نَفْـسٍ بِالـشُّهُودِ رَضِـيَّةِ

تشريف الأسماء وتشريفها لمن اتصف بها إذا ظهرت من صادق العزم يكون تشريفها باطنًا، وهذا جميعه مبتدأ وتمام البيت خبره. والمعنى أن تشريف المتصف بالاسم هو إنابة نفسه إلى شهود ظهور الحق بشهود ما بطن من أوصافه الخلق الذي هو واحد منهم؛ ولهذا أخبر عن هؤلاء بأنهم إذا كانوا مظاهر هذه الأسماء فهم:

٥٥٦ نَجَائِـبُ آيَـاتٍ غَرَائِـبُ نُزْهَـةٍ رَغَائِـبُ غَايَـاتٍ كَتَائِـبُ نَجْـدَةِ

---

(٧٨٨) ظاهِرُ: ت.

(٧٨٩) عدة: ت.

(٧٩٠) ب ٥٥٤ - مُنَاجَاةِ: جـ] مُنَاجَاتِ: ت؛ مُحَاجَاةِ: جـ] مُحَاجَاتِ: ت؛ قَضِيَّةِ: جـ] قضيَّتِ: ت.

(٧٩١) مناجات: ت.

رغائب، الرغبة: العطية. وكتائب: جيوش. نجدة: غلبة؛ لغلبة حقيقتها على خلقيتها، وكَنَّىٰ عن الصورة المراجية باللبس.

٥٥٧ فَلِلَّبْسِ مِنْهَا بِالتَّعَلُّقِ فِي مَقَا ... مِ الإِسْلاَمِ عَنْ أَحْكَامِهِ الحِكَمِيَّةِ[(٧٩٢)]

الباء «بالتعلق» باء السبب.

٥٥٨ عَقَائِقُ أَحْكَامٍ دَقَائِقُ حِكْمَةٍ ... حَقَائِقُ إِحْكَامٍ رَقَائِقُ بَسْطَةِ[(٧٩٣)]

٥٥٩ وَلِلْحِسِّ مِنْهَا بِالتَّحَقُّقِ فِي مَقَا ... مِ الإِيمَانِ عَنْ أَعْلاَمِهِ العَمَلِيَّةِ[(٧٩٤)]

وللحسّ أي: ما يُرَىٰ حِسًّا. وقوله: منها، أي: من الأسماء عن الأعلام الذين قاموا بالعمل.

٥٦٠ سَوَامِعُ أَذْكَارٍ لَوَامِعُ فِكْرَةٍ ... جَوَامِعُ آثَارٍ قَوَامِعُ غِرَّةِ[(٧٩٥)]

قوامع: يقمعون ما يغرُّ.

٥٦١ وَلِلنَّفْسِ مِنْهَا بِالتَّخَلُّقِ فِي مَقَا ... مِ الإِحْسَانِ عَنْ أَنْبَائِهِ النَّبَوِيَّةِ

٥٦٢ لَطَائِفُ أَخْبَارٍ وَظَائِفُ مِنْحَةٍ ... صَحَائِفُ أَخْبَارٍ خَلاَئِفُ حِسْبَةِ[(٧٩٦)]

---

(٧٩٢) ب ٥٥٧ - فَلِلنَّبْسِ: ت] وَلِلَّبْسِ: جـ.

(٧٩٣) ب ٥٥٨ - عَقَائِقُ أَحْكَامٍ: جـ] حقائق أحكام: ت؛ بَسْطَةِ: جـ] بَسْطَتِ: ت.

(٧٩٤) ب ٥٥٩ - وَلِلْحِسِّ: جـ] وللحسن: ت؛ العَمَلِيَّةِ: جـ] العلمية: ت.

(٧٩٥) ب ٥٦٠ - سَوَامِعُ: ت] صَوَامِعُ: جـ؛ غِرَّةِ: ت] عِزَّةِ: جـ.

(٧٩٦) ب ٥٦٢ - حِسْبَةِ: ت] خَشْيَةِ: جـ.

يخلفون من كان عمله احتسابًا لا معاوضة.

٥٦٣ وَلِلْجَمْعِ مِنْ مَبْدَا «كَأَنَّكَ» وَانْتَهَى «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ» عَنْ آيَةِ النَّظَرِيَّةِ(٧٩٧)

يريد الجامع الذي جمع الصفات التي لها مبدأ ومنتهى من حيث الإنسان، فالمبدأ قوله- عليه السلام-: «اعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ...»(٧٩٨) فهذا مبدأ الإحسان، والمنتهى قوله عليه السلام: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»، فَمَنْ عَبَدَ الله كذلك كان قد قام في مقام الإحسان إلى نفسه؛ إذ هذا غاية وسعه، فله من الله على صورة الإعانة والمساعدة.

٥٦٤ غُيُوثُ انْفِعَالاتٍ بُعُوثُ تَنَزُّهٍ حُدُوثُ اتِّصَالاتٍ لُيُوثُ كَتِيبَةِ(٧٩٩)

---

(٧٩٧) ب ٥٦٣ – وَانْتَهَى: ت] وَانْتَهَا: جـ؛ فَإِنْ: ت] وَإِنْ: جـ؛ آيَةِ: ت] آيِهِ: جـ.

(٧٩٨) هذا جزء من حديث نصه الكامل هو: "حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ". أخرجه مسلم ٨ و ٩؛ والبخاري ٤٧٧٧ و ٥٠؛ وسنن أبي داود ٤٦٩٥.

(٧٩٩) ب ٥٦٤ – بُعُوثُ: جـ] بُغُوثُ: ت.

الغيوث: شبهها بالغيث الذي يأتي من الرَّبِّ يسقي ما زرعه العبد. والبعوث: الجمع الذي يُبْعَث لقتال العدو بقوة وغلبة، فهو لا بعوث تنزه. في مواهب الحق يحدث اتصالات بالله يغلب بها الإنسان نفسه الأمارة كما تغلب ليوثُ الكتيبة سباعَ الجيش اشتقاقًا من الكَتْبِ وهو الجَمْعُ.

٥٦٥ فَمَرْجِعُهَا لِلْحِسِّ فِي عَالَمِ الشَّهَا دَةِ الْمُجْتَدِي مَا النَّفْسُ مِنِّي أَحَسَّتِ(٨٠٠)

المُجْتَدِي: طالب الجدوى، وهي ما أحسته النفس مما تقدم إذا طلبته من عالم الحس فهو:

٥٦٦ فُصُولُ عِبَارَاتٍ وُصُولُ تَحِيَّةٍ حُصُولُ إِشَارَاتٍ أُصُولُ عَطِيَّةِ

التحية من الله بلسان العلم الذي هو حصول إشارات، والعطية عطية أخروية لا تنقل مني.

٥٦٧ وَمَطْلِعُهَا فِي عَالَمِ الغَيْبِ مَا وَجَدْ تُ مِنْ نِعَمٍ [مِنِّي](٨٠١) عَلَيَّ اسْتَجَدَّتِ

مَطْلِعُهَا: أول الظهور. واسْتَجَدَّتِ: من الجديد. قوله: مني، يفهم منه معانٍ: أحدها: أنني كنت أنا سبب ذلك. والثاني: أنني وجدت ذلك من ذاتي؛ فحكى أولاً ما يجده غيره منه وذلك قوله: فُصُول، وحكى ثانيًا ما يجده هو من نفسه، وذلك قوله:

---

(٨٠٠) ب ٥٦٥ - أَحَسَّتِ: جـ] أَحَدَّتِ: ت.

(٨٠١) ب ٥٦٧ - [] الإضافة من جـ وبها يستقيم الوزن والمعنى.

٥٦٨ بَشَائِرُ إِقْرَارٍ بَصَائِرُ عِبْرَتِي سَرَائِرُ آثَارٍ ذَخَائِرُ دَعْوَتِي[٨٠٢]

ذخائر تدعوني إلى الله وأدعو[٨٠٣] به نفسي وغيري إليه؛ فهي نعم الذخيرة[٨٠٤]، وأدعو[٨٠٥] الله فأُجَابُ منه سبحانه؛ وذلك لمَّا[٨٠٦] رأى أبو طالب سرعة إجابة دعوات رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال له: ما أطوع ربك لك يا محمد. قال له: يا عمي، وأنت إذا أطعته أطاعك؛ فالإجابة من الله لعبده المجيب طاعة بسبب طاعة؛ فهي مقابلة الشيء بمثله، ومنه لفظ المجازأة، أي: هي كل[٨٠٧] جُزْءِ.

٥٦٩ وَمَوْضِعُهَا فِي عَالَمِ المَلَكُوتِ مَا خُصِصْتُ مِنَ الإِسْرَا بِهِ دُونَ أُسْرَتِي

موضعها[٨٠٨]: موضع ظهورها، فالملكوت ما ظهر وتقديره بالمعنى الذي خُصِصْتُ به من الإسراء في عالم الملكوت من هذه الأسماء موضِعُهُ.

٥٧٠ مَدَارِسُ تَنْزِيلٍ مَحَارِسُ غِبْطَةٍ مَغَارِسُ تَأْوِيلٍ فَوَارِسُ مَنْعَةِ[٨٠٩]

مَنْعَةٌ: تمنع الباطلَ بالحق.

---

(٨٠٢) ب ٥٦٨- عِبْرَتِي: ت] عِبْرَةِ: جـ؛ دَعْوَتِي: ت] دَعْوَةِ: جـ.

(٨٠٣) وأدعوا: ت.

(٨٠٤) الدخيرة: ت.

(٨٠٥) وأدعوا: ت.

(٨٠٦) في ت: زاد قبلها "كما" مما تسبب في اضطراب المعنى؛ فحذفناها.

(٨٠٧) كل كل: ت.

(٨٠٨) مواضعها: ت.

(٨٠٩) ب ٥٧٠- مَنْعَةِ: جـ] مَنْعَتِ: ت.

٥٧١ وَمَوْقِعُهَا فِي عَالَمِ الجَبَرُوتِ مِنْ مَشَارِقِ فَتْحٍ لِلْبَصَائِرِ مُبْهَتِ[٨١٠]

الجبروت: القوة الإنسانية. ومشارق: مبادي، ومعنى الباقي أن رؤية الصفة القديمة بالمحدث تبهت[٨١١]؛ لتعلق البصرِ بالمُحْدَثِ المخلوق والبصيرةِ بالخالق.

٥٧٢ [٢٧ظ] أَرَائِكُ تَوْحِيْدٍ مَدَارِكُ زُلْفَةٍ مَسَالِكُ تَمْجِيْدٍ مَلاَئِكُ نُصْرَةٍ[٨١٢]

أرائك: خبرُ ما قبله، والمراد: أنه يرى بصفة ذات المخلوق صفة ذات الخالق بحسب الناظر، كما يرى بقدرته قدرة ربه تعالى، ثم يرى مطلق القدرة في العالم غير قيد بواحد معين من أعيان العالم. وكذلك يرى كل اسم إذا لحق به فرآه في كل عالم وهو معنى:

٥٧٣ وَمَنْبَعُهَا بِالْقَبْضِ فِي كُلِّ عَالَمٍ لِفَاقَةِ نَفْسٍ بِالإِفَاقَةِ أَثْرَتِ[٨١٣]

لفاقة[٨١٤]: لأجل فاقة[٨١٥]. وبالإفاقة: حال الصحو. وأثرت: واحدة[٨١٦] الثروة، والملك باطن؛ إذ السكران قد يجد مثل ذلك فلا يكون له حقيقةٌ، فأما [ا]لصاحي[٨١٧] فلا.

(٨١٠) ب ٥٧١ - مُبْهَتِ: ت] مُبْهِتِ: جـ.
(٨١١) يبهت: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.
(٨١٢) ب ٥٧٢ - نُصْرَةٍ: جـ] نصرت: ت.
(٨١٣) ب ٥٧٣ - بِالْقَبْضِ: ت] بِالفَيْضِ: جـ؛ أَثْرَتِ: جـ] أسرت: ت.
(٨١٤) لفاقد: ت، وهو تحريف، وما أثبتناه يتوافق مع ما جاء في البيت.
(٨١٥) فاقد: ت، وهو تحريف، وما أثبتناه يتوافق مع ما جاء في البيت.
(٨١٦) واحدت: ت، وما أثبتناه يتوافق مع قواعد الإملاء.
(٨١٧) [ ] إضافة يقتضيها السياق.

٥٧٤ فَوَائِــدُ إِلْــهَامٍ زَوَائِـدُ نُعْمَـةٍ عَوَائِـدُ إِنْعَـامٍ مَوَائِـدُ نِعْمَتِـي[٨١٨]

النعمة: نعومة الجليس، وبالعكس المال.

٥٧٥ وَيَجْرِي بِمَا تُعْطِي الطَّرِيقَـةُ سَـائِرِي عَلَى نَهْجِ مَا مِنِّي الحَقِيقَةُ أَعْطَتِ[٨١٩]

الطريقة: ظاهر الشرع. وسائري: هو الجاري.

٥٧٦ وَلَـمَّا شَعَبْتُ الصَّدْعَ وَالتَأَمَتْ فُطُو رُ شَمْلٍ بِفَرْقِ الوَصْفِ غَيْرُ مُشَتَّتِ

المعنى: أذهبتُ ضديةَ الأسماء الحسنىٰ مني، فلما زال الفرق الذي أوجب الصدع، وهو الشق الذي يجعل الواحد اثنين، حصل الجمع الذي يجعل الواحد واحدًا كما كان.

٥٧٧ وَلَمْ يُبْـقِ مَـا بَيْنِـي وَبَـيْنَ تَـوَثُّقِي بِإِيْنَاسِ وُدِّي مَا يُـؤَدِّي لِوَحْـشَةِ[٨٢٠]

التوثق فاعل. والمعنى: إن تَحَقُّقِي لِصِدْقِ تَوَثُّقِي ورؤيتي له عن يقينٍ؛ إذ أنا علىٰ ثقةٍ من أُنسِ الوُدِّ؛ فبهذا الذي أجد مني أَتَحَقَّقُ أنه ما بقي ما يؤدي إلىٰ وحشة. ومثاله: من تَحَقَّقَ من نفسه صحةُ التوبةِ تَحَقَّقَ من رَبِّهِ جزاءُ [ا]لمغفرةِ[٨٢١]، ومن تَحَقَّقَ من قلبه

(٨١٨) ب ٥٧٤- نِعْمَتِي: ت] نِعْمَةِ: جـ.

(٨١٩) ب ٥٧٥- بِمَا: جـ] ما: ت.

(٨٢٠) ب ٥٧٧- بِإِيْنَاسِ: جـ] بإيناث: ت.

(٨٢١) [ ] إضافة يقتضيها السياق.

صحةُ المحبةِ تَحَقَّقَ من محبوبِهِ صحةُ المواهب؛ لأن الوجود الحَقَّ هذا حكمه. والمعنى: لما لم يَبْقَ بيني وبينه غيرية توحشِ

٥٧٨ تَحَقَّقْـتُ أَنَـا فِي الحَقِيْقَـةِ وَاحِـدٌ وَأَثْبَتَ صَحْوُ الجَمْعِ مَحْوَ التَّشَتُّتِ

٥٧٩ فَكُـلِّي لِـسَانٌ نَـاظِرٌ مِـسْمَعٌ يَـدٌ لِنُطْقٍ وَإِدْرَاكٍ وَسَمْعٍ وَبَطْشَتِي(٨٢٢)

ذات الإنسان واجلة، وهما كل شيء فهي تجلي بما شاءت مما لها منها فتكون كُلُّها عينًا أو يدًا أو اسمًا أو حرفًا أو رُوحًا أو جِسْمًا أو غير ذلك، وإذا كان الإنسان كذلك فقد صارت كل حاسة لها كل حاسة؛ وبهذا يُفْهَمُ قوله:

٥٨٠ فَعَيْنِـيَ بَاحَـتْ وَاللِّـسَانُ مُـشَاهِدٌ وَيَنْطِقُ مِنِّي السَّمْعُ وَاليَدُ أَصْغَتِ(٨٢٣)

٥٨١ وَسَـمْعِيَ عَـيْنٌ تَجْتَلِي كُـلَّ مَـا بَـدَا وَعَيْنِيَ سَمْعٌ إِنْ شَدَا القَوْمُ تُنْصِتِ(٨٢٤)

٥٨٢ وَمِنِّـيَ عَـنْ أَيْـدٍ لِـسَانِي يَـدٌ كَـمَا يَدِي لِي لِسَانٌ فِي خِطَابِي وَخُطْبَتِي(٨٢٥)

٥٨٣ كَذَاكَ يَدِي عَيْنٌ تَرَى كُـلَّ مَـا تَـرَى وَعَيْنِي يَـدٌ مَبْسُوطَةٌ عِنْدَ سَطْوَتِي(٨٢٦)

المعنى: ترك كل شيء تراه عيني.

٥٨٤ وَسَـمْعِي لِـسَانٌ فِي مُخَـاطَبَتِي كَـذَا لِـسَانِيَ فِي إِصْـغَائِهِ سَـمْعُ مُنْـصِتِ

---

(٨٢٢) ب ٥٧٩- وَبَطْشَتِي: ت] وَبطْشَةِ: جـ.

(٨٢٣) ب ٥٨٠- بَاحَتْ: ت] نَاجَتْ: جـ.

(٨٢٤) ب ٥٨١- شَدَا: جـ] شذ: ت.

(٨٢٥) ب ٥٨٢- وَمِنِّيَ عَنْ: ت] وَمِنِّي عَنَ: جـ.

(٨٢٦) ب ٥٨٣- سَطْوَتِي: جـ] سطوتِ: ت.

٥٨٥ وَلِلشَّمِّ أَحْكَامُ اطِّرَادِ القِيَاسِ فِي اتِّحَادِ صِفَاتِي أَوْ بِعَكْسِ القَضِيَّةِ

أي: كلٌّ واحدٍ قسمٌ غير الآخر.

٥٨٦ وَمَا فِيَّ عُضْوٌ خُصَّ مِنْ دُونِ غَيْرِهِ بِتَعْيِينِ وَصْفٍ مِثْلُ عَيْنِ بَصِيرَةٍ(٨٢٧)

٥٨٧ وَمِنِّي عَلَى إِفْرَادِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ جَوَامِعَ أَفْعَالِ الجَوَارِحِ أَحْصَتِ(٨٢٨)

كُلُّ ذَرَّةٍ إنسانًا كاملًا وَصْفُهُ ما قدَّمناه، لا الإنسان الذي لا يُدْرِكُ بِيَدِهِ ما عَادَتْ(٨٢٩) تُدْرِكُهُ عَيْنُه، بل دون الإنسان.

٥٨٨ تُنَاجِي وَتُصْغِي عَنْ شُهُودِ مُصَرِّفٍ بِمَجْمُوعِهِ فِي الحَالِ عَنْ يَدِ قُدْرَةٍ(٨٣٠)

قدرة المُصَرِّفِ سبحانه، فافقه كيف لَمَّا صرَّفته القدرة تَصَرَّف فيها كيف شاء في الحالة المقصودة له؛ لأن إطلاق القدرة المشهودة من المصرِّف يعطي مثلها للمتصرَّف بمجموعه لمجموعه، فإن قلت: شهد المُصرِّف بالمصرَّف، والمتصرِّف بالمتصرَّف، وكلُّ واحدٍ منهما الآخر، صَحَّ وصار التصريف واحدًا عن يد قدرةٍ واحدةٍ في حالٍ واحدٍ هو كلُّ حالٍ، فإن المُصرِّف إذا صَرَّف بمجموعه، أي: لا ببعض صفاته، تصرف المُتصرَّف كذلك، ولا يلزم بطلان قدرة المصرِّف ضرورةً، فافهم؛ ولهذا بعده:

---

(٨٢٧) ب ٥٨٦ - بَصِيرَةٍ: جـ] بصيرتِ: ت.

(٨٢٨) ب ٥٨٧ - جَوَامِعَ: جـ] جَوَامِعُ: ت.

(٨٢٩) عادة: ت، وما أثبتناه يتوافق مع قواعد الإملاء.

(٨٣٠) ب ٥٨٨ - قُدْرَةٍ: جـ] قدرتِ: ت.

٥٨٩ فَـأَتْلُوْ عُلُـومَ العَالِـمِينَ بِلَفْظَـةٍ وَأَجْلُو عَـلَيَّ العَالَـمِينَ بِلَحْظَـةِ(٨٣١)

يلزم أن يكون الأمر في نفسه أعظم مما قاله، وإنما العبارة تَقْصُر وتنحصر دون حصر المقصود بعبارة، ولكنَّ العبارةَ إشارةٌ، وإيضاح ذلك، هو: أنه لا يصح ظهور القدرة المطلقة القديمة إلا بظهور القدرة المطلقة المُحدَثة، والمُحدَثة تظهر إياها بمحدثاتها، وهي من محدثات القدرة القديمة؛ فيعود عينُ ظهورها لها عينَ ظهورِ القديمة لها؛ فإذا تصرفتْ القديمةُ تصرفتْ المُحدَثةُ؛ لتصرُّف القديمةِ من غيرِ غَيْرِيَّةٍ؛ فأتلو(٨٣٢)- حينئذ- علومَ العلماء.

٥٩٠ وَأَسْمَعُ أَصْوَاتَ الدُّعَاةِ وَسَائِرَ[٢٨و] الـ(م) ـلُّغَاتِ بِوَقْـتٍ دُونَ مِقْـدَارِ لَـمْحَةِ(٨٣٣)

من سمع بالله صَحَّ منه ذلك، وصَحَّ ما بعده هاهنا من النظم في قوله:

٥٩١ وَأُحْـضِرُ مَـا قَـدْ عَـزَّ لِلْبُعْـدِ حَمْلُـهُ وَلَمْ يَرْتَـدِدْ طَـرْفِي إِلَيَّ بِغَمْـضَتِي(٨٣٤)

٥٩٢ وَأَنْـشَقُ أَرْوَاحَ الجِنَـانِ وَعَـرْفَ مَـا تُـصَافِحُ أَذْيَـالُ الرِّيَـاحِ بِنَـسْمَةِ(٨٣٥)

يريد بالأرواح: ما له رائحة تُنْشَقُ. والرياح، أي: إنني وَاجِدُهُ(٨٣٦) في الدنيا بِنَسْمَةٍ(٨٣٧).

(٨٣١) ب ٥٨٩- فَأَتْلُو: جـ] فأتلوا: ت؛ وَأَجْلُو: جـ] وأجلوا: ت؛ بِلَحْظَةِ: جـ] بلحظت: ت.

(٨٣٢) فأتلوا: ت، وما أثبتناه يتوافق مع قواعد الإملاء.

(٨٣٣) ب ٥٩٠- لَمْحَةِ: جـ] لمحتِ: ت.

(٨٣٤) ب ٥٩١- بِغَمْضَتِي: ت] بِغَمْضَةِ: جـ.

(٨٣٥) ب ٥٩٢- بِنَسْمَةِ: جـ] بنسمتِ: ت.

(٨٣٦) واحدة: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق، ولعله الصواب.

(٨٣٧) بنسمت: ت، وما أثبتناه يتوافق مع قواعد الإملاء.

٥٩٣ وَأَسْتَعْرِضُ الآفَاقَ نَحْوِيْ بِخَطْرَةٍ ... وَأَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ بِخَطْوَتِي(٨٣٨)

٥٩٤ وَأَشْبَاحُ مَنْ لَمْ تَبْقَ فِيهِمْ بَقِيَّةٌ ... بِجَمْعِيَ كَالأَرْوَاحِ خَفَّتْ فَخَفَّتِ(٨٣٩)

يقول: إن من لم تَبْقَ فيهم بَقِيَّةٌ من حظوظهم حتى خَفَّتْ وعادت كالأرواح فهذه الأشباح خَفَّتْ بجمعي، فلا جِرْمَ يُغْرِقُ الأشباحَ في الماء، ولا تحترقُ بالنار، فهذا معنى قوله: * تُحْرَق معي *(٨٤٠)

٥٩٥ وَمَا سَارَ فَوْقَ المَاءِ أَوْ طَارَ فِي الهَوَى ... أَوْ اقْتَحَمَ النِّيْرَانَ إِلَّا بِهِمَّتِي(٨٤١)

طار في الهوى، أي: طائر. واقتحم، أي: بنفسه.

٥٩٦ فَمَنْ قَالَ أَوْ مَنْ طَالَ أَوْ صَالَ إِنَّمَا ... يَمُتُّ بِإِمْدَادِيْ لَهُ بِرَقِيْقَتِي(٨٤٢)

فمن قال، أي: فَنَفَذَ قولُه. أو طال: من الطَّوْل. أو صال، فهو يَمُتُّ: يتوسل. والرقيقة: اللطيفة.

ويحتمل أن قوله: «من قال» من القيلى(٨٤٣)، وهو: المَلَلُ.

---

(٨٣٨) ب ٥٩٣ - بِخَطْرَةٍ: جـ] بِحَظرةٍ: ت؛ بِخَطْوَتِي: ت] بِخَطْوَةٍ: جـ.

(٨٣٩) ب ٥٩٤ - خَفَّتْ فَخَفَّتِ: ت] حُفَّتْ فَخَفَّتِ: جـ.

(٨٤٠) لم نجد هذا النص في الديوان، وقد يكون إشارة إلى البيت رقم ٣٠٩ بالتائية. وأيضًا راجع البيت رقم ٦٩٣ حيث إن المعنى قريب جدًا منه.

(٨٤١) ب ٥٩٥ - الهَوَى أَوْ اقْتَحَمَ: ت] الهَوَاءِ وَاقْتَحَمَ: جـ.

(٨٤٢) ب ٥٩٦ - بِرَقِيْقَتِي: ت] بِرَقِيقَةٍ: جـ. هذا البيت يسبق في الديوان (جـ) الذي قبله هنا.

(٨٤٣) كذا في ت، ولعلها: القِلَى؛ جاء في اللسان مادة (ق ل ا).

٥٩٧ وَعَنِّـي مَـنْ أَمْدَدْتُـهُ بِرَقِيقَـةٍ تَـصَرَّفَ عَـنْ مَجْمُوعِـهِ فِي دَقِيقَـةِ

قوله: عن مجموعِهِ، أي: مجموعُ مَنْ أَمْدَدْتُهُ. والمعنى: أنه يتَصَرَّفُ بما شاء منه كَأَخْذِ [بَعْضِ][844] الحواسِّ أو كُلِّهَا كيف شاء متىٰ قال، ويُفْهَم من ذلك أن الزمان يبسطه خَالِقُهُ إعْلامًا أن ما سوىٰ الله مخلوقٌ له.

٥٩٨ وَفِي سَـاعَةٍ أَوْ دُونَ ذَلِـكَ مَـنْ تَـلَا بِمَجْمُوعِهِ جَمْعِيْ تَلَا أَلْفَ خَتْمَةِ[845]

تلا الأولىٰ: تَبِعَ، وهو كقوله في آخر القصيد:

... ... وَيُتْلَا بِهَا [ا]لعِرْفَانِ[846] ...[847]

كما يَبِيْنُ. وتلا الثانية: من التلاوة. رأيت: من رأىٰ[848]. من مثل هذا ما يصح به قوله «عنده»، بحيث لا شك فيه.

٥٩٩ وَمِنِّـي لَـوْ قَامَـتْ بِمَيْـتٍ لَطِيفَـةٌ لَـرُدَّتْ إِلَيْـهِ نَفْـسُهُ وَأُعِيْـدَتِ

٦٠٠ هِيَ النَّفْسُ إِنْ أَلْقَتْ هَوَاهَا تَضَاعَفَتْ قُوَاهَا وَأَعْطَـتْ فِعْلَهَـا كُـلَّ ذَرَّةِ[849]

---

(٨٤٤) [ ] إضافة يقتضيها السياق.

(٨٤٥) ب ٥٩٨ - خَتْمَةِ: جـ] خَتْمتِ: ت.

(٨٤٦) الإضافة من جـ وبها يستقيم الوزن.

(٨٤٧) انظر: ديوان ابن الفارض، بيت رقم ٧٤٧، ص ١٤٢.

(٨٤٨) جملة: "رأيت: من رأىٰ" لا معنىٰ لها هنا، ولعلها سبق نظر من الناسخ.

(٨٤٩) ب ٦٠٠ - ذَرَّةِ: جـ] ذَرَّتِ: ت.

هذا البيت معلوق[٨٥٠] بقوله من قبل: «وَمِنِّي عَلَى إِفْرَادِهَا كُلُّ ذَرَّةٍ»[٨٥١]، كما بيَّنَّاه، وبيَّنَ جميعَ ما قاله وأرادَه بنظم السلوك بقوله: هِيَ النَّفْسُ.

فهذا البيت هو أصلُ هذه القصيدة[٨٥٢]، وهو أصل السلوك؛ بدليل قوله: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ﴾[٨٥٣]، وقد قال: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾[٨٥٤] فهذا وأَضْعَافُهُ[٨٥٥] داخِلٌ في ﴿مَا يَشَاءُونَ﴾ كما أَنَّ «ما لا عين رأت»[٨٥٦] داخِلٌ في ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[٨٥٧] وإذا تحَقَّقْتَ أَنَّ النَّفْسَ قد أُعْطِيَتْ في الدنيا أن تجعلَ الحَقَّ لها سَمْعًا وبَصَرًا؛ فقد شَهِد كُلُّ شيءٍ وأَمْكَنَ بلا شَكٍّ.

٦٠١ فَنَاهِيكَ جَمْعًا لَا بِفَرْقِ مِسَاحَتَيْ مَكَانٍ مَقِيسٍ أَوْ زَمَانٍ مُوَقَّتِ

ناهيك، أي: هو نهاية ما ينتهي إليه الطالب فينهاه عن طلب سواه لغنائه به. والجَمْعُ: ما جَمَعَتْهُ كُلُّ ذَرَّةٍ من التأثير بكلِّ صورةٍ، وبهذا يكون للإنسان مَخْدُومًا من الأكوان؛ لدخوله في باب الإيمان، ويكفيك أنه مُمَكَّنٌ من أن يجعلَ نفسَهُ خَيْرَ البَرِيَّةِ.

---

(٨٥٠) مغدوق: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٨٥١) انظر: ديوان ابن الفارض، بيت رقم ٥٨٧، ص ١٢٥.

(٨٥٢) القصيد: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

(٨٥٣) سورة النازعات، الآية ٤٠.

(٨٥٤) سورة ق، الآية ٣٥.

(٨٥٥) وأضعاعه: ت، ولعل الصواب ما أثبتناه.

(٨٥٦) جزء من حديث: "أعددت لعبادي الصالحين..." سبق تخريجه.

(٨٥٧) سورة ق، الآية ٣٥.

٦٠٢ بِذَاكَ عَلَا الطُّوفَانَ نُـوْحٌ وَقَـدْ نَجَـا ... بِـــهِ مِـــنْ قَوْمِـــهِ فِي الـــسَّفِينَةِ

بذاك، أي: بالجمع المذكور، ولقد قال لي من أثق إلى قوله: كنتُ إذا أخذني الحالُ أجد قوةَ كُلِّ عضوٍ من أعضائي تنجذب إلى قلبي؛ فإذا انْجَمَعَ الكُلُّ كُشِفَ لي، وكان صَبِيًّا لا يَعْرِفُ شيئًا من هذه الأقوال، بل[٨٥٨] بحيث يظن أن الناسَ كلَّهم كذلك؛ فلم يكن له عند نفسه ما يميزه عن غيره. وقوله: به، أي: نجا بسببه وأتباعِهِ، أو يشير بقوله: به، إلى الجَمْعِ الذي هو صفةُ نُوحٍ، وإن لم يكن وَصْفًا لمن معه، بل بطريق جمعه هو كانت نجاةُ من نجا معه.

٦٠٣ وَغَاضَ لَهُ مَا فَـاضَ عَنْـهُ اسْـتِجَابَةً ... وَجَـدَّ إِلَى الجُـوْدِي بِهَـا وَاسْـتَقَرَّتِ

غَاضَ: نَقَصَ. وفاض: سَالَ مُنْصَبًّا. عنه: عن دعائه. اسْتِجَابَةً: إذ دعا. وجَدَّ: سار فقطع الجَادَّ. والجُودِيُّ: جبلٌ بأرض الجزيرة من ديارِ بَكْرٍ، وهذه الأبيات إلى قوله:

وما منهم ... ...[٨٥٩]

راجع إلى هذه الجملة الموصوفة بالجمع الذي أصلُهُ تَرْكُ الهوىٰ، فلما قَدَّمَ ذِكْرَ نُوحٍ إذ علا على الماء ذكر مَنْ علا على الهوىٰ بِبِسَاطِهِ، وعلى الأرض بجليسه مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ، ثم مَنْ علا[٨٦٠] على النار؛ فهذا سبب ترتيبهم في البلاء.

---

(٨٥٨) كلمة (بل) قَلِقة، ولا مكان لها في السياق.

(٨٥٩) انظر: ديوان ابن الفارض، بيت رقم ٦١٦، ص ١٢٨.

(٨٦٠) على: ت، وما أثبتناه يتوافق مع السياق.

٦٠٤ وَسَارَ وَمَتْنُ الرِّيحِ تَحْتَ بِسَاطِهِ سُلَيْمَانُ بِالْجَيْشَيْنِ فَوْقَ الْبَسِيطَةِ

المَتْنان: مُكْتَنَفَا الصُّلْبِ من العَصَبِ واللَّحْمِ، ويُستعمل في الظَّهْرِ، وهو المراد هاهنا.

٦٠٥ وَقَبْلَ ارْتِدَادِ الطَّرْفِ أُحْضِرَ مِنْ سَبَا لَـهُ عَـرْشُ بَلْقِيسٍ بِغَيْرِ مَشَقَّةِ

٦٠٦ وَأَخْمَدَ إِبْرَاهِيمُ نَارَ عَدُوِّهِ وَعَنْ نُورِهِ عَادَتْ لَهُ رَوْضَ جَنَّةِ(٨٦١)

٦٠٧ وَلَمَّا دَعَا الأَطْيَارَ مِنْ كُلِّ شَاهِقٍ وَقَدْ ذُبِحَتْ جَاءَتْهُ غَيْرَ عَصِيَّةِ

قيل: كان الطيرُ طاوُسًا ونَسْرًا وغُرَابًا ودِيكًا.

٦٠٨ وَمِنْ يَدِهِ مُوسَى عَصَاهُ [٢٨ظ] تَلَقَّفَتْ مِنَ السِّحْرِ أَهْوَالاً عَلَى النَّفْسِ شَقَّتِ

السحر لا يَقْلِب الصور بل يقلب النظر، كما يرى النائم بحرًا فيكون سلطانًا، أعني تأويله؛ ولهذا قال: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾(٨٦٢) فخيل إليه.

٦٠٩ وَمِنْ حَجَرٍ أَجْرَى عُيُونًا بِضَرْبَةٍ بِهَا دِيَمًا شَقَّتْ وَلِلْبَحْرِ شَقَّتِ(٨٦٣)

٦١٠ وَيُوسُفُ إِذْ أَلْقَى الْبَشِيرُ قَمِيصَهُ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبٍ عَلَيْهِ بِأَوْبَةِ

عند أوبة يعقوب على يوسف.

---

(٨٦١) ب ٦٠٦ - جَنَّةِ: جـ] جَنَّتِ: ت.

(٨٦٢) سورة الأعراف، الآية ١١٦.

(٨٦٣) ب ٦٠٩ - شَقَّتْ: ت] سَقَّتِ: جـ.

٦١١ رَآهُ بِعَيْنٍ قَبْلَ مَقْدَمِهِ بَكَى ... عَلَيْهِ بِهَا شَوْقًا إِلَيْهِ فَكُفَّتِ(٨٦٤)

رَدُّ البصر بالقميصِ على بُعْدٍ أبلغُ من رَدِّه بالمَسْحِ من المسيح على قُرْب.

٦١٢ وَفِي آلِ إِسْرَائِيلَ مَائِدَةٌ مِنَ الـ(م) ... ـسَّمَاءِ لِعِيسَى أُنْزِلَتْ ثُمَّ مُدَّتِ

٦١٣ وَمِنْ أَكْمَهٍ أَبْرَا وَمِنْ وَضَحٍ عَدَا ... شَفَى وَأَعَادَ الطِّينَ طَيْرًا بِنَفْخَةِ(٨٦٥)

الأَكْمَه: الذي ولد أعمى. وعدا: من العدوان.

٦١٤ وَسِرُّ انْفِعَالاَتِ الظَّوَاهِرِ بَاطِنًا ... عَنِ الإِذْنِ مَا أَلْقَتْ بِأُذْنِكَ صِيغَتِي(٨٦٦)

صفته من كلامي، وهو الجمع المذكور؛ لأنه هو سِرُّ انفعالات الظواهر التي كانت عن الإذن باطنًا، ومن انفعل له باطنه انفعلت له الظواهر واطَّلَعَ على ما في البواطن. والإِذْنُ: الإطلاق في شيء ما.

٦١٥ وَجَاءَ بِأَسْرَارِ الجَمِيعِ مُفِيضُهَا ... عَلَيْنَا لَهُمْ خَتْمًا عَلَى حِينِ فَتْرَةِ(٨٦٧)

الجميع: الأنبياء. ختمًا(٨٦٨): خاتمًا للأنبياء.

---

(٨٦٤) ب ٦١١- بَكَى: جـ] بك: ت.

(٨٦٥) ب ٦١٣- شَفَى: جـ] شِف: ت.

(٨٦٦) ب ٦١٤- صِيغَتِي: جـ] صيغتِ: ت.

(٨٦٧) ب ٦١٥- خَتْمًا: جـ] حتما: ت.

(٨٦٨) حتما: ت.

٦١٦ وَمَا مِنْهُمْ إِلاَّ وَقَدْ كَانَ دَاعِيًا ... بِهِ قَوْمَهُ لِلْحَقِّ عَنْ تَبَعِيَّةِ[٨٦٩]

به لمحمد - صلى الله عليه وسلم -. للحق: إلى الحق. والتَّبعِيَّة: أَمْرُ كُلِّ نبي باتِّبَاعِهِ.

٦١٧ فَعَالِمُنَا مِنْهُمْ نَبِيٌّ وَمَنْ دَعَا ... إِلَى الْحَقِّ مِنَّا قَامَ بِالرُّسُلِيَّةِ

منهم أي: هو من جملة الأنبياء المذكورين[٨٧٠]؛ فهو نبي، ومنه قوله عليه السلام: «عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٨٧١].

٦١٨ وَعَارِفُنَا فِي وَقْتِنَا الأَحْمَدِيُّ مِنْ ... أُولِي الْعَزْمِ مِنْهُمْ آخِذٌ بِالْعَزِيمَةِ

تقديره: والآخذ بالعزيمة منا هو من أولي العزم.

٦١٩ وَمَا كَانَ مِنْهُمْ مُعْجِزًا صَارَ بَعْدَهُ ... كَرَامَةَ صِدِّيقٍ لَهُ أَوْ خَلِيفَةِ

تقديره: أو خليفة له.

٦٢٠ بِعِتْرَتِهِ اسْتَغْنَتْ عَنِ الرُّسْلِ الْوَرَى ... وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ الأَئِمَّةِ
٦٢١ كَرَامَاتُهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا خَصَّهُمْ بِهِ ... بِمَا خَصَّهُمْ مِنْ إِرْثِ كُلِّ فَضِيلَةِ[٨٧٢]
٦٢٢ فَمِنْ نُصْرَةِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ بَعْدَهُ ... قِتَالُ أَبِي بَكْرٍ لآلِ حَنِيفَةِ[٨٧٣]

---

(٨٦٩) ب ٦١٦ - تَبَعِيَّةِ: ت] تَبَعِيَّتِي: جـ.

(٨٧٠) المذكور: ت.

(٨٧١) قول متداول بين الصوفية كحديث، إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٨٧٢) ب ٦٢١ - بَعْدِ: ت] بَعْضٍ: جـ؛ خَصَّهُمْ: ت] حَصَّهُمْ: جـ.

(٨٧٣) ب ٦٢٢ - نُصْرَةِ: جـ] نصر: ت.

الحنيف: الميل إلى العدل عن الجور، والحَيْفُ[٨٧٤]: ضده.

٦٢٣ وَسَارِيَةٍ أَلْجَاهُ لِلْجَبَلِ النِّدَا ءُ مِنْ عُمَرٍ وَالدَّارُ غَيْرُ قَرِيبَةِ[٨٧٥]

٦٢٤ وَلَمْ يَشْتَغِلْ عُثْمَانُ عَنْ وِرْدِهِ وَقَدْ أَدَارَ عَلَيْهِ القَوْمُ كَأْسَ المَنِيَّةِ[٨٧٦]

٦٢٥ وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكِلاً عَلِيٌّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالوَصِيَّةِ

وصية النبي – عليه السلام – بقوله: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه»[٨٧٧] وغير ذلك.

٦٢٦ وَسَائِرُهُمْ مِثْلُ النُّجُومِ مَنِ اقْتَدَى بِأَيِّهِمِ مِنْهُ اهْتَدَى بِالنَّصِيحَةِ

٦٢٧ وَلِلْأَوْلِيَاءِ المُؤْمِنِينَ بِهِ وَلَمْ يَرَوْهُ اجْتِبَا قُرْبٍ لِقُرْبِ الأُخُوَّةِ[٨٧٨]

مبني على قوله – صلى الله عليه وسلم –: «وَا شَوْقَاهُ إِلَى إِخْوَانِي».

٦٢٨ وَقُرْبُهُمُ مَعْنًى لَهُ كَاشْتِيَاقِهِ لَهُمْ صُورَةً فَاعْجَبْ لِحَضْرَةِ غَيْبَةِ

له بمعنى إليه. ولهم: إليهم، والمعنى أنهم بالمعنى قربهم إليه وبالصورة شوقه إليهم؛ فهم حاضرون بالمعنى غائبون بالصورة.

٦٢٩ وَأَهْلُ تَلَقِّي الرُّوحِ بِاسْمِي دَعَوْا إِلَى سَبِيلِي وَحَجُّوا المُلْحِدِينَ بِحُجَّتِي[٨٧٩]

---

(٨٧٤) الحيف: ت.

(٨٧٥) ب ٦٢٣ – وَسَارِيَةٍ: ت] وَسَارِيَةٌ: جـ.

(٨٧٦) ب ٦٢٤ – كَأْسَ: جـ] كأسُ: ت.

(٨٧٧) هذا الحديث ورد في سنن الترمذي ٣٧١٣؛ وهناك روايات أخرى مختلفة.

(٨٧٨) ب ٦٢٧ – الأُخُوَّةِ: جـ] الأخوَتِ: ت.

(٨٧٩) ب ٦٢٩ – وَحَجُّوا: جـ] وحجو: ت.

وأهل تلقي الروح هم الأنبياء والمرسلون. والروح: جبريل. وحَجُّوا: من المُحاجة. وقوله: سبيلي: السبل كلها للإنسان والأسماء كلها له، وهذا مفهوم من قوله: «هِيَ النَّفْسُ إِنْ أَلْقَتْ هَوَاهَا ...»، ومن شرحه وقد تقدم.

٦٣٠ وَكُلُّهُمُ عَنْ سَبْقِ مَعْنَايَ دَائِرٌ بِدَائِرَتِي أَوْ وَارِدٌ مِنْ شَرِيعَتِي

إذ كان لكل مصنوع مادة وصورة وفاعل وغاية؛ فالغاية سابقة للفعل بالمعنى والفعل سابقها بالصورة بَعْدُ يظهر في الزمان. والمعنى قَبْلُ لأجله يقع الفعل، وإلى هذا المعنى أشار بقوله «مَعْنَايَ» فلأَجل معنوية الإنسان الكامل كان كل ما دونه وكل ذي دورة من دورات الفلك- سواء تقدمت أو تأخرت- فهو داخل في دائرة الكامل، وإن شئت قلت وارد من شريعة، كدخول من تقدم أو تأخر عن زمن محمد- صلى الله عليه وسلم- وورودهم من شريعته من قَبْلُ ومن بَعْدُ.

٦٣١ وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ آدَمَ صُورَةً فَلِي فِيهِ مَعْنًى شَاهِدٌ بِأُبُوَّتِي[٨٨٠]

أي: بأبوتي لآدم، وهو من معنى قوله من قبل «وَقُرْبُهُمُ مَعْنًى لَهُ كَاشْتِيَاقِهِ * لَهُمْ صُورَةً ...»، فالأب عبارة عن ما يولد والإنسان قد أعطى أن يعطي نفسه كمالها فكماله فيه بالقوة، فإذا صار منه بالفعل كما كان من مُوجِده سبحانه بالقوة فقد صار بالنفخة بالمعنى، وإن كان كاملاً فقد صار بالمعنى أبا، وبالصورة ابنا لمن تقدم عليه أو تأخر عنه، ولما كان ولد الطين يرث المال وولد الدين يرث العلم، وأبوك من أنفق

---

(٨٨٠) ب ٦٣١- بِأُبُوَّتِي: جـ] بأُبُوَّة: ت.

عليك فإن أنفقت عليه فأنت أبوه فأنا [٢٩و] الابن من جهة الدين، ويكون معنى قوله: «فلي فيه» يعود على ابن آدم بالصورة لا على آدم فافهم، والذي أراه أن معنى هذا مأخوذ مما قيل: إن آدم قال ليلة المعراج لمحمد- عليهما السلام-: «يا ولدَ صورتي ويا والدَ معناي»؛ لأن الإنسان بمعناه، وجزء[٨٨١] الإنسانية كالولد لكلها بمن حاز الكل كان حقيقًا بالأُبوّةِ، وشهد الجزء[٨٨٢] المعنوي له بها يقينًا.

٦٣٢ وَنَفْسِيَ عَنْ حَجْرِ التَّحَلِّي بِرُشْدِهَا ... تَخَلَّتْ وَفِي حِجْرِ التَّجَلِّي تَرَبَّتِ[٨٨٣]

والحَجْرُ أصله أن يجعل حول المكان حجارة تمنع من الدخول فيه، وَسُمِّيَ ما أحيط بالحجارة حِجرًا بالكسر.

والمعنى: أن الذي تربى في حجر التجلي كان التجلى أُمًّا له مَحَلاً عن التحلي بالرشد، فالتحلي بالرشد حِجر يلزم تقدم أن لا رشد.

٦٣٣ وَفِي المَهْدِ حِزْبِي الأَنْبِيَاءُ وَفِي عَنَاصِرِي لَوْحِيَ المَحْفُوظُ وَالفَتْحُ سُورَتِي

٦٣٤ وَقَبْلَ فِصَالِي دُونَ تَكْلِيفِ ظَاهِرِي ... خَتَمْتُ بِشَرْعِي المُوضِحِي كُلَّ شِرْعَةِ[٨٨٤]

فصالي: فطامي. دون: قُبَيْل.

(٨٨١) وجزؤ: ت.

(٨٨٢) الجزؤ: ت.

(٨٨٣) ب ٦٣٢- عَنْ حَجْرِ التَّحَلِّي: جـ] عَنْ حِجْرِ التجلي: ت.

(٨٨٤) ب ٦٣٤- شِرْعَةِ: جـ] شرعتي: ت.

المعنى: لما كانت النفس لها مظاهرها تارة على مقامه، وتارة على مقام من دونه، وتارة على مقام من فوقه، كَأَنَّ النفس قائلة؛ فكلامها هاهنا هو باللسان المحمدي، وفي كثير من أبيات هذه القصيدة يتكلم بها اللسان، وإذا كان المراد من جملة هذه القصيدة هو تعريف النفس، فتعريفها بمظهرها ونطقها عنها بألسنتهم أولى من تعريفها لما يفرض عليها فرضًا(٨٨٥) أو يخبر عنها به على حكم الدعوى؛ ولهذا جاء القرآن بقصص الأنبياء وأممهم تعريفًا لمن يؤمن بمن آمن ولمن يكفر بمن كفر، وضرب الكل مثلاً للآتين بالماضيين، فافهم هذا الفصل فإنه الأصل.

٦٣٥ وَهُمْ وَالأُلَى قَالُوا بِقَوْلِهِمِ عَلَى ... صِرَاطِيَ لَمْ يَعْدُوا مَوَاطِئَ مِشْيَتِي(٨٨٦)

٦٣٦ فَيُمْنُ الدُّعَاةِ السَّابِقِينَ إِلَيَّ فِي ... يَمِينِي وَيُسْرُ اللاَّحِقِينَ بِيُسْرَةِ(٨٨٧)

تقديره: يُمْنُ الدعاة إليَّ.

٦٣٧ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الأَمْرَ عَنِّيَ خَارِجًا ... فَمَا سَادَ إِلاَّ دَاخِلٌ فِي عُبُودَتِي

٦٣٨ وَلَوْلاَيَ لَمْ يُوجَدْ وُجُودٌ وَلَمْ يَكُنْ ... شُهُودٌ وَلَمْ يُعْقَدْ عُهُودٌ بِذِمَّتِي(٨٨٨)

كل هذا باللسان المحمدي. والذِّمَّةُ: ما يُذَمُّ من أضاعها؛ وإذ قد علمت أن الإنسان خليفةُ الرحمن فله كل ما يكون، وهذا القول [لـ]ـمن بلغ هذا العرفان؛ فقال عن نفسه بهذا اللسان:

[مجزوء الرمل]

(٨٨٥) عنها فرض: ت.

(٨٨٦) ب ٦٣٥ - وهُمْ: ت] فَهُمْ: جـ؛ وَالأُلَى: جـ] والأولى: ت.

(٨٨٧) ب ٦٣٦ - بِيُسْرَةِ: ت] بِيَسْرَتِي: جـ.

(٨٨٨) ب ٦٣٨ - يُعْقَدْ: ت] تُعْهَدْ: جـ؛ بِذِمَّتِي: ت] بِذِمَّةِ: جـ.

لَـيْسَ فِي الـدَّارَيْنِ غَـيْرِي   وَأَنَـا وَحْـدِي الوُجُـودُ
وَاسْـأَلِ الْكَـوْنَيْنِ عَنِّـي   فَالْبَرَايَـا لِيْ شُـهُودُ
قُـلْ مَـنْ اسْـتَخْلَفَ هَـذَا   وَلِمَـنْ كَـانَ الـسُّجُودُ
يَـشْهَدُ الكُـلُّ لِمَـوْلًى   وَلَـهُ الكُـلُّ عَبِيْـدُ

وإذ قد صح ذلك:

٦٣٩ فَـلاَ حَـيَّ إِلاَّ عَـنْ حَيَـاتِي حَيَاتُـهُ   وَطَوْعُ مُرَادِي كُلُّ نَفْسٍ مُرِيدَةِ(٨٨٩)
٦٤٠ وَلاَ قَائِـلٌ إِلاَّ بِلَفْظِـي مُحَـدِّثٌ   وَلاَ نَـاظِرٌ إِلاَّ بِنَـاظِرِ مُقْلَتِـي
٦٤١ وَلاَ مُنْـصِتٌ إِلاَّ بِـسَمْعِيَ سَـامِعٌ   وَلاَ بَـاطِشٌ إِلاَّ بَـأَزْلِي وَشِـدَّتِي(٨٩٠)

الأَزْل: القوة. والشدة: من شدة البأس.

٦٤٢ وَلاَ نَـاطِقٌ غَـيْرِي وَلاَ نَـاظِرٌ وَلاَ   سَمِيعٌ سِوَايَ مِنْ جَمِيعِ الخَلِيقَـةِ(٨٩١)

هذا كله لسان النفس عنها، ويريد سمع الفهم وبصر البصيرة، ثم بَيَّنَ بعد ذلك تعريف النفس بمظاهرها سواء كان المظهر إنسانًا أو سواه، فهو يقول بلسان النفس؛ ولهذا يظهرها حتى لا تكاد تخفى فيخفيها حتى لا تكاد تظهر، وهو معنى:

٦٤٣ وَفِي عَـالَمِ التَّرْكِيـبِ فِي كُـلِّ صُـورَةٍ   ظَهَرْتُ بِمَعْنًى عَنْهُ بِالحُسْنِ زِينَتِ(٨٩٢)

---

(٨٨٩) ب ٦٣٩- مُرِيدَةِ: جـ] مُريدتِ: ت.
(٨٩٠) ب ٦٤١- وَشِدَّتِي: جـ] وشدَّتِ: ت.
(٨٩١) ب ٦٤٢- سِوَايَ: ت] سِوَائِي: جـ.
(٨٩٢) ب ٦٤٣- بِالحُسْنِ: ت] بِالحِسِّ: جـ؛ زِينَتِ: جـ] زينةِ: ت.

أي: عن ذلك المعنىٰ زِيْنَت(٨٩٣) الصورةُ بالحسن، والحسن هو الاعتدال، والاعتدال هو أن يكون صورة الشيء معادلة لمعناه من غير ميل، ومعناه هو ما لأجله ظهرت الصورة علىٰ ما هي عليه، وهذا يعم كل مخلوق، وهو معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(٨٩٤)، وظهور النفس بالكل درجة إلىٰ ظهور صانعها بها وبالكل، فلو لم يظهر الكل لها لم تظهر لنفسها بنفسها، ولو لم يظهر لها بنفسها وبالكل في الدنيا لم يظهر لها به في الدنيا ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٨٩٥)، وظهرت النفس بمعنىٰ في عالم التركيب عن ذلك المعنىٰ زينت الصورة التي هو مظهرها وظهور الصانع بالصنعة هو وَرَاء الحسن، وهو المعنىٰ المذكور في هذا البيت.

وإذ قد فهمت ظهور الحسن بالصور من التعينات للأبصار فمثله ظهوره بالمعاني الملحوظة للبصائر، وهذا معنىٰ البيت الثاني، وكل هذا من الكشف الصوري ومن باب الجمال، وما بعده المذكور هاهنا من شهود من باب الجلال، والجميع مظاهر النفس المخلوقة علىٰ صورة الرحمن، فهي الظاهر لها بها وهي المظهرة لصانعها بنفس إظهارها لها، هو أن تكون من فعلها علىٰ صورة صانعها كما أنها من فعله علىٰ صورته، وإلىٰ فعلها بها هُديت بألسنة الرب.

---

(٨٩٣) زينة: ت.

(٨٩٤) سورة السجدة، الآية ٧.

(٨٩٥) سورة الإسراء، الآية ٧٢.

٦٤٤ وَفِي كُـلِّ مَعْنًـى لَمْ تُبِنْـهُ مَظَـاهِرِي تَـصَوَّرْتُ لاَ فِي هَيْئَـةٍ هَيْكَلِيَّـةِ

٦٤٥ وَفِـيمَا تَـرَاهُ الـرُّوحُ كَـشْفَ فِرَاسَـةٍ خَفِيتُ عَنِ المَعْنَـى المُعَنَّى بِدِقَّـةِ[٨٩٦]

سُمِّيَتْ فِرَاسَةً تمثيلاً بافتراس الأسد لسرعة لحوظه بقوة، فلم يفلتـه القلـب لفـرط تحققه فيه، وبقية البيت هو كالمعنى [٢٩ظ] الذي نَظَمه من قبل بقوله: «... دَقَّ عَـنْ إِدْرَاكِ عَيْنِ بَصِيرَتِي»[٨٩٧] فلا يشهد إلا به.

٦٤٦ وَفِي رَحَمُـوتِ البَـسْطِ كُـلِّيَ رَغْبَـةٌ بِهَا انْبَـسَطَتْ آمَـالُ أَهْـلِ بَسِيطَتِي

قوله: رغبة: شهود الجمال. والبَسيطة: الأرض.

٦٤٧ وَفِي رَهَبُـوتِ القَـبْضِ كُـلِّيَ هَيْبَـةٌ فَفِيمَا أَجَلْتُ العَيْنَ مِنِّـي أَجَلَّـتِ[٨٩٨]

رهبوت القبض يريد: المبالغة في الرهبة. وقوله: كلي هيبة: شهود جـلال. وأَجَلَّـتْ بمعنى: أَجَلَّتْ الهيبةُ عَيْني.

٦٤٨ وَفِي الجَمْـعِ بِالوَصْـفَيْنِ كُـلِّيَ قُرْبَـةٌ فَحَيَّ عَلَى قُرْبَى خِـلاَلِي الجَمِيلَـةِ[٨٩٩]

الجمع بالوصفين: شهود الكمال. وقربى: تأنيث أقرب.

٦٤٩ وَفِي مُنْتَهَـى «فِي» لَمْ أَزَلْ لِيَ وَاحِـدًا جَلاَلَ شُهُودِي عَنْ كَمَالِ سَجِيَّتِي[٩٠٠]

(٨٩٦) ب ٦٤٥ - المُعَنَّى: جـ] المغني: ت.
(٨٩٧) بصيرت: ت.
(٨٩٨) ب ٦٤٧ - هَيْبَةٌ: ت] رَهْبَةٌ: جـ.
(٨٩٩) ب ٦٤٨ - خِلاَلِي: جـ] جلالي: ت.
(٩٠٠) ب ٦٤٩ - وَاحِدًا: ت] وَاحِدًا: جـ.

لما قدم قوله، وفي عالم التركيب، وفي كل معنىً، وفيما تراه الروح قال ما في معناه: لو قلت من مثل ذلك حتى انتهي يمكن أن يعبر عنه بمثل ما عبرته بلفظة في «... لَمْ أَزَلْ لِي وَاحِدًا» لأني محصور في ظل كوني، وإن شاهدت الكمال فهو عن كمال سجيتي، فأنا لا أرى غيري، وفي هذا المقام زَلَّ كثير من الأقدام، ومثل هذا البيت قال:

٦٥٠ وَفِي حَيْثُ لاَ «فِي» لَمْ أَزَلْ فِيَّ شَاهِدًا ... جَمَالَ وُجُودِي لاَ بِنَاظِرِ مُقْلَتِي

إذا انتفى المكان الصوري والمعنوي لم أشاهد سوى جمال وجودي، وهاهنا غلط من قال: إن النفس هي الله، بل بمعرفتها عُرِفَ اللهُ سُبْحَانَهُ، ولو عرف العارف كل العبارات لم يعبر إلا عن نفسه، ومع ذلك بكلام كل لسان دون ما يجد، ولهذا قال صاحب الحال: [الطويل]

وَمَا النُّطْقُ إِلاَّ جُزْءُ عِلْمٍ مُخَصَّصٍ ... بِمُضْغَةِ لَحْمٍ أَوْ بِإِيمَاءِ خَاطِرِ
وَفَوْقَ نِطَاقِ النُّطْقِ لِلْقَوْمِ مَسْرَحٌ ... بِهِ كُلُّ صَبَّارٍ عَلَى كُلِّ ضَامِرِ

وَمَا رأيتُ من رأى هذا جَيِّدًا إلا النِّفَّرِيّ[٩٠١]- رحمه الله- فميز بجهده.

٦٥١ فَإِنْ كُنْتَ مِنِّي فَانْحُ جَمْعِيَ وَامْحُ فَرْ ... قَ صَدْعِي وَلاَ تَجْنَحْ لِجُنْحِ الطَّبِيعَةِ

فانح: فاقْصِدْ. وصَدْعِي، أي: الذي صَدَعْتَ به. وتَجْنَحْ: تَمِلْ. وجُنْحُ: قِطْعُ اللَّيلِ.

---

(٩٠١) وهو: محمد بن عبد الجبار بن الحسن النفري، كان من كبار الصوفية، وولد ببلدة نِفَّر في العراق وإليها ينسب. اختلف الباحثون في شأنه كثيرًا، لا نعرف بالضبط تاريخ مولده، كما اختلفوا حول تاريخ وفاته بين ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م و ٣٦٦هـ/ ٩٧٦ أو ٩٧٧م، وأشهر مؤلفاته: "*كتاب المواقف*" و"*كتاب المخاطبات*"، وبعض النصوص المتفرقة في المحبة. انظر: ابن حجر العسقلاني، *تبصير المنتبه بتحرير المشتبه*، ص١٤٤٢؛ الشعراني، *الطبقات الكبرى*، جـ١، ص٣٥٩، ترجمة رقم ٢٩٠.

٦٥٢ فَدُونَكَهَا آيَـاتِ إِلْـهَامِ حِكْمَتِـي ... لِإِلْهَامِ حَدْسِ الحِسِّ عَنْكَ مُزِيلَةِ(٩٠٢)

٦٥٣ وَمِنْ قَائِلٍ بِالنَّسْخِ وَالمَسْخُ وَاقِـعٌ ... بِـهِ ابْـرَأْ وَكُـنْ عَـمَّا يَـرَاهُ بِعُزْلَـةِ

النَّسْخُ: انتقال النفس إلى إنسان آخر. والمَسْخُ: إلى حيوان، والنسخ إلى نبات، والرَّسْخُ إلى حجر يرسخ.

٦٥٤ وَدَعْهُ وَدَعْوَى الفَسْخِ فَالرَّسْخُ لائِقٌ ... بِـهِ أَبَـدًا لَـوْ صَـحَّ فِي كُـلِّ دَوْرَةِ

٦٥٥ وَضَرْبِي لَـكَ الأَمْثَـالَ مِنِّـيَ مِنَّـةٌ ... عَلَيْـكَ بِـشَأْنِي مَـرَّةً بَعْـدَ مَـرَّةِ

المعنى: أن للنفس في كل شيء(٩٠٣) شأنًا، وإنما أضرب لك الأمثال بشأني مِنَّةً عليك، فأنا أريك بشأن النفس ما به يعظم عندك شأن صانعها، فأضربها لك مثلا لتعرفه سبحانه بمعرفتك بها.

٦٥٦ تَأَمَّلْ مَقَامَاتِ السَّرُوجِيِّ وَاعْتَبِرْ ... بِتَلْوِينِـهِ تَحْمَـدْ قَبُـولَ مَشُورَتِي

ضرب مثالاً أولاً للنفس من جهة ظهورها بالكلام ووحدة المُتكلِّم والمُكلَّم والكلام، وأنه وإن كان مَيِّنًا من النفس فهو حق من جهة الحق تعالى، ثم مثالاً آخر يبيِّن به وحدة النفس من جهة الأبصار وأن الرائي والمرئي(٩٠٤) واحد، ثم مثالاً آخر لتوحد النفس من جهة كونها عالمة ومعلِّمة وسامعة ومسموعة وباصرة ومبصورة

(٩٠٢) ب ٦٥٢ - آيَاتِ: جـ] آيَاتُ: ت؛ حِكْمَتِي: ت] حِكْمَةِ: جـ؛ لِإِلْهَامِ: ت] لِأَوْهَامِ: جـ.

(٩٠٣) شيئًا: ت.

(٩٠٤) الراي والمري: ت.

بها منها مع توحد عينها، وحاصل ذلك كله معرفة للنفس المصنوعة، فكلما عظم المصنوع عظم الصانع وبيّن ذلك كله فيما سيأتي من قوله: «وَقَدْ طُبِعَتْ» [البيت ٦٧٠]:

٦٥٧ وَتَدْرِ الْتِبَاسَ النَّفْسِ بِالحِسِّ بَاطِنًا بِمَظْهَرِهَا فِي كُلِّ شَكْلٍ وَصُورَةِ(٩٠٥)

٦٥٨ وَفِي قَوْلِهِ إِنْ مَانَ فَالحَقُّ ضَارِبٌ بِهِ مَثَلاً وَالنَّفْسُ غَيْرُ مُجِدَّةِ(٩٠٦)

أي: بل هَادٍ له(٩٠٧). ومان(٩٠٨): كان كذب.

٦٥٩ فَكُنْ فَطِنًا وَانْظُرْ بِحِسِّكَ مُنْصِفًا لِنَفْسِكَ فِي أَفْعَالِكَ الأَثَرِيَّةِ

٦٦٠ وَشَاهِدْ إِذَا اسْتَجْلَيْتَ نَفْسَكَ مَا تَرَى بِغَيْرِ مِرَاءٍ فِي المَرَايَا الصَّقِيلَةِ(٩٠٩)

٦٦١ أَغَيْرُكَ فِيهَا لاحَ أَمْ أَنْتَ نَاظِرٌ إِلَيْكَ بِهَا عِنْدَ انْعِكَاسِ الأَشِعَّةِ(٩١٠)

٦٦٢ وَأَصْغِ لِرَجْعِ الصَّوْتِ عِنْدَ انْقِطَاعِهِ إِلَيْكَ بِأَكْنَافِ القُصُورِ المَشِيدَةِ(٩١١)

٦٦٣ أَهَلْ كَانَ مَنْ نَاجَاكَ ثَمَّ سِوَاكَ أَمْ سَمِعْتَ خِطَابًا عَنْ صَدَاكَ المُصَوِّتِ

٦٦٤ وَقُلْ لِيَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ عُلُومَهُ وَقَدْ رَكَدَتْ مِنْكَ الحَوَاسُ بِغَفْوَةِ(٩١٢)

٦٦٥ وَمَا كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ نَوْمِكَ مَا جَرَى بِأَمْسِكَ أَوْ مَا سَوْفَ يَجْرِي بِغُدْوَةِ(٩١٣)

---

(٩٠٥) ب ٦٥٧ - وَتَدْرِ الْتِبَاسَ: جـ] وتدري التباسِ: ت.

(٩٠٦) ب ٦٥٨ - مَانَ فَالحَقُّ: جـ] مات بالحق: ت؛ مُجِدَّةِ: جـ] مُجِدَّتِ: ت.

(٩٠٧) هَادَلَة: ت.

(٩٠٨) وما كان: ت.

(٩٠٩) ب ٦٦٠ - المَرَايَا: ت] المِرَاةِ: جـ.

(٩١٠) ب ٦٦١ - أَغَيْرُكَ: جـ] أغيرَكَ: ت.

(٩١١) ب ٦٦٢ - عِنْدَ انْقِطَاعِهِ: ت] بَعْدَ انْقِطَاعِهِ: جـ؛ المَشِيدَةِ: جـ] المشيدتِ: ت.

(٩١٢) ب ٦٦٤ - بِغَفْوَةِ: جـ] بِغَفْوَتِ: ت.

(٩١٣) ب ٦٦٥ - بِغُدْوَةِ: جـ] بغُدْوَتِ: ت.

٦٦٦ فَأَصْبَحْتَ ذَا عِلْمٍ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى وَأَسْرَارِ مَنْ يَأْتِي مُدِلاً بِخِبْرَةِ
٦٦٧ وَتَحْسَبُ مَنْ جَارَاكَ فِي سِنَةِ الكَرَى سِوَاكَ بِأَنْوَاعِ العُلُومِ الجَلِيلَةِ(٩١٤)
٦٦٨ وَمَا هِيَ إِلاَّ النَّفْسُ عِنْدَ اشْتِغَالِهَا بِعَالَمِهَا عَنْ مَظْهَرِ البَشَرِيَّةِ
٦٦٩ تَجَلَّتْ لَهَا بِالغَيْبِ فِي شَكْلِ عَالِمٍ هَدَاهَا إِلَى فَهْمِ المَعَانِي الغَرِيبَةِ

هذا البيت شارح لكل دعوى من فاعلية نسبها الناظم إلى نفسه؛ إذ تكلم بلسان الكامل حتى ذهب كل مذهب، فَظَنَّ به من لا يعلم ظنًّا كاذبًا من جهة أنه يظن، يعتقد أن [٣٠و] النفس هي الصانع جل جلاله. فالناظم أبطل هذا الظن من الظانين به ظن السوءَ وأظهر الحقَّ وعلمهم علمًا بالغًا نافعًا وهداهم سلوك سبيل منجية بقوله:

٦٧٠ وَقَدْ طُبِعَتْ فِيهَا العُلُومُ وَأُعْلِمَتْ بِأَسْمَائِهَا قِدْمًا بِوَحْيِ الأُبُوَّةِ(٩١٥)

الوحي: إلقاء العلم سرعة لا في زمن، والنفس قد طُبِعَ فيها كما يُنقش بالطابع كُلُّ ما تحتاج إليه، فهي غنية بها، ولكن غناها بها هو من جهة غيرها سبحانه، فَبِغِنَاها بها رأت غناه به وبفقرها إليه رأت غناه عنها، ولما أراها غناها بها غناه به عادت ناطقة عنها بلسانه وعنه بلسانها نطقًا واحدًا حقًّا تحققه منه كما تحققه منها، فاشتبه اللسان إلا عليها فلم يكن خطابها إلا لها، فهي تقول لها نطقت بكشفها الأسرار نادت ونداؤها لها: يَا حَادِ، لم تُبْدِ سواي، والذي تنظره بالأعين والقلوب لي آثار، ولا شك

(٩١٤) ب ٦٦٧ – وَتَحْسَبُ: ت] أَتَحْسَبُ: جـ.
(٩١٥) ب ٦٧٠ – الأُبُوَّة: جـ] الأَبَوْتِ: ت.

أن آثار القدرة مظاهرُ لها، وإذا ظهرت القدرة بالمقدور فظهور القادر بالقادر أظهر، والنفس أثر مقدور لقادر على قادر على أثر؛ ومن حيث إن الناظم صرح عنها بقوله: «وَقَدْ طُبِعَتْ فِيهَا العُلُومُ ...» [البيت ٦٧٠] لزم ما قلنا عنه من أنه حقق عبوديتها وإن كان لها منها كل علم.

٦٧١ وَبِالعِلْمِ مِنْ فَرْقِ السِّوَى مَا تَنَعَّمَتْ ... وَلَكِنْ بِـمَا أَمْلَتْ عَلَيْهَا تَمَلَّتِ[916]

تَمَلَّتْ، أي: امتلأت ملتذةً، ولم تتنعم بعلم أخذته عن سواها من جهة فرق بل هي أَمْلَتْ وبذلك تَمَلَّت.

٦٧٢ وَلَوْ أَنَّهَا قَبْلَ المَنَامِ تَجَرَّدَتْ ... لَشَاهَدْتَهَا مِثْلِي بِعَيْنٍ صَحِيحَةِ

نبَّه في هذا البيت أن النفس إذا تَجَرَّدت في اليقظة عن الحِسِّ وقطعت العلائق الجسيمة بحيث تكون كما تكون في النوم، كان إدراكها أشَدَّ وسبيل هذا التجرد هو الإعراض والثبات فيه مدةً عن الحس، بحيث يبقى ملكةً لا يحتاج إلى جهاد؛ أعني رفض الحس، وهذا هو معنى جمعها على ذاتها واتحادها، فإنها مفرقة بالكون حسًّا وعقلاً، فإذا انصرفت عنه تصرفت فيها بما كانت تتصرف به فيه فلم تنقسم، والانقسام يفضي إلى الانعدام، ولهذا قال النِّفَّرِيّ- رحمه الله-: «رأس الأمور حفظ حالك التي لا تقسمك»[917].

(٩١٦) ب ٦٧١ - تَنَعَّمَتْ: جـ] تنعمتُ: ت؛ أَمْلَتْ عَلَيْهَا: جـ] أَمْلَتْ عَلَيَّ: ت.

(٩١٧) العبارة الأصلية للنِّفَّرِيّ تقول: "رأس المعرفة حفظ حالك التي لا تقسمك". عبد الجبار النفري، *المواقف والمخاطبات*، تحقيق: آرثر يوحنا أربري، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٣٥، الموقف التاسع "موقف الأدب"، ص١٧.

٦٧٣ وَتَجْرِيـدُهَا العَـادِيُّ أَثْبَـتَ أَوَّلاً تَجَرُّدَهَـا الثَّـانِي الْمُعَـادِي فَأُثْبِـتِ[٩١٨]

المعنى: إِذَا تَجَرَّدَتْ بالنوم فَأَدْرَكَتْ الغَيْبَ، ثبت أنها إذا تَجَرَّدَتْ بِالْمَوْتِ كان إدراكها أشدَّ.

٦٧٤ فَـلاَ تَـكُ مِـمَّنْ طَيَّشَتْهُ دُرُوسُـهُ بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلَهُ وَاسْتَقَرَّتِ[٩١٩]

٦٧٥ فَـثَمَّ وَرَاءَ النَّقْـلِ عِلْـمٌ يَـدِقُّ عَـنْ مَـدَارِكِ غَايَـاتِ العُقُـولِ السَّلِيمَةِ

٦٧٦ تَلَقَّيْتُـهُ مِنِّـي وَعَنِّـي أَخَذْتُـهُ وَنَفْسِيَ كَانَتْ مِنْ عَطَائِي مُمِدَّتِي[٩٢٠]

إليه أشار النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «إِنَّ مِـنَ العِلْـمِ كَهِيئَـةِ المَكْنُـونِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ العُلَمَاءُ بِالله، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يَنْكِرْهُ إِلاَّ أَهْلُ الغِرَّةِ بِالله»[٩٢١].

٦٧٧ وَلاَ تَكُ بِـاللاَّهِي عَـنِ اللَّهْـوِ جُمْلَـةً فَهَزْلُ الْمَلاَهِي جِـدُّ نَفْسٍ مُجِـدَّةِ[٩٢٢]

هذا مفهوم من قوله قبل، وَفِي قَوْلِهِ: إِنْ مَانَ فَالْحَقُّ ضَارِبٌ بِهِ مَثَلاً [البيت ٦٥٨]، ومُجِدَّةِ: طلبت الجد في سيرها. ويقال: لَهِيتُ بالكسر عن الشيء لهيًا إذا سلوت عنه، ولَـهَوْتُ بالشَّيْءِ: اشْتَغَلْتُ به عن غيره، ويقال اِلْهُ عنه، أي: اتركه.

---

(٩١٨) ب ٦٧٣ - العَادِيُّ: جـ] العَادِيِّ: ت؛ الْمُعَادِي: ت] الْمَعَادِيَّ: جـ.
(٩١٩) ب ٦٧٤ - فَلاَ: ت] وَلاَ: جـ؛ وَاسْتَقَرَّتِ: ت] وَاسْتَفَزَّتِ: جـ.
(٩٢٠) ب ٦٧٦ - عَطَائي: ت] عَضَيَ: جـ؛ مُمِدَّتِي: جـ] مُمَدَّتِي: ت.
(٩٢١) ضعيف الترغيب ٧٠؛ الترغيب والترهيب ١/ ٨٣؛ تلبيس الجهمية ٨/ ٣٢٧.
(٩٢٢) ب ٦٧٧ - مُجِدَّةِ: جـ] مُجِدَّتِ: ت.

٦٧٨ وَإِيَّاكَ وَالإِعْرَاضَ عَنْ كُلِّ صُورَةٍ مُمَوَّهَةٍ أَوْ حَالَةٍ مُسْتَحِيلَةٍ(٩٢٣)

يُعرف الشيء بضده.

٦٧٩ فَطَيْفُ خَيَالِ الظِّلِّ يُهْدِي إِلَيْكَ فِي كَرَى اللَّهْوِ مَا عَنْهُ السَّتَائِرُ شَفَّتِ

لَطُفَتْ.

٦٨٠ تَرَى صُوَرَ الأَشْيَاءِ تُجْلَى عَلَيْكَ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ اللَّبْسِ فِي كُلِّ خِلْعَةِ

لَهَا والمحرِّك واحد، وإن أظهر صورًا مختلفة وكذلك النفس.

٦٨١ تَجَمَّعَتِ الأَضْدَادُ فِيهَا بِحِكْمَةٍ فَأَشْكَالُهَا تَبْدُو عَلَى كُلِّ هَيْئَةِ(٩٢٤)

فيها: في النفس؛ فهي المَمْثُولُ والمِثْلُ السَّتَائِرُ، وهي المراد هاهنا. وأشكالها، لها ضمير الأضداد، والحكمة: رؤية الشيء وضده من واحد، فتعود النفس ستارة فلو كشفتها رأيت الواحد فاعلاً وحده، وهذه الرؤية بيَّناها في شرح قول الناظم: «شُهُودِي بِعَيْنِ الجَمْعِ كُلَّ مُخَالِفٍ * وَلِيَّ ائْتِلافٍ...» [البيت ٣٨٩].

وذلك البيان علمًا، والذائق يجد بحسبه. وهذا كما أشار بالقريب، وهي الستارة إلى البعيد، وهو كشف ستارة النفس، قال:

---

(٩٢٣) ب ٦٧٨ - وَالإِعْرَاضَ: جـ] والإِعْرَاضُ: ت.

(٩٢٤) ب ٦٨١ - بِحِكْمَةٍ: ت] لِحِكْمَةٍ: جـ؛ تَبْدُو: جـ] تبدُوا: ت.

٦٨٢ صَوَامِتُ تُبْدِي النُّطْقَ وَهْيَ سَوَاكِنٌ تَحَـرَّكُ تُهْـدِي النُّـورَ غَـيْرَ ضَـوِيَّةِ
٦٨٣ وَتَضْحَكُ إِعْجَابًا كَأَعْجَـبِ فَـارِحٍ وَتَبْكِي انْتِحَابًا مِثْلَ ثَكْلَى حَزِينَـةِ[٩٢٥]
٦٨٤ وَتَنْدُبُ إِنْ أَنَّتْ عَـلَى سَـلْبِ نِعْمَـةٍ وَتَطْرَبُ إِنْ غَنَّتْ عَلَى طِيـبِ نَغْمَـةِ

أي: وما عندها لا ندب ولا طرب من ذاتها، وكذلك صور الأجسام كُلها، وكما أن جميع ما قدمناه فِعْلُ وَاحِدٍ وهو صاحب الستارة، فكذلك فعل النفس التي هـي من وراء ستارة الجسم، ومن هاهنا [٣٠ظ] أخذ في تفصيل الصور التي تبدو أنها [من] صاحب الستارة الكونية فقال:

٦٨٥ تَرَى الطَّيْرَ فِي الأَغْصَانِ يُطْرِبُ سَـجْعُهَا بِتَغْرِيـدِ أَلْـحَانٍ إِلَيْـكَ شَـجِيَّةِ[٩٢٦]

الشجى: يُقَال على الحزن والفرح. والسجع[٩٢٧]: التصويت. والتغريد: التلحين.

٦٨٦ وَتَعْجَـبُ مِـنْ أَصْـوَاتِهَا بِلُغَاتِهَـا وَقَـدْ أَعْرَبَـتْ عَـنْ أَلْـسُنٍ أَعْجَمِيَّـةِ
٦٨٧ وَفِي البَرِّ تَسْرِي العِيسُ تَخْتَرِقُ الفَـلاَ وَبِالسَّفْرِ تَجْرِي الفُلْكُ فِي وَسْطِ لُـجَّةِ[٩٢٨]

السَّفْرُ: المسافرون[٩٢٩].

(٩٢٥) ب ٦٨٣ - كَأَعْجَبِ: ت] كَأَجْذَلِ: جـ.
(٩٢٦) ب ٦٨٥ - تَرَىٰ: جـ] تر: ت؛ سَجْعُهَا: جـ] شجعُهَا: ت؛ إِلَيْكَ: ت] لَدَيْكَ: جـ.
(٩٢٧) والشجع: ت.
(٩٢٨) ب ٦٨٧ - وَبِالسَّفْرِ: ت] وَفِي البَحْرِ: جـ.
(٩٢٩) المسفرين: ت.

٦٨٨ وَتَنظُرُ لِلْجَيْشَيْنِ فِي الـبَرِّ مَـرَّةً وَفِي البَحْرِ أُخْرَى فِي جُمُوعٍ كَثِيرَةِ

٦٨٩ لِبَاسُهُمُ نَسْجُ الحَدِيدِ لِبَأْسِهِمْ وَهُمْ فِي حِمَى حَدَّيْ ظُبًى وَأَسِنَّةِ(٩٣٠)

٦٩٠ فَأَجْنَادُ جَيْشِ البَرِّ مَا بَيْنَ فَارِسٍ عَلَى فَرَسٍ أَوْ رَاجِلٍ رَبِّ رُجْلَةِ(٩٣١)

وهذا من جهة النفس تمثيل لصور الخيرات، وما بعده تمثيل لصور الشرور كالغضب والظلم، ويُفْهَمُ منه تمثيل الصفات في الأكوان.

٦٩١ وَأَكْنَادُ جَيْشِ البَحْرِ مَا بَيْنَ رَاكِبٍ مَطَا مَرْكَبٍ أَوْ صَاعِدٍ مِثْلَ صَعْدَةِ

شبه صاعدي(٩٣٢) السفينة مِثْلَ الصَّعْدَةِ.

٦٩٢ فَمِنْ ضَارِبٍ بِالبِيضِ فَتْكًا وَطَاعِنٍ بِسُمْرِ القَنَا العَسَّالَةِ السَّمْهَرِيَّةِ

٦٩٣ وَمِنْ مُغْرِقٍ فِي النَّارِ رَشْقًا بِأَسْهُمٍ وَمِنْ مُحْرِقٍ فِي المَاءِ زَرْقًا بِشُعْلَةِ(٩٣٣)

٦٩٤ تَرَى ذَا مُغِيرًا بَاذِلاً نَفْسَهُ وَذَا يُوَلِّي كَسِيرًا تَحْتَ ذُلِّ الهَزِيمَةِ

٦٩٥ وَتَشْهَدُ نَصْبَ المَنْجَنِيقِ وَرَمْيَهَا لِهَدْمِ الصَّيَاصِي وَالحُصُونِ المَنِيعَةِ(٩٣٤)

٦٩٦ وَتَلْحَظُ أَشْبَاحًا تَرَاءَى بِأَنْفُسٍ مُجَرَّدَةٍ فِي أَرْضِهَا مُسْتَجِنَّةِ

(٩٣٠) ب ٦٨٩ - ظُبًى: جـ] ضبا: ت.

(٩٣١) ب ٦٩٠ - رُجْلَةِ: جـ] رُحْلتِ: ت.

(٩٣٢) صدي: ت.

(٩٣٣) ب ٦٩٣ - فِي النَّارِ: ت] بِالنَّارِ: جـ.

(٩٣٤) ب ٦٩٥ - نَصْبَ المَنْجَنِيقِ وَرَمْيَهَا: ت] رَمْيَ المَنْجَنِيقِ وَنَصْبَهُ: جـ.

هذا يُفْهَمُ منه معنيان: أحدهما: أن نَصْبَ المجانيق والرماة والمقابلة في التمثيل «كالجن» وهم في أرض الجسم مُسْتَجِنُّون. والثاني: إشارة إلى الجن فهم في الأرض الدنيا أو أرض الأشباح.

٦٩٧ تُبَايِنُ أُنْسَ الإِنْسِ صُورَةُ لَبْسِهَا ... لِوَحْشَتِهَا وَالجِنُّ غَيْرُ أَنِيسَةِ
٦٩٨ وَيَطْرَحُ فِي النَّهْرِ الشِّبَاكَ فَيُخْرِجُ الـ(م) ... ـسِّمَاكَ يَدُ الصَّيَّادِ مِنْهَا بِسُرْعَةِ[٩٣٥]
٦٩٩ وَيَحْتَالُ بِالأَشْرَاكِ نَاصِبُهَا عَلَى ... وُقُوعِ خِمَاصِ الطَّيْرِ فِيهَا بِحَبَّةِ
٧٠١ وَيَصْطَادُ بَعْضُ الطَّيْرِ بَعْضًا مِنَ الفَلا ... وَيَقْنِصُ بَعْضُ الوَحْشِ بَعْضًا بِقَفْرَةِ[٩٣٦]
٧٠٠ وَيَكْسِرُ سُفْنَ اليَمِّ ضَارِي دَوَابِهِ ... وَتَظْفَرُ آسَادُ الشَّرَى بِالفَرِيسَةِ[٩٣٧]

الضاري: المؤذي، وهو الفاعل المفترس. والسفن مفعولة. والشَّرَى: مَرْبَضَةُ الآساد.

٧٠٢ وَتَلْمَحُ مِنْهَا مَا تَخَطَّيْتُ ذِكْرَهُ ... وَلَمْ أَعْتَمِدْ إِلاَّ عَلَى خَيْرِ مُلْحَةِ
٧٠٣ وَفِي الزَّمَنِ الفَرْدِ اعْتَبِرْ تَلْقَ كُلَّمَا ... بَدَا لَكَ لاَ فِي مُدَّةٍ مُسْتَطِيلَةِ[٩٣٨]
٧٠٤ وَكُلُّ الَّذِي شَاهَدْتَهُ فِعْلُ وَاحِدٍ ... بِمُفْرَدِهِ لَكِنْ بِحُجْبِ الأَكِنَّةِ[٩٣٩]

---

(٩٣٥) ب ٦٩٨- وَيَطْرَحُ: ت] وَتَطْرَحُ: جـ؛ فَيُخرِجُ: ت] فَتُخْرِجُ: جـ.
(٩٣٦) ب ٧٠١- الفَلا: ت] الفَضَا: جـ؛ علمًا بأن الترتيب الصحيح هو البيت ٧٠٠ ثم ٧٠١.
(٩٣٧) ب ٧٠٠- دَوَابِهِ: جـ] دوابُّهُ: ت.
(٩٣٨) ب ٧٠٣- كُلَّمَا: ت] كُلَّ مَا: جـ.
(٩٣٩) ب ٧٠٤- الأَكِنَّةِ: جـ] الأَكنَّتِ: ت.

وَكُلُّ: وَتَلْقَ كُلّ. وفِعْلُ: مفعول تَلْقَ أيضًا.

٧٠٥ إِذَا مَا أَزَالَ السِّتْرَ لَمْ تَرَ غَيْرَهُ ... وَلَمْ تَبْقَ بِالأَشْكَالِ إِشْكَالُ شُبْهَةِ(٩٤٠)

لم تر غيره فاعلاً وإن كان الفعل باديًا من الأشكال المفترسة.

٧٠٦ وَحَقَّقْتَ عِنْدَ الكَشْفِ أَنَّ بِنُورِهِ اهْـ ... ـتَدَيْتَ إِلَى أَفْعَالِهِ فِي الدُّجُنَّةِ

النور يُرِي نفسه وغيره. والدُّجُنَّةُ: ظلمة الكون. وقوله «إِذَا مَا أَزَالَ السِّتْرَ» وقوله بعده «وَحَقَّقْتَ» في هَذَيْنِ(٩٤١) البيتين ذكر البارئ تعالى وما قبل ذلك لم يذكر فيه سوى النفس؛ وهَذَانِ(٩٤٢) البيتان لمن فهمهما هما مقام سادات العارفين، وذلك رؤية الفعل لواحد سبحانه، وإيضاحه قدمناه.

وتلخيصه: أن أفعال الحق بأيدي الخلق كُلُّهَا حَسَنَةٌ من جهة وإن كانت حسنة وسيئة من جهتهم؛ فيكون الفعل الواحد لفاعِلَيْنِ من عَبْدٍ ورَبٍّ؛ أعني فعل الإنسان لأن فَاعِلَ الفاعل فَاعِلٌ، ومثاله أن ظهور علم الأسماء من آدم هو بعينه ظهور علم الأسماء من ربه سبحانه في زمان واحد فافهم الفعل كذلك، وافقه ما قررناه من جهة الحَجْر على الكل بعد التمكين، وأن إزالة الاحتجار لا تُلزم الإجبار، وأنه تعالى يضر بالنفع والضر منه جزاء وتارة ابتلاء، وأنه تعالى لا يكون منه الضر ابتلاءً فهذا ما

---

(٩٤٠) ب ٧٠٥- تَبْقَ: ت] يَبْقَ: جـ؛ شُبْهَةِ: ت] رِيبَةِ: جـ.

(٩٤١) هذين: ت.

(٩٤٢) هذان: ت.

يعطيه العلم الذي يؤدي إلى تحقق ما قاله تعالى عن نفسه: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(٩٤٣). وبهذا كانت له الحجة البالغة وكانوا مسئولين عن أفعالهم.

وفهم هذا مفصَّلاً يحتاج إلى عالم الوقت يوضحه؛ إذ لا يسعه هذا الشرح ولا نحن بصدد تفصيله. وأما ما يجده أصحاب الكشف ذوقًا فلا تحتاج إلى كلام تحقق عندهم صحة ما ذكرناه من طريق العلم بل منهم تحقق ذلك.

ومما يمكن بيانه أن النفس لها صور من جهة أعمالها، فلكل عمل صورة تظهر النفس لإياها بصورة ذلك العمل تارة نومًا وتارة يقظةً، وكل أحد لذلك علم أو لم يعلم فتارة تظهر صورتها العملية في صورة حيوان يلسع أو يفترس أو غير ذلك. وأظهر مظاهر صورها أن تظهر في صورة إنسان آخر، فيكون صورة نفس هذا قابلته من صورة صاحبه فلم ير هذا غير صورة نفسه وصورة نفسه هاهنا هي صورة [٣١و] عمله لا غير، فرأي وجهه العملي وهو يظن أنه رأى غيره فهو يُكرمه ويرحمه أو يُهينه ويَحرمه وليس إلا نفسه فقط. وكما أنه لم ير إلا هو بعين رؤيته لغيره كذلك تكون الوجوه كلها في كل آن وجوهًا لله باعتبار الجزاء على عمل العامل بمثله؛ فإن قلت لم ير إلا رَبَّهُ فصحيح، وإن قلت لم ير إلا نَفْسَه فصحيح. ثم ترقَّى(٩٤٤) عن هذه الرؤية أعني رؤية الإنسان لنفسه بأن تقول: إذا كان الفعل البادي منه مقيدًا بالأمر من ربه لم يبق له فعل من جهة نفسه فلا يرى لها وجهًا بل رأى الفعل كله لربه فلم ير

(٩٤٣) سورة النساء، الآية ٤٠.

(٩٤٤) ترقا: ت.

إلا وجهه ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾(٩٤٥). وهذا هو حقيقة التصوف معلوم في السلوك وعني الشريعة العامة والخاصة للمالك والمملوك. فهذا ما أمكن عنه البيان بترجمة اللسان يشهده الحال فلا ينقال: وله من المؤمنين رجال. فقد النفس مهما لها فعل من جهتها لم تر غير صورتها، وحجب الالتباس، ونور ظلم الوسواس، وهو معنى قوله:

٧٠٧ كَذَا كُنْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنِي مُسْبِلاً حِجَابَ الْتِبَاسِ النَّفْسِ فِي نُورِ ظُلْمَتِي

أي: ظُلم الكون فعل المخيِّل. وقوله: بيني وبيني، أي: بيني من قبل وبيني الآن، يعني(٩٤٦) وقوله: مسبلاً، أي: لا يترك اجتهادي بل باختياري.

٧٠٨ لِأَظْهَرَ بِالتَّدْرِيجِ بِالْحِسِّ مُؤْنِسًا لَهَا فِي ابْتِدَاعِي دَفْعَةً بَعْدَ دَفْعَةِ(٩٤٧)

قوله: «لأظهر للنفس»، وقوله: بالحس، أي: بواسطته. وقوله: لها: ضمير النفس. وقوله: وابتداعي، أي: لأظهر في ابتداعي إمامًا ابتدعه؛ فقال: التي هي مظاهر نفسي والابتداع إظهار من غير مثال، ولما كان الإنسان سبب وجود الكون على ما هو عليه كان له أن يقول: أنا أظهرته؛ فذكر حكمة الإظهار بالتدريج عن نفسه لمعنيين: أحدهما: أنه لما كان مراده إظهار النفس وقد أظهرها بتدريج أخبر المقال بصورة

---

(٩٤٥) سورة البقرة، الآية ١١٥.

(٩٤٦) الكلمة غير واضحة في ت.

(٩٤٧) ب ٧٠٨- بِالْحِسِّ: ت] لِلْحِسِّ: ج.

الحال. والثاني: أنه بيَّن السلوك إلى فهم ظهور الحق تدريجًا بمظاهر الخلق، ثم خاطب الغير بقوله:

٧٠٩ قَرَنْتُ بِجِدِّي لَهْوَ ذَاكَ مُقَرِّبًا لِفَهْمِكَ غَايَاتِ المَرَامِي البَعِيدَةِ(٩٤٨)

قوله: ذاك، يشير إلى المخيِّل، أي: فعلت كفعله مقرِّبًا لفهمك، والتقريب هاهنا تمثيل معناه كما أن فعل المخيِّل كفعلي فكلانا في الفعل واحدٌ مع اختلاف الذاتين والإرادتين؛ فكذلك أنا والبارئ كلانا في الفعل واحدٌ مع اختلاف الذاتين والإرادتين، وبيَّن ذلك بقوله:

٧١٠ وَيَجْمَعُنَا فِي المَظْهَرَيْنِ تَشَابُهٌ وَلَيْسَتْ لِحَالِي حَالَةٌ بِشَبِيهَةِ(٩٤٩)

يُفهم من هذا البيت غايةُ التنزيه مع أوضح التعريف في الأمر المتشابه بين صاحب الستارة وبيني مثله بعينه بيني وبين الفاعل الأول سبحانه، فليست بحالي حالةٌ بشبيهةِ.

٧١١ فَأَشْكَالُهُ كَانَتْ مَظَاهِرَ فِعْلِهِ بِسَتْرٍ تَلَاشَتْ إِذْ تَجَلَّى وَوَلَّتِ

٧١٢ وَكَانَتْ لَهُ بِالفِعْلِ نَفْسِي شَبِيهَةً وَحِسِّيَ كَالأَشْكَالِ وَاللَّبْسُ سُتْرَتِي

المعنى: كما تلاشت مظاهر أفعاله برفع ستارته فلم يبق إلا هو؛ كذلك تتلاشى مظاهر أفعالي برفع ستارتي فلا يبقى إلا أنا، وكذلك تتلاشى مظاهر أفعال البارئ

---

(٩٤٨) ب ٧٠٩- بِجِدِّي: جـ] بِجَدِّي: ت؛ البَعِيدَةِ: جـ] البَعِيدَتِ: ت.

(٩٤٩) ب ٧١٠- بِشَبِيهَةِ: جـ] بشبيهتي: ت.

برفع ستارة الكون فلا يبقى إلا هو فاعل وحده.

٧١٣ فَلَمَّا رَفَعْتُ السِّتْرَ عَنِّي كَرَفْعِهِ   بِحَيْثُ بَدَتْ لِي النَّفْسُ مِنْ غَيْرِ حَجْبَةِ

الحَجْبَةَ: الحجاب. وقوله: كرفعه، أي: رأيتني فاعلاً.

٧١٤ وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ الشُّهُودِ فَأَشْرَقَ الـ   ـوُجُودُ وَحُلَّتْ بِي عُقُودُ أَخِيَّتِي[٩٥٠]

شمس الشهود: نور التعرف. فأشرق الوجود، أي: الحقيقي، ويريد به وجود البارئ وجود النفس فبظهورها ظَهَر؛ ولهذا قال: حُلَّت بي عقود أخيتي، والأخية[٩٥١]: عقدة في طرف حبل مدفونة في الأرض لتُشدَّ الدابة في الطرف الآخر، ومعنى [ذلك][٩٥٢]: لأخرجت عن قيد الحس إلى طلاق عالم الشهود، فلما صح ذلك بي:

٧١٥ قَتَلْتُ غُلاَمَ النَّفْسِ بَيْنَ إِقَامَتِي الـ   ـجِدَارَ لِأَحْكَامِي وَخَرْقِ سَفِينَتِي

غلام النفس[٩٥٣]- هاهنا- ما هو منها لم يبلغ إلى حد الكمال العلمي، وهذا هو العقل المصادم للوحي. وأبواه هما العقل الكامل الامتثال والنفس المطمئنة بحقائق العلوم والأعمال، الولد منهما هذا الجاهل المتكبر وجب قتله عند ذي العلم اللدني، والجدار الجسم الذي تحته كنز الكمال، وهو وإقامته تعديته بما يجب، والكنز مدَّخر

(٩٥٠) ب ٧١٤- أَخِيَّتِي: ت] أَخِيَّةِ: جـ.

(٩٥١) الأخيتِ: ت.

(٩٥٢) [ ] إضافة بها يستقيم المعنى.

(٩٥٣) في هذا البيت وفي شرح التلمساني له إشارة إلى قصة الخضر والنبي موسى الواردة في القرآن الكريم [سورة الكهف، الآيات ٦٥ - ٨٢].

لولدَين للأبوين المذكورين وهما ذكر يشبه الأب وذكر يشبه الأم، ولكن الأم انقادت إلى الأب بحيث لم يبق لها [ما] يميزها عنه، فلم يُذكر سوى الأب فقط، والولدان سيكون منهما هما يتامى مدينة الكون في العالم الأكبر، ومدينة الجسم في العالم الأصغر، واستخراج الكنز لا يكون إلا بعد بلوغ الأشد وهو إظهار بالفعل كما هو في النفس بالقوة، والسفينة النفس إذ هي حاملة صور الكل، والبحر الدنيا، والمساكين صفات النفس كالعزم والهمة والصبر، فكانوا مع صحة العلم عاجزين عن واجب العمل مضطرين [٣١ظ] إلى مساعد، والملك الهوى يغتصب كل سفينة لم تدركها مساعدة الرحمة، وخرق السفينة اختراق النفس بحدثها وعجزها وجهلها، وهذا يعيبها عند الملك لا في نفسها ولا يعرف أهلها، وهذا كله مقيد بقوله: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾[954]، فمتى لم يفعل العبد إلا بالأمر كان الرب فاعلاً والعَبْدُ آلةً بموجب ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾[955]، فقد بان أنه متى صحت العبودية وارتفعت فلم يبق فاعل إلا الله وحده وإذا لم يبق للعبد أنيَّة تميز فعلاً جاز أن يقول:

٧١٦ وَعُدْتُ بِإِمْدَادِي عَلَى كُلِّ عَالَمٍ   عَلَى حَسَبِ الأَفْعَالِ فِي كُلِّ مُدَّةِ[956]

وتلخيص ما طولنا فيه وبسطناه أنه لما كشف له وحدة الذات منه، وأن النفس والعيب من جهة الصفات، قَتل من صفات نفسه كل ما هو كالغلام الذي يجب قتله، ذلك مع إقامة جدار نفسه الحاملة للصفات باطنًا أن ملك الهوى لا يرضى إلا

(٩٥٤) سورة الكهف، الآية ٨٢.

(٩٥٥) سورة الأنفال، الآية ١٧.

(٩٥٦) ب ٧١٦- مُدَّةِ: جـ] مُدَّتِ: ت.

أن تكون صحيحة، فلما بلغ أَشُدَّ وحدة الذات استخرج كنز ما كان فيها بالقوة، أنفق منه فعاد بها حامدًا على كل عالم بحسب استحقاقهم جزاء على أفعالهم مع احتجابه عنهم بالصفات.

٧١٧ وَلَوْلاَ احْتِجَابِي بِالصِّفَاتِ لَأُحْرِقَتْ — مَظَاهِرُ ذَاتِي مِنْ سَنَا سُبُحَتِي

٧١٨ وَأَلْسِنَةُ الأَكْوَانِ إِنْ كُنْتَ وَاعِيًا — شُهُودٌ بِتَوْحِيدِي بِحَالٍ فَصِيحَةٍ[٩٥٧]

٧١٩ وَجَاءَ حَدِيثٌ فِي اتِّحَادِيَ ثَابِتٌ — رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةِ

٧٢٠ يُشِيرُ بِحُبِّ الحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ — إِلَيْهِ بِنَفْلٍ أَوْ أَدَاءِ فَرِيضَةِ[٩٥٨]

٧٢١ وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الإِشَارَةِ ظَاهِرٌ — بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ[٩٥٩]

ثم ذكر صورة سلوكه إلى أن وصل إلى وحدته في أربعة أبيات هي أحسن ما في قصيدته، وهي قوله:

٧٢٢ تَسَبَّبْتُ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ — وَوَاسِطَةُ الأَسْبَابِ إِحْدَى أَدِلَّتِي[٩٦٠]

المعنى: لما كان قصدي التوحيد اتخذت الأسباب حتى فقدتها برؤية المسبب؛ فهي أهدى أدلتي عليه كرؤية أفعاله.

٧٢٣ وَوَحَّدْتُ فِي الأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُهَا — [وَرَابِطَةُ التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسِيلَتِي]

---

(٩٥٧) ب ٧١٨- فَصِيحَةِ: جـ] فصيحتي: ت.

(٩٥٨) ب ٧٢٠- بِنَفْلِ: جـ] بنقل: ت؛ فَرِيضَةِ: جـ] فريضتي: ت.

(٩٥٩) ب ٧٢١- تَنْبِيهِ: جـ] تنبيهُ: ت؛ بِكُنْتُ: جـ] بكنْتَ: ت؛ الظَّهِيرَةِ: جـ] ظهيرتِ: ت.

(٩٦٠) ب ٧٢٢- أَدِلَّتِي: ت] الأَدِلَّةِ: جـ.

برؤية المسبِّب، والتوحيد رابطة أمري وهو أجدىٰ أنفع وسيلة إلىٰ الجمع بين الموجِد والموجَد، ثم تركت ما به تنقسم نفسي بين سبب ونفع سبب.

٧٢٤ وَجَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَوَحَّدَتْ وَلَمْ تَكُ يَوْمًا قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةِ[٩٦١]

نفسي لم تزل واحدة ولكنها تنقسم بالصفات، فَمُذْ نفت ما به تنقسم عادتْ إلىٰ وحدتها، ثم بعد أن اتصف بالوحدة من الصفات قال منفردًا:

٧٢٥ وَغُصْتُ بِحَارَ الجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى انْـ ـفِرَادِيَ فَاسْتَخْرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةِ

للظاهر فرق جمع وللباطن كذلك، وكل جمع بحر وجمع الجمع بحر، فصارت بِحَارًا مَنْ خاضها بالوحدة لم تحجبه الكثرة، فاستخرج كل جوهرة يتيمة إذ عاد كل حجاب كاشفًا وقد كان كل كاشف حجابًا علىٰ الوحدة. ولما كان من اتحد شهد الأحد بيَّن أنه إنما كان قصده بما فعله كله اتحادَ ذاته فقال إن نسبي وتجردي وخوضي إنما كان:

٧٢٦ لِأَسْمَعَ أَفْعَالِي بِسَمْعٍ بَصِيرَةٍ وَأَشْهَدَ أَقْوَالِي بِعَيْنٍ سَمِيعَةِ

يريد بالعين حقيقته، وبيان هذا هو أن النفس إذا رجعت إلىٰ ذاتها مجردة عن الحواس عادت حواسها هي، فيكون الأخضر والحلو والناعم فيها واحدًا كالدائرة التي لم تكن إلا بمركزها، ثم خرجت منه خطوط هي حواس، فإذا رجعت الخطوط

(٩٦١) ب ٧٢٤- وَحِيدَةِ: جـ] وحيدَتِي: ت.

إلى المركز لم يبق إلا هو، وكما وجد حواسه كذلك وجد العالم بأسره فيه لأن الكل مظاهر نفسه وصور صفاته من كل شيء وضده.

٧٢٧ فَإِنْ نَاحَ فِي الأَيْكِ الهَزَارُ وَغَرَّدَتْ ... جَوَابًا لَهُ الأَطْيَارُ فِي كُلِّ دَوْحَةِ

٧٢٨ وَأَطْرَبَ بِالمِزْمَارِ مُصْلِحُهُ عَلَى ... مُنَاسَبَةِ الأَوْتَارِ مِنْ يَدِ قَيْنَةِ

٧٢٩ وَغَنَّتْ مِنَ الأَشْعَارِ مَا رَقَّ فَارْتَقَتْ ... لِسِدْرَتِهَا الأَسْرَارُ فِي كُلِّ شَذْرَةِ[962]

سدرتها: منتهاها. والشذرة: ما يجده الصغوي من الذهب الخالص حين إلقاء الأكسير. وَتَنَزَّهْتُ: تَفَرَّجْتُ مستعليًا إلى الشيء متنزهًا عنه.

٧٣٠ تَنَزَّهْتُ فِي آثَارِ صُنْعِي مُنَزِّهًا ... عَنِ الشِّرْكِ بِالأَغْيَارِ جَمْعِي وَأُلْفَتِي

المراد كلمة وحدة ذاته، وأنه يشهدها في الشيء، وضده جمعه عن الشرك بأغيار ما في باطنه أو في الكون، فهذه الوحدة جعلها وحده وحدة ولم يطلب غيرها، وإن كانت كما قلنا من اتحد شهد الأحد فذاك لازم لم يجنح إليه، [٣٢و] بل ذكر ما عنه يلزم ذلك وهو اتحاده هو، وجعل له علائم تحققه، وهو رؤية الوحدة في الشيء وضده، ولهذا قال ما معناه: لم أشهد غيري في صنعي، وكذلك رأيت الكون كله صور صفاتي وآثار مصنوعاتي، لتظهر به ذاتي، فلما كنت سببًا للاتحاد كله وغاية له كان الكل من صنعي، وكانت ذاتي منفردة عن الكل وهي بصفاتها عين الكل.

---

(٩٦٢) ب ٧٢٩- لِسِدْرَتِهَا: جـ] لِسِدَرَتِهَا: ت.

٧٣١ فَبِي مَجْلِسُ الأَذْكَارِ سَمْعُ مُطَالِعٍ ... وَلِي حَانَةُ الخَمَّارِ عَيْنُ طَلِيعَةِ(٩٦٣)

الطليعة: جماعة تتقدم لتطلع على العدو من عُلُوٍّ، ويقال: طَالَعْتُ الكتاب إذا تفهمت معانيه؛ بترداد نظره ببصره وبصيرته فيه، فمجلس الأذكار له سمع بمعنى: أُذُنٌ يطالع بها المذكور، وحانة الخَمَّارِ كالطليعة على ما فيه من صفات الأسرار وأنا واحد في الحالين، والمقصود هو الإعلام، بما معناه: أني أرى الأشياء بأضدادها بوحدتي لا لوحدتها؛ فافهم هذا جيدًا.

٧٣٢ وَمَا عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكْمًا سِوَى يَدِي ... وَإِنْ حُلَّ بِالإِقْرَارِ بِي فَهْيَ حَلَّتِ

المعنى: يدي حلَّته بي وإذا كانت النفس من حيث إنها هي الفاعل والخليفة الذي هو على صورة المستخلِف من جهة أن له منه كُلّ ما(٩٦٤) يتعلق به في دائرته فلا يفتقر فيه إلى غير، فتكلمت عنها، وهذا أصدق كلامها؛ ولهذا تقوم الحجة بالرسل.

وتظهر فائدة [...] يعني بإثبات فاعل للشيء وضده، فهو يتصف بما شاء وينقسم [.../ كذلك] بذاته غيرها من جهة هذا، وقد بيَّنا كيف يكون، وكيف يكون بانتفاء إرادته من جهة نفسه لنفسه فاقدًا، ويعود لربه بها واجدًا. وقوله: حُكْمًا؛ لأن ظهورَ الضد حكمةٌ في حكم العقل الصحيح.

٧٣٣ وَإِنْ نَارَ بِالتَّنْزِيلِ مِحْرَابُ مَسْجِدٍ ... فَمَا بَارَ بِالإِنْجِيلِ هَيْكَلُ بِيعَةِ

(٩٦٣) ب ٧٣١- سَمْعُ مُطَالِعٍ: جـ؛ سمعٌ مطالعَ: ت.
(٩٦٤) كلما: ت.

باز: هلك.

٧٣٤ وَأَسْفَارُ تَوْرَاةِ الكَلِيمِ وَقَوْمِهِ تُنَاجِي بِهَا الأَحْبَارُ فِي كُلِّ لَيْلَةِ[٩٦٥]

٧٣٥ وَإِنْ خَرَّ لِلأَحْجَارِ فِي البُدِّ عَاكِفٌ فَلاَ تَعْدُ فِي الإِنْكَارِ بِالعَصَبِيَّةِ[٩٦٦]

البُدُّ: الصنم. والعاكف: العابد الملازم. والإنكار- هاهنا- يريد به: إنكار العقل على الحق؛ في كونه أوجد الكفار مع قدرته على أن لا يوجدهم، فمن علم أن الحكمة في إيجاد الكافر كما هي في إيجاد المؤمن. قال: إنكاره وهو معنى ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٩٦٧] وقد بيَّنا ذلك في الخلاصة وفي مواضع من الشرح عند ذِكْرِ سِرِّ القَدَرِ، ومن فهم معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾[٩٦٨] فهم حسن القبيح ورآه كرؤيته المليح، وسنبين فيما سيأتي كيف ذلك أيضًا والمرآة، ولا تنكر ما رأيته من عبادة غير الله في غير هذه الأمة المحمدية.

٧٣٦ فَقَدْ عَبَدَ الدِّينَارَ مَعْنًى مُنَزَّهٌ عَنِ العَارِ فِي الإِشْرَاكِ بِالوَثَنِيَّةِ[٩٦٩]

مُنَزَّهٌ، أي: رَجُلٌ مُنَزَّهٌ، أي: أن من عبد الحجر والوثن عابد بالصورة في غير هذه الأمة، فقد عبد الدينار بالمعنى كثير من هذه الأمة، والأمر في العبادة إليهم، فهم خلق الله فيما يبدو[٩٧٠] منهم في حسن بالنسبة إليه وقبيح بالنسبة إليهم، لأنهم مُمَكَّنُونَ

(٩٦٥) ب ٧٣٤- وَقَوْمِهِ: ت] لِقَوْمِهِ: جـ، تُنَاجِي: ت] يُنَاجِي: جـ.
(٩٦٦) ب ٧٣٥- فِي الإِنْكَارِ: ت] لِلإِنْكَارِ: جـ.
(٩٦٧) سورة الدخان، الآية ٣٩.
(٩٦٨) سورة السجدة، الآية ٧.
(٩٦٩) ب ٧٣٦- مَعْنًى: جـ] معنا: ت.
(٩٧٠) فيبدوا: ت.

مُنذورون بلسان الخليفة عن مستخلِفه.

٧٣٧ وَقَـدْ بَلَـغَ الإِنْـذَارُ عَنِّـيَ مَـنْ يَعِـي ... وَقَامَتْ بِيَ الأَعْذَارُ فِي كُـلِّ مِلَّـةِ[٩٧١]

أي: قامت بأحكامي وأوامري في كل فرقة أعذاري عند:

٧٣٨ فَـمَا زَاغَـتِ الأَبْـصَارُ مِـنْ كُـلِّ مِلَّـةٍ ... وما رَاغَتِ الأَفْكَارُ مِن كُلِّ نِحْلَـةِ[٩٧٢]

٧٣٩ وَمَا اخْتَارَ مَنْ لِلشَّمْسِ عَنْ غِرَّةٍ صَبَا ... وَإِشْرَاقُهَا مِنْ نُـورِ إِسْـفَارِ غُـرَّتِي[٩٧٣]

٧٤٠ وَإِنْ عَبَدَ النَّارَ المَجُوسُ وَمَـا انْطَفَـتْ ... كَمَا جَاءَ فِي الأَخْبَارِ فِي أَلْفِ حِجَّـةِ[٩٧٤]

٧٤١ فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي وَإِنْ كَـانَ قَـصْدُهُمْ ... سِوَايَ وَإِنْ لَمْ يُظْهِـرُوا عَقْـدَ بَيْعَـةِ[٩٧٥]

بعبادتهم لي، وبيان هذا ومثله: أن كل ذي هوىً إنما عبد هواه، وهواه عبارة عن ذاته التي سَوَّلَتْ له أن يعبد ما عبد، وإذا كان كل قاصد من الضالين لم يقصد غير ذاته المخلوقة، فقول الناظم: «فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي» بمعنىٰ: ما قصدوا غير مخلوق لا الخالق صحيح، وهذا من محتمل العبارة، وفي التعريف به معنىٰ وهو أن يدخل في زمرة الضالين من اعتقد أن الذات واحدة، أعني ذات العبد والرب تعالىٰ، فهذا لما ظن بذاته المخلوقة فاعتقدها ذات الخالق فاته الخالق ثم فاتته ذاته أيضًا؛ لأنه اعتقدها ذَاتَ الخالق فخسر نفسه وربه. وأما مراد الناظم- هاهنا- فهو مبني علىٰ معرفة

(٩٧١) ب ٧٣٧- بَلَغَ: جـ] أبلغ: ت؛ منَّةِ: ت] فِرْقَةٍ: جـ.

(٩٧٢) ب ٧٣٨- فَمَا: ت] وَمَا: جـ؛ مِلَّةٍ: جـ] مِلَّتِ: ت؛ وَمَ رَاغَتِ: جـ] ولا راعَتِ: ت؛ مِن: ت] في: جـ.

(٩٧٣) ب ٧٣٩- اخْتَارَ: ت] حَرَ: جـ؛ غُرَّتِي: جـ] غرتِ: ت.

(٩٧٤) ب ٧٤٠- وَإِنْ: جـ] وما: ت؛ حِجَّةِ: جـ] حُجَّتِ: ت.

(٩٧٥) ب ٧٤١- بَيْعَةِ: ت] بِيَةٍ: جـ.

الأصل الذي سميناه سِرَّ القَدَرِ، ووعدنا ببيانه في آخر الكتاب، وإن كنا نبَّهْنَا عليه في مواضع منه.

وبيانه فيما يتعلق بشرح هذه الأبيات من قوله فما «زَاغَتِ الأَبْصَارُ إلى قوله فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي»، [٣٢ظ] وتمامه، بيان ذلك معلوم من قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾(٩٧٦)، فلما كان علمه في الأزل لم يزل محيطًا بما سيكون منهم من الجزاء، كان ما منه قبل الكون إلاَّ مبنيًّا على ما منهم في الكون عملاً، وعلى عملهم لا يُبْنَى الجزاء- أيضًا- بعد الكون أبدًا، وهو معنى قول العلماء: «العلم يتبع المعلوم لا المعلوم يتبع العلم»، وبهذا تكون الحجة البالغة عليهم، ولما كان قد أظهرهم إلى الكون مع علمه بما سيكون منهم من جهته، كانوا كلهم عبيدًا له بما يبدو(٩٧٧) منهم؛ فيكون عائد أفعالهم عليهم من جهة أنفسهم وعائد أفعالهم أيضًا على غيرهم من جهته سبحانه بعدل أو فضل، وتعود كُلُّ يَدٍ يَدَ الله سبحانه من حيث لا تعلم، والخلق عامُّهم وخاصُّهم في هذه المرتبة، وإن لم يكن قصدهم ذلك، وبهذا تكون(٩٧٨) أفعالهم من جهة أنفسهم غير سديدة ومن جهته سبحانه سديدة؛ إذ لم يخلقهم سُدًى(٩٧٩)، فكل مخلوق عَبْدٌ، من جهة الخالق، مسلم ساجد، وما كل مخلوق عبد لله من جهة نفسه ولا مسلم ولا ساجد، وهو معنى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ

(٩٧٦) سورة آل عمران، الآية ٨٣.

(٩٧٧) يبدوا: ت.

(٩٧٨) يكون: ت.

(٩٧٩) سدا: ت.

آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾[٩٨٠]. لا شك أنه مولى الكل ولكن البعض لما لم يتخذوه مولى فلا مولى لهم، وبهذا يفهم قول الناظم بلسان الحق: «فَمَا قَصَدُوا غَيْرِي وَإِنْ كَانَ قَصْدُهُمْ * سِوَايَ...». ويفهم أيضًا من قول الناظم أن كل غالط إنما قَصَدَ الإصابة بما عبد وإن كان غلطًا، وهذا صحيح، ولكنه ذلك، بل هو مَنْهِيٌّ عنه مذموم به، كما قال تعالى عنهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾[٩٨١] وبهذا كان زَرَادُشْتُ[٩٨٢] الحكيم مخطئًا؛ إذ رأى النار مَظْهَرَ النُّورِ فسجد للنور لفرط رياضة كانت منه فسجد غيره معه وبعده للنار.

٧٤٢ رَأَوْا ضَوْءَ نُورِي مَرَّةً فَتَوَهَّمُو ... هُ نَارًا فَضَلُّوا فِي الْهُدَى بِالأَشِعَّةِ

الهدى الذي بزعمهم. والأشعة: أشعة النار.

٧٤٣ وَلَوْلاَ حِجَابُ الكَوْنِ قُلْتُ وَإِنَّمَا ... قِيَامِي بِأَحْكَامِ المَظَاهِرِ مُسْكِتِي

أحكام المظاهر واجبة شرعًا وعقلاً، وحجاب الكون يكون فرقًا لمن هو تحت الحجاب، فأما من رفع بنظره حجاب الكون فإنه لا يرى غير الكون ولا قول فيه، وأما قوله «قُلْتُ»[٩٨٣] يعني: لولا الحجاب على أبصار أهله لقلت ما يجوز أن يقال وصرحت بما ألغزته في هذا المقال، ثم بيّن ما قررناه من الشرح أولاً:

---

(٩٨٠) سورة محمد، الآية ١١.

(٩٨١) سورة الزمر، الآية ٣. وردت في ت: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى.

(٩٨٢) ذَرْدُشت: ت. وزرادشت هو مؤسس الديانة الزردشتية. وقد عاش في أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام، توفي ٥٨٣ق.م. النديم، الفهرست، ص ١٥.

(٩٨٣) لقلت: ت.

٧٤٤ فَلاَ عَبَثٌ وَالخَلْقُ لَمْ يُخْلَقُوا سُدًى ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفْعَالُهُمْ بِالسَّدِيدَةِ(٩٨٤)

٧٤٥ عَلَى سِمَةِ الأَسْمَاءِ تَجْرِي أُمُورُهُمْ ... وَحِكْمَةُ وَصْفِ الذَّاتِ لِلْحُكْمِ أَجْرَتِ

المعنى: أنهم إنما ظهروا بِسِمَةِ الأسماء من العادل والرحيم والمنتقم، ولم يظهروا بغير ذلك من الأسماء كالظالم؛ إذ لا ظُلْمَ منه تعالى [إلا] بواسطة أيديهم، وحكمة وصف ذات الخالق للحكم بالعدل أجرت الفعل بأيدي الخلق، أي لأجل الحكم بمقتضى الحكمة.

٧٤٦ يُصَرِّفُهُمْ فِي القَبْضَتَيْنِ «وَلاَ وَلاَ» ... فَقَبْضَةُ تَنْعِيمٍ وَقَبْضَةُ شِقْوَةِ(٩٨٥)

قوله: «ولا ولا» أي هو: لا «إلى الجنة ولا أبالي»، وهو: لا «إلى النار ولا أبالي»(٩٨٦)، وما ذاك إلا أن كُلاًّ منهم ممكَّن مما كلَّفه ربه؛ إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾(٩٨٧). والعقل الصحيح يقضي أنه لا يصح الاختيار مع الإجبار، بل متى وُجِد أحدهما يطلب في الآخر، فمن حيث قد وقع الاختيار فقد بطل الإجبار في نظر النُّظَّار، فمن اعتقد أنه مجبَر على اختيار شيء منهي عنه شرعًا، فقد أبطل فائدة الكتب والرسل، إن عاد النهي عن ما لا نفع إلا هو ليس تحته طائل ولا يأتي به فاضل ولا عاقل، ولما

(٩٨٤) ب ٧٤٤- سُدًى: جـ] سُدًا: ت.

(٩٨٥) ب ٧٤٦- شِقْوَة: جـ] شقوتي: ت.

(٩٨٦) في البيت وفي شرح التلمساني إشارة إلى الحديث: "إن الله تبرك وتعالى لما خلق آدم قبض من طينته قبضتين: قبضة بيمينه، وقبضة باليد الأخرى، فقال للذي بيمينه: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في يده الأخرى: هؤلاء إلى النار ولا أبالي، ثم ردهم في صلب آدم، فهم يتناسلون على ذلك إلى الآن"، هذا الحديث مذكور في: الهيثمي في مجمع الزوائد، ١٨٩/ ٧؛ وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة ٤٨. وله روايات أخرى مختلفة إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

(٩٨٧) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

قصرت العقول عن إدراك ما يجب لها وعليها أرسَلَ اللهُ الرُّسل بذلك إليها، فأمرها ونهاها ولم يكلفْها إلا بحسب ما أتاها، ولما كان الإنسان له إرادة ولا يمكنه نفيها، إذ ذلك لا يصح بل لا يجب أن يريد إلا ما أراده مولاه وما يريده به مجهول ضده حتى يأمره به، لزم أن تقول: بعثة الرسول ليبيِّن مراد الله من عباده فيريده ولا بد، فهو، أعني العبد، حي مريد وإلا فهو ميت، فإن المراد الموت بالله بل الحياة به، فالحي المقتدي بالرسول مسلوب الإرادة بنفسه، فهو كالميت وله حقيقة الحياة بربه، ولما كان مُكَّنًا من أن يكون مريدًا بنفسه ومريدًا بربه نُهي عن ذلك وأُمر بهذا أدلة الاختيار اللازم عن التمكن للازم عن الأمر، فافهم.

ولما كان العلم الأزلي(٩٨٨) محيطًا بما سيختاره الإنسان من العلم حكم العلم له أو عليه بجزاء عمله له أو عليه، فعاد حكم الحاكم أزلا تابعًا لاختيار المختار عملاً لكنه قضى، أي: حكم به أزلا، ولو لم يكن تابعًا له لما كان جزاء فالقضاء حكم مساوٍ للكسب المعلوم أزلا، وله [٣٣و] مقدار معين على كل جزء ولهذا سُمِّيَ مجازاة وذلك المقدار هو القدْر، فالقدْر جزء معين بمقدار، ومن القضاء والقدَر أن الدعاء يدفع القضاء والقدَر، ولهذا علَّمَنَا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نقول في [كل] صبيحة: «وقنا ربنا شر ما قضيت»(٩٨٩)، فلو لم يوجد كسب لم يوجد حكم ولا

(٩٨٨) الأزل: ت.

(٩٨٩) هذا جزء من حديث نصه الكامل هو: عن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة الصبح "اللهم اهدنا فيمن هديت وعافنا فيمن عافيت وتولنا فيمن توليت وبارك لنا فيما أعطيت وقنا شر ما قضيت إنك تقضي ولا يقضى عليك إنه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت". هذا الحديث مذكور في: تحفة المحتاج، ١/ ٣٠٤؛ وله روايات أخرى مختلفة إلا أنه ليس موجودًا في المصنفات الكبرى للأحاديث.

مقدار جزاء حكم به حاكم، فالقضاء والقدَر في الأزل قضيتان تابعتان لما سيصدر عن الإنسان بعد وجوده من العمل، ولم يزل العلم محيطًا بأنه سيكون خليفة، ولا معنى للخليفة إلا أنه يبدأ بأفعاله كما بدأ من استخلفه فكان المستخلِف أولاً فاعلاً من أجل الخليفة قبل إيجاده، فصار الخليفة فاعلاً من أجل نفسه بعد إيجاده، ولهذا أمر بالعقول والرسول؛ فقد عاد الإنسان بهذا البيان هو القاضي [...] والمُقدِّر وتهيئ بكسبه جزاء طاعته أو ذنبه، فهو القاضي في الأزل ودافعهما إن شاء بالعمل، وعلى حسب هذا العمل المعمول معه من الله في الأبد وكان المعلوم له عند [.../ العلم] الأزل(٩٩٠)، وحسبنا الله.

ولما كان الناظم قد علم هذا وأ[.../ حاطه] علمًا ووجده من نفسه وجدانًا وشهودا ليس من [.../ غيره]:

٧٤٧ أَلاَ هَكَذَا فَلْتَعْـرَفِ النَّفْسُ أَوْ فَـلاَ وَيُتْلَى بِهَا العِرْفَـانُ كُـلَّ صَـبِيحَةِ(٩٩١)

ومعنى يُتْلَى(٩٩٢) ليس من تلاوة القرآن والحديث، بل تكون معرفة الصانع ثانيًا تتلو(٩٩٣) معرفة المصنوع التي كانت أولاً.

٧٤٨ وَعِرْفَانُـهَا مِـنْ نَفْـسِهَا وَهِـيَ الَّتِـي عَلَى الحِسِّ مَا أَمْلَتْ مِنِّيَ أَمْلَتِ

---

(٩٩٠) كذا في ت، وقد تكون الأزلي.

(٩٩١) ب ٧٤٧- وَيُتْلَى: جـ] ويتلا: ت.

(٩٩٢) يتلا: ت.

(٩٩٣) تتلوا: ت.

أَمَّلْتُ: من الأمل. وأَمْلَتْ: من الإملاء، وبيان ذلك تقدم عند قوله «وَقَدْ طُبِعَتْ فِيهَا العُلُومُ» [البيت ٦٧٠]، ثم حقق جميع ما نظمه وأنه لم يُرِد إلا النفس وأنه نَزَّهَ الصانع تنزيهًا فوق تنزيه الأقوال؛ إذ نَزَّهَ المصنوع وعَظَّمَهُ بما قال، ولهذا أتبع ذكر النفس وعرفانها بقوله:

٧٤٩ وَلَوْ أَنَّنِي وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ وَانْسَلَخْـ ـتُ مِنْ آيِ جَمْعِي مُشْرِكًا بِيَ صَنْعَتِي(٩٩٤)

أي: كما لا أكون أنا وصنعتي واحدًا، فكيف يكون النفس وصانعها واحدًا؟!؛ ولهذا قَدَّمَ قوله: «أَلاَ هَكَذَا فَلْتُعْرَفِ النَّفْسُ» [البيت ٧٤٧].

٧٥٠ وَلَسْتُ مَلُومًا أَنْ أَبُثَّ مَوَاهِبِي وَأَمْنَحَ أَتْبَاعِي جَزِيلَ عَطِيَّتِي

٧٥١ وَلِي عَنْ مُفِيضِ الجَمْعِ عِنْدَ سَلاَمِهِ عَلَيَّ بِـ«أَوْ أَدْنَى» وِرَاثَةُ نِسْبَتِي(٩٩٥)

الواو في «ولي» واو الحال. ومفيض الجمع: محمد - صلى الله عليه وسلم-. والوراثة قوله: «العلماء ورثة الأنبياء»(٩٩٦)، ومفيض الجمع، أي: هو مفيض معطي الفيض لجميع أصحابه، وهو الهادي إلى الجمع الباطن والظاهر [...] النفس عن صفاتها بحكم الأوامر والنواهي. فمنه الإفاضة وهي الانحدار من علو ﴿فَإِذَا

(٩٩٤) ب ٧٤٩- وَحَّدْتُ أَلْحَدْتُ: جـ] وَجَدْتُ أَلْجَدْتُ: ت.

(٩٩٥) ب ٧٥١- وِرَاثَةُ: ت] إِشَارَةُ: جـ؛ نِسْبَتِي: ت] نِسْبَةِ: جـ.

(٩٩٦) هذا جزء من حديث نصه الكامل هو: "مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ". سنن أبي داود ٣٦٤١؛ سنن الترمذي ٢٦٨٢.

أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾(٩٩٧)، [...] إلا أنَّا إذا تبدد من أعلاه شيء مما فيه، وقوله: «عِنْدَ سَلاَمِهِ عَلَيَّ» إلى ليلة المعراج بقوله: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»(٩٩٨)، ولهذا قال «بأَوْ أَدْنَى» أي بمقام ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾(٩٩٩).

والمعنى: إذا دعيت جميع ما قلمته فلي ذلك ولست ملومًا أن أمنح به أتباعي، وقد ورثت من النبي – صلى الله عليه وسلم – وراثة نسبة(١٠٠٠) إليه لا وراثة نسب.

٧٥٢ وَمِنْ نُورِهِ مِشْكَاةُ ذَاتِي أَشْرَقَتْ ... عَلَيَّ فَنَارَتْ بِي عِشَايَ كَضَحْوَتِي

المشكاة: المسرجة. وعشاي فاعل. أي: ظُلَمُ الكون أرى بها.

٧٥٣ فَأُشْهِدْتُنِي كَوْنِي هُنَاكَ فَكُنْتُهُ ... وَشَاهَدْتُهُ إِيَّايَ والنُّورُ بَهْجَتِي(١٠٠١)

---

(٩٩٧) سورة البقرة، الآية ١٩٨.

(٩٩٨) هذا جزء من حديث نصه الكامل هو: "كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ للهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الكَلاَمِ مَا شَاءَ"، صحيح البخاري ٦٢٣٠؛ كما ورد هذا الحديث بروايات متعددة.

(٩٩٩) سورة النجم، الآية ٩.

(١٠٠٠) نسبت: ت.

(١٠٠١) ب ٧٥٣ – فَأُشْهِدْتُنِي: جـ] فأشهدْتُنِي: ت.

أي: لما فعلت من الأمثال ما به استحققت[١٠٠٢] الكمال بحسبي كما استحقَّ هو - عليه السلام - الكمال بحسبه، كنت أنا الذي أشْهَدَتْني كَوْنِي في العلم بلا وجود بي من ذاتي، فكنت هنا كما كنت هناك حيث النور بهجة لي. ومحتمل أن معنى قوله «فَأَشْهِدَتْني» عائد على قوله «وَمِنْ نُورِهِ مِشْكَاةُ[١٠٠٣] ذَاتِيَ أَشْرَقَتْ» أي: أُشهِدَتْني كوني هناك مسلَّمًا عليه من النبي - صلى الله عليه وسلم - «والنُّورُ» وحين النور بهجة لي بسلامه علي، «فكنتُهُ» أي: فكنت بأفعالي وأمثالي عالمًا بارعًا، وشاهدت ذلك المسلِّم عليه هو إياي، وإذا نظر الناظر بعين الحقيقة رأى النور الذي في الكون كله ليس إلا بهجة صاحب هذا المقام.

ويجب أن تعلم أن درجة الكمال واحدة لجميع الرجال وهي مقامهم وقيامهم بالامتثال فيتساوى ذو[١٠٠٤] القليل وذو[١٠٠٥] الكثير في ثواب الأعمال كتساويهم في إخراج عُشْرِ المال إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾[١٠٠٦]. فالكامل [٣٣ظ] هو من قام فيما أتاه الله بوسعه فيكون الكامل واحدًا وهو كثير ومختلف فيما أوتيه من ربه، وهو واحد في اجتهاده وكسبه وقد انفهم من الشرح الأخير مراد الناظم فافهمه. وإذا كان الناظم قد كَمُلَ في مقام المحمدية بحسبه، فكذلك هو في مقام الموسوية وغيرها، ولهذا قال:

٧٥٤ فَبِي قُدِّسَ الوَادِي وَفِيهِ خَلَعْتُ خَلْـ ـعَ نَعْلِي عَلَى النَّادِي وَجُدْتُ بِخِلْعَتِي[١٠٠٧]

(١٠٠٢) استحقيت: ت.

(١٠٠٣) مشكات: ت.

(١٠٠٤) ذوا: ت.

(١٠٠٥) ذوا: ت.

(١٠٠٦) سورة الطلاق، الآية ٧.

(١٠٠٧) ب ٧٥٤ - بِخِلْعَتِي: جـ] بِخَلْعَتِي: ت.

وهذه إشارة إلى الاتحاد بالحالة الموسوية بحسب إمكان الناظم لا بحسب موسى عليه السلام، بل كما قدمنا و«الوادي» هو الكون يؤدي ما فيه من العالم و«النعل» الصفات جعلها تحت قدمه فملكها، وخلع على كل ذي صفة صفته بعلوه عنها ثم خلع الخلع فلم يره، وكان خلع الخلع خلعة منه جادَ بها على نفسه، وأراد بـ«النادي» الذي هو المكان أهل المكان وهم أصحاب الصفات التي خلعها.

٧٥٥ وَآنَسْتُ أَنْوَارِي فَكُنْتُ لَـهَا هُـدًى وَنَاهِيكَ مِنْ نَفْسٍ عَلَيْهَا مُضِيئَةِ(١٠٠٨)

أي لولاي لم يظهر علي نوري.

٧٥٦ وَأَسَّسْتُ أَطْـوَارِي فَنَـاجَيْتُنِي بِهَـا وَقَضَّيْتُ أَوْطَارِي وَذَاتِي كَلِيمَتِي(١٠٠٩)

أي لم أصل لطُور إلا عن أساس، فناجيت إياي في كل طور، ولم يكن في طوري غيري، فأنا واحد وكثير وقضيت أوطاري أي في كل طُور.

٧٥٧ فَبَـدْرِي لَمْ يَأْفُـلْ وَشَمْـسِيَ لَمْ تَغِـبْ وَبِي يَهْتَدِي كُلُّ الدَّرَارِي الْمُنِـيرَةِ(١٠١٠)

يعني: يرىٰ في كل طُور لم يأفل؛ لأني ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾(١٠١١)، والدَّرَارِي: أصحابُ المقامات.

(١٠٠٨) ب ٧٥٥- هُدًىٰ: جـ] هُدًا: ت؛ مُضِيئَةِ: جـ] مضية: ت.

(١٠٠٩) ب ٧٥٦- وَقَضَّيْتُ أَوْطَارِي: جـ] وقضيت أطواري: ت.

(١٠١٠) ب ٧٥٧- يهتدي: ت] تَهْتَدِي: جـ.

(١٠١١) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

٧٥٨ وَأَنْجُمُ أَفْلاكِي جَرَتْ عَـنْ تَـصَرُّفِي بِمِلْكِي وَأَمْلاكِي لِـمُلْكِيَ خَرَّتِ(١٠١٢)

وأنجم أفلاكي في كل طُور.

٧٥٩ وَفِي عَالَمِ التَّذْكَارِ لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا الـ ـمُقَدَّمُ تَـسْتَهْدِيهِ مِنِّـيَ فِتْيَتِـي(١٠١٣)

يعني بالتَّذكار هذا الوجود، وقوله «لِلنَّفْسِ عِلْمُهَا» أي أن معرفة النفس مقدم على معرفة بارئها، تستهديه(١٠١٤) [عطية] وهدية.

٧٦٠ فَحَيَّ عَلَى جَمْعِـي القَـدِيمِ الَّـذِي بِـهِ وَجَدْتُ كُهُولَ الحَيِّ أَطْفَالَ صِبْيَتِي(١٠١٥)

«جمعي» أي: جمعي معارف النفس. و«القديم» أي: مذ كنت صغيرًا، وهذا ينطبق على آخر البيت، «فَحَيَّ» كلمة للحث والاستعجال، ويفهم من هذا البيت أيضًا ما معناه حَيَّ على فعل ما سلكته حتى وصلت إلى جمعي القديم - ض ذ(١٠١٦) - الذي كان لي قبل الاتصاف بالأوصاف التي اتَّصَفْتُ بِهَا في الحدث، ثم رفضتها إذ كانت لي فرقًا، فَعُدْتُ برفْضِهَا إلى جمعي القديم.

٧٦١ وَمِنْ فَضْلِ مَا أَسْأَرْتُ شُرْبُ مُعَاصِرِي وَمَنْ كَانَ قَـبْلِي فَالفَـضَائِلُ فَـضْلَتِي

(١٠١٢) ب ٧٥٨- بِمِلْكِي: جـ] بمُلكي: ت.

(١٠١٣) ب ٧٥٩- تَسْتَهْدِيهِ: جـ] تستهد به: ت.

(١٠١٤) يستهديه: ت.

(١٠١٥) ب ٧٦٠- فَحَيَّ: جـ] فحيي: ت؛ كُهُولَ: جـ] كهولُ: ت.

(١٠١٦) كذا في ت، وهو رمز غامض.

هذا الكلام من الناظم له هو في رتبته[١٠١٧] صحيح، وكلامه عن صاحب الرتبة بلسانه صحيح، والمُعَاصِرُ: من العَصْر، والعصير: المشروب.

[خاتمة] وإذ قد نجزت هذه القصيدة فلنزد البيان وضوحًا ونجعل في جسده روحًا، اعلم أن القدرة المطلقة تعطي أن الله تعالى مخاطب بأدنى ملحوظ من عالم الصور وأعلى[١٠١٨] ملفوظ من عالم المعاني، والمخاطب متى مَيَّز بين الخير والشر لزمته التكاليف الشرعية لأنه هبط إلى آكلٍ من شجرة[١٠١٩] المعرفة، وما لم يميز فهو في شهود الوحدة وإن برزت في الكثرة، وشهود الوحدة في الكثرة منقسم إلى قسمين: أحدهما ظاهرًا حسًّا بالوجود، والثاني باطنًا نفسًا بالشهود، ولا يصح هذا الشهود في الحس إلا بعد [...] الجمع بالنفس، والذي شهد الجمع في الفرق باطنًا وظاهرًا فقد جمع بين الجمعين فهو الجامع الأقصى، فذهب بالجمع رؤية الفرق في نظره وهذا هو الذي صار كله يدًا وكله عينًا وكل شيء منه كل شيء منه، فافهم.

ولهذا كان هذا فرق الزمان، ومن هاهنا قال صاحب هذا اللسان: [الطويل]

أُمِيْطُ الأذَى عَنِّي فَأَنْظُرُ وَجْهَهُ ... بِعَيْنِ يَدِيْ وَالحِيْنِ وَالأَزَلِيَّةِ
فَصَاحِبُ جَمْعِ الجَمْعِ زَالَ فَرْقُهُ ... فَلَهُ مَقَامُ كُلِّ كُلِّيَةٍ وَجُزْئِيَّةٍ[١٠٢٠]

(١٠١٧) وثبته: ت.

(١٠١٨) وأعلا: ت.

(١٠١٩) الشجرة: ت.

(١٠٢٠) هذا البيت مضطرب عروضيًا.

من الفَرِّقِ؛ لأن الفرق كله عاد وراء ظهره، بل عدمًا في نظره. فإذا رجع إليه مكلفًا كان هو الكامل المرسل الذي له الكل ملك بل مملوك، وهنا قال صاحب اللسان مترجمًا عن هذا الشأن:

[البسيط]

لِلْحِسِّ جَمْعٌ وَفَرْقٌ ظَاهِرٌ أو كَذَا ... لِلنَّفْسِ جَمْعٌ وَفَرْقٌ بَاطِنًا تَجِدُ

فَرْقٌ وَجَمْعٌ بَدَا فِي رُتْبَتَيْ أَحَدِ ... حِسًّا وَنَفْسًا بِجَمْعِ الجَمْعِ تَتَّحِدُ

فَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِ الفَرْقِ مُفْتَرِقٌ ... وَمَنْ رَآهُ بِعَيْنِ الجَمْعِ مُنْفَرِدُ

وَمَنْ [٣٤و] رَآهُ بِجَمْعِ الجَمْعِ فَهْوَ لَهُ ... عَيْنٌ بِهِ وَبِجَمْعِ الجَمْعِ مُتَّحِدُ

بعد، وهذا وهو بين الأسطر إلى قوله في الأزلية، فكان كله عينًا وكله يدًا وقام كل عضو منه بفضيلة كل عضو منه، وكذلك كل جزء، وهذه الكلية هي حقيقة ط(١٠٢١)، وأظهرت له نفسه ذاتها بصورة صانعها؛ إذ هي على [صورته] فرآه في رؤيته لها، فكان مقبلاً إليه مدبرًا عنها [.../ في](١٠٢٢) رؤيته لها وحال رؤيته له بها، وذلك كما لمّا [.../ عَلَّم] الأسماء من آدم فكان ظهور العلم من المتعلم عين [.../ عِلْمِ] المعلِّم، فكان الملائكة يرون آدم فيرون المعلِّم [.../ عين] رؤيتهم المتعلِم مقبلين عليه معرضين عنه، وكان عين أخذهم عنه عين أخذهم عن معلِّمه، فكذلك كان آدم يرى البارئ منه باديًا من ربه، مقبلاً بربه على ربه معرضًا بنفسه عن نفسه، أعني نفس آدم فلا يشغله شأن عن شأن ولا لسان عن لسان، ولقد قال صاحب هذا الحال:

(١٠٢١) يبدو أنه لا يوجد معنًى واضح لحرف ط وقد يقصد به: طه.

(١٠٢٢) إضافة بها يستقيم السياق.

[الكامل]

يَبْدُو[١٠٢٣] لِذَاتِي مِنْهُ مَا يَبْدُو[١٠٢٤] بِهِ ... مِنِّي لَهَا فَأَرَى بِذَاتِيَ ذَاتِي
قَبِهِ أَرَاهُ وَبِيْ أَرَاهُ مُنَزَّهًا ... وَبِهِ أَرَى ذَاتِي بِغَيْرِ صِفَاتِي
وَأَرَى الْمُسَمَّى فِي مَرَاتِبِ وَصْفِهِ ... يَبْدُو[١٠٢٥] بِذَاتِي لِي بِغَيْرِ صِفَاتِي

فيعلم آدم حينئذ أنه من خصوصية ذاته أنها أودِعَتْ من حين أُبدِعت ما تعلمه بها وتعمله لها، فهو يرىٰ ذاته عليه عزت لها منها كل شيء، ولا قدرة لها منها علىٰ شيء، فيرىٰ حينئذ خلافته بعين يقينه، فيرجع مع عُلُوِّ تمكنه من سيره عن نفسه إلىٰ أدنىٰ وقوف مع ما أُمر به من ربه، وبهذا العرفان علا قدر الإنسان وظهرت فائدة القرآن، والذي عَلِمَ ذلك وعلَّمه قال:

[البسيط]

يَا آخِرَ الكُلِّ فِيكَ الكُلُّ مُنْدَرِجٌ ... وَقَوْلِيَ الكُلَّ كَافٍ إِنْ تَكُنْ فَطِنَا
وَأَنْتَ جُزْؤُكَ أَوْ جُزْءُ الوُجُودِ كَمَا ... تَكُونُ عَيْنًا إِذَا مَا شِئْتَ أَوْ أُذُنَا
فَالكُلُّ وَالجُزْءُ وَمَا فَوْقَهُ أَبَدًا ... أَضْحَى بِقَصْدِكَ مَغْدُوقًا[١٠٢٦] وَمُرْتَهَنَا
إِنْ غِبْتَ غَابَ وَإِنْ يَحْضُرْ يَجِدْكَ لَهُ ... ذَاتًا تَرَاهُ لما حَاوَلْتَهُ وَطَنَا
فَإِنْ تَكُنْ فَلَكًا أَوْ إِنْ تَكُنْ مَلِكًا ... أَوْ كُنْتَ رُوحًا لِرُوحِ الكُلِّ أَوْ بَدَنَا
أَخْطَأْتَ قَصْدَكَ فَالمَقْصُودُ كَوْنُكَ إِنْـ ... ـسَانًا وَعَبْدًا وَمَعْتُوقًا وَمُمْتَحَنَا
هَـذَا مَقَامُ رَسُولِ الله قُمْ أَبَدًا ... بِهِ تَكُنْ آمِنًا فِي الكُلِّ مُؤْتَمَنَا

(١٠٢٣) يبدوا: ت.

(١٠٢٤) يبدوا: ت.

(١٠٢٥) يبدوا: ت.

(١٠٢٦) الكلمة واضحة في ت لكن لا نرىٰ معنىً لها.

ولقد أفصح ناظم القصيدة وأتى بعين هذه القصيدة إذ قال:

وَلَمْ أُلْهَ بِاللاَّهُوتِ عَنْ حُكْمِ مَظْهَرِي ... وَلَمْ أَنْسَ بِالنَّاسُوتِ مُظْهِرَ حِكْمَةِ(١٠٢٧)

كما بيَّنَّاه، وزبدة ما قرره منحصر في صورتين: إحداهما: ما يتعلق بالذات. والأخرى: ما يتعلق بالصفات. أعني ذات الإنسان؛ فبيّن فيما يتعلق بالذات أنها فاعل على صورة صانعها، ولها كل ما يتعلق بها منها، وبيّن بالصفات وجوب تحقق الذات بها وتجردها عنها، وأن تجردَها عن الصفات بعد وجودها كان سببًا في العلم الأزلي(١٠٢٨) بوجودها، فإيجادها منه تعالى على حكم الجزاء في العمل لعلم من قبل، وإن كان العمل المقتضي لإيجادها جاء منها من بعد، فكأنها بهذا السبب أوجدت ذاتها؛ فبهذا الاقتداء تجردت عن صفاتها، وهذا مفيد في ثمانية أبيات وعلى وزن القصيد:

[الطويل]

أَرَى نُورَ نَارٍ مِنْ خِيَامٍ لَعَزَّةٍ ... وَعَيْنِي لِرُؤْيَاهَا عَلَى البُعْدِ مُدَّتِ

فَقُمْتُ لِدَكِّ الطُّورِ مِنِّي مُسَارِعًا ... وَبَادَرْتُ مِنْ قَبْلِ التَّجَلِّي بِصَعْقَتِي

فَلاَ كَوْنَ إِلاَّ وَالمُعِيقُ بِهِ غَدَا ... مُعِينًا وَعَوْنًا لِيْ يَهُمُّ بِهِمَّتِي

فَأَبْصَرْتُ لَمَّا بَصَّرَتْنِي جَمَالَهَا ... بِعَيْنِي وَلَوْلاَ الدَّكُّ وَالصَّعْقُ أَعْمَتِ

رَأَتْ(١٠٢٩) عَيْنِي عَيْنَ جَمَالِهَا ... بِهَا وَهْيَ مِرْآتِي فَعَايَنْتُ وَحْدَتِي

فِيْ عَيْنِ الغَيْرِ أَوْ كُنْتَ عَيْنَهَا ... لِمَا اسْتَخْلَفَتْنِي حِيْنَ أَبْدَتْ حَقِيقَتِي

(١٠٢٧) حكمتي: ت.
(١٠٢٨) الأزل: ت.
(١٠٢٩) رت: ت.

بِنْ غَـيْرِيْ وَمَـا ثَـمَّ غَيْرُهَـا كَـذَا عِلْمُهَـا بِي كَـانَ فِي الأَزَلِيَّـةِ
وَمَـا أَبْـدَى سِـوَايَ وَإِنَّـمَا جَزَتْنِي بِفِعْلِي بَعْدُ مِنْ قَبْلِ نَشْأَتِي[١٠٣٠]

هذه المنظومة تتعلق من الإنسان بذاته، والمنظومة الثانية تتعلق بصفاته، وهي:

[الطويل]

فَـدُونَكَ أَشْـبَاحٌ تَغِيْـبُ وَتَحْـضُرُ وَأَرْوَاحُهَـا بِالْوَصْـفِ تُطْوَى وَتُنْشَرُ
فَأَوْصَـافُهَا تَبْـدُو ذَوَاتٍ فَتَرْتَقِـيْ وَتَـنْحَطُّ والأَوْصَـافُ تَخْفَى وَتَظْهَـرُ
فَـإِنْ ظَهَـرَتْ ذَاتٌ بِغَـيْرِ صِـفَاتِهَا إِذَا أَظْهَرَتْهَـا وَهْـيَ لِلـذَّاتِ تَظْهَـرُ
فَأَوْصَافُ ذَاتِي حَجْبُهَا وَهْـيَ لاَ تُـرَى بِغَـيْرِ حِجَـابٍ مِـنْ صِـفَاتٍ تُبَـصَّرُ
فَلَـوْلاَ حِجَـابِيْ مَـا ظَهَـرْتُ لِنَـاظِرٍ وَلَـوْلاَيَ مَـا كَـانَ الحِجَـابُ المُبَصِّرُ
[٣٤ظ] فَهَا أَنَا خَافٍ فِيْ ظُهُورٍ وَظَاهِرٍ بِخَـافٍ فَأَوْصَـافِي بِعَقْـلِي تُحَـيَّرُ
أَرَى الذَّاتَ غَيْبًـا حِيْنَ لَمْ أَرَ وَصْـفَهَا وَيُظْهِـرُنِي وَصْـفِيْ وَوَصْـفِيَ أَظْهَـرُ
وَذَاتِي عَلَتْ بِالْوَصْـفِ إِذْ ظَهَـرَتْ بِـهِ وَمَظْهَرُهَـا لاَ شَـكَّ أَعْـلَى[١٠٣١] وَأَظْهَـرُ
إِذَا مَـا اتَّحَـدْنَا[١٠٣٢] بِالـصِّفَاتِ رَأَيْتُـهُ بِوَصْفِي فَوَصْفُ الذَّاتِ لِلذَّاتِ مُظْهِرُ
وَعَـيْنُ ظُهُـورِي بِالـصِّفَاتِ ظُهُـورُهُ لِعَيْنِيْ بِهَا أَبْـدُو[١٠٣٣] فَيَبْـدُو[١٠٣٤] فَأُبْـصِرُ

(١٠٣٠) صدور الأبيات من الخامس إلى الثامن مكسورة.

(١٠٣٢) متحدنا: ت.

(١٠٣١) أعلا: ت.

(١٠٣٣) أبدوا: ت.

(١٠٣٤) فيبدوا: ت.

وَلَمْ يَبْدُ لِيْ غَيْرِيْ فَذَاتِي بِوَصْفِهَا	بَدَتْ لِيْ وَأَبْدَىْ الوَصْفُ مَا لَيْسَ يُبْصِرُ
وَلَمْ يَنْتَقِلْ وَصْفٌ وَلَمْ يَنْقَسِمْ إِذَا	بِهِ اتَّحَدَا فِيْهِ مُقِلٌّ ومُكْثِرُ
إِذَا صَحَّ تَوْحِيْدِي لِذَاتِي بِوَصْفِهِ	أُشَاهِدُ مِنِّي عَنْهُ مَا لاَ يُعَبَّرُ
فَبِالْوَصْفِ لاَ بِالذَّاتِ صَحَّ اتِّحَادُنَا	فَأَخْبِرْ[هُ](١٠٣٥) عَنِّي بِالَّذِيْ عَنْهُ أُخْبَرُ
وَيُظْهِرُنِي وَصْفًا وَأَظْهَرُ لِيْ بِهِ	وَيَنْصُرُنِيْ وَصْفِيْ وَوَصْفِيَ أَنْصرُ
فَذَاتِي بِأَوْصَافِي بَدَتْ فَهِيَ أَعْيُنٌ	وَأَوْصَافُ ذَاتِي أَلْسُنٌ عَنْهُ تُخْبِرُ
فَإِنْ حَدَّثَتْ عَنِّي فَعَنْهُ تَحَدَّثَتْ	وَإِنْ خَبَّرَتْ عَنْهُ فَعَنِّي تُخَبِّرُ
فَأَعْشَقُ ذَاتِي إِذْ بَدَتْ فَبَدَا بِهَا	لَهَا وَبِهِ تَبْدُو فَيَبْدُو ...
فَلَمْ أَرَ غَيْرَ الذَّاتِ مِنِّي بِوَصْفِهَا	وَقَدْ أَصْبَحَتْ غَيْبًا بِهَا أَنَّنَا ...
... ...	فَيَنْطِقُ صَمْتِي حَتَّى أَخْفَى وَأَحْضُرُ
وَيَصْمُتُ نُطْقِي حِيْنَ لاَ ...	... ...
وَلاَ وَصْفَ فِي التَّحْقِيقِ إِلاَّ لأَجْلِنَا	فَنَحْنُ نَرَى بِالْوَصْفِ ... ...
وَلَكِنْ تَسَمَّى لِي بِوَصْفِي تَعَرُّفًا	إِلَى مَا مِنِّي أُحِبُّ وَأُوثِرُ
وَحِيْنَ اتَّحَدْنَا بِالصِّفَاتِ عَبَدْتُهُ	وَكَانَ اتِّحَادُ الوَصْفِ ... ...
فَذَاتُكَ وَصْفٌ ... بِهِ	لِهَذَا تَغِيْبُ وَالوَصْفُ يَحْضُرُ
وَرَبُّكَ مَنْ أَصْبَحْتَ مِنْ طَوْعِ أَمْرِهِ	بِوَصْفِكَ فَاعْبُدْ مَنْ تَشَاء ...
وَمَا الكَوْنُ إِلاَّ وَصْفُ ذَاتِكَ، شُخِّصَتْ	لَهُ صُوَرٌ تَبْدُو فَتَبْدُو بِهِ ...
كَذَاكَ فِي الأُخْرَى صِفَاتُكَ صُوِّرَتْ	فَمِنْهَا جِنَانٌ أَوْ جَحِيْمٌ تَسَعَّرُ
سَأَجْزِي بِوَصْفِي وَهْوَ نَارِي وَجَنَّتِي	وَيُخْلَقُ مِنْ وَصْفِي نَكِيْرٌ وَمُنْكَرُ

(١٠٣٥) [ ] إضافة لاستقامة الوزن والمعنى.

فَلَيْسَ سِوَى وَصْفٍ فَقُمْ وَاتَّصِفْ بِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَالعَبْدُ بِالوَصْفِ يُؤْمَرُ

وَقَدْ وَسِعَتْنِي رَحْمَةُ الأَمْرِ هَاهُنَا وَإِنِّي لَمَا يَوْمَ القِيَامَةِ أَفْقَرُ

وهذه الأبيات إنما ذكرتُها لكونها في ضمن مقامات ناظم القصيد وطَور من أطوار سليكه مع اعترافي بما يجب من الأدب معه عند وقوفه في حده، فأما حين هو لسان الكامل، والأدب واجبٌ على كل قائل [و]فاعل، والحمد لله.

وقد نُجِزَ الكتاب

بعون الملك الوهاب

عنه في منية بني خصيب الأُشْمُونَيْن

في يوم الاثنين، سابع رمضان، سنة أحد وسبع مئة

علقه لنفسه الفقير

أحمد بن علي بن عبد الرحمن المدني الشافعي

خاتمة

وبعدما انتهينا من تحقيق شرح عفيف الدين التلمساني على قصيدة عمر بن الفارض الشهيرة *التائية الكبرى*، ينبغي لنا أن نبرز بعض الخطوط الرئيسية لعملنا هذا مبرزين أهميته في إطار دراسات التصوف الإسلامي عامة وفي تصوف ابن الفارض خاصة.

يمثل شرح التلمساني، ولا شك في ذلك، إضافة مهمة للمكتبة الفارضية، لا سيما فيما يخص قصيدة *التائية الكبرى* التي حازت على عدد وافر من الشروح من جانب الكثير من الدارسين قديمًا وحديثًا، مما يؤكد أهمية شعر ابن الفارض في التراث الصوفي الإسلامي. ولا شك أن شرح التلمساني، رغم تشابهه بشرح صاحبه سعيد الدين الفرغاني، يمثل نظرة جديدة لشعر ابن الفارض وخبرته الصوفية. والملاحظ أن هذا الشرح المهم ظل مخطوطًا مجهولاً قرونًا طويلة منذ بداية كتابته حتى أيامنا هذه. أما الآن، وعبر تحقيقنا هذا، فقد صار في متناول جميع دارسي شعر ابن الفارض الصوفي.

وتيسيرًا لفهمه فقد وضعنا شرح التلمساني في سياقه التاريخي بين الكثير من شُرَّاح *التائية الكبرى*. والواقع أنه يأتي بعد شرح الفرغاني كثاني شرح كبير مدوَّن على تائية ابن الفارض الكبرى. فهناك قبله شرح شفويٌّ قام به صدر الدين القونوي ومنه أخذ كل من تلميذيه، الفرغاني والتلمساني من بعده. إلا أن التلمساني، كما يثبت هو

بنفسه في مقدمته، أخذ الكثير من شرح صاحبه الفرغاني، ولذلك كانت المقارنة بين الاثنين مهمة لإبراز التشابه والاختلاف بينهما. وكذلك وضعنا شرح التلمساني في مقارنة مع غيره من الروايات الأخرى الكثيرة المذكورة في تحقيق ديوان ابن الفارض الذي قام به الدكتور جوزيبي سكاتولين، فاعتبرنا رواية التلمساني قراءة جديدة لنص *التائية الكبرى* إلى جانب غيرها من القراءات، فكانت هذه أيضًا إضافةً مهمة جدًا لنقل نصها عبر التاريخ. والجدير بالذكر أننا اعتمدنا في تحقيقنا لشرح التلمساني على المخطوطة الوحيدة التي عثرنا عليها في دار الكتب المصرية، فلم نجد أية مخطوطة أخرى في المكتبات المعروفة تحتوي على شرح التلمساني لتائية ابن الفارض. وعلى كل حال نتمنى أن يُعثر في مستقبل غير بعيد على مخطوطات أخرى للتلمساني- إن وجدت- سوف تمكننا من إجراء مقارنة مفيدة ومثمرة بها.

كذلك، وتوضيحًا لمحتواه، عرضنا بإيجاز النظرة الصوفية التي شرح التلمساني في ضوئها قصيدة ابن الفارض *التائية الكبرى*. ومن حسن الحظ أن التلمساني نفسه قدَّم شرحه بمقدمة عرض فيها مفاهيمه العامة التي شرح القصيدة الفارضية على أساسها. ولكن، رغم أهمية هذه المقدمة، نرى أن هناك حاجة إلى دراسة أكمل وأشمل لنظرية التلمساني الصوفية لكي نفهم بطريقة أفضل مقاصده ومصطلحاته في الكثير من العبارات التي لا تزال غامضة في شرحه هذا.

وعلى كل حال، فإننا نأمل في أن يكون تحقيق شرح عفيف الدين التلمساني هذا إضافة مهمة تقف إلى جانب الدراسات التي اتخذت من هذا الشاعر الصوفي العظيم

موضوعًا لها، ونتمنى أن يكون هـذا العمـل مفيـدًا للدارسـين والمحققـين في مجـال الدراسات حول شعر ابن الفارض الصوفي.

وأخيرًا وليس آخرًا، بعد كل كَدٍّ وَجِدٍّ، علينا أيضًا أن نعترف بأن الكمال لله وحده. فلا نعتبر عملنا هذا إلا بداية لعمل علمي جديد ومتواصـل لفـك اللغـز الغـامض الذي لا يزال يخيم على شعر عمر بـن الفـارض الـصوفي وخبرتـه الروحيـة. وبـالله التوفيق، فهو حسبنا.

الكشافات التحليلية

كشاف الآيات القرآنية

حسب ترتيب المصحف

م	الآية	السورة	الصفحة
١	﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾	البقرة، من الآيتين ٢-٣	٩٨
٢	﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾	البقرة، من الآية ١١٥	١٤٠-١٤٣ ٣٠١
٣	﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾	البقرة، من الآية ١٥٢	٢١٩-٢٥٨
٤	﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾	البقرة، من الآية ١٩٨	٣١٧
٥	﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	البقرة، من الآية ٢٥٥	٢٠٩
٦	﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾	البقرة، من الآية ٢٨٦	٣١٣
٧	﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	آل عمران، من الآية ٨٣	٣١١
٨	﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾	النساء، من الآية ٤٠	١٢٢-٣٠٠
٩	﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ﴾	النساء، من الآية ٦٩	٩٤
١٠	﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾	النساء، من الآية ٨٠	١١٩
١١	﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾	المائدة، من الآية ٤٨	٩٣
١٢	﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾	المائدة، من الآية ٦٠	١٧٦
١٣	﴿وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾	المائدة، من الآية ٦٧	٢٣٥
١٤	﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾	الأنعام، من الآية ٩	٢٤٢
١٥	﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾	الأنعام، من الآية ٧٦	٣١٩
١٦	﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	الأنعام، من الآية ٨٨	١٩٠
١٧	﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾	الأنعام، من الآية ١٢٤	١٩٠

٣٦	﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾	الحجر، من الآية ٢٩	٢٢١-٢٢٢
٣٧	﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾	الإسراء، من الآية ١٥	١٤٤
٣٨	﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾	الإسراء، من الآية ٤٤	٢٠١
٣٩	﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾	الإسراء، الآية ٧٢	٢٤٨-٢٨٧
٤٠	﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾	الكهف، من الآية ٧٨	١٨٩
٤١	﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾	الكهف، من الآية ٨٢	٣٠٤
٤٢	﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾	مريم، من الآية ١٧	١٧٩
٤٣	﴿أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾	طه، من الآية ١٤	١٧٨
٤٤	﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾	طه، من الآية ٤٦	٢٣٥
٤٥	﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	طه، من الآية ٥٠	٨٥
٤٦	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾	طه، من الآية ١١٠	٨٢
٤٧	﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾	الأنبياء، الآية ٣٠	٢٤١
٤٨	﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	الأنبياء، من الآية ٨٧	١٨١
٤٩	﴿سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾	الأنبياء، من الآية ١٠١	٢٥٠
٥٠	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ﴾	الحج، من الآية ١٨	١٤٢
٥١	﴿تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾	الحج، من الآية ٣١	١٠١
٥٢	﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾	الفرقان، من الآية ٤٣	١٦٢
٥٣	﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾	النمل، من الآية ١٤	٧٨
٥٤	﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾	النمل، من الآية ٤٠	١٨١

٥٥	﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾	العنكبوت، من الآية ٦٩	١٦٥
٥٦	﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾	الروم، من الآية ٣٠	١٩٣
٥٧	﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْـمُؤْمِنِينَ﴾	الروم، من الآية ٤٧	١٨٨
٥٨	﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾	السجدة، من الآية ٧	٢٨٧-٣٠٩
٥٩	﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾	السجدة، من الآية ١٧	٨٧
٦٠	﴿مَا جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾	الأحزاب، من الآية ٤	٢٠٠
٦١	﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾	سبأ، من الآية ٤١	٨٨
٦٢	﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾	الزمر، من الآية ٣	٣١٢
٦٣	﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْـمُتَكَبِّرِينَ﴾	الزمر، من الآية ٧٢	١٥٦
٦٤	﴿لِـمَنِ الْـمُلْكُ الْيَوْمَ﴾	غافر، من الآية ١٦	٢٤٧-٢٤٨
٦٥	﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾	فصلت، من الآية ٤٠	٨٧
٦٦	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾	فصلت، من الآية ٤٦	٩٣-١٢٢ ١٤٣-١٤٤ ١٦٦-٢٢٨
٦٧	﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾	الزخرف، من الآية ٣٢	٩٣
٦٨	﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْـحَقِّ﴾	الدخان، من الآية ٣٩	٣٠٩
٦٩	﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	الجاثية، من الآية ١٣	٩٣
٧٠	﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّـذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَـافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾	محمد، الآية ١١	٣١١
٧١	﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾	محمد، من الآية ٣٨	٢٢٦
٧٢	﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾	الفتح، من الآية ١٠	١٦٤
٧٣	﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ﴾	ق، من الآية ١٦	٢٤٣

الأنعام، الآية ٧٣؛
النحل، الآية ٤٠؛ مريم،
الآية ٣٥؛ يس، الآية
٨٢؛ غافر، الآية ٦٨

كشاف الأحاديث النبوية الشريفة

متن الحديث	الصفحة
- أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ.	١٩
- إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَمَّا خَلَقَ آدَمَ قَبَضَ مِنْ طِينَتِهِ قَبْضَتَيْنِ: قَبْضَةً بِيَمِينِهِ وَقَبْضَةً بِالْيَدِ الأُخْرَى، فَقَالَ لِلَّذِي بِيَمِينِهِ: هَؤُلاءِ إِلَى الْجَنَّةِ وَلا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي يَدِهِ الأُخْرَى: هَؤُلاءِ إِلَى النَّارِ وَلا أُبَالِي، ثُمَّ رَدَّهُمْ فِي صُلْبِ آدَمَ فَهُمْ يَتَنَاسَلُونَ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الآنَ.	٣١٣
- إِنَّ مِنَ العِلْمِ كَهَيْئَةِ الْمَكْنُونِ لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ الْعُلَمَاءُ بِالله، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلاَّ أَهْلُ الغِرَّةِ بِالله.	٢٩٤
- عن عبد الله بن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا دعاء ندعو به في القنوت من صلاة الصبح "اللهم اهدِنا فيمَن هَديْت و عافِنا فيمَن عافيْت و تَوَلَّنا فيمَن تَوَلَّيْت و بارِك لَنا فيما أَعطَيْت و قِنا شَرَّ ما قَضَيت إنَّك تَقضي ولا يُقضى عَليك انَّهُ لا يَذِّلُّ مَن والَيت تَبارَكْتَ رَبَّنا وتَعالَيْت...	٣١٤
- حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:	

"الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ، وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: "أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ"، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ، قَالَ: "أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ"، قَالَ :فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ، قَالَ: "مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ" قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا، قَالَ: "أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ"، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ
فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ لِي: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟" قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ. ٢٦٧

- مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ. ٣١٦

- مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا
أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي ١٣٤-١٤١-
يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي ١٥٥-١٦٤-
١٧٩-١٨٧-
٢٢٦-٢٢٨-

لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره
الموت وأنا أكره مساءته

١٣٤-١٤١-
١٥٥-١٦٤-
١٧٩-١٨٧-
٢٢٦-٢٢٨-
٢٣٨
٢٨٢

من كنت مولاه فعليٌّ مولاه.

كنا إذا صلينا مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْنَا: السَّلاَمُ عَلَى اللهِ قَبْلَ عِبَادِهِ، السَّلاَمُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى مِيكَائِيلَ، السَّلاَمُ عَلَى فُلاَنٍ وَفُلاَنٍ، فَلَمَّا انصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلاَمُ، فَإِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ، وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا قَالَ ذَلِكَ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الكَلاَمِ مَا شَاءَ. ٣١٧

أقوال متداولة عند الصوفية على أنها أحاديث
إلا أنها ليست موجودة في المصنفات الكبرى للأحاديث

- كنت كنزًا مخفيًا فأحببتُ أن أُعْرَفَ فَخَلَقْتُ الخَلْقَ فَبِهِ عَرَفُوني. ٨٨
- من عرف نفسه فقد عرف ربه. ٩٧-٢٠٢
- ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن. ١٤٠-٢٢٨
- كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ المَاءِ وَالطِّيْنِ. ١٦٩
- الحجر الأسود يمين الله في الأرض. ٢٢٨
- عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. ٢٨١

كشاف الأعلام

كشاف المصطلحات الصوفية

كشاف اللغة[1]

المادة	الشرح	رقم البيت	الصفحة
ء ث ر	آثار: بمعنى: أن يقفو الأثر.	٢٩١	١٨١
	الأثير: كرة النار؛ لتأثر الكون عنها.	٤٧٠	٢٤٠
ء خ ذ	مأخوذ، أي: الذي أخذه.	٤٨٢	٢٤٤
ء خ و	أُوَاخِي: من الأُخُوَّةِ. أَوَاخِي: عُقَدٌ.	١٥٥	١٤٤
	الأخيَّة: عُقْدَةٌ في طَرَفِ حَبْلٍ مدفونةٌ في الأرض لتشد الدابة في الطرف الآخر.		
ء ذ ن	الإِذْن: الإطلاق في شيء ما.	٧١٤	٣٠٣
ء ز ل	الأَزْل: القوة.	٦١٤	٢٨٠
ء ز م	الأَزْمَة: شِدَّةٌ حَلَّتْ.	٦٤١	٢٨٦
ء س و	الأَسَى: الحُزْنُ.	١٨	١٠٥
ء ص ل	الأصيل: ما بين العصر والمغرب.	١١٨،١٠٨	١٢٩،١٣١
ء م ر*	الأَمْر: [في قوله تعالى: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِيْ)]: الدِّيْنُ القَيِّمُ.	٣٦٩	٢٠٥
ء م ل	أَمَّلْتُ: من الأَمَل.	٣١٤	١٨٩
ء م م	أمامي: قُدَّامي.	٧٤٨	٣١٦
	أَمَّت: قَصَدَت.	١٤٩	١٤١
ء م ن	الأمين: جبريل.	٣٠٣	١٨٥

(١) - المادة التي جاءت غير ملحقة بنجم، هي المادة التي تجدها في معاجم اللغة.
- المادة التي جاءت ملحقة بنجم، هي المادة التي لا تجدها في معاجم اللغة، ولكنك تجدها في المصادر الخاصة بالتصوف.

ء ن س	إِنْسَانُهُ: إنسانُ الطَّرفِ.	٤٢٢	٢٢١
ء ن ن	الأَنَّةُ: واحدةُ [الـ]أنين.	٢٨	١٠٨
ء و ل	أَوَّل محنتي: أَوَّل ما امتُحِنْتُ به من المحبة.	١٦	١٠٥
	الأُلى: مقلوبٌ من الأَوَّل؛ لأنه جمع أُوْلَى.	٢٨٨	١٨٠
ء ي د	الأَيْدُ: القُوَّةُ. وبأَيِّدِ (الأخيرة): بنعيم.	٥٤٤	٢٦٢
ء ي ي	آي، بمعنى: آيات.	٤١٠	٢١٨
ب ث ث	البَثُّ: إظهار ما اجتمع من كامن الحُبِّ.	٦	١٠١
ب ح ر*	لمّا جَلَّ عن المِثْل وتعالى عن المَثَلِ وضرب لنفسه الأمثالَ جاز أن يقال: هو كالبَحْرِ.		٨٣
	البَحْرُ: معرفة النفس.	٢٨٨	١٨٠
ب د د	البُدُّ: الصَّنَمُ.	٧٣٥	٣٠٩
ب د و	البوادي: من بدا، أي: ظهر.	٤٧٥، ٥٥٠	٢٤٢، ٢٦٤
ب ر ز	البَرْزَةُ: الظُّهُورُ.	٥٤٥	٢٦٢
ب ر م	التَّبَرُّمُ: الملل والسآمة، وأصلها من بَرْمِ الحَبْلِ، وهو شِدَّةُ فَتْلِهِ.	٤٢	١١٢
ب س ط	البَسْطَةُ: التَّمَكُّنُ.	١٦٤	١٤٦
	البَسِيْطَةُ: الأَرْضُ.	٦٤٦	٢٨٨
ب ش ر	بِشْرًا: سرورًا.	٥٢٣	٢٥٦
ب ع ث	البُعُوْثُ: الجمع الذي يبعث لقتال العدو بقوة وغلبة.	٥٦٤	٢٦٨
ب ق ي	لبُقْيَا: لأَجْلِ بُقْيَ العِزِّ [أي: لأَجلِ بَقِيَّةِ العِزِّ].	٣٤٥	١٩٩

ب ك ر	أشار بالأبكار إلى المُستَنبِطِين الذين ظهرتْ منهم المعارفُ أبكارًا، فهم السابقون بها.	٣١٨	١٩٣
ب ل ل	وأبَلَّت: شفت، بَلَّ المريض، وأَبَلَّ: بَرِئَ	١٢١	١٣٢
ب ل و	اللام في "البلوى": لام التعليل.	٢١	١٠٦
ب ل ي	أَبْلَى: من بَلِيَ الثَّوْبُ، إذا خَلِقَ.	٣٧	١١١
	أَبْلَتْ: من البَلاءِ.	١٢١	١٣٢
ب هـ و	المُباهاة: المُفاخرة.	٥٥٠	٢٦٤
ب و ر	بَارَ: هَلَكَ.	٧٣٣	٣٠٩
ب و ل	البَالُ: رخاءُ النَّفسِ، وحالُ القَلْبِ.	٣٧	١١١
ب ي ن	سُمِّيَتْ الشهادةُ بَيِّنَةً لأنها مُوَضِّحَةٌ للأَمْرِ المَخْفِيِّ.	٤١	١١٢
	بِنْتُ: [بَعِدْتُ] من البَيْنِ [أي: البِعَاد].	٢١٠	١٥٨
	بَيْنِنَا: [فِرَاقِنَا. من] الفِرَاقِ.	٤١٨	٢٢٠
	البَيْنُ: الفِرَاقُ.	٤٧١	٢٤١
	بَانَ: ظَهَرَ. وبَانَتْ: من البَيْنُونَةِ [أي: الفِرَاقُ].	٥٢١	٢٥٦
ت ب ع	ويُشير بالأَتبَاعِ إلى مَن سَلَكَ على أَثَرِهِ.	٣١٨	١٩٣
	التَّبَعِيَّةُ: أَمْرُ كُلِّ نَبِيٍّ بِاتِّبَاعِهِ.	٦١٦	٢٨١
ت ل ف	تَلافُ: إِتْلافُ.	٣٣٨	١٩٩
ت ل و	[تَالٍ] : تَالِي القرآنِ.	٤٣٧	٢٢٤
	تلا (الأولى): تَبِعَ. تلا (الثانية): من التِّلاوة.	٥٩٨	٢٧٦

	يُتْلَى: ليس من تلاوة القرآن والحديث، بل تكون معرفةُ الصانعِ ثانيًا، تتلو معرفةَ المصنوعِ التي كانت أوّلاً.	٧٤٧	٣١٥
ت و ب*	التَّوْبَةُ: هي الرَّجْعَةُ إلى جوهر ذاته التي لأجلها خُلق ليُكَوّن إنسانيته كاملةً من جهة ذاته بفعله؛ ليصح له اسم الخلافة.		٨٦
ث د ي	ثُدِيٌّ: جمع ثَدْيٍ.	٥٠٣	٢٥١
ث ر و	أَثْرَتْ: واحدةُ الثَّرْوَةِ.	٥٧٣	٢٧٠
ث ن ي	المُثَنَّى: اثنان مما قصد به؛ فهو كمثاني القرآن.	٥٥٤	٢٦٥
ج ب ر	الجَبَرُوْتُ: القُوَّةُ الإنسانية.	٥٧١	٢٧٠
ج د د	اسْتَجَدَّتْ: من الجديد.	٥٦٧	٢٦٨
	جَدَّ: سار فقطع الجادَّ.	٦٠٣	٢٧٨
	مُجِدَّةٌ: طلبت الجِدَّ في سيرها.	٦٧٧	٢٩٤
ج د و	اجْتَدَى: طلب الجُوْدِ.	٤٧٨	٢٤٣
	المُجْتَدِيْ: طالبُ الجَدْوَى.	٥٦٥	٢٦٨
ج ذ ب*	الجاذبان: ما يجذب الروحَ إلى فضاء عالم الشهود والوحدة.	٤٠٧	٢١٧
ج ذ و	الجذوة: الجمرة الملتهبة، ويقال بالضم والفتح والكسر.	٣٠٩	١٨٦
ج ر ر	الجريرة: ما يجرُّه الإنسان إلى نفسه من تَبِعَةِ الذنب.	٣٢١	١٩٤
ج س م*	الجسم: ثَوْبٌ [للنفس].	٣٩	١١١

ج و ز	جُزْ: تجاوز.	٢٩٨	١٨٤
	مستجيزًا: مجوزًا له.	٥٢٠	٢٥٥
	المجاز: ضد الحقيقة.	٥٣٩	٢٦١
ج و ي	جوًى: داء باطن.	١٢	١٠٤
ح ب ب	حُبه: محبته. وحبه- بالكسر-: محبوبه.	٢٢٨	١٦٢
ح ب ب*	الحُبُّ: صلة تُوَحِّدُ بالمحبوبِ محبَّه من جهة نفي الثنوية في الإرادة؛ فتعود الإرادة واحدة، وليس إلا إرادة المحبوب.	٥٩	١١٦
ح ج ب*	الحِجَابُ: الكون.	٥٢٦	٢٥٧
ح ج ب	الحَجْبَة: الحِجَابُ.	٧١٣	٣٠٣
ح ج ج	حُجَّتْ: غُلِبَتْ بقيام الحُجَّة.	٣٠٢	١٨٤
	حَجُّوا: من المُحَاجَجَةِ.	٦٢٩	٢٨٣
ح ج ر	الحَجْرُ: أن يُجْعَلَ حول المكانِ حِجَارَةً تمنع من الدخول فيه، وسُمِّي ما أحيط بالحِجَارَةِ حِجْرًا- بالكسر-.	٦٣٢	٢٨٤
ح ج م	أَحْجَمَ: امتنع.	٥٢٢	٢٥٦
ح د ق*	الحَدَقُ: تستعمل للناظر والمنظور، فهي من جهة المنظور موضع الفتن ومواضع المحن، وهي من الناظر أسبابُ الموتِ بالحُبِّ، وأسباب الحياة بالحب.	٣	٩٩
ح ر ق	حُرَقٌ: جمع حرقة.	١٢	١٠٤
ح ز م	الحَزْمُ: ضَبْطُ الرَّجُلِ أَمْرَهُ، وأَخْذُهُ فيه بالثِّقَة.	٥٥٣	٢٦٤، ٢٦٥

	وللحسِّ، أي: ما يرى حسًّا.		٣٦٩
ح س س	الحُسْن: هو الاعتدال.	٥٥٩	٢٦٦
ح س ن	الحسن: مُناسَبةٌ في المَرئِي، إذا قابلتها نسبة من	٦٤٣	٢٨٧
ح س ن*	الرَّائي، جُذِبَتْ إلى أن سُلِبَتْ، وإنما أتت لأنَّ مرادَه النفسُ لا بارئها.		
ح ض ر	الحَضْرَة: من الحُضُورِ.	١	٩٧
ح ظ ر	الحَظْر: المَنْعُ.	٣٢	١٠٩
	الحاظِر: المانِعُ، ومنه: الحظيرة [لأنها] تمنعُ الغَنَمَ.	٣٢	١٠٩
ح ف ظ	حفيظة: من المحافظة.	١٣٨	١٣٨
ح ق ب	الحِقْبَةُ: مُدَّةٌ من الزمان مهمة.	٥٤٩	٢٦٣
ح ك م	الحِكْمَة: الشريعة؛ لقوله تعالى: (حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ).	٢٥٠	١٦٨
	حُكْمِي: حُكْمُ الشَّرِيْعَةِ.	٤٥٥	٣٣٢
ح ك م*	الحِكْمَة: رؤيةُ الشيءِ وضِدِّهِ من واحدٍ.	٥٢٥	٢٥٧
	للحُكْم: حكم الحِسِّ.	٦٨١	٢٩٥
ح ل ل	أَحَلَّت: [من] التحليل، الذي هو ضد التحريم.	٥٣٩	٢٦١
	أَحَلَّت (الثانية): من الحلول.	١٢٠	١٣١
	الحِلَّةُ: حي العرب.	٥٣٤	٢٦٠
ح ل و	حَلَّيْتُ: من الحلاوة.	٥٧	١١٦
ح ل ي	حِلْيَةٌ: من الحَلْي.	٥٧	١١٦
	تَحَلَّتْ: من الحِلْيَةِ.	٢١٢	١٥٩

ح م ي	الحُمَيَّا: اسْمٌ لِلْخَمْرِ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسم من جهة الحرارة؛ لكونها تُحَمِّي الجسم.	١	٩٧
ح ن ف	الحَنِيْفُ: [صحيحُ] المَيْل إلى العدل عن الجَوْرِ.	٦٢٢	٢٨٢
ح ن و	تحنو: تميل للتراب إلى أتراب.	٤٢٦	٢٢٢
ح ي ر	الحَائِرُ: الَّذِي لم يَجِدْ له مَذْهَبًا يذهب به.	٨٣	١٢٥
ح ي ف	الحيف: ضده (الحنيف).	٦٢٢	٢٨٢
ح ي ن	حَانٌ: حَانَةُ الخَمَّارِ. حَانَ: بَلَغَ حِيْنُهُ.	٤	١٠٠
	الحِيْنُ: الوَقْتُ.	٢٢١	١٦١
ح ي ن*	حانة الخَمَّار: كالطليعة على ما فيه من صفات الأسرار.	٧٣١	٣٠٨
ح ي ي	حَيَّ: كَلِمَةٌ لِلْحَثِّ والاسْتِعْجَال.	٧٦٠	٣٢٠
خ ت م	خَتْمًا: خَاتَمًا (للأنبياء).	٦١٥	٢٨٠
خ ط ط	خَطِّي: [يقصد] الصِّرَاط.	٥٠٢	٢٥١
خ ط ف*	المخطوف: المُهجة، وكلانا خاطفان.	٣	٩٩
خ ف ف	خَفَّ: ترك ما أثقله.	٢٩٨	١٨٤
خ ف ي	خُفْية- بالضم-: سُتْرَة. والخِفَاءُ- بالكسر-: ما يستر به كالغِطَاءِ، وهو قوله خَفَتَه: غَطَّته.	٢٨	١٠٨
خ ل د	الخُلْدُ: الإنصاتُ بالقلب من أجل الإدراك. والخُلْدُ: فَأْرَةٌ لا عينان لها، وهي تسمع وتنصت إِنْصاتًا يُغْنِي عن العين.	٢٣	١٠٧
خ ل ع	الخَلْعُ: الانخلاع عن العوائد وأحكام الغيرية.	٧٨	١٢٤

خ ل ف	الخَوَالِفُ: النِّسَاءُ.	١٨٢	١٥٠
	خلائف: يَخْلُفُونَ من كان عمله احتسابًا لا مُعَاوَضَةً.	٥٦٢	٢٦٧
خ ل ل	الخُلَّةُ: المَوَدَّةُ المُتَخَلِّلَةُ في خِلالِ النَّفسِ.	٦٣	١١٧
	والخُلَّةُ- بالضم-: الحُبُّ، من المُخَالَلَةِ.- وبالفتح-: الخَصْلَةُ.	٨٧	١٢٦
د ج ن	دُجْنَتِي: ظُلْمَتِي.	٥٢١	٢٥٦
	الدُّجْنَةُ: ظُلْمَةُ الكون.	٧٠٦	٢٩٩
د ر ر*	الدَّرَارِيُّ: أَصْحَابُ المقامات.	٧٥٧	٣١٩
د ع و	الدَّوَاعِي: ما يدعو.	١٩٠	١٥٤
د ل هـ	دَلَّهني: غَيَّبَنِي	٥٠٧	٢٥٢
د و ء	الأَدْوَاءُ: جمع دَاءٍ.	١٢	١٠٤
د و ر	يَدُورُ: يُحِيطُ.	٢٣	١٠٧
د و ن	دونه: قبل الوصول إليه.	٣٠٥	١٨٥
	دونكَ، أي: خُذْ.	٤٠٩	٢١٨
	دُوْنَ: قُبَيْل.	٦٣٤	٢٨٤
ذ ك ر	أَذْكَرَتْهَا: أَذْكَرَتْ النفسُ.	١٣٦	١٣٧
	الذِّكْرُ: القرآن.	٢٨٥	١٧٩
ذ م م	الذِّمَّةُ: ما يُذَمُّ من أَضَاعَها.	٦٣٨	٢٨٥
ذ هـ ب	المَذْهَبُ: الطريقة، وسميت بذلك لأن سالكها ذهب من سواها، بمعنى: عُدِم.	٦٤	١١٧

ذ هـ ل	ذَهَلْتُ- بالفتح- ذَهْلاً- وبالكسر- وذُهُولاً، أي [نَسِيتُ وغَفَلْتُ عنه] بسبب حَيْرَة.	٥٠٦	٢٥٢
ذ و	الذّاتُ: الصَّاحِبَةُ.	٢١	١٠٦
ذ و*	الذّات: المراد ها هنا بالذات: الجسم الذي أخفاه السَّقَامُ. ذاتي: التي هي عبارة عن الجسم الذي لفرط السقام قد بقي كالذات للجسم.	٢١، ٢٢	١٠٦
ر ء ف	لرأفتي، أي: لرأفة منه بي.	٤٥٧	٢٣٥
ر ء ى	رَأَيْتُ: من رَأَىٰ.	٥٩٨	٢٧٦
ر ء ى*	المَرْئيّ: النَّفْسُ.	١٦١	١٤٦
	رُؤيتي: مَطِيَّتي.	١٧٠	١٤٨
	رآه: رأىٰ نفسه؛ فهو الرَّائي والمَرْئِيّ.	١٨٧	١٥٢
	المِرْآةُ: الكَوْنُ.	٥١٧	٢٥٥
ر ت ق	الرَّتْقُ: ضِدّ الفَتْقِ.	٤٧٠	٢٤٠
ر ج ع	الرُّجُوْعُ: يكون إلى الوراء	٢٠٦	١٥٨
ر ج ف	أراجيف الضلال: إنكار المنكرين.	٢٧٩	١٧٧
ر ج و	رَجِيَّة: يُرْجَىٰ مَطَرُهَا.	٥٥٠	٢٦٤
ر س خ	الرَّسْخُ: [انتقال النفس] إلى حَجَرٍ يَرْسَخُ.	٦٥٣	٢٩٠
ر س م	رَسْمِي: أَثَرِي.	٤٠	١١١
ر ش د	الرَّشَدُ: خِلافُ الغَيّ	٥١٥	٢٥٤
ر ع ن	الرُّعُونَةُ: جُنُونُ عُجْبٍ.	١٨٩	١٥٣
ر غ ب	رَغَائِبُ [جمع رغبة، و] الرَّغْبَةُ: العَطِيَّةُ.	٥٥٦	٢٦٦
	رَغْبَةُ: [حِرْصٌ وطَمَعٌ فِي] شُهُوْدِ الجَمَالِ.	٦٤٦	٢٨٨

رف ق	رُفْقِي: رِفَاقِي.	٤٧٨	٢٤٣
رق ق	الرَّقِيقَةُ: الَّلطِيفَةُ.	٥٩٦	٢٧٥
رم ي	مرماي، أي: ما رميت إليه.	٤٠٩	٢١٨
ر هـ ب	رَهَبُوتُ، يريد: المُبَالَغَةُ في الرَّهْبَةِ.	٦٤٧	٢٨٨
روح	الرَّوْحُ: الرَّاحَةُ.	٤٢٠	٢٢٠
	الرُّوْحُ: جبريل.	٦٢٩، ٥٠٤	٢٨٣، ٢٥١
	الأرواح: ما له رائحةٌ تُنْشَق.	٥٩٢	٢٧٤
ر و د*	الإرادة المحدثة لها معنويتان: إحداهما: باعتبار نظرها إلى القديمة خَيْرٌ. والأخرى: باعتبار نظرها إلى نفسها شَرٌّ.		٨٦، ٨٥
روع	راعني: فزعني. الرُّوْعُ -بالضم-: الخَلَدُ.	٥٠٤	٢٥١
زع م	بِزَعْمِهِمْ: باعْتِرَافِهِمْ.	٣٢٩	١٩٦
ز هـ ر	زواهر: نُجُوْمُه يُهْتَدَى بِهِمْ.	٥٥٢	٢٦٤
س ب ل	سبيلي: السبل كلها للإنسان	٦٢٩	٢٨٣
س ج ع	السَّجْعُ: التَّصْوِيْتُ	٦٨٥	٢٩٦
س ج و	السَّجِيَّة: الاعتقاد.	٤٩٩	٢٤٨
	السَّجِيَّةُ: الخُلُقُ السَّاكِنُ، سَجَا البَحْرُ: سَكَنَ، فلم يُحَرِّكْهُ هواءٌ، فلا كَدَّ فيه من فوقه ولا من تحته.	٥٥٣	٢٦٥
س ح ل*	ساحِلُه [سبحانه]: الأَمْرُ.		٨٣
	الساحل: معرفة الشريعة التي لا يمكن الوصول إلى البحر إلا من ساحله.	٢٨٨	١٨٠
س د ر	سِدْرَتُهَا: مُنْتَهَاهَا.	٧٢٩	٣٠٧

س ر ر	استسرتْ: من سِرَارِ البَدْرِ، وهو اختفاؤه بعد محاقه في آخر الشهر.	٧٠	١٢٠
س ر ر*	الأسرار: رؤية الموصوف بعين الصفة في سِرِّ العبدِ؛ حيث لا عَيْنٌ ولا غَينٌ.	٥٤١	٢٦١
س ف ر	أَسْفَرَتْ: ظهرت.	٥٢٣	٢٥٦
	السَّفْرُ: المسافرون.	٦٨٧	٢٩٦
س ك ر*	سُكْرُ النُّحُولُ: غَيْبَةٌ عن الجسم، كما يغيب العقلُ بالسُّكْرِ.	٢٠	١٠٦
س ك ن*	السكون- ها هنا- بمعنى ثُبُوْتُ الصفاتِ؛ بحيث عادت سَجِيَّةً ونعتًا لازمًا.	٥٥٣	٢٦٥
س م ت	السَّمْتُ: قَصْدُ مُسَاوَاةٍ.	١٩٣	١٥٥
س م و	أَسْمَتْ: أعلت.	٣٠٦	١٨٥
	سماء النَّفْخِ: مقرها الأول السامي.	٤٢٦	٢٢٢
	أسامي الذات: صفاتها الإرادية.	٥٣٨	٢٦١
س ن ي	سنا: ضوء.	٥٢١	٢٥٦
س و و	السَّواء: الوَسَط.	٨٤	١٢٥
س ي ر	سائري: هو الجاري.	٥٧٥	٢٧١
ش ج و	الشجى: يقال على الحزن والفرح.	٦٨٥	٢٩٦
ش د د	الشدة: من شدة البأس.	٦٤١	٢٨٦
ش د و	شوادي: جمع شادية، و[هي] المغنية المنشدة.	٥٤٩	٢٦٣
ش ذ ر	الشَّذْرَةُ: ما يجده الصَّغَوِيُّ من الذهب الخالص حين إلقاء الأكسير.	٧٢٩	٣٠٧

ش ر ذ م	الشرذمة: اليسير.	٣٠٢	١٨٤
ش ر ق	مشارق: مبادئ.	٥٧١	٢٧٠
ش ر ي	الشَّرَى: مَرْبَضَةُ الآساد.	٧٠٠	٢٩٨
ش ع ع	الأشعة: أشعة النار.	٧٤٢	٣١٢
ش ف ف	شَفَّتْ: لَطُفَتْ.	٦٧٩	٢٩٥
ش ف ي	شفائي: صِحَّتِي. أَشْفَى: بلغ الهلاك. شفا النهر: طرفه.	٣٦	١١٠
ش ك و/ ش ك ي	أَشْكَتْ: أزالت الشكوى، وأصله فَتْحُ الشَّكْوَةِ وإِظْهَارُ ما فيها، وهي السِّقَاءُ الصغير.	٤٤	١١٣
	المِشْكَاةُ: المِسْرَجَةُ.	٧٥٢	٣١٧
ش م س*	شَمْسُ الشهودِ: نورُ التَّعَرُّفِ.	٧١٤	٣٠٣
ش هـ د	الشهيد: الشاهد الحاضر مع الله عند مفارقة النفس البدن.	١٠٩	١٢٩
	[الـ]ـشَّاهِدُ: المُشَاهِدُ.	٥٣٤	٢٦٠
ش و ق	التَّشَوُّقُ: التَّطَلُّعُ.	٥١٨	٢٥٥
ش ي ن	شان: عاب.	٢٢٩	١٦٢
ص ب غ	الصِّبَغُ: جمع صِبْغَةٍ.	٢٤٦	١٦٨
ص ب و	الصَّبْوَةُ: الميل.	٣٧٥	٢٠٦
ص ح و	قوله: بِصَحْوٍ، أي: لا في سكر.	٣٩٤	٢١٣
ص ح و*	صَحْوُ الجَمْعِ: أن يُدْرِكَ ببصره وبصيرته إدراكًا واحدًا لا في سُكْرٍ.	٣١١	١٨٦

ص د ء	منبع (صَدَّاء): ماءٌ معروف يُضْرَبُ به المثـل [في العذوبة]، تقول العرب: "ماء ولا كصَدَّاء".	٢٨٧	١٧٩
ص د د	الصَّدُّ: من الجَوْرِ.	٣٨٩	٢٠٩
ص د ع	صَدْعِي، أي: الذي صَدَعْتُ به.	٦٥١	٢٨٩
ص ر ف	فتصريفُها: التَّصَرُّفُ بِهَا.	٥٤٩	٢٦٣
ص ل م	صلم أذنه: إذا بان بتأصلها، [اسْتَأْصَلَهَا].	٢٣٢	١٦٣
ص و ت	[صَيِّتٌ]: مُغَنٍّ بالألحان.	٤٣٧	٢٢٤
ص و ل	الصَّوْلَةُ: وُثُوبٌ للقهر.	٥٥٢	٢٦٤
ض ر ب	الاضطراب: هو التقلقل، والتقدم والتأخر.	٤٢	١١٢
ض ر ي	الضاري: المؤذي.	٧٠٠	٢٩٨
ض ل ل*	أُضِلَّتْ عن سواها، حيث أهدت لي هُداي إليها.	٥١١	٢٥٣
ط ر ف	الأطراف: كل طَرَفَي نقيض.	٤٩٠	٢٤٦
ط ر ق	أطرقتُ: كنتُ أنا الرقيب المانع.	١٣٨	١٣٨
	الطريقة: ظاهر الشَّرْع.	٥٧٥	٢٧١
ط ل ع	المَطْلَعُ: ابتداء الظهور.	٤٦٧	٢٣٩
	مَطْلَعُهَا: أَوَّلُ الظهور.	٥٦٧	٢٦٨
	الطليعة: جماعة تتقدم لتطلع على العدو من عَلُو، ويقال: طالعت الكتاب، إذا تفهَّمْتُ معنيه، نَظَرَهُ بِبَصَرِهِ وبصيرته فيه.	٧٣١	٣٠٨
ط م ن	المُطْمَئِنُّ من الأرض: المنخفض، وضِدُّه: العلي.	٢٠١	١٥٦
ط و ح	طاح: انمحى.	٢١٠	١٥٨
ط و ر	الطَّوْرُ: الحَدُّ.	٨٦، ٣٠٨	١٢٦، ١٨٦

	الطُّورُ: الجَبَلُ، بمعنى: جَبَلُ المُكَالمة.		
طول	طال: مِن الطَّوْل، [وهو: الفَضْلُ والغِنَى واليَسَرُ].	٣٠٨	١٨٦
طير	طار في الهوى، أي: طائر.	٥٩٦	٢٧٥
ظنن	المَظِنَّةُ: المَوْضِعُ الذي يُظَنُّ أنه فيه.	٥٩٥	٢٧٥
	الظِّنَّةُ: التُّهَمَةُ.	٥٠٦	٢٥٢
ظهر*	ظاهرًا، يريد: مراعاةَ ظاهر الشريعة، وتَخَلُّقَ ظاهر السالك؛ فيعودُ مُظْهِرًا للأسماء فيعرفها بحاله وبمقاله.	٥٠٧	٢٥٢
عبد	يَسْتَعْبِدُ (الصَّمْتَ): يَمْلِكُ الصمت.	٥٥٣	٢٦٥
	العُبُودِيَّةُ: إِظْهارُ التَّذَلُّلِ منك لمن يستحقه. والعُبُودَةُ: ظهور الذلة لك منك.	١٤٣	١٣٩
عبر	العَبْرَة: دَمْعَةٌ تَعْبُرُ.	٢٠٣	١٥٧
عدل	عَدَلْتُ: من العدل. [وضدها] عَدَلْتُ عن.	١٢	١٠٤
	الاعتدال: أن يكون صورة الشيء معادلة لمعناه من غير ميل.	٤٥٥	٢٣٣
عدو	عَدَتْ: من العُدْوان.	٦٤٣	٢٨٧
	تَعَدَّى (الأولى): عبر حَدَّهُ.	٤٨	١١٣
	وتَعَدَّى (الثانية): من العُدْوان.	٨٦	١٢٦
	عَادٍ: اتَّخِذْ عَدُوًّا. و(عوادي): من العُدْوان.	١٩٠	١٥٤
	اعْدُ: جَاوِزْ.	١٩٦	١٥٥
	عداه: سواه.	٣٠٢	١٨٤

ع ر ف	تعريفها: تعليمها.	٥٥٣	٢٦٤
ع ز و	يُعْزَى: يُنْسَبُ.	٣٠٦	١٨٥
ع ش و	فنارت بِي عِشَاي، أي: ظُلَمُ الكَوْنِ أرَىٰ بِهَا	٧٥٢	٣١٧
	.الأعشى: الذي لا يُبْصِرُ ليلاً.	٢٩١	١٨١
ع ص ر	المُعَاصِرُ: من العَصْر. العَصِيْرُ: المَشْرُوْبُ.	٧٦١	٣٢١
ع ط ف	وعِطْفَا الرَّجُلِ: جانباه من لدن رأسه إلىٰ وَرْكِهِ.		
	والعَطْفَةُ: الشَّفَقَةُ.	٣٩٢	٢١٣
ع ف و	عفا: دَرَسَ.	٤٠	١١١
ع ك ف	العاكف: العابد الملازم.	٧٣٥	٣٠٩
ع ل م	أَعْلامٌ: جمع عَلَمٍ.	٥٣٧	٢٦٠
	العَوَالِمُ: جمع عالَمٍ، كالطابع والخاتم.	٥٣٨	٢٦١
ع ن ن	عُنْوَان: من عُنْوان الكتاب.	٣٤	١١٠
ع ن و	عَنَتْ: خَضَعَتْ.	٤٦٩	٢٤٠
ع هـ د	عَهْدٌ: زَمَنٌ. عهدي: مُعاهَدَتِي.	٤٥٩	٢٣٦
ع و د	العَادُ: العادات.	٢٠١	١٥٦
	أُعِيْدَتْ، أي: فاسْتَتَرَتْ.	٤٧٥	٢٤٢
	عَادَ: رَجَعَ.	٤٩١	٢٤٦
ع ي ن	العَـيْنُ (الأولىٰ): البَـصِيْرَةُ. العَـيْنُ (الثانيـة):		
	الذَّاتُ المُحَقَّقَة.	٢٣٤	١٦٤
	العين (الأولىٰ): البصيرة. (والثنية): الذَّاتُ	٤٨٣	٢٤٥
ع ي ن*	. العَيْنُ، يريد بها: العين البطنة.	٢٣	١٠٧
	يريد بالعَيْنِ: حقيقته.	٧٢٦	٣٠٦

غدا: من الغُدُوِّ.

غ د و — غوادي: السحاب. ٤٠١

٢١٦

غ ر ب — مُغْرِبًا: أي: بغرائب. ٥٥٠ — ٢٦٤

غ ر د — التغريد: التلحين. ٢٢١ — ١٦١

غ ف ر — الغفير: الجماعة الكثيرة من الناس. ٦٨٥ — ٢٩٦

غ ف ل — كغفلة: صار العقل غَفَّالاً. ٣٠٢ — ١٨٤

غ ل ل — الغليل والغُلَّة: ما يُكابَدُ من العطش. ٥١٠ — ٢٥٣

غ ن ي — الغِنى - بكسر الغين - عدم الاحتياج. والغَنَاءُ - الممدود بالفتح -: حصول الثروة واليَسَار. ٣٦ — ١١٠

الغَنِيُّ: يكون بالشيء وعن الشيء، فالغَنِيُّ بالشيء يقال له: فقير المعنى، والغَنِيُّ عن الشيء: هو: الصانع - سبحانه -. ١٨٧ — ١٥٢

غ و ث — الغُيُوْثُ: شبهها بالغيث الذي يَأْتِي من الرَّبِّ يَسْقِي ما زَرَعَه العبد. ٤٤٣ — ٢٢٦

غ ي ب* — الغيب: واحد له اعتباران: أحدهما: هو كنه الذات الغائب على الإطلاق علمُه عن كُلِّ مُتَعَيِّن (وَلاَ يُحِيْطُوْنَ بِهِ عِلْمًا). والآخر: من جهة الخَلْقِ (وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ)، تحقق وجوده جَزْمًا، وإنما سمينا هذا - أيضًا - غيبًا؛ لأنه لا يشهد منه سوى ثبوت وجوده معطيًا كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَه. ٥٦٤ — ٢٦٨ — ٨٢

غ ي ر — الغِيْرَةُ: إِفْرَادُ المحبوب عن رؤية غيره، فهو غَيُوْرٌ، ومتى انتفت الغِيْرَةُ لم يبقَ غيرة؛ إِذْ لم يَبْقَ غَيْرٌ. ٤٤٥ — ٢٢٦

غ ي ض	غاضِ: نقص.	٦٠٣	٢٧٨
غ ي ن	الغين: ما ستر.	٢٣٤	١٦٤
	الغين: الستر.	٢٩١	١٨١
غ ي ن*	غَيْنٌ: حرف الغين، ويريد بالغَيْنِ: الحِجَاب.	٤٨٣	٢٤٥
ف ت ت	تفتَّت: تتفتت.	١٠	١٠٣
ف ت ح*	والفتح: الكون.	٤٧٠	٢٤٠
ف ر س	فِرَاسَةٌ: سُمِّيَتْ فِرَاسَةً تمثيلا بـافتراس الأسـد؛ لسرعة لحوظه بقوة.	٦٤٥	٢٨٨
ف ر ض*	فَرْضِي، أي: حُسْنُكِ فَرْضٌ.	٧٨	١٢٤
ف ر ق	فارقـتُ مِلَّتِـي: أكـون مرتـدًا عـن الإيـمان إلى الكفر.	٦٤	١١٧
	الفرق: ما مُيِّز.	١٩٤	١٥٥
ف ر ق*	[الفَرْقُ]: تَفَرُّقُ الهَمِّ والفِكْرِ.		
	الفَرْق: رؤية السِّوَىٰ لافتراقه.	٢٤٠	١٦٦
	فَرْقِي: وجودي المحسوس.	٤٧٨	٢٤٣
ف ص ل	فِصَالِي: فِطَامِي.	٦٣٤	٢٨٤
ف ض و*	فضاء المَقَرِّ: عالم الحقيقة.	٤٠٧	٢١٧
ف ك هـ	فكاهات: حديث مؤانسة.	٥٥٠	٢٦٤
ف ل س	الإفلاس يريد به: أن لا تأتي بعقلٍ ولا معرفةٍ ولا ...	١٨٤	١٥١
ف و ق	الفَاقَةُ: الضَّرُورَةُ. لإِفَاقَة: لأجل إفاقة.		
	والإفاقة: اليسير من الإحساس المشار إليه بالبقيـة من قبل.	١٠	١٠٣

	مُفِيقًا: صاحِيًا.	٢٣٥	١٦٥
	مفيق، أي: بعد سُكْرٍ مُفِيْقٍ.	٣٩٤	٢١٣
	الإِفَاقَةُ: حال الصَّحْوِ	٥٧٣	٢٧٠
ف ي ء	الفَيْءُ: [الـ]ـظِّلُّ. وبِفَيْئَةٍ: بِرَجْعَةٍ.	٤٨٨	٢٤٥
ف ي ض	فاض: سال مُنْصَبًّا.	٦٠٣	٢٧٨
	الإفاضة: الانحدار من عَلُو.	٧٥١	٣١٦
ف ي ض*	مُفِيْضُ (الجَمْعِ): محمد- صلى الله عليه وسلم- بمعنى: هو مُفِيْضٌ، مُعْطِي الفيضَ لجميع أصحابه، وهو الهادي إلى الجمع الباطن والظاهر.	٧٥١	٣١٦
ق ب ل	قَبِيْلٌ: تذكير قَبِيْلَةٍ.	١١٨	١٣١
ق د ر	القَدْرُ: جزء معين بمقدار.	٧٤٦	٣١٤
ق ر ب	قُرْبَى: تأنيث أقرب.	٦٤٨	٢٨٨
ق ص د	قصد: صار. اقتصد: وقف بالشيء.	٨٤	١٢٥
	القاصد: المستقيم في سيرته.	٥٥٣	٢٦٤
ق ص و	أَقْصَى: أَبْعَد.	٥٥	١١٥
ق ض ي	انقضى: انتقل جُمْلَةً.	٥	١٠٠
	قضى (الأولى): حَكَمَ. قضى (الثانية): مات.	٣٦	١١٠
	قَضَتْ: فَصَلَتْ.	١٣٦	١٣٧
ق ض ي*	تَقَاضَيْتُ: طَلَبْتُ قضاءَ دين الوصل المُسْتَحَقِّ بحقيقة الحُبِّ.	٥	١٠٠
ق ط ب	القُطْبُ: هو الذي تدور عليه الرَّحَى والبَكَرَة.	٥٠٠	٢٤٩
ق ل و	ويحتمل أنَّ قوله: "... قال" من القِلَى، وهو: المَلَل.	٥٩٦	٢٧٥

ل ب ن	اللِّبَانُ: هو اللبن ما دام في الثدي.	٥٠٣	٢٥١
ل ح و	اللاحي: يَذِمُّ المعشوق.	١٦٦	١٤٧
	اللاحي: العاذِل، وأصله من لحوت العصا، إذا قَشَرْتُ لحاها، وهو قِشْرُهَا، واستعار اللائح بمعنى أنه يقشر وَصْفًا يعتقد أنه مذموم في المحب.	٥١	١١٤
	اللاحي: [الذي] يلوم العاشقَ على فعله، ويظهر له المحبة والنصح بلومه، فيكون اللوم من أجله.	٣٩٠	٢١١
ل س ن	لسانها: لغتها.	٢٢٤	١٦١
ل غ و	أَلْغِ: أَبْطَلَ.	٣١٦	١٩٢
	ولا تَلْغُ: من اللغو، وهو ما لا معنى له، ولهذا قيل: اللَّغَا: صوت العصافير.	٣١٦	١٩٢
ل ف ت	(يريد بـ) ـالْمُتَلَفِّتِ: سُرْعَةُ الفَهْمِ. المُتَلَفِّتُ: لا يَثْبُتُ نَظَرُهُ إِلَى الشيء كما يَثْبُتُ نَظَرُ الرَّائِي.	٨	١٠٢
ل ف ظ	لَفَظْتُ: تَرَكْتُ، وهو أسهلُ الترك، كما يَلْفِظُ الكلمةَ قائلُها، ومعناه: تركت رؤية لفظي المليح.	٤٤٧	٢٢٧
ل ف و	ألفيت: وجدت.	١٦٠	١٤٥
	تلافى: تدارك.	٣٣٨	١٩٩
ل ق ي	ألقيتُ: طرحتُ.	١٦٠	١٤٥
ل ك ن	أَلْكَنَا، أي: كالأَلْكَنِ: وهو الذي لا يُبِيْنُ.	٣١٦	١٩٢
ل م ع	الأَلْمَعِيُّ: الذَّكِيُّ المُتَوَقِّدُ. والأَلْمَعِيَّةُ: وَصْفُهُ.	٢٦٤	١٧٢

ل هـ و	أَلْهُ: أَشْتَغِلُ.	٤٥٥	٢٣٢
	لَهِيتُ - بالكسر - عن الشيء لَهْيًا، إذا سلوت عنه. ولَهَوْتُ بالشيء: اشتغلتُ به عن غيره. ويقال: الْهُ عنه، أي: اتْرُكْهُ.	٦٧٧	٢٩٤
ل و ع	اللَّوْعَةُ: الحُرْقَةُ.	١٣	١٠٤
م ت ت	يَمُتُّ: يَتَوَسَّلُ.	٥٩٦	٢٧٥
م ت ن	المتنان: مُكْتَنَفُ الصُّلْبُ من العَصَبِ واللَّحْمِ.	٦٠٤	٢٧٩
م ح ن	مِحْنَتِي: ما امْتُحِنْتُ به.	١٦	١٠٥
م ح و	ماحيّ: غلبت الصفة على الموصوف فلم يبق سوى وصف فقط.	٧	١٠١
م ح و*	ماحِيَّ: إن هذا الفَقْدَ بعينه هو الثُّبُوتُ؛ إذ لا يتم له هذه الحياة بمولاه إلا بتمام موته عما سواه.	٧	١٠١
م د ي	المُدى: السكاكين.	١٨٨	١٥٢
م ر ر*	ممر (القضية): عالم الحس الذي يمر فيه ذو القضية.	٤٠٧	٢١٧
م ر ي	مِرْيَة: شك.	٢٨٢	١٧٨
م ز ي	مزيَّة: زيادة.	٢٨٢	١٧٨
م س خ	المَسْخُ: انتقالُ النَّفسِ إلى حيوان.	٦٥٣	٢٩٠
م س ك	المُسْكَةُ: البقية من الشَّيْءِ، من جهة ما يُمْسَكُ أَصْلُهُ.	١٩٣	١٥٥

م ض ي	ماضٍ: من أسماء السَّيف. [كذلك] الوَقتُ ماضٍ. والمراد: السُّرعَةُ؛ لأن الوقت أسرع، ولهذا شَبَّهَ الصَّارِمَ به.	١٧٩	١٥٠
م ق ل	المُقْلَةُ: وَسَطُ الحَدَقِ	١	٩٧
م ل ح	ومن ملح، أي: ومن أجل ملح.	٥١٠	٢٥٣
م ل ل	فارقتُ مِلَّتِي، المراد: مِلَّةُ إبراهيم الذي أُلقِيَ في النار؛ ولم يُشرِكْ.	٦٤	١١٧
م ل و	تَمَلَّت، أي: امتلأت.	٦٧١	٢٩٣
	أَمْلَتْ: من الإِمْلاءِ.	٧٤٨	٣١٦
م ن ذ	منذ: لابتداء الزمان.	٤٠	١١١
م ن ع	مَنْعَةٌ: تمنع الباطل بالحق.	٥٧٠	٢٦٩
م ن ن	مُنِّي: من الامتنان، وهو العَطِيَّةُ، لا من طريق جزاءٍ لِمُسْتَحِقٍ للعطية، بل من طريق كرم المُعطِي.	٩	١٠٣
م ي ن	المَيْنُ: الكَذِبُ.	٨٥، ١٣٢	١٢٥، ١٣٦
	مان: كَذِبَ.	٦٥٨	٢٩١
ن ء ي	النائي: البعيد.	٢٣٥، ٤٧٨	١٦٥، ٢٤٣
ن ب ء	أنباء: أخبار. وإِنْبَاءُ - بكسر -: إخبار.	٥٥٢	٢٦٤
ن ب و	النَّبْوَة: المَنع.	٣٦٥	٢٠٤
ن ج د	المُنجِدِيْنَ: المُعِيْنِيْنَ. والنَّجْدَةُ: القُوَّةُ. والمُنجِدُ: الصَّاعِدُ عُلُوًّا.	٢٦٧	١٧٣
	نَجْدَةٌ: غَلَبَةٌ.	٥٥٦	٢٦٦

ن ج د*	نَجْدَةٌ: غَلَبَةٌ؛ لغلبة حقيقتها على خلقيتها.	٥٥٦	٢٦٦
ن ح و	فانْحُ: فاقْصِدْ.	٦٥١	٢٨٩
ن د م	نادمتُ: يريدُ المنادمةَ بالحديث.	٢٠	١٠٦
ن ز ع	النَّزْعُ (الأول): القَلْعُ. النَّزْعُ (الثاني): مُنَازَعَةُ المَيِّتِ عند المُفَارَقَةِ.	٤٢٧	٢٢٢
ن ز هـ	تَنَزَّهْتُ: تَفَرَّجْتُ مستعليًا إلى الشيء مُتَنَزِّهًا عنه.	٧٢٩	٣٠٧
	مُنَزَّهٌ، أي: رَجُلٌ مُنَزَّهٌ.	٧٣٦	٣٠٩
ن س خ	النَّسْخُ: انتقالُ النَّفْسِ إلى إنسان آخر، أو إلى نبات.	٦٥٣	٢٩٠
ن س ك	مِنْ نُسْكٍ: من ناسك وحَاجٍّ ومُعْتَمِرٍ.	١٥١	١٤٢
ن ش د	نشدتُ الضَّالَّةَ: إذا طلبتُها.	٥١٥	٢٥٤
ن ش و	نشوة: أتردد إلى ما في الحُسْنِ من محاسن نفسي لأنتشي بها نشوةَ الخمرة.	٥١٣	٢٥٣
ن ش و*	نشوته: إنما كانت لرؤية شيء من المحبوب ظاهرًا كالشمائل.	٣	٩٩
ن ظ ر	الناظر: ما ينظر به، من بصر أو بصيرة.	٥٦	١١٥
ن ع ت	النَّعْتُ: صِفَةٌ لازِمَةٌ.	٧٢	١٢١
ن ع م	النُّعْمةُ: نعومة الجليس.	٥٧٤	٢٧١
ن غ ب	النُّغْبَةُ: الجُرْعَةُ، يقال: نَغَبْتُ، أي: تَجَرَّعْتُ.	٤٤٣	٢٢٦
ن ف س	الأَنْفَسُ: هو ما يُخَاطَرُ بالنفوس في طِلابِهِ.	٨٦	١٢٦
	فلله نَفْسٌ: أي: [لله] دَرُّ نَفْسٍ.	١٣٥	١٣٧
	النفس المطمئنة: هي التي ليس لها منها إرادة		

هـ د ي	هوادي: جمع هادية.		
	[الهُدَى]: الهدىٰ الذي بزعمهم.	٥٥٠	٢٦٤
هـ ز ز	هَزُّ عطفيك: إشارة إلىٰ التبختر.	٧٤٢	٣١٢
هـ ف و	أهفو: أميل ملتفتًا إلىٰ واجدي.	٣٠٥	١٨٥
هـ م م	هم: قصد بهمة وعزم.	٥٢٠	٢٥٥
هـ ي ب*	كلي هيبة: [كلي] شُهُوْدُ جَلالٍ.	٣١	١٠٩
هـ ي ج	هاجته: هاجت ذكرها.	٦٤٧	٢٨٨
هـ ي م	هِمْتُ: من الهُيَامِ، وهو علىٰ الأصل: داء يأخذ الإبل من العطش فشبه بالجنون، فهو كالهُيَام العارض عن عَطَشٍ إلىٰ لقاء المحبوب.	٤٢١	٢٢١
و ج د*	الوجود: [الوجود] الحقيقي، ويريد به وجود البارئ، ووجود النفس؛ فبظهورها ظهر.	٤٠	١١٢
و ج هـ	الوِجْهَةُ: جِهَةٌ يُتَوَجَّهُ إليها بالوَجْه ظاهرًا أو بالقلب باطنًا.	٧١٤	٣٠٣
	الوِجْهَةُ: التَوَجُّهُ.	١٤٨	١٤٠
و ح ي	الوحي: إلقاء العِلْمِ سُرْعَةً لا في زمن.	٤٦٩	٢٤٠
و خ ي	تَوَخَّتْ: قَصَدَتْ وَنَحَتْ.	٦٧٠	٢٩٢
و ذ ر	فَذَرْ لي، أي: لا تُنَازِعْ في معرفة كانت لي خصوصًا.	٢٦٦	١٧٣
و ر د	أَوْرَدْتُهَا: جعلتُ الرياضةَ بترك الإراداتِ وِرْدًا لها.	٣١٤	١٨٧
	رِدْ: من الوُرُوْدِ.	١٩٨	١٥٦
		٢٨٦	١٧٩

و ر د*	الوارد: ما يَرِدُ من المحبوب على صفاء القلـوبِ من عوالم الغُيُوْبِ.	٢٧١	١٧٤
و ر ي	وَرَّتْ: من التوريـة، وهـي إظهـار شيءٍ يكـون المرادُ به غَيْرُه بخُفْيَة.	٥٤٠	٢٦١
و س ن	الوَسَنُ: النوم.	٥٣٥	٢٦٠
و ش ي	الواشي: من الوَشْيِ، وَشَيْتُ الشيءَ، أي: جَعَلْـتُ فيه أثرًا يخالف معظم لونه.	٥١	١١٤
	الوَاشِي: يَذُمُّ العاشقَ.	١٦٦	١١٤
	الـواشي: هـو الـذي يُظْهِـرُ محبتَـه ونُـصْحَه للمعشوق ويَذُمُّ عنده العاشق.	٣٩٠	٢١٢
و ص ف	الصِّفَاتُ: صفات النَّفْسِ.	٥٣٧	٢٦٠
	صـفات الـنفس: مـا يتعلـق بالجسم كالبَـصَرِ والسَّمْعِ.	٥٣٨	٢٦١
و ض ع	موضعها: موضعُ ظهورِها.	٥٦٩	٢٦٩
و ف ي	وَفَّتْ [الأولى]: من الوَفَاءِ. وَفَّتْ [الثانية]: مـن الوافي، ومنه قوله تعالى: (وَإِبْرَاهِيمُ الَّذِيْ وَفَّى): إذا أعطى ما عليه وَافِيًا.	١٨٦	١٥١
	وافى: قَابَلَ وحَضَرَ.	٢٨٠	١٧٧
و ق ي	معنى عن تُقَى، أي: تُقَى مـن أَخَـافُ أن أشرك لمحبوبي أو أرجع عنه. التَّقِيَّةُ: حَذَرُ النَّشْرِ.	٥٢	١١٥
و ل هـ	والها: بلا عَقْلٍ.	٥٠٨	٢٥٢
و ل ي	ولاها [ولاءها]: محبتها.	١٥٦	١٤٤

	تَوَلَّتْ (الأولى): من الولاية. [تَوَلَّتْ] (الثانية)، بمعنى: رَجَعَتْ.	٤٥٨	٢٣٦
و هـ م	وَهِمْتُ: غَلِطْتُ وسَهَوْتُ.	٤٠	١١٢
و هـ ن	الوَهَنُ: الضَّعْفُ.	٢٨	١٠٨
ي س ر	اليَسَارُ: الرِّزْقُ الجَزِيلُ.	١٨٨	١٥٢
ي ق ن	اليقين، مِنْ: يَقِنَ المَاءُ، إذا سَكَنَ. واليَقِينُ: قد يكون عِلْمًا فقط، كالعِلْمِ بِمَكَّةَ. وقد يكون عَيْنًا، كَمُعَايَنَتِهَا، وإنْ لم تَدْرِ حَقِيقَتَهَا. وقد يكونُ حَقًّا بمعنى: حَقُّ يَقِينٍ.	٥١٤	٢٥٤
	يَقِينِي: يَحْجُبُنِي.	٥٢٣	٢٥٦
ي م ن	يَمِينُ: اليَدُ اليُمْنَى.	١٨٨	١٥٢

***

المصادر والمراجع العربية

ابن أبي أصيبعة (أحمد بن سديد الدين)، *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ نشر.

ابن الأثير الجزري (عز الدين)، *أسد الغابة في معرفة الصحابة*، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخر، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠.

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج)، *صفة الصفوة*، تحقيق: خالد مصطفى طرطوسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١٢.

ابن العطار (علاء الدين)، *تحفة الطالبين "في ترجمة الإمام محيي الدين"*، ضبط وتعليق: أبي عبيدة مشهور بن حسن، الدار الأثرية، عمان- الأردن، ط١، ٢٠٠٧.

ابن العماد (عبد الحي بن أحمد)، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير للنشر، بيروت، ط١، ١٩٩١.

ابن الفارض (عمر)، *ديوان ابن الفارض*، تحقيق: عبد الخالق محمود عبد الخالق، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

ـــــــــــــــ، *ديوان ابن الفارض- قراءات لنصه عبر التاريخ*، تحقيق: جوزيبي سكاتولين، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ٢٠٠٤.

ـــــــــــــــ، *تائية ابن الفارض الكبرى وشرحها في العربية*، تحقيق: عبد الخالق محمود، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩.

ابن الملقن (عمر بن علي بن أحمد)، *طبقات الأولياء*، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٧٣.

ابن الملوح (قيس)، *ديوان مجنون ليلى*، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٩.

ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين)، *المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي*، تحقيق: محمد محمد أمين، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٩٠.

ـــــــــــ، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، دار الكتب المصرية، ط١، (١٩٣٢ - ١٩٣٩).

ابن تيمية (تقي الدين أحمد)، *مجموعة الرسائل والمسائل*، تعليق: حياة مأمون شيحا، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٦.

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أحمد)، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر، القاهرة، ٢٠٠٨.

ـــــــــــ، *الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة*، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، السفر الثالث، ١٨٩٦م/ ١٣١٣هـ.

ـــــــــــ، *تبصير المنتبه بتحرير المشتبه*، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ نشر.

ابن خلكان (أحمد بن محمد بن أبي بكر)، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨.

ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الزهري)، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: علي محمد عمر، الخانجي، القاهرة، ط١، ٢٠٠١.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف)، *الاستيعاب في أسماء الأصحاب*، دار الفكر، ٢٠٠٦.

ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين إسماعيل)، *البداية والنهاية*، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

________، *البداية والنهاية*، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد- محمد حسان عبيد، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط٢، ٢٠١٠.

بدوي (عبد الرحمن)، *الإنسان الكامل في الإسلام*، وكالة المطبوعات، الكويت، ط٢، ١٩٧٦.

بروكلمان (كارل)، *تاريخ الأدب العربي*، ترجمة: رمضان عبد التواب، مراجعة: السيد يعقوب بكر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧.

البغدادي (إسماعيل باشا)، *إيضاح المكنون "في الذيل على كشف الظنون"*، عُني بتصحيحه وطبعه: رفعت بيلكه، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، بدون تاريخ نشر.

________، *هدية العارفين "أسماء المؤلفين وآثار المصنفين"*، طبع بعناية وكالة المعارف، استانبول، ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.

التفتازاني (أبو الوفا الغنيمي)، *ابن سبعين وفلسفته الصوفية*، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٧٣.

ـــــــــــ مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩.

التلمساني (أحمد بن محمد المقري)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨.

الثعالبي (أبو منصور عبد الملك)، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

الجابي (بسام عبد الوهاب)، معجم الأعلام "معجم تراجم لأشهر الرجال والنساء"، الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨٧.

حاجي خليفة (مصطفى بن عبدالله)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه ووضع حواشيه: محمد شرف الدين- رفعت بيلكه، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ١٩٤١.

الحداد (عباس يوسف)، الأنا في الشعر الصوفي- ابن الفارض أنموذجًا، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سوريا، ط١، ٢٠٠٥.

الحلاج (الحسين بن منصور)، ديوان الحلاج، تحقيق: عبده وازن، دار الجديد، بيروت، ط١، ١٩٩٨.

حلمي (محمد مصطفى)، ابن الفارض والحب الإلهي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٨٥ (الطبعة الأولى، ١٩٧١).

ـــــــــــ الحياة الروحية في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٤.

الحموي (ياقوت)، *معجم الأدباء*، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد)، *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

ــــــــــ، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

سكاتولين (جوزيبي)، *عمر بن الفارض وحياته الصوفية من خلال قصيدته "التائية الكبرى"*، ضمن كتاب: *محمود قاسم الإنسان والفيلسوف*، كتاب تذكاري، إشراف د. حامد طاهر، مطبعة العمرانية، ١٩٩٢، ص ٤٠٥ - ٤٣٧.

ــــــــــ وأحمد حسن أنور، *التجليات الروحية في الإسلام*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

السلمي (عبد الرحمن)، *طبقات الصوفية*، تحقيق: نور الدين شريبه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦.

الشعراني (عبد الوهاب)، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وآخر، الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

الشوكاني (محمد بن علي)، *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، جـ١، بدون تاريخ نشر.

الشيبي (كامل مصطفى)، *شرح ديوان الحلاج*، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط٢، ٢٠٠٧.

شيمل (آنا ماري)، *الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف*، ترجمة: محمد إسماعيل السيد - رضا حامد قطب، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ٢٠٠٦.

الصفدي (خليل بن أيبك)، *أعيان العصر وأعوان النصر*، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٨.

ـــــــــ، *الوافي بالوفيات*، تحقيق: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

عباس (قاسم محمد)، *أبو يزيد البسطامي - المجموعة الصوفية الكاملة - ويليها كتاب تأويل الشطح*، دار المدى، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦.

عبد الخالق (عبد الخالق محمود)، *شعر ابن الفارض في ضوء النقد الأدبي الحديث*، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤.

ـــــــــ وأحمد جمعة، *الأعمال الكاملة للسيوطي في التصوف الإسلامي (١)*، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، ٢٠١١.

العفيف التلمساني (سليمان بن علي)، *ديوان عفيف الدين التلمساني*، تحقيق: يوسف زيدان، دار الشروق، القاهرة، جـ١، ط١، ٢٠٠٨.

ـــــــــ، *شرح مواقف النفري*، تحقيق: جمال المرزوقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

عفيفي (أبو العلا)، *التصوف: الثورة الروحية في الإسلام*، القاهرة، ١٩٦٣.

العيدروس (عبد القادر بن شيخ بن عبد الله)، *النور السافر عن أعيان القرن العاشر*، تحقيق: أحمد حلو وآخرين، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١.

الغزي (محمد بن عبد الرحمن)، *الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة*، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ نشر.

ـــــــ، *ديوان الإسلام*، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠.

الكتبي (ابن شاكر)، *فوات الوفيات*، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت - لبنان، ط١، ١٩٧٤.

ـــــــ، *فوات الوفيات*، تحقيق: علي محمد بن يعوض الله - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠.

ماسينيون (لويس) - بول كراوس، *كتاب أخبار الحلاج، أو مناجيات الحلاج*، التكوين للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٦.

المحبي (محمد أمين بن فضل الله)، *خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر*، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ نشر.

المناوي (عبد الرؤوف)، *الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية*، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ١٩٩٤.

النديم (أبو الفرج محمد بن يعقوب)، *الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء كتبهم*، تحقيق: رضا تجدد، طبعة طهران - إيران، ١٩٧١.

نصر (عاطف جودة)، *عمر بن الفارض دراسة في فن الشعر الصوفي*، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٢.

النفري (عبد الجبار)، *المواقف والمخاطبات*، تحقيق: آرثر يوحنا أربري، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٣٥.

النووي (محيي الدين بن شرف)، *تهذيب الأسماء واللغات*، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، بدون تاريخ نشر.

اليافعي (عبدالله بن سليمان)، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان "في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان"*، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٧.

يوسف المزي (جمال الدين أبي الحجاج)، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٣.

المراجع الأجنبية

Brockelmann, Carl, *Geschichte der Arabischen Literatur*, E.J. Brill, Leiden, 1938, I2, p. 300; SI, p. 458.

Homerin, Thomas Emil, *From Arab poet to Muslim saint: Ibn al-Fāriḍ. His Verse and His Shrine*, University of South Carolina Press, Columbia (South Carolina USA) 1994, (2nd ed. The American University in Cairo Press, Cairo - New York, 2001).

Nwyia, Paul, *Exégèse coranique et langage mystique*, Dar al-Machreq, Beirut, 1970.

Scattolin, Giuseppe, *L'esperienza mistica di Ibn al-Fāriḍ attraverso il suo poema al-Tā'iyyat al-kubrā - Un'analisi semantica del poema*, PISAI, Roma, 1987, 3 vols.

__________,"*The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ or the Realization of Self (Anā, I)*, in *The Muslim World*, LXXXII/3-4 (July-October, 1992) 274-286.

__________,"*More on Ibn al-Fāriḍ's Biography*", in *MIDEO* 22 (1995) 197-242.

__________,"*Realization of 'Self' (Anā) in Islamic Mysticism: The Mystical Experience of 'Umar Ibn al-Fāriḍ*", in *Mélanges de l'Université de St. Joseph*, Beyrouth, Dar El-Machreq, Tome LIV (1995-1996) 1999, 119-148.

__________**(ed.)**, *The Dīwān of Ibn al-Fāriḍ*, a critical edition by Giuseppe Scattolin, Le Caire, IFAO, 2004.

Schimmel, Annemarie, *Mystical Dimensions of Islam*, The University of North Carolina Press, Chapel Hill, 1975.

The Encyclopaedia of Islam, New Edition, Brill, Leiden, 1986-2004, vol X, p. 500.

قائمة المحتويات

الموضوعات

الصفحة

قائمة المحتويات